

مجلة الفكر والفن المعاصر

لقلعة

العددان (١٧٦) (١٧٧)

يوليه - أغسطس ١٩٩٧

الدولة والحاجات الثقافية للمصريين

الغرب متفرد لا كوني !! الغرب نفيس لا متفرد !!



الأصا... ح

نحتيلا ل... ورة

الغلاف الأمامي :

نحت للفنان : جمال عبد الناصر

مجلة الفكر والفن المعاصر
شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

العددان (١٧٦)، (١٧٧)
يوليو. أغسطس ١٩٩٧
الثمن في مصر: جنيهان

بولية. أغسطس ١٩٩٧

الثمن في مصر: جنيهان

العراق ١٥٠٠ قلى - الكويت ١,٢٥٠ دينار - قطر ١٥ ريال - البحرين ١,٥٠٠ دينار - سوريا ٧٥ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن ١,٢٥٠ دينار - السعودية ٢٠ ريال - السودان ٤٧٠٠ قى - تونس ٤ دينار - الجزائر ٢٨ ديناراً - المغرب ١٥ درهم - اليمن ١٧٥ ريال - ليبيا ١,٦ دينار - الإمارات ١٥ درهم - سلطنة عمان ١,٥٠٠ ريال - غزة والضفة والقدس ٠٠٠ سنتاً لنقد، ٠٠٠ بنى - الولايات المتحدة دولاران

الاشتراكات في مصر:

الإشتراكات من الخارج [عن سنة ١٢ عددًا]:

العنوان: مجلة القاهرة - جمهورية مصر العربية - القاهرة -
١١١٧ كورنيش النيل - فاكس ٥٧٥٤٢١٣ ت/ ٥٧٨٩٤٥٥ .

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

نائب رئيس التحرير

المستشار الفلي

مدير التحرير

سكرتير التحرير

أُمِّيذَا التَّحْرِيرِ

السماح عبدالله

المخرجان المنفذان

صبری عبد الواحد

مادلين أيوب فرج

القائمة

العددان ١٧٦ - ١٧٧

يوليو - أغسطس ١٩٩٧

فهرست:

المواجهات

الإصلاح الاجتماعي بدلاً للثورة الاجتماعية

أسيد شكري رائد جمعية الفلاح

١٨٨٧ - ١٩٩٩، أمين عز الدين ٨

الدولة والحاجات الثقافية للمصريين

سيد الهجراني ٢٨

الفصول والشايات

الغرب متغير لاكول

سامويل ب. هنتجوتن ٤٤

رفود

ت: ناصر الحرفلي ٥٤

العدوان العثيون

نعم تشرمكي ٥٨

ترجمة: أسامة القفاش

٧٦

في نهاية التاريخ وصراع الحضارات

سيد الترماب المسوري ٧٦

الأسبوعية في الغرب والإقطاع

٨٦

الكولوني القادم

مهدى بندي ٨٦

الفلسفة وإشكالية العلاقة بين

٩٢

الشرق والغرب

علاء حمروش ٩٢

المراجعات

العشوائية وبكثرة المجتمع في دليل النهار

٩٦

تأويلات على متن قهارم البياض

١٠٢

شعر السؤال الفلسفي

إدريس الخليل ١٠٢

في الرؤية الجبلية

ياسين الناصر ١١٠

تصولات الفيتوري

كمال نشأت ١١٤

ثنائية القيمة والواقع والتعبير في

١٢٠

«مريم النور»

مولد زكريا ١٢٠

الإيقاعات والرؤى

الملف:

مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر

ترجمة: بندر نويق ١٢٤

يوم سعيد من أيام أغسطس

تقيس وانجل ١٣٤

ترجمة: شوقي فهمي ١٣٤

الشعر:

قبل شتاءات باردة

١٤٢

عبدالمعزم رمضان

الإبداع الفني استثمار قومي مستقبلي

١٤٢

مصطفى كركاذ

السحابة التي في المرأة

جمال القصاص ١٤٥

لورين

حسن فتح الباب ١٥١

قرب ضوء هارب

محمود نسيم ١٥٣

النهر يا عمر

أحمد زكي ١٥٤

في العشق قصائد ثلاث

الساح عبد الله ١٥٧

النور

إبراهيم اليوسف ١٥٩

أماحار

محمد الحسيني ١٦٢

شهوة

مجدى الجابري ١٦٤

لوحة كروكية لتكسية العنات الثلاث

١٦٦

ثلاثة أشياء نسلجها بفخر على

عبد فؤاد ١٦٦

جد رائنا الصدنة

لجاء على ١٦٩

التقصص:

سأحدثكم عن حرب الملك

فؤاد قدويل ١٧٢

أغسطس الصغير

عاطف سليمان ١٧٧

أجعل صورة رأيتها

ليثال سالم ١٨٠

لحم «القريب»

خالد إسماعيل ١٨٢

السيرة الذاتية لثلاثة من المحور

١٨٦

داخل صندوق حكم

أحمد غريب ١٨٨

إسرا .. إسرا .. يا إسرا ...

١٩٠

أشرف الشافسي

الإشارات والتبنيات:

مازق المسرح العربي

١٩٤

بين نوستالوجيا الفكر وجمود الإبداع

١٩٤

أوبرا الصن البصري

مجدى فرج ١٩٤

مخطوطة شعرية لسمند فريد أبو حديد

١٩٤

بين الجنون والهجة

عبدالمعزم رمضان ١٩٤

عالم فريز هيرتسوج

١٩٤

الوحات الداخلية للنان : محمود بقشيش

١٩٤

ق

من المصير

إشكالية الخطاب الثقافي المصري

بحيث أصبح المواطن المصري أسير التقاليد والمثالية فيما يقرأ أو يسمع من تحليلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية تدبر الرأس وتلثقه في الحيرة والبلهية. ولما تعارض تعدد الآراء والرؤى والمناهج، فلما ضد الحوار الخلاقي المستلبر والنسج في المعرفة ورفض المطلق واليقين والأحكام الجاهزة والترابعية والقمعية... غير أننا نشاهد عن مصير كل ما الدار الفكرى المقتدر لبرامج وخطط وإستراتيجيات تترجم هذه الرؤى والمناهج إلى سياسات توجه قوى الشعب وتجعله يقبض على مصوره ويخطط لمستقبله وسط عالم الغيب الواحد والسيد الأمريكى الذى بدأ يشكل خطورة الهمينة على شئون العالم وفى مواجهة حضارية شاملة وتاريخية لعدو الإسرائيلى والمسيهوبوية العالمية التى تخطط وتعمل بتكثيف لتهميش دور مصر التاريخى وقدرها وقاطية تواجدنا فى قلب عالمها العربى وفماها المستميت عن حقوق الشعب الفلسطينى وعقله فى إقامة دولته المستقلة.

فى النهاية، فإن إشكالية الخطاب الثقافى المصرى تتبع من تغير وتحول البلى والسيقات الاجتماعية والاقتصادية وعدم تعدد ملامح وسمات مستقرة لها نتيجية التكم الوفسير من القوانين والإجراءات الانتقالية، وهذا يشكل خطراً على العقل المصرى يبله عن إدراك قوانين الضرورة الطبيعية والاجتماعية وباتتالى فقدانها السيطرة على حركتها والتحكم فى اتجاهاتها وبالتالي يضع منه المستنكر. ■

منذ منتصف السبعينيات وعقب الانقلاب على أساسيات المشروع الناصرى للنهضة شهد ويشهد المجتمع المصرى تحولات صدامية سياسية واقتصادية لعل أبرزها التحول من النظام الشمولى - نظام الاتحاد الاشتراكى إلى التعددية الحزبية المحكومة والمقتنة من سلطة الدولة وحزبها القومى؛ الحزب الوطنى والذى لا يزال يستمد شرعيته من ثورة يوليو ١٩٥٢ وانتصارات أكتوبر ١٩٧٣ بجانب بروز دور الثقافات المهنية ونشأتها بحرية الحركة والتغيير فى مساحة من الديمقراطية عن جماهيرها مما شكل توازنًا سياسيًا فى جدل الحركة السياسية للمجتمع.

كذلك بدأ التحول من الاقتصاد المركزى والتخطيط وعمليات التأميم إلى آليات اقتصاد السوق والانفتاح وقوانين الاقتصاد الرأسمالى وبدأ بتراجع دور القطاع العام الذى يتم الآن تفكيكه ويوجه وخصمته فى قيادة العملية الاقتصادية وبرز نشاط القطاع الخاص وزادت نسبة عثلية فى المشاركة فى عمليات التنمية والإنتاج والتسويق.

هذا التناقض بين الحرية الاقتصادية المتنامية وفتح الأبواب على مصراعيها للاستثمار الأجنبى والعربى وفى الوقت نفسه سيطرة الدولة على الإعلام العربى والمسموع بجانب وجود صحافة قومية ملك لجنس الشورى أدنى إلى مآلئ فى سيطرة ومنطلقات توجهات الخطاب الثقافى فهو يتبدى فى مزيج غير متآلف ومتوازن بين فكر الدولة ورويتها لأركان العقد الاجتماعى والسواسة الخارجية وبين عديد من قوى المعارضة والاختلاف غير المتجانسة والمختلطة والمثالية؛ قوى ناصرية وقوى راديكالية وقوى يسارية وقوى أصولية إسلامية معتدلة ومتطرفة، وقوى باهتة ليس لها وزن على الساحة السياسية وتأثير فعال فى الشارع المصرى

قائمة إشكالية يغيب عن معظم مفكرينا ومفكرينا مواجهتها بحسم ووضوح رغم كثرة التناقضات والتحليلات والتلمسيلات المتناقضة والمتصارعة والتى يلقى كل منها صلاحيات الأخرى، وهو قراءة وتأويل وتحليل عناصر مكونات الخطاب الثقافى المصرى الآن، والذى يهائى خطف فى الأوبال والثقافية فى المناهج والرؤى أدت به إلى نوع من المثوانية جعل من الصعب على المثلكى والقارى استيعابه واعتناقه كدليل عمل وقانون لفساد ومفحات حياة يحكم اختياراته وسلوكياته الثقافية ويوصله من الوقوع فى الثقافية والضباب والعيث وبالتالي الإحباط والانسكان.

وقبل محاولة تحديد وتحليل وإبراز عناصر الخطاب الثقافى المصرى يتعين علينا أن نشير بوضوح لوضعية فكرية معقدة ومتسببة تكاد تشكل أزمة فكرية محتدمة وهى بروز هذا الخطاب فى جو وسباق التناقض والاستقطاب بين قطبي أفكار ورؤى ونظريات الحدائة وما بعد الحدائة التى تكس تحولات لاهثة للثورة التكنولوجية ومجتمع المعلومات وعلوم الاتصال والأقمار الصناعية وشبكات المعلومات العالمية وأمنها الإنترنت ولغة الإلكترونيات وبين قطب مضاد هو أدنى مرجعيات الفكر الأصولى الإسلامى المتطرف الجاهلى الظلامى المهادى للعنصرية الشديدة والعلمانية والرافض للفكر النسبى والحوار والتعددية وأسس المجتمع المدني.

وإن نقسرب من فهم وتعرية هذا المأزق الفكرى ودلائله المتعددة المستويات إلا بالعودة السريعة لقراءة المرجعية السياسية والاقتصادية المتناقضة والتى يمر بها مجتمعنا الآن والتى تبرز وتغرى جذور أزمة الخطاب الثقافى كانعكاس للخطاب السياسى.

عبد الحليم عبد الحليم

المجلة

زان

قا

ما طبيعة الجسر الذي يمكن أن يصل بيننا والعالم، ونحن على مشارف الألف الثالثة

من الميلاد؟

أهو الجسر النواهي الذي يشير إلى مجتمع منزحل، يتسلق بأوامره عن اكتمال عالمه واستغائه عن كل صلة بالفارج المحيط؟ أم يكون جسراً صلياً يبدأ طرفه المصالح لنا من ترتيب أدواتنا المعرفية وتضيق زاوية النظر التي يجب أن نتوجه منها إلى العالم، ثم يمتد مستنداً ومدعوماً بالرغبة الأصلية في معرفة أنفسنا، نقاط ضعفنا قبل مناطق قوتنا، يمتد الجسر ويقوى هيكله ودعاماته من السعي باتجاه المعرفة، وبالتالي تحديد غاياتنا، طموحنا للمستقبل في تقاطعه مع ما يروج به العالم من مصالح وأهداف، الأمر الذي يحتاج لأذنان وأخيلة قادرة على استيعاب ما سوف يضاف إلى تاريخ التقدم الإنساني وما سيتراكم من مآثر.

في القاهرة، نتمسك بأن يكون الجسر بيننا وبين العالم من حولنا هو جسر من المعرفة، فنجد باب المواجهات يشتمل على دارسيتين لأسباب الإصلاح الاجتماعي والثقافي في مصر، الجانبين المرتبطين حتماً بالإصلاح السياسي، أو بتنظيم العلاقة بين الدولة وسائر فئات المجتمع، وخصوصاً الفئات الفقيرة منها، الدراسة الأولى لأمين عز الدين، يستقرئ فيها سيرة حياة سيد شكري (١٨٨٧ - ١٩٦٩)، رائد الإصلاح

الاجتماعي ومؤسس جمعية «الفلاح»، التي لعبت دوراً كبيراً في تأكيد فكرة الإصلاح الاجتماعي، أو إعادة صياغة العلاقات بين الطبقات المعوزة للمجتمع، فيما يعود بالمائدة على المجتمع ويكنبه، في الوقت نفسه، الآثار السلبية للثورة أو للانقلاب، في تنبئه لمسار سيد شكري يستعرض أمين عز الدين حال المجتمع المصري في الفترة ما قبل ثورة ١٩١٩ وحتى ثورة ١٩٥٢، وهي الفترة التي ماجت بالأحداث والتحولت السياسية والاجتماعية وانتهت بوصول الجيش إلى الحكم.

وإذا كانت دراسة أمين عز الدين قد عنيت باستقراء هذه الحقبة من التاريخ المصري الحديث، انطلاقاً من فكرة الإصلاح الاجتماعي، فإن دراسة سيد البحراوى وهي الدراسة المتعمقة لهذا الباب تعنى باستعراض الحاجات الثقافية للأغلبية المصرية من الموظفين والعمال والفلاحين المتكثرين بدفع ما عليهم من ضرائب، دون أن يحصلوا على الحد الأدنى من احتياجاتهم الثقافية، مما يؤكد ضرورة إحراز إصلاح اجتماعي لضمان استمرار العقد الذهني بين الدولة وطبقات المجتمع، يستخدم سيد البحراوى مصطلح «الحاجات الثقافية، بمعناه الواسع، الذي يشمل - إضافة لعناصر الثقافة المعروفة من إبداع فني وفكري وأدبي - عناصر التعليم والإعلام والمؤسسات الدينية والرياضية، وهو ما يشكل المدخل لمعرفة النسق الذي ينظم الأفكار والمعتقدات والمشارع لأبناء هذا المجتمع في لحظةنا الراهنة، منهجياً من

دراسته الموثقة بالإحصاءات، إلى أن الثقافة سلمة مرتفعة الثمن لا يقدر على شرائها معظم المصريين وخاصة من ينتمون إلى الطبقات الفقيرة رغم أنهم الممولون الأساسيون للثقافة المصرية.

ويشتمل باب الفصول والغايات على عدد من الدراسات ضمن محور يناقش فكرة صراع الحضارات التي طرحها صامويل هنتنغتون، فأصبحت الشغل الشاغل للمفكرين والكُتّاب في هذه اللحظة، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، يكتب هنتنغتون في تندر الغرب «الغرب متفرد لا كوتى، سبها في توضيح ما يجعل الغرب غريباً مثل الدين واللغة ومركزية القانون والمجتمع المدني متوسلاً بإزاء الروح القومية الغربية وغير الغربية في سبيل شغل الصراع الظاهري الناشئ من التهيؤ للاتحاد السوفيتي كقطب متناوئ للغرب، ومستبدلاً بـ «الامة الإسلامية، والامة الصينية، الطرف الثاني أو الآخر الضروري لتحقيق لعبة الصراع الدولي - في سياق الرد على هذا الطرح تأتي مداخلات كل من جون إيكينري وتوني سميث ودافيد هاول ويروس نسباوم وجميعها تصب في نقد ما يمثل طرح هنتنغتون من أيديولوجية جاهزة للقوميين في كل مكان. يأتي ثالث مقال نعيم تشومسكي، «العدوان المشين، أوعيد تعريف مصميات تبدو متنبهة في سياق الممارسة العملية بينما يبدو أساسها المرجعي ناصعاً ومستقراً، من هذه المصميات: الحق والعدالة والعدوان، يستعرض تشومسكي في جراءة

الجد

خصائص ثلاث: الثورة على القلم والدعوة إلى الحرية، روح التصوف، والاقتراب من العالم بكل ما فيه. وتأتي الدراسة الأخيرة في هذا الباب «القيمة والواقع المتخيل في مريم النور، قراءة من الشاعر ميلاد زكريا يوسف في رواية الكاتبة اللبنانية رجاء نعمة «مريم النور».

في باب الإيقاعات والروى تواصل «القاهرة، تقديم مختلف الشبارات والتوجهات الإبداعية جنباً إلى جنب، حريصين في ذلك على انتخاب النماذج الأكثر اكتمالاً في كل تيار لتتضح في النهاية السمات العامة للفرقطة الإبداعية مصرياً وعربياً إلى حد ما، في «المختارات، يقدم الشاعر والمترجم بدر توفيق متشخيصات من الشعر الأمريكي المعاصر لخمسة شعراء مبرزين، كما ترجم شوقي فهم قصة للكاتب الأمريكي تيمس ويليامز: «يوم سعيد من أيام أغسطس، بالإضافة إلى أشعار وقصص لـ عبد النعم رمضان وجمال القصاص وحسن فتح الباب وإبراهيم اليوسف ومحمود نسيم وفؤاد كنديل وعاطف سليمان، وخالد إسماعيل وأحمد غريب وغيرهم.

أخيراً، تجدر الإشارة إلى التضماع عضو جديد إلى أسرة تحرير «القاهرة، وهو الصديق والشاعر أحمد طه، وهو ليس غريباً عن أسرة التحرير، فأهلاً ومرحباً به داخل الأتون وكان الله في عوننا جميعاً. ■

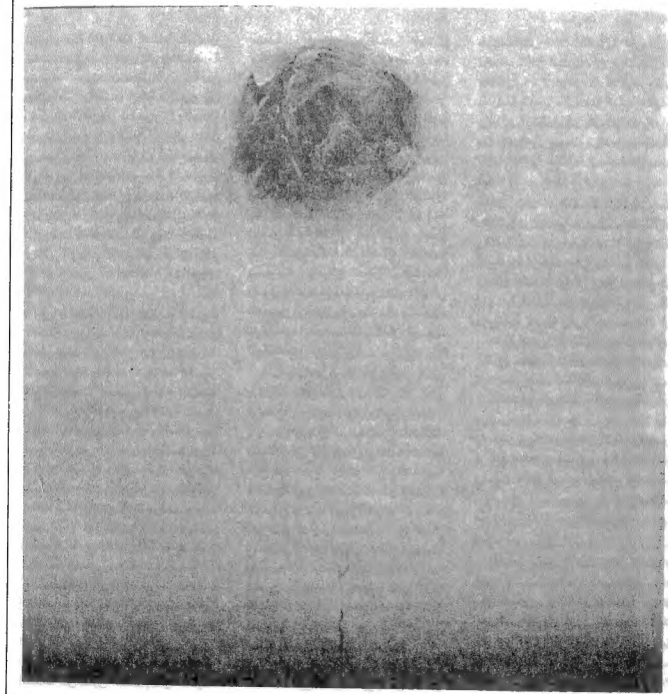
ك. ع

متصاعدة من الترشيد المادي. ويكتمل هذا المحور بمقالتين، الأولى لـ علاء حمروش «الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب»، ويقرأ مهدى بندق في المقال الثاني «الأصولية في الغرب والإقطاع الكوني القادم، نشأة الأصولية الكاثوليكية في الغرب الأوروبي وصعودها ثم سقوطها اقتراناً بصعود وسقوط الإقطاع مع قيام الثورة الفرنسية، هذا القوس الذي ترتبط فيه الأصولية بالإقطاع، يعيد طرحه مهدى بندق على اللحظة الحاضرة، فيما يسميه «الإقطاع الكوني، حيث تحل المجتمعات المتقدمة محل اللوريات في العصور الإقطاعية، وتحل المجتمعات المتخلفة محل الأبقان في هذه المجتمعات.

أما باب المراجعات فيحتوي خمس دراسات نقدية تطبيقية، يكتب عبد الرحمن أبو عوف، متنازلاً رواية سلوى بكر «ليل ونهار: «العشوائية وتلك المجتمع في ليل ونهار، متتبّعاً إشكالية طرح الموضوع الروائي بين التلقائية والعفوية وبين القصد العمدي المغلاني التبررة، ويكتب إدوار الخراط «تأويلات على متن قهارس البياض. شعر السؤال الفلسفي، عن ديوان ماجد يوسف «فهارس البياض»، ويكتب ياسين التصوير، في الرؤية الجبلية، متتبّعاً موقع قصيدة سيف الرحبي على غارطة الشعر العربي الحديث من خلال ديوانه «جبال»، أما «تحولات الفيتوري، فهو عنوان الدراسة التي يتتبّع فيها كمال نشأت تطور الفيتوري من خلال

وموضوعية تطور هذه المسلمات وتطور استخدامها من قبل القوى العالمية وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية من خلال بعض الأحداث الدالة فيقارن بين التعريف الأمريكي للديوان في حادثة غزوها «لبنان، واعتقالها للجنرال دانييل أورتيجا وسجنه كمجرم في أحد سجونها أو ضربها فيقتام بالأسلحة الكيميائية وذلك مقارنة بحادثة أخرى بدت فيها الولايات المتحدة الراعي الأول للأمن والسلام العالميين وهي حادثة غزو العراق للكويت، منتهياً إلى نتائج تعري الوجهة الفصح للقلب الواحد ويسمى النظام العالمي الجديد.

في مقالته «نهاية التاريخ وصراع الحضارات، يربط عبد الوهاب المسيري بشكل مدعش بين الحل النازي للمسألة اليهودية والذي يعتمد تنقيب العنصر الألماني فيما يسمى «الرايخ الثالث، وبين النزوع الصهيوني لإقامة الهيكل الثالث بتطهير القدس وفلسطين من أصحاب الأرض الأصليين (ال فلسطينيين) وبين الاستتساخ والاستعمار، في ذلك يقرأ النموذج الثامن وراء الأديبولوجيات العلمانية (النازية - الماركسية - الليبرالية) مما يمكن تعريفه بالتطور أحادي الخط أو الحائون العلمي الطبيعي الواحد للتطور، الذي تخضع له المجتمعات والظواهر البشرية. فالنظرة إلى العالم باعتباره مادة استعمالية والنظر إلى الإنسان باعتباره جزءاً من العالم، هي نظرة أساسية يقوم عليها النظامان العلمانيان: القديم والجديد انطلاقاً من كون التقدم هو عملية



المواجبات

٨ الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية [سيد شكرى رائد جمعية الفلاح « ١٨٨٧ -

١٩٦٩ »]، امين عز الدين. ٩ الدولة والحاجات الثقافية للمصريين ، سيد البحراوي.



الإصـ الاجـتماعي بـديـ لـثـورة الاجتماعية

سيد شكرى

رائد جمعية الفلاح

١٨٨٧، ١٩٦٩

أمين عز الدين

ولد الدكتور سيد شكرى^(١) عام ١٨٨٧ بقرية «ميت بعلش» مركز «ميت غمر - دقهلية»، من «عائلة «بحر» الميسرة الحال بفنحل أملاكها من الأراضي الزراعية الخصبة، ويفضل ترابض أبنائها ومعيشتهم الجماعية المصممة على أساس عملي في توزيع العمل بينهم والمشاركة في الخبرات والمطلوبات بالعدل والقسط^(٢) يضاف إلى ذلك اهتمام الأسرة بتعليم أبنائها مع توازن في الاختيار بين التعليم الديني بالأزهر وبين التعليم العلماني الحديث، ولتمكين أبنائها من أن يهملوا التعلم دين عقبات، استأجرت الأسرة منزلاً فسيحاً (أربع) بحارة حوش قدم في حي المغرلين وباب الخلق بالقاهرة، ليكون مقراً لمعيشة أبنائها من المزارعين بالأزهر ومن تلاميذ وطلبة المدارس الحديثة، كما يستقبل الوافدين من رجال الأسرة ونسائها لزيارة أضرحة الأجداد أو للعلاج.

وتمثالاً لانتظام تزيين هذا المقر، اقتنت الأسرة مركباً شراعياً في مجرى الرياح الترفيقي قرب مدينة بنها، لتنتقل الزاد والزاد إلى المقرمرة كل شهر تدرس بها في «ميدان» بولاق ومنه بالعربات «الكار» إلى «حوش قدم» وأُسيّد الإشراف على مجمل هذه العملية إلى الشقيق الأصغر الشيخ سليم بحر.



الإصلاح الاجتماعي بديلا لثورة الاجتماعية



كان سيد شكري ثالث ابن من أبناء الأسرة بلحق بالتعليم الحديث ولا يخطر في مراتب التعليم الديني بالأزهر، وكان التحاقه بمدرسة الأمريكان (بكتري يوسف رزق) (١٦) - أحد كتفوة ميت بيموش، - أول درجة بالنسبة له في سلم التعليم الحديث، ومنها نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٠١، انتقل بعدها إلى القاهرة ليواصل دراسته بالجهيزي (الثانوي) بمدرسة التوفيقية.

ورثع الفتى سيد شكري في تلك المرحلة من مراحل تكوينه التربوي تحت تأثير عاملين رئيسيين: أولهما شخصية أخيه الأكبر المهندس حسين بك حلمي المقيم بمنزل الأسرة في حوش قدم، والذي يتولى مسئولية الإشراف على زلزاله من الطلبة والمصارفين والمرضى والزلازلين. وكان حسين بك حلمي في واقع الأمر من أوائل المهندسين المصريين الذين تقدموا في المناصب الحكومية ليحلوا محل المهندسين البريطانيين وقد شغل في أخريات أيامه منصب مدير تنظيم القاهرة الذي كان وقتاً على الأجانب والبريطانيين خاصة. ولابد أن الفتى سيد شكري قد بهرهت مكانة أخيه، كما بهرهت اهتماماته الفريدة بطرم الفك واللى مكنه من تأسيس مرصد حلوان وإدارته فترة من الزمن.

وثانيهما: التحاقه بالمدرسة التوفيقية، وهي مدرسة أبناء الثروات، حيث قضى بها، وهو الفتى الريفي، أربع سنوات يرقب مظاهر الفخاوت الاجتماعية وأثره على زملائه من أبناء الفقراء، وزاد الطين بلة أن الدراسة في التوفيقية - وفي غيرها من المدارس الحكومية - كانت سلسلة من التعذيب البدني والنفسي؛

فالمعنويات الشديدة توقع على الطلبة لأهون سبب، والمدرسون الإنجليز الساديون يستعذبون إهانة الطلبة والهزه بهم. ومن خلال هذه التجربة، نشربت روحه بالعداء والكراهية ضد الإنجليز. والأرجح أنه حمل من وراء تلك التجربة رواسب فكرية عميقة رافقته طوال حياته، وجعلت من عداله للمستعمر الأجنبي موقفاً أصيلاً ودائماً مع مرور الأيام، ولم تكن تجربته تلك تختلف عن تجارب زملاء عاصروه في مدرسة التوفيقية مثل سلامة موسى ومصطفى حمتون المنصوري ممن انشغلوا بقضايا التحرر الوطني والتغيير الاجتماعي في مصر.

أتى سيد شكري دراسته التحجيزية (الثانوية) في ١٩٠٤، ثم التحق بالمدرسة العليا للطب عام ١٩٠٥، حيث وجد نفسه وسط أقرانه من طلبة المدارس العليا الذين ساءم للزعيم خالد محمد فريد بالشيوعية الوطنية والشيوعية الحرة، واعتبرهم عدد تشكيل الحزب الوطني في ديسمبر ١٩٠٧، ريسد الحزب وطافه المفجعة.

وإذا تعرف على وجه التحديد متى انضم سيد شكري لتنظيمها إلى الحزب الوطني، وإن كنا نرجح أن يكون ذلك قد تم في الفترة من ديسمبر ١٩٠٧ (تاريخ تشكيل الحزب) وأكتوبر ١٩١٠، تاريخ تخرجه في مدرسة الطب، ففي تلك الفترة كان الحزب، بقيادة محمد فريد، يدعم قدراته التنظيمية بضم وتنشيط طلبة المدارس العليا وخرجوها، لدخل صفوفه، وتسكينهم في أرفع المواقع القيادية للحزب وللتنظيمات الجماهيرية التي أنشأها وأهمها نقابة الصناعات اليدوية ومدارس الشعب وأندية العمال والنحارات الزراعية، وحتى بعض الجمعيات السرية للكفاح الوطني.

ولضمان المزيد من الارتباط بين الحزب وبين الشبيبة الحرة، أسست لائحة الحزب الطرق لجانا من السفين الشباب لكي يشغروا المراكز القيادية في مستوى أرفع الحزب القاعدية (لجان القرى والراكز) ولجان عواصم المديرية، وفي مستوى المؤتمر السنوي للحزب أو الجمعية العمومية، واللجان القيادية المبدقة عليها وهي اللجنة الانزاية واللجنة التنفيذية العليا.

كما أفسح الحزب عدداً من المواقع القيادية للشبيبة الحرة في نقابة الصناعات اليدوية، وأوسع وأقوى التنظيمات الجماهيرية التي أسسها الحزب، فقد تمس «قانون» هذه النقابة على نوع فريد من الضمنية وبتعاضد المفقون تحت اسم «المساعدين وأعضاء الشرف». ويمرور الزمن أصبح هؤلاء هم القادة الفعليون للنقابة، فضلاً عن مسؤوليات حملوها في إدارة وتشغيل «مدارس الشعب» والأندية الرياضية التي أنشأها الحزب للعمال، ومن أبرز هؤلاء الشبان على بك ثروت ناظر مدرسة الصناعات بالمنصورة (سابقاً) والذي كان أول رئيس للنقابة، وإسماعيل زهدي الحامى، أول سكرتير لها. وفي انتخابات النقابة التي جرت في يناير ١٩١٣ انتخب سعادة عبد الكريم حسن رئيساً يعارنه عشرة أعضاء من «المساعدين، منهم: محمد لطفي جمعة، محمد أفندي صالح، الحاميان، ومن الأطباء: د. حافظ أفندي عفيفي ود. إبراهيم الشورجى ود. عثمان ليبي ود. محمد توفيق.

وكان أفراد هذه المجموعة من الأطباء، وجميعهم من زملاء د. سيد شكري، يفرعون بخدماتهم بالجان أعضاء النقابة والدارسين بمدارس الشعب. وقد التمت دائرتهم لضم زملاءً جديداً تذكر منهم د. حسن مرزوق الجراح ود. فوزي أبو السعود (المعروف) والصيدلي نصر جودة ود. أحمد أفندي عيسى الذي كانت عيادته المقر المبكر لعقد جلسات اللجنة الإدارية للنقابة.

وتميزت تلك المرحلة المبكرة من حياة د. سيد شكري (من عام ١٩١٠ تاريخ تخرجه إلى عام ١٩١٤ تاريخ نشوب الحزب العامية الأولى) بعديتين مهمتين في سيرته:

أولهما: سفره إلى دبلن (إيرلندة) عام ١٩١١ للحصول على دبلوم عالٍ في أمراض النساء والجراحة، وقد عاد بعدها إلى مصر عام ١٩١٢ حاملاً أحلامه الوطنية لكفاح من أجل الاستقلال وأحلامه الاجتماعية لتوفير الخدمات لأبناء وطنه من الفقراء والفلاحين. ولا يغيب عن أذهاننا أن إيرلندة كانت حينذاك في ثورة كبرى بقيادة الزعيم خالد ديباليرا الذي كان موضع إعجاب المصريين. وقد صادف كفاح الشعب

الأيرلندي هوى عميقاً في نفس سيد شكري واعتبره نموذجاً ومثلاً رائعاً يمكن للشعب المصري أن يسج على مثوله في كفاحه ضد المستعمر البريطاني.

ثانيهما: انضمامه فور عودته من دبلن إلى البعثة الطبية المصرية التي شكلها الحزب الوطني عام ١٩١٢ لخدمة المجاهدين العرب في الحرب العالمية الأولى، ولا شك أن اختياره عضواً في تلك البعثة أكبر دليل على مكانته داخل الحزب الوطني وتنظيماته الجماهيرية، وقد حملت البعثة معها، وعلى نفقة الحزب الوطني وبخموله كاملاً، الأدوية والإمدادات الطبية، وهناك راقت المجاهدين بقيادة البطل سليمان النصاروتي وهم يخوضون المعارك البطولية ضد الغزاة الطليان في مناطق زوارة وجندوبة وورقلة وغيرها، حتى «انكسر العرب» كما يقولون، نتيجة خيانة الأتراك لهم. وعادت البعثة عبر حزمهم ووطنهم في مارس ١٩١٤ والحرب العالمية الأولى تنذر بالانقراض.

خرج د. سيد شكري من هاتين التجربتين، أيرلندا الثالثة وطرابلس الغرب المتصدية للغز الأجنبي، بمزيد من الاقتناع بأن الطريق إلى الاستقلال يمر فقط - من فوهة البندقية، وليس من خلال الكلام والخطب والمفاوضات. وزاد من وهج تلك الأفكار والقتاعات عنده، تعرفه في طرابلس الغرب على البطل عزيز المصري، وما اعتد بهلها من صداقة حميمة استمرت طوال حياتهما، وأكثر من نصف قرن.

الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)

وجاءت سنوات الحرب في مصر بكل ما حملته معها من اللعاسة لشعب مصر وإهدار كرامته وما جرته على البلاد من شتى أرباب الجرثمة والظلماني الذي مارسه السلطات العسكرية البريطانية. ولاشك أن ذلك كان بالصدفة للدكتور شكري مصدر تشافعه النفس المشوب بالحنوب، كما كان دافعا عنه المزيد من المعاناة ومزيد من التفكير اللزري ضد المذهب الأجنبي.

ولا غرو فقد شهد د. شكري، كما شهد جميع أبناء مصر، كيف أعلنت بريطانيا الحماية على البلاد، وكيف وضع السير جون

ماكسويل، قائد الجيوش البريطانية، القنصل تحت الحكم العسكري وأعلن الأحكام العرفية، ثم راح يصدر «البيانات» إلى الشعب، هذا يهدد باتخاذ أشد الإجراءات عند أول بادرة للحركة والمقاومة، وذلك يحذر الأثالي من تكدير السلام العام أو مساعدة الأعداء، ثم بين الثالث بأن السلطة العسكرية «ستفرض» مطالبات من خدمات الأفراد أو مما يملكونه، وتلك وثيقة بإعلان خلع الخديوي عباس الثاني وارتقاء حسين كامل على عرش السلطنة المصرية.

في هذا الجو القائم، أخذت القاهرة تتحول تدريجاً إلى مدينة خلف الضغوط رالي مركز للإمدادات والتموين الحربي وقاعدة لتجمع الجنود البريطانيين وجلب المستعمرات ومرتج للجنود المرحلين إلى الجبهة بكل ما يعمل في نفوسهم من خوف ومرارة، والجنود الصائدين لقضاء إجازاتهم في مصب واستنار بكرامة المواطنين وممتلكاتهم.

وإذا كانت عريضة المستعمر قد ظهرت ويأبش صسورها في القاهرة والإسكندرية ومنطقة القتال، فإنها كانت في البداية بعيدة عن الاحتكاك المباشر بالمواطنين في الريف والمراكز، ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، فما لبث نزاع السلطة العسكرية البريطانية أن امتد إلى القرى لوسلوى عوى ودين مقابل على المحاصيل والدواب لقرايتها البحارة في سيدها وفلسطين، كما امتدت الذراع نفسها للقاصبة لتفرض على الرجال من الفلاحين والعمال والحرفيين شكلاً من أشكال السخرة للعمل في «فيالق» خاصة ملقحة بالقنات البريطانية للحماية في فرنسا وغالوبولي والعراق وفلسطين، فيما عرف حينذاك باسم «العمل في السلطة»، وهي فيلق العمل المصري Egyptian Labour Corp وفيلق النقل بالجبال Egyptian Camel Corp، وقد بلغ عدد من سخرؤوا في هذه الفياق وضروبها طوال سنوات الحرب نحو مليوني مواطن.

ولا شك أن د. سيد شكري قد شهد بنفسه عملية خطف وجمع المسخرين من أبناء قرى ميت غمر وزيقي، وشهدهم على الأخص في «مركز التجميع» بميت غمر وهم مقيدون بالرجال كالمواشي استحقاقاً لتخليطهم إلى مختلف الجهات.

كما أننا لاستبعد أن يكون الدكتور سيد شكري قد عرف مزيداً من المعلومات حول ممارسة السخرة ضد المواطنين من زميله وصديقه د. يوسف سابا الذي التحق بقسم الخدمات الطبية في فيالق العمل المصرية، وهما مكان يعرض له العمال والفلاحون المسخرون من استغلال لا إنساني، فكذب تقريراً خطيراً بشأنه بوضع فيه السلطات العسكرية البريطانية (٤).

وانتهت سلوات الحرب بما حملت من الهانة والقهر للشعب المصري، فلما لاحت سرات السلام، هب الشعب مطالباً بحريته واستقلاله في ثورته الوطنية، ثورة ١٩١٩، وكما كانت هذه الثورة علامة على طريق الأمل، فإنها كانت بالمثل علامة بارزة في حياة د. شكري وميزته الخافله.

شكري وثورة ١٩١٩

لم يقل د. سيد شكري، بعد عودته من طرابلس الغرب، أن يتلحق بعمل أو وظيفة حكومية رغم توفر القصر أمامه، فهو يرفض العمل تحت الإدارة البريطانية التي تفرض وجودها ورجالها على الخدمات الطبية الحكومية، كما أنه لم يكن يحمل البريطانية، كمفتشية لعمري باده ووطنه، غير مشاعر العدا الشديد والاحتقار.

واختار د. شكري ممارسة الحرة لهفته الإنسانية بين أبناء الدفيلة؛ مديريته، وجورائهم. ففتح عيادة زائمية في مدينة زغنى وفرصاً لها في مدينة «ميت غمر» وأبق بالعيادة سديلة لخدمة الممردين من المرضى، وأصرف الدواء للقرء بالمان.

وأثر د. شكري أن تكون ميت غمر الجميلة الهادئة مقر إقامته، فاستأجر فيلا فاخرة على النيل (فرع دموط) وجهز قارباً له تجهيزاً أنيقاً ليقلقه يومياً عبر النهر الخالد. ذهاباً وإياباً - إلى زغنى، وجعل من مسكنه منتدى وبلداً وثقافياً أصدقائه من المهنيين والمثقفين والأعيان.

وفي مدينة زغنى، كان اللقاء حتمياً بين د. شكري وبين اثنين من أبناء عائلة الدندى، هما المناضلان الوطنيان يوسف وعوض الجندى، اللذان تألدا في عام ١٩١٩ أروع وأغرب تجربة ثورية ضد الإنجليز، المعروفة «بجمهورية زغنى» أو «إمبراطورية



الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية

زفتي.. وقد نكّل يوسف الجندى السهامي، بالذات، صديقاً حميماً له لأكثر من نصف قرن حتى لا يكاد يفلترقان.

واندلعت ثورة ١٩١٩... وتحمس لها د. شكري حماساً شديداً، وأيدها من أصابع قلبه، وشارك بقدر ملحوظ في العمل الثوري وتنظيماته، وخاصة في منطقة زفتي وميت غمر، ولكنه وانتمائه إلى التيار الغالب داخل المذهب الوطني، كانت لديه تحفظات كثيرة على قيادة سعد زغلول للثورة، فقد هاله وأحزنه إصرار سعد زغلول على استبعاد محمد فريد من الوفد بحجة أن صдаؤه الشديد لبريطانيا قد يفسد مهمة الوفد ويحرق المفاوضات حول مطالب البلاد.

ومن ناحية أخرى، أحس الدكتور شكري بإحباط شديد من جراء ما حدث من الانقسامات داخل الحزب الوطني بين من قبلوا التعاون مع الوفد، وبين الراقضين لهذا التعاون، ومن خلال تأمله في هذا الانقسام، وفيما يذره سعد من بذور الشقاق في صفوف الوطنيين، وخاصة قادة الثورة. أخذ الدكتور شكري يبحاز تدريجياً إلى فكرة «الاستقلالية، في العمل السياسي بعيداً عن الانقسامات الحزبية وما أشاعتها من يأس وإحباط في صفوف الحركة الوطنية.

ورغم كل ذلك، لم يتأخر دكتور شكري لحظة عن المشاركة النشيطة في الثورة، فالثورة ليست ملكاً لم سعد زغلول أو الوفد، وإنما هي ملك للأمة وجماعيتها التي صنعتها وقدمت لها أشجع شهدائها وأخلصهم ذكراً.

أما مشاركة الدكتور شكري في الثورة فقد جاءت من خلال ثلاثة أحداث شهيرة

من أحداث المقاومة الشعبية ضد الإنجليز، وقعت جميعها في نطاق مركزي ميت غمر وزفتي.

وقد بدأ مسلسل تلك الأحداث بحدودان بريطاني وحشي على قرية ميت القرشي مركز ميت غمر على أثر قطع الأمان لخط سكة حديد الددا المار بقريةهم، فقد قامت السلطة العسكرية البريطانية بإحضار قنار حربي فيلا حتى مشارف القرية. ومع ظهور أول سنوء، وقبيل خروج الفلاحين إلى حقولهم، صبت المدفعية المحملة على القطار نيرانها الكثيفة على القرية الآمنة دون تمييز أو رحمة لنزل بها أكبر الخسائر في الأرواح والموالي والدواب، وتدمر جانباً كبيراً من مبانيها، وحتى أشجار الخيل الساقطة والتي كانت أبرز معالم ميت القرشي، لم تلت من النيران والتدمير (٥).

ومع ثبوت سوء الدنية المهيبة في هذا العدوان الفاضل وما أشاعه من الرعب بين أهالي المنطقة، فإن الدكتور شكري لم يتردد في أن يقود وفداً من أعيان ميت غمر لتلاحيج لدى قيادة الكتيبة الاسترالية المرابطة في ميت غمر، وقرجى قائد الكتيبة بهذا الأسلوب الاحتجاجي الذي لم يسبق للمصريين استخدامه في مثل هذا المستوى المحلي، كما قرجى بالدكتور شكري وهو يتحدث بلغة إنجليزية رصينة، متهماً بريطانيا بالهجومية ضد شعب مصر العريق حضارياً، وضد حقوق الإنسان والشعوب في الحرية والاستقلال، وقال له: كان الأولى بالأسراليين، وبناهم مستعمر مثل بلدنا، أن يعاملوا مع كفاح شعب مصر من أجل حريته.

ومن الطريف أن العدوان على ميت القرشي أثرى الموروث الشعبي بصورة جديدة هي سيرة «صديقه مرات عبد المجيد، التي شاركت في المعركة ضد الإنجليز ونقلت قتالهم حتى وقعت تحت ضابك الخيل وراح جندى بريطاني يركلها في بطنها حتى أجهضها - ورغم اختلاط الأسطورة بالواقع، فإن هناك إجماعاً على أن الدكتور شكري هو الذي قام بإسعافها وأثقت حياتها. ومن يزور ميت القرشي اليوم سيجد أن قبرها قد أصبح مزاركاً مثل مزارات الأواباء تليدًا لغروسيها وشجاعها في المعركة.

ويظهر الدكتور سيد شكري مرة أخرى ضمن أحداث ثورة ١٩١٩، في إطار قصة «إمبراطورية زفتي».

وقد بدأت فصول تلك القصة العجيبة في ١٨ مارس ١٩١٩ عندما قاد الشاب الوطني يوسف الجندى جماعية مدينة زفتي، رجالاً ونساءً وأطفالاً، يستولون على مركز شرطة المدينة، ويعلن استقلالها.. وانضم إلى الثورة المناصب الوطني إسماعيل حمداً، مأمور مركز زفتي، ومعارنه المناصب أحمد جمعة، ليصبحا مستشارين عسكريين للدولة الوليدة.

ونشكلت لقيادة الثورة «لجنة، من الأعيان والمثقفين وصغار التجار عرفنا منهم: عوض الكفراوي والشين مصطفى عصام وإبراهيم خير الدين وأمنون بردا ومحمد السيد ومحمود حسن. وتولت هذه اللجنة الثورية جمع التبرعات لتمويل عدد من المشروعات العامة لتوفير العمل للمواطنين، واستمرت على مخازن الحبوب الممنوعة للقوات البريطانية، وجندت الطلبة والمثقفين في فرق منظمة لتقوم بدرجات لحفظ الأمن وحراسة حدود الدولة ومنع تسرب المواد التموينية والإشراف على عمليات الري، كما نظمت اللجنة إصدار النشرات والتحذيرات للأهالي بعد طبعها في مطبعة قديمة بالمدينة.

ورغم أن أغلب المصادر تؤكد مشاركة الدكتور شكري في عملية إعلان الثورة وبناء «إمبراطورية زفتي»، فإنها تختلف حول حقيقة عضويته في «لجنة الثورة، والأرجح أنه حقق مع صديقه يوسف الجندى على أن يكون دوره من وراء حجاب حتى يمكنه التدخل للتهنئة في حالة فشل الثورة.

وفي ٧ أبريل ١٩١٩ لعب النور للثبي، المندوب السامي البريطاني الجديد لمعينة الكبرى لتصفية الثورة الوطنية الشاملة فأعلن أن النظام قد عاد إلى البلاد وأنه قد تم الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه، وأنه لم يبق جبر على السفر ومبارحة البلاد، وهو الحجر الذي منع الوفد من السفر إلى مؤتمر السلام بباريس لتكديف مطالب مصر الوطنية.

وقبل هذا الإعلان فعل السحر في الجماعية التي اعتبرته انتصاراً كبيراً للثورة

مادامت السلطة التي اعتقلت سعداً قد اضطرت للإفراج عنه، وقد يكون ذلك شكلياً للثورة أو تضحية بمهادنة لها.

وفي زفتي لم تأخذ اجنتها الثورية الأمر بهذه البساطة ولم تهول، كما هولت المدن الأخرى، إلى نفس المولد. وبدا وكأن اللجة مصممة على استمرار الثورة في زفتي والدفاع عن حدود الدولة، الوليدة.

في مواجهة هذا الموقف الطيّد، لم تجد العملة العسكرية الأسرالية مفراً من أن تشدد حصارها للمدينة، فاحتلت ملحج رينهارت ومدرسة كشك عند أطراف المدينة، كما طالبت بتسليم عشرين موراطنا من المدينة لجلدهم جزاءً وتأييداً لهم على مشاركتهم في الثورة.

ولتأنيب مواجهة دموية غير متكافئة مع القوة البريطانية الغاشمة، قبلت للجنة الثورية بالحل السلمي بعد أن دبرت هروب يوسف الجندى إلى القاهرة، ثم سلمت عشرين فرداً من الروشة والميداء إلى العملة العسكرية لجلدهم.

وهنا ظهر الدكتور سيد شكري من جديد على رأس وفد من الأهالي يرافقه الضابط الوطنى إسماعيل حمده، وأقنوا قائد العملة تلك المصارف شهيداً لعودة الأمور إلى نصابها.

ومن المصعب أنه رغم تصفية الثورة في زفتي على هذا النحو وتلاقي وقوع مجزرة جديدة على أيدي السلطة العسكرية البريطانية، فقد ظلت البلاغات البريطانية تنبه إلى أن ميت غمر لا تزال مع زفتي وميت القرشى مركزاً للتمرد والفتن في هذه المنطقة.

واجهت شكوك السلطات العسكرية البريطانية إلى الدكتور سيد شكري، وراحت هذه الشكوك تزيد يوماً بعد يوم بفعل الرواشة الذين مالوا أذان السلطات منه، وصروى على أنه أخطر شخصية وطنية معادية لبريطانيا في المنطقة.

وتصرفت السلطة العسكرية البريطانية تحت وطأة هذه الرواشات، فوجهت حملة مفاجئة لحصار قرية ميت يعيش، بلد د. شكري وأسرتة المصروفة بغزوهم، بحجة البحث عن السلاح والعتاد الذى قيل إن لجنة

ثورية من شباب القرية تعمل تحت قيادة د. شكري. تخفيه استعداداً للقيام بعمليات ضد القوات البريطانية.

وكانتها في مثل هذه الأحوال، هاجمت العملة القرية في النجهر، وأبقيت العملة (الشيخ إبراهيم حسين دهروج الأخ الأكبر للدكتور سيد شكري) ليرافق الجلود في تفحوش بيوت القرية التي حددها الواشون. واحتال العملة لتعطيلهم بأن عرض على قائد الحملة تقديم وجبة لإفراد القوة ألا ثم يقومون بعد ذلك بعملية التفحوش، وقبل قائد القوة دعوة العملة للإطمار دون أن تدخله إلى رية في الأمر.

وبينما انشغل جناب وأفراد العملة بتناول الإفطار، سرب العملة النبا إلى أعضاء اللجة الصالحة للثورة من مسلمين وأقباط، لإخفاء ما لديهم من أموال التبرعات ولقفل السلاح والمعاد إلى خارج القرية. وتم ذلك بالفعل عبر أسطح الدور ومنها إلى الفيضان الفسيحة من زمام القرية، فلما قامت قوة الحملة بالتفتيش لم تعثر على شيء بين أهالي القرية ولم يقع في أيديهم ما يشهد على صحة شكوكهم. ومع ذلك أصرت القوة على اعتقال عدد من شباب القرية وخاصة من هم من طلبة المدارس العليا المعطلة (١).

وحضر الدكتور شكري من ميت غمر على متن موتورسيكل بحرية جانبية ليشهد للنظر الأخير لعمليات التفحوش وعلى وجهه انجاسة ساخنة لم يكن يخفيها. وبادر بالحديث مع قائد العملة مطالباً بحسن معاملة المعتقلين، والسماح لهم باستخدام ركائبيهم في ميت غمر وعدم تكبييلهم بأى نوع من السلاسل أو الحبال، ويبدو أن قائد العملة استجاب لهذه المطالب تحت تأثير الحجج التي ساقها إليه الدكتور شكري في لغة إنجليزية ممتازة.

دروس مستفادة

لأن كانت تجربته الذاتية في أيرلندة الفائرة على الاحتلال البريطاني، ثم في طرابلس الغرب المكافئة ضد الغزو الإيطالى قد غرست في نفسه بذور الرؤية الوطنية التحررية التي تؤكد أن الطريق إلى الاستقلال يمر من فرمة بنخينة، فإن تجربته في ثورة ١٩١٩ كانت أعمق أثراً في تكوين رؤيته

السياسية، وفي تشكيل موقفه إزاء العمل الحزبي والأحزاب على الساحة المصرية.

كان الدكتور شكري يؤمن إيماناً راسخاً بضرورة الوحدة الوطنية كشرط لنجاح النضال الوطنى وتحقيق مطالب الأمة في الاستقلال والحرية، وإذا فقد أفرعه كثيراً أن يرى القوى السياسية في البلاد تنقسم فيما بينها زمراً وجماعات وأحزاباً متناحرة؛ فالوردة، في حياة سعد زغلول وبهده، يطرد عناصر وطنية معشاة من صفوفه، وحزب الأمة القديم لا يقدر على تجاوز سنوات الثورة موجهاً، فتخرج منه أحزاب انقسامية مثل الأحرار الدستوريين وغيرهم. وحتى حزبه الأثوري إلى قلبه؛ الحزب الوطنى، ينقسم إلى جماعات متناحرة، فلج جماعة أمين الرافعى ونك جماعة الصوفاني تلك جماعة ربحنا.

ومن خلال تأمله الحزين في مختلف مظاهر هذه المأساة الوطنية، ازداد الدكتور شكري اقتناعاً بالاستقلالية في العمل والفكر السياسى، باعتباره البديل الصحيح للتناحر والفرقة والتحيز والحزب على حساب مصالح الوطن وطموحات الشعب.

والاستقلالية عند الدكتور شكري ليست هروباً من مسؤوليات العمل السياسى، وإنما هي وسيلة لتجاوز الخلافات النفسية والتحزبية، من أجل حماية مصالح الوطن والمواطنين، كما أن الاستقلالية عنده ليست عزلة أو انقطاعاً عن رجال السياسة المخلصين المرتبطين بهذه الأحزاب، لقد حرص الدكتور شكري طوال حياته على الاحتفاظ بعلاقات وصداقات حميمة مع عديد من قادة الأحزاب والزعماء والشخصيات، ولم يدع هذه العلاقات السياسية مهم أن تنقسم هذه العلاقات، وإن المرء ليجب الآن لهذا العدد الكبير من الشخصيات الثابتة في انتماهم الحزبي، وهم يترددون ويتجمعون في عزبة قرب ميت يعيش على مآبىة الشهور، فكنت تجد عدده يوسف الجندى وأحمد نجيب الهلالي ومصود أبو النصر من الرند وإسماعيل صدقى وحافظ عفيفي وشمس الدين عبدالقادر من أحزاب الأقلية، ثم ذلك الرجل العظيم والفردى في فكره ومواقفه الفريق عزيز المصرى.



الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية

وقد ظل هذا اللطم من الصداقة الجمعة لأطراف وشخصيات متناقضة، اللطم الخالم في حياته بما يتخلله من قدرة على قرض التعامل الردي المصمم بين هذه الشخصيات التي طالما تروعت وتناحرت على المسرح السياسي والعزبي.

في خدمة المجتمع المحلي

انتهت ثورة ١٩١٩ وضُرْق مسرّح السياسة المصرية في مستنقع من التناحر العزبي المدمر للوحدة الوطنية، ووقعت البلاد فريسة للتصراعات التي نشبت بين حزب الوفد وبين كتيبة من أحزاب الأقية المظلمة في الحكم والعاجزة عن تقديم الحلول لتضايي الوطن الأساسية. أما الحزب الوطني فقد خسر قيادته التاريخية بوفاء محمد فريد في المعنى، وتناحر رجال الصف الثاني فيه على قيادته ففترقت كلمتهم وتكررت انتقاماتهم.

ولم يكن الدكتور شكري مستبعداً للمشاركة في ذلك البعث الحزبي أو أن يكون له أي دور فيه وكان مقتنعاً بأن العمل السياسي في مثل هذا المناخ المريب لا يفيد الوطن في نيل حريته واستقلاله، ولا يفيد المواطنين فيما هم بحاجة إلى من تنمية الموارد وتوفير الخدمات والعيش الكريم.

وبدا الدكتور شكري في تلك المرحلة التي امتدت من العشرينيات وحتى منتصف الثلاثينيات، أكثر اقتناعاً وميلاً إلى الانسحاب من الحياة العامة والسياسية في مستواها القومي، مفضلاً التركيز بكل طاقته على خدمة الجماهير للفقيرة والكادحة على المستوى المحلي، ولم يكن هذا المستوى المحلي عنده يجرّاز حدود مركزى ميت غمر وزقنى وما يتبعهما من قرى وكفور،

كان أبرزها وأقربها إلى قلبه، قرية ميت بعين وكفر يوسف زقنى.

ويطلق مفهوم خدمة المجتمع المحلي عند الدكتور شكري من إحساس صادق يمكن أن نسميه بالأبوية الخيرة Benevolent Paternalism، وهو إحساس يجهل من صاحبه نبعاً للحب والحذب والعطاء نحو الآخرين، فيفيض عليهم بالخدمات والمساعدات، ولكنه يحرص على أن يحتفظ لنفسه بالكلمة الأخيرة في اختيار هذه الخدمات، حتى وإن لم تأت على هوى المتلطف بها، كما يحتفظ لنفسه بحق مداخلة أحوال المتلطفين ومعايشهم على ما يحقّقونه في حياتهم من نجاح أو فشل بعد أن تلقوا هذه الخدمات.

والأثره الخيرة مكلفة لأصحابها لأنها تشكل عبئاً على مواردهم، ولكن يبدو أن الدكتور شكري كان في تلك الفترة، يحقق دخلاً عالياً نسبياً من خلال ممارسته لمهنة الطب المجزية ومن حصيلته ربح الأراضي الزراعية التي ملكها، رغم أنها لم تكن ملكية واسعة، الأمر الذي مكّنه من تحمل الأعباء المالية لممارسة الأبوية الخيرة.

ولفتار الدكتور شكري صديقاً من الخدمات التي رأى ضرورة توفيرها للمتجانين الذين ولجئوا إليه من أمالي ميت غمر وزقنى، ورغم التلوع الكبير في تلك الخدمات فإنها كانت تدرج في نهاية الأمر في ثلاث: خدمات العلاج الطبي - خدمات التعليم - خدمات التشغيل والتوظيف.

فى مجال العلاج الطبي، كانت عيادته في زقنى تخصص جانباً كبيراً من نشاطها اليومي لإعلاج فقراء الفريضة والإجراء العمليات الجراحية التي اشتهر بها الدكتور شكري، فضلاً عن صرف الدواء بالجان من صيدلية ملحقة بالعيادة. وإسما تعرف عملاً خيراً مشابهاً لذلك إلا عيادة الدكتور محبوب ثابت بحى السيدة زينب بالقاهرة، والذي كان - مثل الدكتور شكري، عضواً بالحزب الوطني في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى.

وفي مجال التعليم، اهتم الدكتور شكري بتوفير فرص للتعليم لكل طفل نابه في أسرته وفي قريته. ولم يكن يسمع بأسرة فقدت

عائلتها حتى يسارع إلى توفير الضمانات باستمرار تعليم أبنائها، وخاصة الابن الأكبر، لكي يبين أسرته هذا إلى جانب تبرعاته الدورية «لكتاب، القرية، والسعى لإلحاق الصبية الناهيين ممن حفظوا القرآن، بالمعاهد الأزهرية في الزقازيق والقاهرة مع ضمان مخصص دائم لتحويل مراحل تعليمهم إذا أثبتوا جدارتهم لذلك. ووجد الدكتور شكري في مدرسة الإرسالية الأمريكية بقرية ميت بعين فرصة سانحة لأبناء القرية لنيل الشهادة الابتدائية ثم التوظف أو مواصلة التعليم التجهيزي والعالي بالقاهرة. ولهذه المدرسة فضل كبير على كثيرين من أبناء ميت بعين الذين نالوا الابتدائية منها ثم أكملوا تعليمهم العالي ليصبحوا من المهنيين المرموقين في البلاد مثل المهندس حسين بك حلمى دحروج؛ الأخ الأكبر للدكتور شكري، ومثل الدكتور العالم الكبير عبد المعبود الجبيلي أبرز علماء الذرة في مصر، ومسلات من كسار المرتطيين ومتوسطيه. وإسما تعرف ميخا لجهد الدكتور شكري في مجال تعليم الناهيين من أبناء القنطرة الإجهود عبد العزيز باشا فهمى لأبناء كفر المصلحة بالتوفيق. ولكن جهود الدكتور شكري لم تكن تتوقف عند حد إكمال المتلطفين لتعليمهم وإسما كانت تزد بد ذلك لمساعدتهم في الحصول على الوظائف الملائمة.

ولمنا لا نخرج على سياق هذا الموضوع إذا ترقنا لحظة هذا لتستعرض من خلالها موقف الدكتور شكري من تعليم المرأة، وكيف ترجم ذلك إلى ممارسة عملية في تربيته لبناؤه والتزامه بربوة ليبرالية واضحة في فهم دور المرأة وتحديد مكانتها في المجتمع. ولعل أفضل صيغة لوصف هذه الرؤية أنها كانت تجمع بين التمسك بالقيم الأسيلة للأسرة وبين القبول العقلاني الرصين بما تفرضه المتغيرات الاجتماعية على حياة المرأة المصرية ومستقبلها، يضاف إلى ذلك أن الدكتور شكري لم يتردد في امحان آرائه وأفكاره على الواقع، فدافع إلحاق بناته الثلاث (٧) بكافة مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعى. وكانت مؤثرته على ذلك ما حققته في حياته وتحت رعايته

من مستويات اجتماعية رفيعة ومكانة مرموقة في الحياة العامة، حتى أصبحن نماذج مشرقة للمرأة المصرية الجديدة.

وانتشل الدكتور شكرى في تلك المرحلة انشغالا كبيرا بقضايا التنمية الزراعية وتحدث ملامها ووسائلها وعلاونه في ذلك صديق إبراهيم بك أبو حليقة الذى طالما بهر أعالي قرى ميت غمر بخباره الزراعية الناجحة وإنتاجه من المحاصيل والفواكه الجديدة والنادرة. وقد نصح الدكتور شكرى بفنل تجاربه الزراعية فى إدخال فاكهة المناجر لأول مرة إلى مركز ميت غمر فضلا عما سبله من وسائل جديدة لتطوير طرق الرقابة ضد الآفات، وإنتاج سلالات جديدة من المحاصيل والفواكه.

لقد كانت تلك المرحلة بحق من أكثر مراحل حياته استقرارا وإنتاجا، ومن أسفى الفترات عطاء لخدمة المجتمع المحلي، ولأنه أن هذه الفترة كانت محصلة -وكمرة- لمسيرته من العراول، أعياها عامل الاستقرار الأسرى؛ فقد كان الدكتور شكرى موقفاً في زواجه عام ١٩١٥ بمصاهرة أسرة عارف العريكة التي انتهت نخبة من علماء مصر مثل الدكتور حسين عارف، عميد كلية الزراعة المصرية، وأخيه الأسفل حسن عارف المفكر التقدمى المعروف فى الأربعينيات.

وإذا أردنا أن نصف حياة الدكتور شكرى فى تلك الفترة، والتي امتدت من العشرينيات وحتى منتصف الثلاثينيات فإن أبغ وصف لها أنها كانت فترة عبث خللا المجتمع المحلي وتوفر فيها على خدمة الفقراء والفلاحين، وعكف على تطوير وسائل التنمية الزراعية وتحديثها. ويحت تأير هذا العشق لرض الدكتور شكرى كشوراً من الإغرامات والهدوات التي تلقاها من أصدقائه الحزبيين للخروج من تلك «الحلية» ويقول مناصب وزارية، كان يرددها بلطف حفاظا على استقلالية السيامية أولا، وعلى راحة البال والحياة العائلية المستقرة.

ولكن ذلك لم يدم طويلا..

فى منتصف الثلاثينيات اكتشف الدكتور شكرى أن مجتمع ميت غمر لم يعد يلأم متطلبات التعليم لأبنائه، وكان حتماً

عليه أن ينتقل بالأسرة إلى القاهرة لإلحاقهم بالمدرس الثلاثة. وينتقال الأسرة إلى القاهرة، قبل الدكتور شكرى للعمل مديراً للقسم الطبى لهيئة السكك الحديدية تحت إلاح صديق شاكى باشا، رئيس الهيئة.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة فى حياته تميزت بالخروج على «الحلية» التي طالما فرضها على نفسه، إلى «القومية والشمول» التي تقرضها الحياة فى القاهرة. وكان من أبرز آثار ذلك الانتقال أن عاد الدكتور شكرى إلى العمل السياسى من جديد دون أن يفقد استقلاله.

فى القاهرة تفررت للدكتور شكرى مساحة عريضة للزيرة وللمناخ الحركى السياسية والحزبية فى مسودها الوطنى الشامل. ورغم حذره الشديد من أن يرتبط اسمه بأى حزب أو جماعة سياسية معينة، واحتفاظه بموقفه المستقل إزاء الأحزاب القائمة، فإن ذلك لم يبق حائلا بينه وبين أصدقائه الحزبيين من كل لون ودرب، الذين كانت تجمعه بهم تلك اللقائات للصحة والمنظمة بنادى الجزيرة وحديقة، جريوى، وفى قوته الأنيقة بفارح وشان قرب ميول الساحة (عيد المنعم) بالجزيرة.

فمن خلال تلك اللقائات، وماتجدد من الاتصالات بقدهمى الرفاق من الحزب الوطنى وقدهمى الأصدياء من مختلف الانتماءات الحزبية، بدأ الدكتور شكرى يخرج من قوقعة «الحلية» ليرسع لاهتماماته الاجتماعية خارج الحدود الضيقة لمركزى ميت غمر وزغى، ولیمشرف قضايا عامة وشاملة تبرز من بينها القضية الوطنية وقضايا الإصلاح الاجتماعى والتنمية الزراعية وخدمات الصحة للمواطنين.

وقع الدكتور شكرى فى القاهرة تحت ضغوط كثيرة من جانب أصدقائه من الوزراء وقادة الأحزاب؛ لكل يريد اجتذابه إلى حظيرة حزبه. من الوفد، نشط يوسف الجنيدى السامسى الذى قاد ثورة زغنى، وحسن نافع، النائب الوفدى عن دائرة ميت غمر وشيخ وابن قرية دنطيط (مركز ميت غمر) لإقناعه بالانضمام إلى حزب الوفد. وبالمثل كان حافظ علفيوى باشا، رفيق شبابه ومهنته، يحاول اجتذابه إلى حزب الأحرار الدستوريين ومعتدى الحزب فى

جريدة السياسة التي يرأس تحريرها الدكتور محمد حسين فيكل، يعاربه صديقه عبدالله عشان ابن مركز ميت غمر (قرية بشلا)، والذي كان للدكتور شكرى الفضل فى تعيينه محرراً بمجلة السياسة (٨).

ولكن، رغم هذه الضغوط، ظل متمسكاً باستقلاليته وموقعه الحر فى طرح آرائه السياسية حول قضايا الوطن ومناخه المواطنين. وتأكد موقفه المستقل فى عام ١٩٣٨ عندما قرر خوض المعركة الانتخابية لمجلس النواب عن دائرة ميت غمر كمرشح مستقل، وكانت هذه الدائرة يتبادلها الأستاذ حسن نافع عن الوفد منذ ١٩٢٤، والأستاذ خليل محوى الدين ابن قرية كفر شكر عن الأحرار الدستوريين، فلما علما برغبة الدكتور شكرى، بادرا إلى التحاليل له وأعلنا انسحابهما، ولجح الدكتور شكرى المستقل بالزكية.

ولكن عضويته بالمجلس لم تكن طويلة بالقدر الذى يسمح له بإبراز وطرح آرائه فالعرب العالمية الثانية على الأبواب منذرة بأعمق التغييرات فى حياة الدكتور شكرى وفى حياة مصر والعالم أجمع.

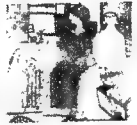
شكرى وأحرب العالمية الثانية

١٩٣٩ - ١٩٤٥

بإعلان الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩، أصبحت القوى السياسية فى مصر مطالبة بتحديد موقفها من أطراف الصراع؛ اللقاء من ناحية، والفاشية الألمانية والإيطالية من ناحية أخرى (المصر).

كان الموقف الرسمى للحكومة المصرية موقفاً متحده معاهدة ١٩٣٦ من تلكه من أحكامها.. مسيح أن مصر لم تكن طرفاً مباشراً فى الحرب، كما لم يكن لها فيها ناقة ولا جمل، ولكنها كانت مقيدة بالزاماتها كحليف لبريطانيا العظمى، بحكم المادة (٧) من المعاهدة والتي تنص على أنه إذا اشترك أحد الطرفين (بريطانيا) فى حرب فإن الطرف الآخر يقوم فى الحال بإنجاده بصفتها حليفاً، وتتمحصر معارضة صاحب الجلالة ملك مصر، فى حالة الحرب أو خطر الحرب الناهم، أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها، فى أن يقدم إلى صاحب

الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



من الحالات (إلا تعبيراً) انفعالياً على طريقة
«عدو عدوى صديقي»!!

والسؤال الذي يهمني هنا هو: كيف كان
موقف الدكتور شكري من الحرب.
ومن أطرافها؟

للشيء المؤكد هو أن الدكتور شكري كان
يضمّر عداً شديداً، لم يكن يخفيه، ضد
الاحتلال البريطاني لمصر، ولم يحمل في
نفسه ابريطانيا إلا الدّعاء لها بالهزيمة
والتضمران وهي تخوض غمار الحرب العالمية
الثانية. ولكن عداؤه لبريطانيا لم يحركه في
انتهاء التأييد لدول المحور الفاشية والتي لم
تكن تفلح لمصاًحاً عن بريطانيا في احتلال
مصر وإذلال شعبها ونهب ثرواتها.

كان الدكتور شكري يأمل أن تنهك
الحرب كافة أطرافها من الدول الاستعمارية
المتصارعة، فتحتك مصر، وغيرها من
المتحمرات، من تحرير إرادتها ونيل حريتها
واسقلالها، ورغم هذا التفكير المنطقي،
والسليم حقاً، وجد الدكتور شكري نفسه في
وضع لا يحد عليه وسط الأحزاب السياسية؛
فمرقه العادي لبريطانيا والحلفاء وضعه في
موقف التناقض مع حكومة الورد المتعارفة
مع الحلفاء والتي سخرت موارد البلاد المادية
والبشرية له في حين قيد أو شرط، كما وضعه
في مواجهة أحزاب الأقلية والجماعات
الفاشية المحلية (مصر الفتاة - الإخوان
المسلمين - جماعة القصر المحجزة إلى
المحور) التي رحبت بالجيش الألمانى
الغازية لمصر من الصحراء الغربية، وناشدة
رومبل أن يتقدم ليحتل البلاد.

ولعل أصعب ما واجهه الدكتور شكري
في هذا الموقف أن صديق عمره المناضل
البطل عزيز المصري، كان مندفعاً في
تأييده لدول المحور إلى الحد الذي لم يكن
يرى متبركاً في احتلالهم لمصر، متصوراً أن
الألمان النازيين أكثر حياءً لحيون مصر، وقد
حاول عزيز المصري بالفعل إجراء اتصال
بالقيادة الألمانية في الصحراء الغربية، ودير
مع مجموعة من شباب سلاح الطيران طائرة
ليرسله إلى مقر قيادة رومبل، ولكنها هبطت
به اضطراراً عند مدينة قليبوب... ولحقني
عزيز المصري فقرة عن عبون البرولين
المصري وعلاء بريطانيا وجواسيسها.

الجلالة الملك والإمبراطور، داخل حدود
الأراضي المصرية، ومع مراعاة النظام
المصري للإدارة والتشريع، جميع التسهيلات
والمساعدة التي في وسعه بما في ذلك
استخدام موانئه ومطاراته وطرق
المواصلات، والحكومة المصرية مزمة إلى
جانب ذلك «بأن تتخذ جميع الإجراءات
الإدارية والتشريعية بما في ذلك إعلان
الأحكام العرفية وإقامة رقابة وثيقة على
الأبناء ولجعل هذه التسهيلات والمساعدة
فعالة».

ورغم كل هذه الالتزامات والتقييد التي
تكبل مصر وحكومتها، ظل الإنجليز غير
مطمئنين إلى قدرة حكومات الأقلية (٩) على
تنفيذ التزامات مصر وفرضها على جماهير
الشعب المصري. وكان الحكم قد رسا أخيراً
ويحد تهميرة أكثر من وزارة ورئيس، عدد
وزارة حسين سرى الثانية والمشكلة من
حزب الأحرار الدستوريين وحزب السعديين
والحزب الوطني ولحم الأمر، اختار الإنجليز
حزب الوفد ليوافق وزارة جديدة باعتباره
أكثر الأحزاب شعبية وقدرة على ضبط
الجماهير أو خداعهم. ولم يه ذلك بعد أن
خاضرت دباباتهم قصر عابدين وهددت
بعزل الملك فاروق ما لم يستدع مصطفى
النحاس باشا لتشكيل الوزارة. وقد عرف
هذا الحادث المشؤم باسم «حادثة ٤ فبراير
١٩٤٢».

ولاشك أن هذا الحادث أضرر مدور قادة
أحزاب الأقلية ورجال القصر وهز ولاهم
القديم لبريطانيا العظمى، فزادوا يتعجلون لها
وإحباطها الهزيمة، ودعا بعضهم بالانصر
لدول المحور. ولم يكن هذا الوقت في كثير

وكانت السلطات المصرية، والبريطانية
أيضاً، تضع ضمن الاحتمالات المتوقعة
بإخفائه عزيز المصري، أن يكون قد بدأ
إلى عزية الدكتور شكري القريبة من قرية
«ميت يحيى»، ومن ثم فقد راحت هذه
السلطات تنقصي الأمر حول هذا الاحتمال،
فاتصلت بالدكتور شكري وبدأت لكي يصح
عزيز المصري إن كان قد لجأ عنده، بتسلم
نفسه أو على الأقل مغادرة العزبة حتى لا
يوقع بين السلطة والدكتور شكري. ولكن
اتضح فيما بعد أن عزيز المصري كان
مختفياً عند صديق له بإمبابة كان يعمل
أساذاً بكافة الفنون الجميلة.

تابع الدكتور شكري أنباء الحرب على
جميع الجبهات باهتمام شديد ولم يكن
الراديو ينفارقه أيضاً ذهب... وقد مكته ذلك
من مقارنة وتقييم الأبناء والنداءات التي
يذيعها كل طرف من الأطراف المتحاربة.

ولما قاربت الحرب في الجبهات
الأوروبية على نهايتها وأصبح من المتوقع
إزلال الهزيمة بالمحور، أخذ الشعور بالقلق
على مصر مصر وشعبها بأخذ من الدكتور
شكري ريعنيه، تخصصباً منه لما يمكن أن
يحدث لها من قهر وإذلال على يد المنتصر
وغرطته.

ولعل أفسى ما كان يؤلمه حينذاك أن
الحرب عطلت جهود مصر وشعبها لحل
قضايا الوطن الأساسية، الوطنية والاقتصادية
والاجتماعية... وعلى أبناء مصر المطلعين
اليوم أن يعرضوا ما صنع من الوقت بسبب
الحرب ومما طلة الحلفاء، فليس ثمة طريق
آخر أسامهم إلا أن يبادروا - وقد قاربت
لحرب على الانتهاء - إلى طرح قضاياهم
وأعمال فكرهم لحلها، والتحرك الجماعي
لكافة القوى الوطنية لتنفيذ هذه الحلول... ولا
مكان هذا اليوم للحزب والتناحر الحزبي؛
فالقوم هريم الوحدة الوطنية ويوم الاتفاق
على الأساسيات.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا هو:
كيف كان يفكر الدكتور شكري في هذه
القضايا؟

لكي تكون موضوعين في الرد على هذا
التساؤل، ينبغي أن نتذكر جمل مواقفه
السياسية السابقة، والخبرات التي اكتسبها من

خلال نضاله الوطني وخدمة المجتمع المحلي، وهي المواقف والخبرات التي سيكون لها أعظم الأثر في تشكيل فكره وهو مقبل على مواجهة قضايا الوطن الرئيسية في أعقاب الحرب؛ ففي القضية الوطنية كان الدكتور شكري يؤمن بالفلاح المصلح ضد بريطانيا لتحرير مصر، وأن ذلك يحتم وحدة القوى الوطنية ووحاشي الحزبية والتحزب في مرحلة التحرر الوطني. وفي القضية الاقتصادية لم يشغل الدكتور شكري كثيراً بقضايا التنمية في حد ذاتها كما أنه لم يشارك أصدقائه الاقتصاديين طلعط حبيب وهاطف عفيفي ومحمد عاصم^(١٠)، ممن تفرغوا للتفكير والتخطيط الاقتصادي والقضاء على الفساد.. وكان اهتمامه الأكبر مرجها، فكر وعملًا، إلى المسألة الزراعية، لا من منظور قضية الملكية، وإنما من منظور البحث في تطوير أساليب الزراعة وتحديثها وزيادة الإنتاج. أما في القضية الاجتماعية، فقد كان الدكتور شكري يؤمن بالإصلاح الاجتماعي Social Reform بمفهوم توفير الخدمات للمواطنين وخاصة من الفئات المتطوعة اقتصادياً (المحاصل لللاجئين - سفار الموظفين)، والمسؤولية في رأيه ينبغي أن تكون قسمة بين الحكومة وبين العمل الاختياري Voluntary Action من الأهالي.

والدكتور شكري في كل هذه الآراء لم يكن منظرًا أو ملتزمًا بخطيرة معينة من نظريات الفكر الاجتماعي، ولكل حقيقة مهمة ينبغي أن نتذكرها لا عندما نتناول محاولاته المتطوعة للتطوير في بداية الخمسينيات.

بهذه المفاهيم الواضحة والمحددة، وهي عصارة خبرته الطويلة، راح الدكتور شكري يطل على السنوات المقبلة بعد الحرب، ويحاول استشراف مستقبل مصر وشعبها وقضاياها الأساسية وطموحاتها التي طالما انتظرت تحقيقها.

في الطريق إلى «جمعية الفلاح»

واجه الدكتور شكري، وهو مقبل على تحديد موقفه من القضايا الأساسية للوطن، في أعقاب الحرب، مجموعة من المتغيرات والمستجدات كان لها أعظم الأثر في تشكيل فكره وفي صياغة مواقفه.

ويأتى في مقدمة هذه المتغيرات والمستجدات، اشتعال الصراع وانتشار الحزبية، بعد أن كان قد خدم تائباً أو كاد، طوال سنوات الحرب أو لعدة سنوات منها. وكان من المتصور عند الكثيرين، وهو تصور تعلق به الدكتور شكري نفسه، أن تعامل الأحزاب فوق خلافاتها وأن توجد صفوفها وهي تتسند لجولة مع بريطانيًا، بالمفاوضة السلمية أو الكفاح المصلح، من أجل التحرر الوطني.. ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق، وتغجر الصراع الحزبي من جديد وتخذ أشكالاً وأبعاداً لا عهد لها بها من قبل. ولعب الملك ورجال القصر دوراً فنيطاً في إشعال الصراع وفي بث روح ثأرية كروية ضد حزب الوفد لتتصاعق من أحداث ٤ فبراير المشؤم. وسعى كل من يطعم في أن تكون له حظوة عند الملك، بالرشاية ضد الوفد وضد صاحب كل رأي معتقل، وراح بعض الساسة الحزبيين يجهزون أنفسهم للاستوزار في خدمة الملك وعلى حساب خدمة الوطن، بينما راح البعض الآخر يعرض لنفسه وضاعته لخدمة الإنجليز.

وعلى تناقض تام مع هذا التدرى الحزبي، تسفرت حركة الجماهير المطالبة بالجهاد والتحرر الوطني، مفعلة رفضها لشرائع الأخلاق الغربية، ونجحت الحركة في تعطيل مؤتمرات أحزاب الأقلية المؤيدة للأحلاف (صدقي - بيوتن) وقمضت المناهقين للتقصير سرًا وعلانية (الإخوان المسلمين).. وقد ظلت حركة الجماهير تضغط على حكومة الوفد التي تألفت في ١٢ فبراير ١٩٥٠ حتى أجبرتها على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإعلان شرعية للكفاح المصلح ضد التواجد البريطاني في مصر.

وإذا كان الدكتور شكري قد رحب بحركة الجماهير، رغم اعتراضه على قيادتها من الشيوعيين واليسار، فإنه لم يسعده كثيراً أن يرى أصدقائه له يشاركون في الصراعات الحزبية أو يعملون لحساب القصر ويجاريون مع الرغبات الملكية، مثل حافظ عفيفي باشا الذي قبل منصب رئيس الديوان الملكي في ٢٥ ديسمبر ١٩٥١، وأحمد نجيب الهلالي الذي ومنع نفسه في خدمة الملك ضد الوفد، فاتهمه الوفد بالانشقاق وقرر فصله في ٧ نوفمبر ١٩٥١.

ولا شك أن المرارة والحزن قد ملا صدر الدكتور شكري وهو يسعم ضجيج النداء الحزبي يملو على سموت العقل، وصوت الفرقة يملو على دعوة التضامن والوحدة الوطنية.

وكان ثاني المتغيرات والمستجدات، احتدام الصراع حول المسألة الزراعية في مصر، وهي مسألة أثيرة عدد الدكتور شكري، وربما كان هو من أوائل من شغلته هذه المسألة وسمى إلى إيجاد حلول لها، لا من منظور البعد الاجتماعي، وإنما من منظور الحاجة إلى تحديث الأساليب الزراعية وزيادة الإنتاج واستحداث سلالات جديدة في الثروة والمعاصل.

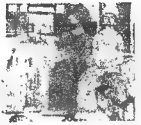
والمعروف أن هذا الصراع الكفري حول المسألة الزراعية يرجع إلى بداية عام ١٩٤٤ على وجه التحديد، وأستمر مشغلا خلال السنوات التالية حتى حسمته ثورة يوليو ١٩٥٢ بإصدارها قانون الإصلاح الزراعي.

صمغ أن المسألة الزراعية، لها بعدا ومضمونها السياسي، وأن الصراع الكفري حولها كان ينطلق دائما من منظور الصراع الطبقي في ريف مصر، ولكن الجانب الأهم لهذه المسألة، في رؤية الدكتور شكري، كان الجانب الاقتصادي أو جانب الأداء الاجتماعي في الميلاذ.. فقد ثبت للجميع أن واقع الملكية الزراعية وأسلوب إدارتها المتخلف، أصبح قيذا على حركة التقدم الاقتصادي، وجرع عثرة في طريق جهود تحسين الإنتاج وتطويره وزيادته.

ولم يكن من المتصور أن يفل الدكتور شكري بمزمن من الصراع حول المسألة الزراعية، وهي المسألة التي طالما انشغل بها نظريا وعمليا استرات طويلة، وسبق الكثيرين بما كان يبذل من جهود لتطوير أساليب الزراعة وتحديثها واستحداث سلالات زراعية جديدة في عزيقه المسجودة المساحة.

ولابد أنه تابع ذلك المسلم من المشاريع والتدريجات والتصورات التي نبعت من مختلف الأحزاب والتكتلات والجماعات والأفراد، حول قضية الملكية الزراعية أو العدالة الاجتماعية في الريف، أو غير ذلك من المسيمات التي راجعت في الفترة من ١٩٤٤ إلى ١٩٥٢.

الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



ويحدر مشروع الأستاذ محمد خطاب؛ صنو مجلس الشيوخ السعدي، الذي قدمه إلى المجلس في فبراير ١٩٤٤، أول وأشهر مشاريع تصعيد الملكية الزراعية، وهو يقضي بوضع حد أعلى للملكية الزراعية لا يزيد عن (٥٠) فداناً، وقد أقرته لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس الشيوخ بعد أن رفعت الحد الأقصى للملكية إلى (١٠٠) فداناً، ويقول: «الفرق الدكتور عبد العظيم رمضان (١١) فإن البروجازية المصرية الحاكمة أعلنت رفضها التام لأي تقويد للملكية كرسولة من وسائل الإصلاح الزراعي، وبأنه في موقفيها حين عرض محمد خطاب مشروعه على البرلمان؛ فقد وجّهه بمعارضة شديدة من مجلس الشيوخ ومن الحكومة ومن الأحزاب ومن مفتي الديار المصرية. وانتهى مجلس الشيوخ بعد مناقشة حاصلة علت فيها الأصوات، وانتقلت إلى مدير، ثم تحول الهدير إلى زاهر» إلى إحالة المشروع إلى لجنة لوائده. وقد قامت اللجنة بإبداء فلا حين قدمت تقريرها في ٢٤ مارس ١٩٤٧ برفض المشروع.

وجهات المحاولة الثانية من «جماعة النهضة القومية» في عام (١٢) ١٩٤٥، عندما أصدر مريت غبالي باسم الجماعة، كتابه المشهور الإصلاح الزراعي، طالب فيه بوضع حد أقصى للملكية الزراعية لا يزيد على (١٠٠) فدان.

وفي عام ١٩٤٥ أيضاً أصدر صادق سعد، من قادة الحركة الشيوعية المصرية كتابه «مشكلة الفلاح» اقترح فيه أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية (٥٠) فداناً، على أن تصدر الدولة ما يزيد على ذلك.

وفي العام نفسه، ظهر تيار جديد في معالجة المسألة الزراعية؛ تيار يرفض التحديد القانوني للملكية، ويقترح كبديل لذلك فرض ضريبة تصاعدية على الملكيات الزراعية كوسيلة مثلى لتحديدها، وكان يقود هذا التيار الدكتور أحمد حسين؛ الأستاذ بكلية زراعة القاهرة.. وقد عبّر عنه في البحث الذي ألقاه ونشره حول الملكية الزراعية، وطلب فيه بفرض الضرائب التصاعدية على الملكيات الزراعية، بصورة تجعل الملاك أو شراء ما يزيد على مائة فدان (مثلاً) عملاً غير مجد وغير مضمّن.

وقد وجد هذا التيار أنصاراً كثيرين؛ وخاصة من كبار الملاك الذين أزعجهم فكرة تصعيد الملكية بقوة القانون، واقرعهم أكثر وأكثر دعوة الشيوعيين المصريين إلى مصادرة الأراضي الزراعية الزائدة على (٥٠) فدان للفرد. وكان مصطفى نصرت (١٢) الوزير للريفي، من أبرز من أيدوا فكرة فرض الضرائب التصاعدية كأداة لتحديد الملكية.

وحمل الدكتور أحمد حسين أعلام هذا التيار معه إلى وزارة الشئون الاجتماعية عندما عين مديراً عاماً لمصلحة الفلاح عام ١٩٤٦ ثم وكيل الوزارة عام ١٩٤٨ فإلى جانب المشروعات الخدمية التي خطط لتنفيذها في الريف، وأشهرها مشروع المراكز الاجتماعية، جدد الدكتور أحمد حسين في عام ١٩٤٨ اقتراحه بفرض ضريبة تصاعدية على الأطلان نوازي، بعد حد معين، إجماعاً دخل الأرض، وذلك حتى يتجه كبار الملاك بجزء من أموالهم نحو الاستثمار في الصناعة والتجارة بدلا من الأراضي.

وكان آخر سهم أطلقه المصلحون لحل المسألة الزراعية، اقتراح النائب الاشتراكي، المهندس إبراهيم شكرى إلى مجلس النواب عام ١٩٥٠ بنقل ملكية ما يزيد على (٥٠) فدان إلى الدولة مقابل سددت تستهلك على ٢٥ سنة بفائدة ٤ ٪.

وإذا عدنا إلى الدكتور شكرى سنجد أنه بروحه الاستقلالية الحرة لم يكن مستعداً لقبول أي من تلك المشاريع دون شروط؛ فهو وإن كان يحقق مع المنادين بمبدأ تقويد الملكية، فإنه يخطف معهم في الوقت نفسه حول وسيلة للتقويد وحول مصير الملكيات الزائدة وطريقة الجعوض. والمعاصرون

الدكتور شكرى في تلك الفترة، والذين مارسوا الحوار معه حول المسألة الزراعية كضحية راجحة، يصورون موقفه حينذاك على النحو التالي:

١ - في تقويد الملكية الزراعية:

يقول الدكتور شكرى مع مريت غبالي والدكتور أحمد حسين في أن يكون الحد الأقصى للملكية الزراعية مائة فدان... وهذا يعني أنه يختلف مع محمد خطاب وصادق سعد وإبراهيم شكرى الذين حذرهما بخمسين فداناً.

٢ - وسيلة التقويد:

لا يرفض الدكتور شكرى مبدأ الضريبة التصاعدية على النحو الذي اقترحه الدكتور أحمد حسين والوزير مصطفى نصرت، كما أنه لا يرفض تصعيد الملكية بأداة تشريعية على طريقه محمد خطاب وصادق سعد وإبراهيم شكرى، ولكنه كان يفضل الجمع بين الوسيلتين بطريقة ما حتى لا يستفيد الملاك الزراعيين.

٣ - مصير الملكيات الزائدة:

يؤيد الدكتور شكرى مبدأ تعويض أصحاب الأراضي عن أراضيهم الزائدة عن الحد الأقصى، ويرفض بشدة مبدأ المصادرة الذي طرحه الشيوعيون، كما يفضل أن يكون التعويض نقداً حتى ييسر للملاك تحويل استثماراتهم إلى الصناعة والتجارة.

نصل بعد ذلك إلى ثالث المتغيرات والمستجدات والتي تتمثل هذه المرة بالروابط الأسرية للدكتور سيد شكرى؛ ففي عام ١٩٤٧ تمت مصاهرة بين الدكتور أحمد حسين من عزيمة شكرى كبرى بنات د شكرى؛ خريجة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومن النجوم الصناعية في مهارة العمل الاجتماعي، وفي تقديرنا أن هذا اللقاء الاجتماعي - بالمصاهرة - بين الدكتور شكرى والدكتور أحمد حسين... هذا خبرته ومكانته المرموقة، في العمل الوطني والتزامه بالاستقلالية وذلك وشبهه والوجه العلمي، الجامعي والوطني والراغبة الجامعة في الإصلاح الاجتماعي... في تقديرنا أن هذا اللقاء كان حدثاً مهماً ومؤثراً في حركة الإصلاح الاجتماعي بمصر في نهاية الأربعينيات.

فيحصل هذا اللقاء، وما أحدثه من تبادل وحوار فكري بين قطبين من أبرز الشفتين بضمنايا الوطن عامة وضمنايا الإصلاح الاجتماعي خاصة، تشكلت مسيرة جديدة من الفكر والدعوة في مصر لم تلبث أن تطورت إلى تيار سياسي متميز يرى أن الإصلاح الاجتماعي، وخاصة في الريف، هو البديل الوحيد لدرء مخاطر الثورة الاجتماعية والحد من تفاقم الاختصار الثوري الذي كان في رأيهم يهدد البلاد بأوخم العواقب.

واتخذ هذا التيار من «الفلاح» رمزاً وهدفاً لركناته، وأيضاً، جمعية الفلاح، الشهيرة لكونه تظليفاً وأداة له في طرح أفكاره وعرض مشروعاته والتعبير عن مطالباته.

فما هي تلك الجمعية وما هي حقيقة رؤيتها وتنظيمها وموقعها على خريطة القوى السياسية في مصر في تلك الفترة؟ وما هي الغاية الاجتماعية التي اصبحت «الجمعية» حزبا، واعتبرت الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين لثنتين من فرسانها وقائدها؟

«جمعية الفلاح»

موقعها على خريطة القوى السياسية

تشكلت «جمعية الفلاح» لتكون التنظيم المعدل والمميز عن ذلك التيار الذي ظهر في أعقاب الحرب العالمية الثانية على ساحة العمل السياسي في مصر، والذي يرى أصحابه أن الإصلاح الاجتماعي، وخاصة في الريف، هو البديل الوحيد لدرء مخاطر الثورة الاجتماعية، وأنه كفيل بإجهاض الاختصار الثوري الذي راح - في رأيهم - يهدد البلاد بأوخم العواقب. واتخذت الجمعية اسم الفلاح علماً عليها لأنه - كما تقول وثائقها - رمز المواطن المصري.

واجتذبت الجمعية - بفضل تلك الرؤية الإصلاحية المحافظة - إلى عضويتها، كل نجوم الإصلاح والمصلحين تقريبا، من كافة الأحزاب القائمة، وشكلت منهم منتدى إصلاحيا يستحيل اتهامه بطروية لئسار، كما يستحيل ربطه بغاشية اليمين (الدنيى أو العلماني).

فمن صفوف حزب الوفد، اجتمعت الجمعية إلى جانب رافيسها للدكتور أحمد

حسين، أحمد أبو الفتح والدكتور محمد صلاح الدين.

ومن صفوف أحزاب الأقلية (الأحزاب النصارى والسعديين والحزب الوطنى) جاءها الدكتور إبراهيم بيومي مذكور والدكتور عبد الجليل العمري والدكتور نور الدين طراف والوزير حسين فهمى والدكتور عبد العزيز عبد الله سالم.

ومن جمعية الرواد وحلفاء المستقلين، جاءها الدكتور عباس عمار والدكتور أحمد زكى ومزيه غالى ومراد فهمى والدكتور سليمان حزين والدكتور محمد فؤاد جلال وحنا زكى ومحمد عبد الواحد خلاف والميد أبو النجا وأحمد الصاوي محمد ومحمد زكى عبد القادر ويعقوب فام وأسماء فهمى والدكتور عبد المنعم الشافعى. وهؤلاء في الأغلب من أساتذة الجامعات والمهنيين والكثرفراط.

وتتضح حقيقة هذا التجمع الإصلاحي من خلال برنامج محاضرات الجمعية ومناقشاتها خلال عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣، لاذى لورد صورتها بالصفحة التالية:

أما من الناحية التنظيمية، فإن وثائق الجمعية لا تكاد تكشف عن رؤية جديدة يعد بها، أو أية صورة من صور الإنعاج في صياغة لائحة النظام الأساسي للجمعية. ويبدو أن الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين قد اكتفيا باستخدام اللائحة للمزوجة للجمعيات والتي يتم بمقتضاها تسجيل هذه الجمعيات في وزارة الشؤون الاجتماعية. الأمر الذى يقلل من قيمة لائحة النظام الأساسي لجمعية الفلاح كمصدر عن فكر الجمعية ومبادئها وخطتها.

ففى صياغة تطلب عليها الجمعية والإنشائية، تستعرض اللائحة - أغراض الجمعية ووسائل تحقيقها، فنقول إنها:

«جمعية إصلاحية اجتماعية غرضها الأساسي تحقيق قوة الوطن وخير لمواطنيه... والعمل على تحقيق العدل الاجتماعي في البلاد حتى تفرغ العزة والكرامة للمواطنين جميعاً».

وواضح أن المصطلحات الزائدة في هذه للفترة مثل قوة الوطن وخير المواطنين والعدل الاجتماعي، وهى مصطلحات كانت

رائجة حينذاك، إنما تصف أمراً بالغة التجريد ويسفرها كل مواطن حسب رؤيته الخاصة ويصنع عليها ما ين له من مضمون يلائم أزمته وتفكيره ومصلحته.

وتزداد اللائحة إشراقاً فى العمومية والتجريد وهى تتناول في المادة الثالثة موضوع الوسائل التى مستخدمها الجمعية لتحقيق أغراضها فنقول:

«تسعى الجمعية إلى تحقيق أغراضها باتخاذ مختلف الوسائل التى تؤدى إلى تنمية روح العزة القومية والسمو الروحي والتمسك بالمثل العليا وتدية الوعى الاجتماعى المليم - إذ لا يمكن أن تقوم نهضة الوطن إلا على أكفاد مواطنين صالحين مسئولين يؤدى كل منهم واجبه بأمانة ويبدع فيه حقه بشجاعة حتى يكون عموداً كريماً في مجتمع كريم...»

وترسم اللائحة بعد ذلك الطريق أمام عضوا الجمعية لممارسة جهوده من أجل تحقيق أغراض الجمعية، فنقول:

«الرسالة الأولى التى يتخذها أعضاء الجمعية لتحقيق أغراضها هى أن يبدأ كل عضو بنفسه فيصلى القدرة العملية، ويبادع غيره في يوفقه ويحيطه ويولنه ليكون ذلك المواطن المستدير الكريم، وأن يعمل الجميع معاً على إنقاذ الرأى العام بغداته الخفظة بأهمية تكوين المواطن الساتحين وأهمية النهوض الاجتماعى الشامل، وأهمية التعاون في هذا الشأن».

وتحدد اللائحة أدوات العمل المتبعة للأعضاء فى:

«بالإتصال الشخصى أو بالعامنرات أو صفات الدراسة أو المؤتمرات أو النشر فى الصحف أو إصدار التكتيبات والنشرات، وسواء أقامت الجمعية بذلك وحدها أو تعاونت مع غيرها من الهيئات الأهلية أو الحكومية التى تهدف إلى الأغراض نفسها».

وتحدد اللائحة بعد ذلك بعض مجالات العمل والنشاط أعضائها فتؤكد على التربية الأساسية ودراسة حالة المجتمع دراسة علمية واقتراح البرامج والنظم والتشريعات والرسائل الأخرى التى تؤدى إلى النهوض بالأمة، فضلاً عن مجال تربية الشباب من خلال المعسكرات والأندية والرحلات والرياضة

برنامج محاضرات الجمعية ومناقشتها

سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣

١٤ ديسمبر	جمعية الفلاح أهدافها ووسائلها	محاضرة لعمدة الدكتور أحمد حسين
١٦ ديسمبر	جمعية الفلاح أهدافها ووسائلها	مناقشة يديرها عمدة الدكتور أحمد حسين
٢١ ديسمبر	التنظيم التعليمي	محاضرة لعمدة الأستاذ إسماعيل القباني
٢٣ ديسمبر	التنظيم التعليمي	مناقشة يشترك فيها الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين والأستاذان عبد الرحمن حمادة ومحمد عبد الواحد خلاف
٢٨ ديسمبر	التنظيم الاقتصادي	محاضرة لعمدة الأستاذ عبد الجليل العمري
٣٠ ديسمبر	التنظيم الاقتصادي	مناقشة يديرها عمدة الأستاذ حسين فهمي
٤ يناير	التنظيم الصحي	محاضرة لعمدة الدكتور نور الدين طراف
٦ يناير	التنظيم الصحي	مناقشة يشترك فيها الدكتور : سيد شكري ، أحمد محمد كامل ، محمد علي بدر الدين
١١ يناير	التنظيم الاجتماعي	محاضرة لعمدة الأستاذ محمد فؤاد جلال
١٣ يناير	التنظيم الاجتماعي	مناقشة يديرها عمدة الأستاذ مراد لومي
١٨ يناير	الإصلاح الزراعي	محاضرة لعمدة الأستاذ عبد العزيز عبد الله سالم
١٩ يناير	الإصلاح الزراعي	مناقشة يشترك فيها الدكتور : القلوني ، حسني السيد ، حسن داود
٢٤ يناير	المبادئ الاجتماعية	محاضرة لعمدة الدكتور عباس عمار
٢٧ يناير	وسائل التمرير بمبادئ الجمعية وأهدافها	مناقشة يشترك فيها الأستاذة : السيد أبو النجا ، أحمد الصاوي محمد ، حسين فهمي حسين
١ فبراير	الوفاق الصالح	محاضرة لعمدة الدكتور إبراهيم بيومي
٣ فبراير	الوفاق الصالح	مناقشة يشترك فيها محاضرات الأستاذة : محمد زكي عبد القادر ، أحمد أبو الفتح ، محمد حمزة
٨ فبراير	أثر الدين في تكوين المواطن الصالح	محاضرة للفيلسوف الأستاذ أحمد حسن الباقوري
١٠ فبراير	كيف يؤدي الفسوق واجبه في الجمعية	مناقشة يشترك فيها الأستاذة : حنا رزق ، السيد البيهوني ، عبد المنعم شوقي
١٥ فبراير	جمعية الفلاح وحركة الشباب	محاضرة لعمدة الدكتور محمد صلاح الدين
١٧ فبراير	جمعية الفلاح وحركة الشباب	مناقشة يشترك فيها الأستاذان علي حافظ ومقبوب فام والدكتور علي فؤاد
٢٢ فبراير	دور المرأة في رسالة جمعية الفلاح	محاضرة لعمدة السيدة أسماء فهمي
٢٤ فبراير	كيف تؤدي الجمعية واجبها في المجتمع	مناقشة يشترك فيها الدكتور : عبد العزيز سامي ، سليمان حزين ، عبد الفتاح الزيات
١ مارس	تنظيم الإدارة الحكومية كوسيلة للإصلاح	محاضرة لعمدة الأستاذ مرثي نعال
٣ مارس	الأدلة الحكومية	مناقشة يديرها الدكتور عبد المنعم الشامي
٨ مارس	الدراسة والبحث العلمي كأساس لبرامج الإصلاح	محاضرة لعمدة الدكتور أحمد زكي

تلقى المحاضرات وتدار المناقشات الواردة في هذا البرنامج بدار جمعية الفلاح ١٧ شارع طلعت حرب (بنا) الشيخ أبو السباع سابقا) في الساعة السادسة من مساء يوم الأحد والثلاثاء، اسبوعيا والدعوة عامة

«كل ما يؤدى إلى تكوين جيل جديد سليم الجسم، سليم العقل، سليم الروح».

والترافق باقنن الجمعيات، وكما ينبغي أن تدرك، فإن المادة الرابعة من اللائحة تنص على أن الجمعية:

«لا تتدخل فى المفاصل الحزبية والخلافات الحزبية الطائفية إيماناً منها بأن خدمة الوطن والوفد عن حقوقه وعزته وأمله هى الواجب الأول لكل المواطنين السالحين وإن تباينت مبادئهم الحزبية أو عقائدهم الدينية».

والسؤال الذى يلوح نفسه الآن هو: ما هو موقع الجمعية على خريطة القوى السياسية فى مصر؟ وما هى صلات ومضامين الإطار السياسى والاجتماعى لهذه الجمعية، وإلى أى مدى كان الدكتور شكرى على وعى بمفردات هذا الإطار ومعياته؟

الحقيقة أنه بانتهاء العرب العالمية الثانية فى أوروبا عام ١٩٤٥، تجدد العمل الوطنى فى مصر حول قضيتين أساسيتين: أولهما قضية التحرر الوطنى وثانيتها القضية الاجتماعية.

فى الأولى كان الشعب المصرى يتطلع إلى إجلاء قوات الاحتلال البريطانى وتحرير الإرادة الوطنية من كل قيد أو أحلاف وغير ذلك من المسميات. وفى الثانية كان المطالب الأساسى للشعب هو ضرورة إحداث التغيير فى العلاقات الاجتماعية من أجل إقرار العدالة الاجتماعية فى البلاد.

وكما نوهنا سابقاً، لم تكن الأحزاب المصرية متفقة ولا حتى على الحد الأدنى، بشأن أسلوب ومهج العمل لتحقيق آمال الشعب فى هاتين القضيتين.. ففى قضية التحرر الوطنى كان قطاع من القوى الحزبية يؤمن بالأساليب السلمية ويحتملها، بينما قطاع آخر يؤمن بأن الاستعمار لن يعمل عصاه ويحل إلا بقوة السلاح وحرب التحرير.. وفى قضية العدالة الاجتماعية: كان الشيوعيون وهم الأعلى صوتاً وضيقاً، ومعهم فصائل أخرى من اليسار، يرون أن العدالة لن تستقر ما لم تتصهر قوى العمال والصراع الطبقي وما لم تتصهر قوى العمال والفاحين على غيرها من قوى المجتمع.. أما بقية الأحزاب فقد رفضت مطلق العنف

ونادت بالسلام الاجتماعى سيلاً لإقرار العدالة الاجتماعية.

وهكذا اختلقت (وربما اختلقت أيضاً) رؤية الأحزاب حول قضايا التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية.. واتسعت دائرة الخلاف أحياناً كثيرة لتضلل أدق التفاصيل، وتجزت دوائر الجدل والتناذب حتى كانت أن تخطى جوهر القضايا وتقع دريئة جانبية وهامشية على حساب الجوهر.

كانت جميع الأحزاب، باستثناء الشيوعيين، تتحرك فى إطار القبول بالمشايير السلمية مع بريطانيا؛ الدولة المستعمرة، كما كانت أغلبية هذه الأحزاب تقبل بالارتباط بالمعسكر الغربى بصيغة أو بأخرى من صيغ الأحلاف.. ولتبره بعضها بعملية الإحلال وتبادل الكراسى السوفيتية داخل المعسكر الإمبريالى، ولتى جعلت من أمريكا الحزب الصاعد على حساب النفوذ البريطانى والغربى القديم. وبذلك بعض أحزاب الأقلية وبعض أجنحة حزب الوفد، تنكسر لروابطها القديمة ببريطانيا وفرنسا، ويقلل التعامل.. والعدالة.. مع أمريكا؛ ذلك القادم والبراد الجديد. وعلى الوجه الآخر، العملة رامت للتطلعات السوفيتية واليسارية تنادى بالانفتاح على الاتحاد السوفيتى ودول الكتلة الشرقية، وتطرح صيغة من صيغ الانحياز للام لها، أو صيغة مخففة تحت شعار المعاد أو التوازن فى العلاقات بين الكتلتين.

واختلفت الأحزاب أيضاً حول القضية الاجتماعية، فأحزاب الأقلية رفضت التغيير الاجتماعى والسعى إليه، أما الوفد فقد تقسم على نفسه بين جناحين: جناح رجعى محافظ يقوده فؤاد سراج الدين، وجناح تقدمى مستعبر من شباب الحزب يقوده الدكتور محمد منور والأسناد عزيز فهمى والدكتور عبد الرؤوف أبى علم. الجناح المحافظ يرفض التغيير ويرفض المشاريع ذات المضمون الاجتماعى التقدمى مثل الإصلاح الزراعى وتوحيد الملكية الزراعية وتطبيق تشريعات العمل على الفلاحين المعتمدين.. أما الجناح التقدمى فإنه يقبل للتغيير ويسعى إليه ويوطعه من أجل مزيد من المشاركة الشعبية فى الضرورة القومية وإزالة الكادحين نصيباً أكبر من الدخل القومى.

يبقى بعد ذلك الشيوعيون ومن يساندهم من فصائل اليسار؛ فقد تميزوا فى تلك الفترة بما يمارسونه من المراقبة الفكرية والتفتيش المجدد والجهل بالواقع المصرى، الأمر الذى جعلهم فى محزل عن حركة الجماهير ونخبها وطبقاتها، إلا فى فترات محدودة ركبوا خلافا المد الشعبى الثقلانى.

فى كنف هذا الإطار السياسى والاجتماعى المتشاكس، ولدت جمعية الفلاح، وكان عليها أن تود مرقعها على خريطة العمل السياسى فى البلاد.

وكما ينبغي أن نقر، فإن ظهورها على المسرح أثارت عديداً من التناقضات بينها وبين الأحزاب والالتزمات السياسية للتشوية على الساحة، بما طرحته من أفكار ورؤى وحلول لعدد من القضايا الأساسية، وفى مقدمتها القضية الوطنية والقضية الاجتماعية.

فى القضية الوطنية، لم تكن قيادة الجمعية ترى طريقاً أمامها غير طريق المفاوضات السلمية، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تعلق آمالاً كباراً على مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لمصر فى مغارضاها مع بريطانيا.. وكان قادة الجمعية وخاصة الدكتور أحمد حسين والدكتور شكرى، مقتنعين بضرورة استغلال التناقضات داخل المعسكر الغربى بين قوى الاستعمار القديم (بريطانيا وفرنسا) وبين الولايات المتحدة الأمريكية؛ ذلك القادم الجديد (لم يقبلوا أن يسموه بالاستعمار الجديد على طريقة الشيوعيين)، لصالح القضية الوطنية.

ويغذى على قادة الجمعية فى هذا الصدد تجاربهم.. أو تسليمهم.. عن سموات الموقف الأمريكى، وما كانت تطرحه الولايات المتحدة الأمريكية من مشاريع لإقامة أحلاف عسكرية إمبريالية تقدم من استقلال مصر وحريتها، فضلاً عما كانت تقدمه من مساعدات لإسرائيل ضد العرب. وجر هذا التجاوز على الجمعية كثيراً من هجوم الشيوعيين وفصائل اليسار المصرى، رغم أن موقف الجمعية هنا لم يكن يختلف كثيراً عن موقف أحزاب الأقلية والجناح المحافظ والسيطر داخل حزب الوفد.

وفى القضية الاجتماعية، كانت قيادة الجمعية فى هم وقف شديد للمدى الذى بلغه حالة الحردي فى الواقع

الإصلاح الاجتماعي بحيث لثورة الاجتماعية



الاجتماعي لمصر، ومدى تقاطع الجهل والفقر والمرض (بالغة المصير) وقصور الجهد عن إصلاح الحال، سواء في ذلك جهد الحكومة أو الجهد الأهلي الاختياري... وكانت قيادة الجمعية ترى أن استمرار هذا التدهور الاجتماعي وتقادم مظاهره، كليل بأن يدفع البلاد إلى ثورة دموية لا يصرح مظاهرها ولا سبيل إلى درء خطر الثورة غير لتشريط حركة الإصلاح الاجتماعي وتقديم الخدمات والمشروعات العملية والتشريعات الاجتماعية حتى نسد الباب في وجه عوامل الثورة ونخلف من حدة الاختصار الدوري وسط الجماهير.

والإصلاح الاجتماعي غير الثورة الاجتماعية، فالإصلاح كما تراه الجمعية لا يتطلب إحداث تغيير في علاقات الملكية بالمجتمع، وإنما يتطلب فقط الترتيبات الاجتماعية للملكية وإفراكها بصورة عملية، وشبه ملزمة، في خدمة المجتمع وخدمة الفرد وضربها أساساً عن طريق الضرائب التصاعدية، وحتى المسألة الزراعية يمكن حلها بالضرائب التصاعدية إلى الحد الذي يجعل ملكية للفرد لأكثر من مائة فدان أمراً دون لئمة... ولا شك أن الدكتور أحمد حسين نقل إلى الجمعية، بطريقة، في الضرائب للتصاعدية الزراعية يمكن حلها بالضرائب التصاعدية كبديل لتحديد الملكية، كما نقل إليها اقتنه في قدرة الملاك على إنشاء وضول، المراكز الاجتماعية الرفيعة، وتوجيه خدماتها لمر مكافحة الجهل والفقر والمرض في القرية المصرية.

بهذه الرؤى والمواقف والأفكار، حددت «جمعية الفلاح» موقعها المتميز على خريطة،

العمل السياسي والاجتماعي في مصر وجاءها مدد كبير من شخصية وجهود الدكتور شكري ومبارته على حضور ندواتها والمشاركة فيما يجري بها وعلى مبادرها من حوار لا ينتهي حول قضايا الساعة وقضايا الوطن. وكانت بعض عناصر البعثة المعادي للجمعية تتمال إلى هذه الندوات التخريبية فيصدى لهم الدكتور شكري بروحه الفرحه وعنده في الحق، ثم هيجته، غيبيته ومن أسامه، وهم في عجب وإعجاب به. والصادقون منهم يعترفون دلماً بأنهم إنما يواجهون فيه رائداً ومناضلاً وطنياً، ومصلحاً اجتماعياً لا يزال رغم كبر سنه، وبفض من يحمل فوق حماس الشباب، ويمتلك قدرة فائقة على الأحلام وعلى استطراف المستقبل بروح مختلفة رغم معرقه بالضعف والمواقف التي متوجهه على الطريق.

كان اليساريون الذين يحاورونه يكون له كل الاحترام والتقدير لأنهم لا يواجهون فيه سياسياً محترفاً يسمى إلى السلطة أو يناقوا القصر كما يفعل الحزبيون، وإنما يواجهون فيه رجلاً يحمل أفكاره المستقلة في كبرياء ويسعى لتوسيع دائرة الحوار من أجل النظر بتأييد عريض من المثقفين الوطنيين.

لقد كان الدكتور شكري ديمقراطياً أكثر من كثيرين من أدياء الديمقراطية، ووطنياً أكثر من أدياء الوطنية، وكان رغم سنه جالاً رومانسياً يسمى لإقامة مجتمع مصري مبركاً من الجهل والفقر والمرض.

بعد رفض طويل للحزبية وللوزارة

عزنا الدكتور شكري مجافياً للحزبية والحزب، حريصاً على استقلاليته... وكانت الأحداث ومطبات الواقع للحزبي في مصر تزديه اقتناعاً بسلامة موقفه يوماً بعد يوم، فما أضاعته الصراعات الحزبية من المصالح الوطنية خلال أربعين عاماً، وما جرته على البلاد من مأرم، كان يفوق كل تصور.

كان في مقدور الدكتور شكري، ومنه الدكتور أحمد حسين، أن يثابرا حزياً سياسياً بدلاً من تأليفهما لجمعية الفلاح، فالمساحة السياسية التي تشغلها الجمعية كانت أوسع بكثير من المساحات التي تشغلها أحزاب سياسية عديدة.

وإذا كان الدكتور شكري والدكتور أحمد حسين متفقين في رفض العمل الحزبي، وبالتالي رفض إنشاء «حزب الفلاح» بدلاً من «جمعية الفلاح»، فإنها كانت في واقع الأمر مختلفين في الأساس الفكري الذي انطلق منه كل منهما في رفضه لفكرة إنشاء الحزب.

فالدكتور شكري عندما يرفض فكرة إنشاء الحزب فإنه يفعل ذلك انطلاقاً من موقف مجبلي أمته عليه خبرته الوطنية بعد ثلاثين عاماً من الاستقلالية اللاحزبية أن يتقهر بفكره ويقتل بموقفه إلى مسرى الصحيفة الحزبية التي طالما شهد آثارها الصدمية على القضية الوطنية والقضية الاجتماعية في مصر.

المطلق عدد الدكتور شكري إذن منطق مجبلي، وهو في ذلك يختلف عن موقف الدكتور أحمد حسين الذي لا يمكن وصفه إلا بأنه موقف تكتيكي بحث، ففي حوار على صفحات مجلة «روز اليوسف» (١٤) يشيد الأستاذ إسماعيل عبد القدوس بالدكتور أحمد حسين قائلاً إنه وجد فيه مثلاً للوعي الوطني القائم على العلم، وطلب إليه أن يجمع حوله فريقاً كبيراً من المثاليين المصريين الذين كفروا بالأحزاب، وأن تكون «جمعية الفلاح» حزباً لا جمعية.

ورد عليه الدكتور أحمد حسين بأنه يفضل ألا يحول جمعيته إلى حزب لثلاثة أسباب:

أولها: تكون مرطفي الحكومة والجامعات من الانضمام إلى الجمعية حيث تمنع القوانين انضمامهم إلى الأحزاب.

ثانيها: لأنني نسرِب المصارف والصراعات بينه وبين الأحزاب الأخرى، منذ البداية.

ثالثها: تمكين أعضاء الأحزاب الأخرى من الانضمام إلى جمعيته.

ويعلق الكاتب طارق الهشري (١٥) على ذلك بقوله:

«يظهر من هذا أن جمعية الفلاح كانت نواة لتكوين حزبي أراد صاحبها (د. أحمد حسين) أن يمكن لها أسباب النمو في نجرة عن النموة الحزبية وأن يجذب إليها

من يستطيع استغلاله من أعضاء الأحزاب الأخرى ومن الموظفين حتى إذا نجحت التجربة أمكن تحويلها إلى تنظيم حزبي سافر.

ويتجسد قضية جمعية أم حزبية عند هذا الحد، بقيت أمام الدكتور شكرى والدكتور أحمد حسين قضية الاستقلال أو المشاركة فى وزارات ما بعد حريق القاهرة (١٩٧١)، ويبدون الموقف التكتيكي الذى اتخذته أحمد حسين إزاء العمل الحزبي، واستعماله على فكرة إنشاء حزب يعمل ضمن بقية الأحزاب القائمة، قد قرئ من مكانته على المسرح السياسى المصرى حينذاك.. ويضاف إلى ذلك بريق شخصيته وصمته باعتباره أول وزير فى حكومة وطنية ويسحب من الوزارة احتجاجاً على استشراف الفساد فيها، ويحدث صجة كبرى فى البلاد.. هذا فضلاً عن لعمالة كمصنع لجمعية على قواعد علمية حديثة. (١٧)

فى أول الأمر، تلقى د. أحمد حسين من على ماهر باشا دعوة للمشاركة فى وزارته التى تألفت عقب المرسوم فى ٢٧ يناير ١٩٥٢، وظل به إليه أن يعد برنامجاً للإصلاح الاجتماعى لتبداه الوزارة. رفض أحمد حسين هذا العرض عندما وجد أن على ماهر باشا غير متفتح بفكره الإصلاحية، ولتى كان أشهرها اقتراحه بأن يخلع الملك تنازله عن أملاكه أو عن نصفها لصالح الشعب.

وجاء الهلالي باشا فى أعقاب على ماهر ليحاول إغراء الدكتور أحمد حسين بدخول وزارته الأولى التى ألقبها فى أول مارس ١٩٥٢، وكان الهلالي على اتصال سابق به قبل استدعائه لتشكيل الوزارة، فقد جمعتهما لورتبهما على استشراف الفساد داخل الوفد وحكومته.. ويقول المورخ طارق البشري (١٨) إنهما كانا متفقين على عدة أسس وهى: طرد رجال العاشية الملكية، وعدم السماح بتدخل الملك فى اختيار الوزراء، وضبط عناصر عرفت بالفساد، ثم أن يصدور الإنجليز إعلاناً بالجملة من طرف واحد، ثم يجرى تطهير جميع الأحزاب.. فلما استدعى الهلالي بالفضل لتشكيل الوزارة، تخلى عن هذا الاتفاق والزلق فى تيار خدمة القصر وتصفية الحسابات مع الوفد. وتوقع الدكتور أحمد حسين للفشل للوزارة وأعلن

رفضه الاشتراك فيها.. وقد صدقت خبرته تماماً حول فشل وزارة الهلالي والحقائق.

بهذا ألفت الدكتور أحمد حسين من كمين الاستقلال الذى نصبه له على ماهر ثم الهلالي..

ولكن يبدو أن الهلالي لم يؤمن من مواصلة الضغط والمساسق لتحويل قيادة جمعية الفلاح فى مخططة الزراري، واعتبر نجاحه فى ذلك كسباً كبيراً له ولأى وزارة يشكها؛ فالجمعية يقادتها المخلصه لم يكن قد طأها شيء من الفساد وسره السمعة المنطرفة حينذاك فى المؤسسات للحزبية، فضلاً عن أنها كانت تحمل راية تيار «الإصلاح الاجتماعى» فى البلاد.

ولذا كان الدكتور أحمد حسين قد ألفت ملة، فقد بقيت لدى الهلالي باشا فرصة أخرى سيوجدها حصداً فى صدقيه الدكتور شكرى الذى يفرق الدكتور أحمد حسين سمعة وطنية ورائفاً على طريق الإصلاح الاجتماعى. وجاءت الفرصة للهلالي بالفضل عندما عرض عليه الملك تشكيل الوزارة فى يوليو ١٩٥٢، فباتح الدكتور شكرى فى الاشتراك فيها كوزير للصحة العمومية، فراقق.

ولن المورخ أوجب عجباً شديداً كيف ولما ذاق الدكتور شكرى على الاشتراك فى وزارة الهلالي، يوماً تؤكد كل الصفات والشعيرات أن رفضه أمر حملياً لا جدال فيه، خصوصاً وأنه كان معروفًا عنه علوه، وصوت عالٍ، للملك فاروق وسلطان.

ولما نريد أن تقدم تبريراً لهذا القبول، ولكننا مطالبون بأن نكشف عن المواقف أو وسائل الإقناع التى لا بد أن يكون الهلالي قد استخدمها حتى حمل الدكتور شكرى على قبول الوزارة، وهو الذى رفضها أكثر من مرة طوال ثلاثين عاماً.

وما صدقه هنا من تلك العوامل أو وسائل الإقناع بأن نكشف عن المواقف، أو وسائل الإقناع إنما نصدقها على سبيل التبريح فقط، وهى:

١. أن يكون الهلالي باشا قد استعان بالدكتور حافظ عفيفى باشا، رئيس الديوان الملكى، والصدوق الدائم والصميم للدكتور شكرى، لإقناعه بالتبريل.

٢. أن يكون الهلالي باشا قد ألتع الدكتور شكرى بأن وزارته ليست حزبية وأنها ستركز على أمرين: تطهير البلاد والحياة العامة من الفساد، ثم الإصلاح الاجتماعى، الأمر الذى يبيع الفرصة للدكتور شكرى لتحقيق مشاريعه الاجتماعية الإصلاحية.

٣. أن يكون الهلالي باشا قد ألتع الدكتور شكرى بما فعل أن يقع به الدكتور أحمد حسين، فيما يتصل بطرد رجال الحاشية الملكية ووقف تدخل الملك فى اختيار الوزراء.

ومهما يكن من أمر هذه العوامل المرجحة، وسواء افترضنا نحن بها أو لم نفترض، فإن الحقيقة التى لا مراء فيها هى أن كثيرين من أعضاء الدكتور شكرى ومحبوه، وفرنجا بقبوله المشاركة فى وزارة الهلالي باشا التى شكلت فى ٢٢ يوليو ١٩٥٢، وسفره بالفعل إلى الإسكندرية للمشاركة فى مراسم لتصيب الوزارة وحلف اليمين الدستورية أمام الملك فاسد وسدحل، يعرف الجميع أن الدكتور شكرى يكرهه ويحتقره.. وأضيق المسارفين بيوطن الأمر داخل دهايزر القصر من أن يملك الدكتور شكرى بهذا أو ذلك من عيب القصر المستورين من أمثال «مرتضى المراعى» وزير الداخلية، أو زكى عبد المتعال، الطابوس المفضل.. ولكن خفف من قلقهم عليه أن الوزارة كانت تضم جماعة من أعضاءه المصممين مثل طراف على باشا، وزير المواصلات، وراضى أبو سيف راضى، وزير الشؤون الاجتماعية، ومريت غالى بك، وزير الشؤون البلدية والتربية.

وفى الإسكندرية، اكتشف الدكتور شكرى، بالمشاهدة المباشرة، مدى عبودية وتزلف الوزراء للملك؛ فقد تركهم «جلالته» عدة ساعات متظفرون أن يستدعهم لحلف اليمين، فلم يجمع منهم أحد على تلك التسمية السعيدة أما الدكتور شكرى فقد أوقف مرتضى المراعى الذى تكرر دخوله وخبرجه على الملك، ليقرر له فى حدة:

— هره الود بذاكك ده مش حا يستقبلنا بقه؟
ورد عليه المراعى قائلاً:

الإصلاح الاجتماعي بديلاً لثورة الاجتماعية



.. دى مش طريقة للكلام من مولانا الملك، فنهرو الدكتور شكرى غاضباً:

.. اسمع يا جدد لنته. إنا سيدك لم يستقبلنا خلال خمس دقائق فإنتي سأعادر هذا المكان دون رجعة.

وتدخل الهلالى باشا وآخرين لتهدئة الدكتور شكرى الذى نجح لتهدئة؛ فقد استقبلهم الملك على الفور.

وأخرج الدكتور شكرى الجميع مرة أخرى عندما شذ عنهم جميعاً فلم يقبل اليد الملكية الكريمة!

ويدرن أن القدر كان عطوفاً على الدكتور شكرى فلم يشأ له التورط فى العمل الزراعى بأكثر من حضور مراسم حفل التينين؛ ففى صباح اليوم الدالى- ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - أصطلت الثورة وسقطت وزارة الهلالى باشا بكل ما حملته من أوزار رئيسها.

الدكتور شكرى وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
لم يقبأ الدكتور شكرى بقيام حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وذلك فى رأياً، نسبين:

أولهما: أن جوهر تفكيره لفترة طويلة كان مؤسساً على الاقتناع بأن الاختصار الثورى لدى الجماهير المصرية سيصل حتماً إلى حد الانفجار خسرماً إذا شملت حركة الإصلاح الاجتماعى فى خلق ظروف توجل هذا الانفجار أو تضع حدوثه بالمرة. وكان الدكتور شكرى يراقب بأسى نمو الإحباط العام فى البلاد نتيجة لامتفاح الفساد فى النقص والأحزاب والدكومة، وعجزهم جميعاً عن إيجاد حل للقضية الوطنية والقضية الاجتماعية لشعباً.

ثانيهما: وهو سبب توريده على سبيل الترحيح، وهو أن يكون صديقه للثوري عزيز المصرى قد أسر إليه بما كان لديه من معلومات عن تنظيم الضباط الأحرار وقرب قيام هذا التنظيم بانقلاب أو حركة لتطهير البلاد... ويؤيد ذلك ما تردد فى أول أيام الثورة عن أن الدكتور شكرى كان يعرف جمال عبد الناصر شخصياً قبل الثورة، وأن عبد الناصر زاره فى بيته بصحبة عزيز المصرى لاستشارته أو استعمار رأيه فى بعض الأمور خاصة حول المسألة الزراعية.. وإذا كان الدكتور شكرى لم يقبأ بحركة الجيش، فإنه أيضاً لم يرهبها كما فعل كثيرون من المساة الحزبيين، ولا تحسب أنه قد انتابه ذلك الغوف الذى ألمَّ ببراز العمد للبلاد تحسباً من أن تدبر حركة الجيش تصفيتها سياسياً وتحميلهم وزر العهد البائد بكل سلاياته وجرائمه فالدكتور شكرى بكل الصابير، لم يكن ممن تطبق عليهم مواصفات وزراء العهد البائد بأية صورة من المصور؛ فقد كان بالتأكيد ضمن الشخصيات الوطنية البارزة ذات السمعة الطيبة. وارتبط اسمه دائماً بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعى وبالجملة ضد فساد الحكم والعداء للمستمر، فإن كانت حركة الجيش مخلصاً فيما أصطلته من مبادئ وفيما أطلقته من شعارات، فليس ثمة ما يخشاه الدكتور شكرى منها، بل إن اللقاء بيه وبين قادة هذه الحركة يصبح أمراً حتمياً.. ويضاف إلى ذلك أن الدكتور شكرى لم يكن له أى مطمع فى السلطة أو فى شغل المناصب الوزارية فى ظل حركة «الجيش»، والأرجح أنه تنفس الصعداء يوم تضرع من أول وآخر منصب وزارى لم يشغله أكثر من ٤٨ ساعة.

هنا وقد شهد عاماً ١٩٥٢ و ١٩٥٣ من تلك المرحلة المبكرة من عمر الثورة، تقارباً وعلاقات طيبة بين قادة الثورة وبين قادة جمعية الفلاح وجمعية الروراد اللتين كانتا العضوية فيهما مشتركة تماماً أو تكاد تكون مشتركة.. ومن خلال هذا التقارب، قدمت جمعية الفلاح بالذات مجموعة من خيرة أعضائها لشغل مناصب وزارية فى ظل الثورة تذكر منهم: سميرت غمالى، وزير للشئون القدرية، ومرواد فهمى، وزير الأشغال العامة والدكتور نور الدين طراف؛ وزير الشئون البلدية فى وزارة على ماهر،

ثم الدكتور عباس عمار، وزير الشئون الاجتماعية، ووليم سليم حنا، وزير الشئون البلدية والقدرية، والدكتور عهد الرزاق صدقى وزير الزراعة فى وزارة محمد نجيب (ديسمبر ١٩٥٢).

كان أول لقاء حقيقى بين الدكتور شكرى وبين حركة الجيش من خلال المسألة الزراعية، عندما طرحت حركة قومية الإصلاح الزراعى على بساط البحث، وتعددت الآراء والاتجاهات حول تحديد الملكية، وبعت الخلافات القديمة حول تقييد الملكية وسيلة هذا التقييد ومصدر الملكيات الزراعية، وكلها - كما نعرف - من التقضايا التى شغلت فكر الدكتور شكرى وتابعها منذ أن قدم الأستاذ محمد خطاب مشروع المشور عام ١٩٤٤، حتى قيام حركة «الجيش» عام ١٩٥٢.

والمعروف أن تمرر رجال الثورة حول المسألة الزراعية بدأ مبكراً عندما أركان مجلس قيادة الثورة إلى جمال سالم متابعة إعداد مشروع قانون للإصلاح الزراعى بمساعدة للدكتور رافد البراوى والأستاذ أحمد أسفد، ونجست هذه اللجنة أو العمرة فى إصدار الصيغة الأولى للمشور فى زمن قياسي، ثم أخلته للراجعة القانونية إلى الدكتور عهد الرزاق السنهورى والأستاذ سليمان حافظ.. وبادر السنهورى إلى تشكيل لجنة فنية متخصصة ضم إليها عدداً من معاونيه لإعداد «مشور القانون» فى صورته النهائية للعرض على رئيس الوزراء حينذاك؛ على ماهر باشا، فلما أجزت للجنة عملها، بعد عمل متواصل وسهر طويل، قام السنهورى بإحالة المشور إلى رئيس الوزراء، متوقفاً إصداره بالمرعة المتطلبة والمتوقعة من جانب مجلس قيادة الثورة.

وفجئ الجميع بعلى ماهر باشا يجمد المشور فى مكتبه مجاملة للإقطاعيين وكبار السلاكة الذين أثاروا عاصفة من النقد لفكرة الإصلاح الزراعى من أسسها.. ولزيت من التسويق فجراً على ماهر باشا مسألة خلافية قديمة، وهى مسألة المناضلة بين تحديد الملكية الزراعية عن طريق فرض ضريبة تصاعدية وبين تحديدها عن طريق وضع حد أقصى قانونى بأداة تشريعية.

ولمواجهة هذا التصوف شكلت قيادة الثورة (مؤثراً، موسماً (بلغة العسكريين) برئاسة مجلس الوزراء، ضم محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة، وجمال سالم وصالح الدين بركات باشاً؛ عضو مجلس الوصاية ورئيسه رشاد مهنا، ثم الدكتور عبيد الرزاق السنهوري رئيس مجلس الدولة والدكتور عبد الجليل المصري؛ وزير المالية.. وبعد مناقشات مطوّقة، تقرر بناءً على إصرار الدكتور المصري، رفع الحد الأقصى للملكية الزراعية إلى مائتي فدان بحجة إضافة مائة فدان للأبناء.. كما تقرر استبعاد فكرة العنصرية الاقتصادية كأداة لتقييد الملكية الزراعية. وقد عرف حينذاك أن قيادة الثورة كانت على اتصال دائم بالدكتور شكوى ضمن مجموعة من الشخصيات المخدّرة، وقد ظهرت بالفعل بعض بصماته وأفكاره في القوانين ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ للإصلاح الزراعي، خاصة الأحكام المتصلة بالتمتعة الزراعية في الظروف الجديدة.

ويضح لنا من كل ذلك أن الدكتور شكوى قد قبل أخيراً بفكرة تقييد الملكية الزراعية بأداة تشريعية وبعد أقصى ما تناه فساد، وهذا يعني أنه تخلى عن فكرة العنصرية التصاعدية التي طالما تسلك بها من قبل.

ويبدو أن التشاور بينه وبين قادة الثورة لم يقطع حول السياسات الزراعية المستقبلية، وإلا ما كان يقبل منصب رئيس الجمعية الملكية الزراعية عام ١٩٥٣ والتي خصصتها الثورة لكي تلعب دوراً رئيسياً ومهماً في التنمية الزراعية ومخيمات التقاضي المعملية والتسميد والمعارض وقرية الفول للعربية وعشرات الخدمات الأخرى في المجال الزراعي.

وكان اختصار الظهور الجراح لهذا المنصب للزراعي، لتطوّر إنما يدل على ما بلغه الدكتور شكوى من العلم والفيرة، وما ناله من ثقة الثورة وتقديرها للبحر.

وقد ظل الدكتور شكوى يشغل هذا المنصب الفخري حتى قرب وفاته عام ١٩٦٩ حين أثر التقدم والراحة بعد تلك السيرة الطويلة والحافلة من حياته

وما قدمه لقضايا مصر الوطنية والاجتماعية من إسهامات.

نحو مثققي فكرى يحمل اسمه

انتقل الدكتور شكوى إلى جواربه في منتصف عام ١٩٦٩ مطلقاً لنا سيرته الطرية كمنهج مفترج من الفكر والعمل الإنساني الرفيع في خدمة قضايا الشعب المصري الأساسية وفي خدمة حركة الإصلاح الاجتماعي الذي هو من أبرز أوليها وقائنها.

لقد كانت حياة الدكتور شكوى بحق معبداً يتدفق بالقيم والمواقف التي لا تزال تحتفظ إلى الآن بمصداقيتها وأريجها الزكي، رغم تداعج المتغيرات عليها، ورغم تبدل الظروف الموضوعية في المجتمع المصري. وسيسجد السالون على دربه والراغبين في إحياء ذكره، سجال غدا لهذه القيم والمواقف التي تصلح دروساً لثريّة الأجيال، ومادة رفيعة المستوى للاحتفال بذكراه بين أمه وبين جماهير المواطنين في كل مكان.

فمن ناحية، كان للدكتور شكوى محمياً في شبابه وفي دراسته وفي السهنة التي اختارها، عن بقية أبناء أسرته وبوجه. ولكن ذلك لم يزلهم عنهم، فقد اتخذ من مهنة الطب وإنسانياتها معبداً للعودة دائماً إلى مجتمع قريته، بالمجتمع المحلي المركزي ميت غير زرقى، لوضع علمه في خدمة المجتمع كما رأينا ذلك من خلال حياته المبكرة؛ فقد خصص عيادته ومصيدلته في زغبي وميت غير لخدمة الجميع ودون مقابل في أغلب الحالات، وهذا يعني أن الدكتور شكوى لم يشأ أن يحمل شعاراً بأن العلم للعلم ثم يتركه مطلقاً في الهوام؛ فالعلم عند يسند قيمته ومصداقيته من التطبيق. وبالمثل.. كان العلم عنده لخدمة الوطن، ويظهره في البعثة الطبية خلال الحرب الإيطالية لثرايسية، خير دليل على التزامه وصدقه.

ومن ناحية ثانية، ومن خلال متابعنا لمسار التقيم والمواقف في حياة الدكتور شكوى، يلتفت نظارنا موقفه الوطني المعادي للاستعمار، وهو الموقف الذي لم يتخل عنه في أي يوم من أيام حياته، وببعض مال الهوى بكثيرين من أبناء جيله نحو

مهادة الاحتلال البريطاني والارتباط به، ظل الدكتور شكوى كالصخرة العتيدة، وطنيا حتى الدخاخ، ومعادياً صلياً للمستعمر الأجنبي.

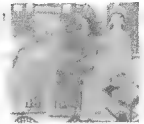
ومن ناحية ثالثة، وإنطلاقاً من عداته الشديد للاستعمار، وحمية الصدام معه، آمن الدكتور شكوى بوحدة القوى الوطنية، وضرورية هذه الوحدة كشرط أساسي للنجاح في مواجهة الاستعمار وديحه. ومن هنا كان رفضه الحزبية والتحزب في مرحلة التحرر الوطني، والتزامه بدور من الاستقلالية في الرأي والعمل لم يتزعزع عنها طول حياته. والاستقلالية عند الدكتور شكوى لم تكن هروياً من مسئوليات العمل السياسي، كما لم تكن عزلة أو انقطاعاً عن أصدقائه الحزبيين وإنما كانت درعاً واقياً له ضد سلبات التحزب والحزبية وأثارها المدمرة للوحدة الوطنية.

ومن ناحية رابعة، إذا كانت الثورة هي القبول بالتغيير والسعي لإحداثه، فإن الدكتور شكوى كان ثورياً إلى آخر السدي، حتى وإن اختلف مع كثيرين حول وسائل الثورة ولحادث التغيير؛ فقد كان مقتنفاً بأن الإصلاح الاجتماعي هو الأسلوب الأمثل لمكافحة البهل والفقر والمرض، وأن المزيد من الخدمات هو الأسلوب الأمثل لتلافي تفرج الثورة الاجتماعية.

ومن هذا العرض لرويته وفكره ومواقفه، يمكننا أن نلخصها في مجموعة من التشارات والتناضات آمن بها الدكتور شكوى والتزم بها طرال حياته.. وذلك هي:

- العلم للمجتمع والوطن.
- العداة للاستعمار ولامهانة معه.
- وحدة القوى الوطنية في مرحلة التحرر الوطني.
- الاستقلالية في الفكر والعمل الوطني والسياسي دون أن تتحول إلى عزلة عن حركة المجتمع.
- القبول بالتغيير الاجتماعي والسعي إلى إحداثه من خلال مشاريع الإصلاح الاجتماعي، الحكومية والاختيارية، تلافياً لتفجير الاختصار الثوري المدمر.

الإصلاح الاجتماعي بديلاً للثورة الاجتماعية



الهوامش

(١) جرت المائدة في كثير من المدارس المصرية طوال القرن ١٩ وبداية القرن العشرين، وتؤثر من الموروث للشعبى التركى، على إضافة أسماء تركية إلى اسم الطالب مثل حشمت وشكرى وحلى وصنوت وبهجت إلخ. وكان اسم شكرى من نصيب لطفى سود حسين دحروج.

(٢) أنشأتها إحدى الإرساليات الأمريكية ككلية للدعوة البروتستانتية وسط الأقباط المصريين الأرثوذكس.

(٣) بحث د. ساهيا بهذا التقرير إلى سعد باشا زغلل بباريس في ١٨ فبراير ١٩٢٣، ولكن سعد زغلل رفض استغلاله في لادعاه منذ البريطانيين في مؤتمر السلام.

(٤) بلغ عدد القفلى من أمالى القرية مائة قتيل حسب تقرير السلطة العسكرية البريطانية.

(٥) كان من ضمن المسمكتلون على إبراهيم دمروج، والد المؤلف، وعمر حسين دمروج وحمدى لاجبلى ويطرس أفندى من قادة الأقباط بميت بحش وكفر يوسف زرق.

(٦) السيدة عزيزة شكرى حرم د. أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية وسفير مصر فى أمريكا. السيدة عصمت شكرى حرم د. عبدالعزيز سامى عميد طب القاهرة الأسبق.

الدكتور هانى شكرى، أستاذ الاجتماع بالجامعة الأمريكية وحرم د. أحمد الصامسى. وهناك من للدكتور الدكتور الأستاذ محمد إكرام شكرى، الأستاذ بطلب عين شمس.

(٧) جاء فى مذكرات عبد الله حنان (ثلاثا قرن من الزمان - كتاب الهلال، يناير ١٩٨٨ ص ٦٢ - ٦٣) ميايلى: «أعود بعد ذلك إلى موضوعى الأصلى، وهو اتصالى بجزيرة السياسة، ولحقى صدقلى المرحوم الدكتور سيد بك شكرى فى عقد هذا الاتصال، وكانت تربط الدكتور صداقة مثينة الصرى بالمرحوم الدكتور حافظ عفيفى (باشا) زميله فى الدراسة بمصر وأوروبا، وكان يرمض من أقطاب الأحرار للتحريرين، ويحاول إدارة «جريدة السياسة». وكانت «السياسة» تصدر يومئذ عن دارها الأولى فى شارع المهندسين، تقدملى إليه الدكتور شكرى

والسؤال الآن هو: كيف السبيل إلى إحياء ذكرى الدكتور شكرى والتعريف بمجمل القسم والواقف التى شكلت حياته وسيرته العطرة؟

إن مسكولية الاجابة عن هذا السؤال إنما تقع أساساً على عاتق إيداعه، ثم على مرديده ومحبيه. وهذا لو اجتمع بعض هؤلاء وهؤلاء حول فكرة محددة أو مقترح عملى لإحياء ذكرى، سنرياً والتنبية إلى القيمة التربوية العالية لميرته.

ولحن من جانبنا، ولحن لخدم هذه الدراسة - فنقترح تنظيم «ملتقى شكرى» بمجل اسم الدكتور شكرى، ويهدف فى قرية «ميت بحش» أو فى عزبته القروية منها، ويخصص فى الأساس لثلاثة أمور:

أولها: البحث النظري فى الفكر الإصلاحي للدكتور شكرى.

ثانيها: دراسة وإقامة بعض المشاريع الخدمية لصالح المجتمع المحلي لأذى أحبه.

ثالثها: إنشاء مؤسسة اجتماعية دائمة باسمه (مدرسة - متوصفا - مركز تدريب مهنى - مكتبة أطفال ... إلخ).

ولذا فى أبناء وشباب قرية شرايى قوة مثل طبيب وهم يحدقون سويلاً بذكرى المهندس أحمد الشرايى، وزير الأشغال السابق.

وإذا كانت الدراسة الحالية قد تأخرت صنع سنين، كما تأخر البحث فى أسلوب لتخليد ذكرى الدكتور شكرى والتنبية إلى محدوى سيرته العطرة من القيم والواقف، فبأن الدراسة لازال سائحة لمشروع هذا التأخير ولزوى نحوه بعض ما فى اعتقادنا له من فضل. ■

ولقلب فيما كنت أتمع به من معارف ومزاياء لغوية وتصريفية. وولاق الدكتور عفيفى فى الحال على أن يضملى إلى تحرير «السياسة».

(٨) تشكلت خلال العامين ونصف الأولى من سنوات الحرب (سبتمبر ١٩٣٩ - فبراير ١٩٤٢) أربع وزارات من أحزاب الأقلية برئاسة على ماهر - حسين صبرى - حسين سرى - حسين سرى مركز.

(٩) محمد عاشور بك من رجال مجموعة بنك مصر وكان يشغل منصب السكرتير العام لشركة السكة الحكي للفلز والنسوج، وهو من أبناء مركز ميت غمر (وهو عم الكاتب الدرسى الكبير نعمان عاشور رحمة الله عليه).

(١٠) مجلة الكاتب - الممد ١٢٥ - أغسطس ١٩٧١ من ٢٣ - ص ٢٤.

(١١) من أبرز رجال هذه الجماعة الصحفى محمد زكى عبد القادر د. إبراهيم بويى.

(١٢) كان وزيراً للزراعة من ١٩٤٢/٧/٢ إلى ١٩٤٤/١٠/٨ ثم وزيراً للتجارة والصناعة من يوليو ١٩٤٩ - برزارة حسين سرى الانتقالية، وأخيراً كان وزيراً للحربية والسياسة فى أواخر وزارة وفيدية من ١٩٥٠/١/١٢.

(١٣) روز اليريف يومى ١٢، ١٩ مايو ١٩٥٢.

(١٤) طارق البشرى: الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥/١٩٥٢ ص ٥٧٠.

(١٥) نقصد برزارات ماهد العريق تلك البرزارات التى تشكلت فى الفترة من ٢٦ يناير ١٩٥٢ (تاريخ حريق القاهرة) ٢٣ يوليو ١٩٥٢ (تاريخ قيام حركة الجيش) وهى وزارة على ماهر ١٩٥٢/٧/٢ - ١٩٥٢/٣/١ - وزارة أحمد تيجب الهلالي ١٩٥٢/٣/١ - ١٩٥٢/٧/٢ - وزارة حسين سبرى ١٩٥٢/٧/٢ - ١٩٥٢/٧/٢٢ - وزارة أحمد تيجب الهلالي ١٩٥٢/٧/٢٢ - ١٩٥٢/٧/٢٢.

(١٦) قبلت استقالته من حكومة اليريد فى أول أغسطس ١٩٥١ وخلفه فى وزارة الشؤون الاجتماعية عبد الشليف محمود باشا، وزير الزراعة.



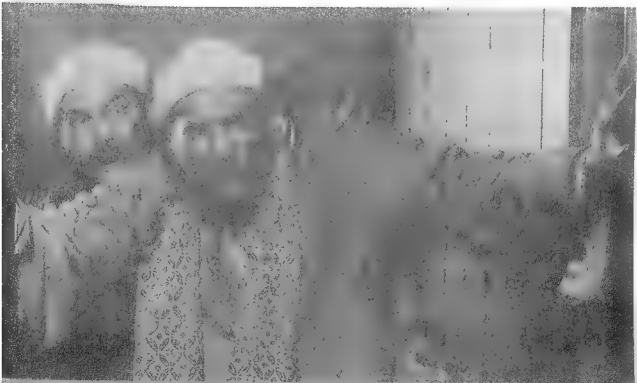
فا تمثل دراسة الثقافة مدخلا مهما لمعرفة وضع مجتمع ما.. فيما أن الثقافة هي النسق الذى ينظم أفكار ومعتقدات وقيم ومشاعر أبناء هذا المجتمع فى لحظة تاريخية محددة، ويجسد نمط حياتهم، فإن معرفة هذا النسق يستطيع أن يكشف ملامح هذه اللحظة وخصائص هذا النمط.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجد تطور المجتمع أو تغيره صدىه المباشر فى الثقافة، حتى قبل أن يحدث هذا التطور أو للتغير، لأنه فى هذا المجال يحدث التمهيد الذهنى الضرورى كى يتقبل أبناء المجتمع هذا التغير أو يسهموا فيه، وذلك تبعا لطبيعة العلاقة بين النظام الحاكم والنسب، ديكتاتورية أو ديمقراطية وتبعاً لطبيعة التغير ذاته ولصلته من من فئات المجتمع وطبقاته.

إن الدولة الحديثة، كى تمتلك مشروعية للهيمنة على بقية طبقات المجتمع، عليها أن تمتلك القدرة على معرفة الاحتياجات

لحياتية لهذه الطبقات المختلفة، وأن تعمل على تحقيق قدر من هذه الاحتياجات، يحقق درجة من التوازن بين الطبقات ويضمن استمرار الهيمنة ذاتها. ولاشك أن الاحتياجات الثقافية هي من أهم هذه الاحتياجات، نظراً لأنها تمثل العقد الذى للمشارك والمتفق عليه بين أبناء المجتمع، وعلى أساسه يتم التعامل بين جميع الأفراد وجميع الطبقات.

ولاشك أن معرفة الاحتياجات الثقافية لمجتمع ما، بتعدد فئاته وطبقاته، وببطلانه، وتعدد المكونات الثقافية فى الحاضر وامتدادها فى الماضى، هو أمر أصعب كثيراً ربما من بقية الاحتياجات، الاقتصادية على سبيل المثال، لأن هذا التعرف لا يمكن أن يتم بناءً على تقارير رقمية تصدرها الهيئات الرسمية، بل لابد له من معايشة حقيقية ومستمرة لمختلف الفئات لمتابعة التغيرات الدائمة التى تحدث لهذه الاحتياجات، ناهيك - بالطبع -

الدولة .. والحاجات



«الفتوة» اصلاح ابو سيف

الضرائب، ولذلك فإن تلبيةها، ليس ضرورياً فقط لاستمرار هيمنة الدولة كما سبق للقول، بل لأنها حقوق مدفوعة مسبقاً، وعدم تلبيةها يمثل حرماناً من هذا الحق، أقرب إلى السرقة. (١)

وسوف تعتمد الدراسة على الرصد الرقمي كلما توفرت الأرقام ثم استنتاج دلالاتها الأساسية في موضوع الدراسة، مع الاستعانة بالقرابة النوعية لطبيعة الأنشطة الثقافية من خلال الخبرة المباشرة، وتنتهي إلى نوع من الاستشراف لمستقبل الوضع الثقافي في ظل التطورات الحالية للمجتمع المصري والعالم.

- ١ -

تشر إحصائيات وزارة التخطيط، إلى أن إجمالي الإنفاق العام لقطاع الثقافة، أي للوزارة والأجهزة التابعة لها للعام ١٩٩٢ / ١٩٩٣، قد بلغ ٥٤٥٠٩ مليون جنيه

للهلال، يناير ١٩٩٥) .. وهؤلاء يمتدحون في ربوع الوطن ريفه وحضره، جلويته وشماله، وتكتم الدولة في «أكل عيشهم» سواء بالأمور (العمال والموظفون) أو بالسياسات للزراعية (الفلاحون)، ولذلك فهم أكثر اللغات الاجتماعية للزماً يدفع الضرائب، لأنها تقطع منهم إيجاباً من قبل الدولة .. ولذلك، فلنأخذ حين نستخدم مصطلح الاحتياجات الثقافية، نستخدمه بالمعنى الواسع، الذي لا يشمل فقط عناصر الثقافة المعروفة تقليدياً، أي الإبداع الفني والأدبي والفكري، بل يتضمن كثيراً من العناصر التي يدرجها علماء الاجتماع تحت مصطلح «مثل أوقات الفراغ، ويشغل فيها دور الإعلام والتعليم والمؤسسات الدولية والرياضية»، فمن نتجب استخدام مصطلح الخدمات الثقافية التي تستخدمه أجهزة الدولة، لأن هذه الأنشطة ليست خدمات تقدمها الدولة للفقراء، بل هي مدفوعة مسبقاً من خلال

عن معرفة الأساسيات التي تمثل نطق القيم للمستقر والذات والمعد من أزمان إلى أخرى، هذا الذي يمكن أن يسمى بالهوية.. وهذا التعرف يحتاج إلى أن يكون شديد الدقة والرص، كي يستطيع التمييز بين ما هو ضروري وأصيل وثابت ولا يمكن الاستغناء عنه في نطق القيم، وما هو عارض وزائل ويمكن تغييره، دون أن يصاب الناس بالانهيار الكامل.. ومثل هذا التعرف، هو الذي يستطيع، وحده، أن يسهم في تصديق الاحتياجات الثقافية للمجتمع، وتغييرها أو تطويرها، دون أن يهدم أساسه وهويته المميزة.

لنطلقاً من هذه الأسس، نسمى هذه الدراسة إلى محاولة فهم موقف الدولة المصرية، إزاء الاحتياجات الثقافية للفقراء المصريين الذين تعرف أنهم يشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمع المصري، ويقدر أن ٨٤% من مجمل السكان (رشدي سعد،

الثقافة المصرية للمصريين



الصادرة عن الهيئة العامة للكتاب فهو
١١٥٤٢٠٠ نسخة، وبالكال الفرد منها ٠٢ من
الكتاب (٨).

٢. وفي المقابل نجد أرقاماً أعلى بكثير
للمستفيدين من نشاط هيئة قصور الثقافة
الجمهورية.. فإذا كان عدد مسارح القطاع
للعام مثلا ١٦ مسرحاً، فإن الهيئة شددت على
مسارح قصور وبيوت الثقافة التي تصل إلى
٢٥٢ قصراً وبيتاً (جدول رقم ٩) .. ورغم
أنه لا يذهب التحصيل على النسبة الكبرى من
هذا الرقم أي البيوت التي تخطو في الغالب من
المسرح أو السينما وغيرهما من الأنشطة
(ورقم البيوت ٢٥٢ بيتاً في مقابل ٣٩ مسرحاً
فقط، تتركز في عواصم المحافظات والمدن
الكبرى كما سترى) .. رغم ذلك فإن أرقام
المستفيدين أعلى بكثير من المستفيدين من
نشاط البيوت والمراكز والهيئات الأخرى..
فالمستفيدين من المسرح مثلا ٤١٨٢٢١
مشاهداً ومن رواد السينما ٩٢٥٩٣٧ مشاهداً.
وفي حين يقل المستفيدين من نشاط مثل
الحرف اليدوية لوصول إلى ٢١٣٦٨ شخصا
(جدول رقم ١٠)، نجد أنه يرتفع بشدة مع
المستفيدين من نشاط المكتبات لوصول إلى
١١٦٣٠٠١ مستفيداً (جدول رقم ٨) وذلك
نظراً لأن المكتبات هي النشاط الوحيد في
العالم - الذي يوجد في البيوت، بينما تقتصر
معظم الأنشطة الأخرى على القصور.. وهذا
النشاط يعتبر أكثر أنشطة الهيئة، بل وزارة
الثقافة عامة، انتشاراً.

٣. ومع ذلك - فإن هذا الانتشار إذا فُهِمَ
إجمالاً على عدد المواطنين، يصبح انتشاراً
محدوداً.. فإذا أجمعا المستفيدين من كل
أنشطة هيئة قصور الثقافة، ودون اعتبار أن
الشخص الواحد يمكن أن يستفيد من أكثر من
نشاط من هذه الأنشطة وهذا هو الموكبد،
لوصولنا إلى رقم ٢٤٠٧٣٣٠ مرادفاً - وهو
معنى أنه لا يمثل سوى ١٢,٨ ٪ من مجمل
المواطنين.

٤. فإذا انتقلنا خطوة أبعد للتعرف على
هذا الرقم الأخير بالتفصيل، ولتعرف من هم
المواطنون الذين يمثلون هذه النسبة، لوجدنا،
من خلال إعادة قراءة تلك الجداول (بعض
النظر عن مدى دقتها أو صحتها)، أن معظم
الأنشطة الثقافية متركزة أساساً في مدينة

الدولة والحاجات الثقافية

وللخصوصية بـ ١٨٥٤٠٠ جنيه سنوياً، والمعاملين
في مجال الزراعة ١١٣٠٠ جنيه سنوياً (٦)،
فانهم، طبقاً عن المعاملين عن العمل الذين
يُقدرون بحوالي ١٤ ٪ من القادرين على
العمل، وذلك في عام ١٩٨٦. والنتيجة
الأساسية، هي أن الثقافة سلعة مرتفعة الثمن
لا يقدر على شرائها معظم المصريين،
وخاصة الطبقات الواسعة للفقر - رغم أنهم
مواهبها الأساسيون.

ولذلك الآن من الموقف العام إلى قدر
من التخصيص ويبحث عن تسهيل أنشطة
وزارة الثقافة، التي تتوزع طبقاً للكتاب
السوي للإحصاءات الثقافية الصادر عن
وزارة الثقافة على النحو التالي:

البيت القلي للمسرح، البيت القلي للفرق
الشعبية والاستعراضية، المركز القومي للفرق
للشعبية، المركز القومي للسينما، المركز
القومي لثقافة الطفل، المركز القومي للمسرح،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، الهيئة العامة
للقصور الثقافية للجمهورية، وغيرهما من
المراكز والهيئات والإدارات غير الموجهة
للمعهور الرابع بصفة أساسية.

ومتابعة أنشطة هذه الهيئات للاحظ ما
يلي:

١. أن إجماعاً عدد المستفيدين من
البيت القلي للمسرح، على سبيل المثال، هو
١٣٢٠٥٢٠٠ (جدول رقم ١١)،
والمستفيدين من نشاط البيت القلي للفرق
الشعبية هو ٤١٢٥٨٥ (جدول رقم ١٢)
ومن دار الكتب وفروعها (جدول رقم ١٣)
هو ١٩٢١٨٥٠٠ قارئاً.. أما مجمل الكتب

مصرية.. وبمقارنة هذا المبلغ بإجمالي
الإنتاج العام في الموازنة العامة للدولة لفرض
العام (٩٢/٩٣) وهو ١٢٥٣٣ مليون جنيه
مصري (٧)، يتضح أن النسبة هي ٨٧.٨٧ ٪،
ويكون نصيب الفرد (٢) من هذه الخطة هو
٩٤٧٠٠ جنيه مصري.. وهذه الأرقام تشير
بوضوح إلى تضائل نصيب الثقافة في
الموازنة العامة للدولة، على نحو متزايد،
خاصة إذا أدركنا أن نصيب الفرد في هذه
الموازنة لا يذهب إليه دون مقابل، بل هو
مختفوع مقدماً من خلال الضرائب، من
تأخية، وأنه يعود لشراء السلع والخدمات
التي تلجأها الوزارة بهذه المبالغ.. وعلى
سبيل التوضيح، فإن نصيب الفرد من إنتاج
الهيئة المصرية العامة للكتاب (وهي
٢٤٥٨٦ مليون) (٨) والذي يقدر بـ ٤٢
قرشاً، لا يقدم للفرد كهدية، وإنما ينفق في
عمليات إنتاج كتب، نباح للجمهور مرة
أخرى، بحيث تدر ربحاً على الهيئة (تدري في
عام ١٩٩٥ مليون ونصف مليون جنيه)..
وهذا الوضع نفسه يطبق على معظم
منتجات وزارة الثقافة، فيما عدا بعض أنشطة
هيئة قصور الثقافة للجمهورية وبعض
صناديق الخصومات وأنشطة المركز القومي
للنشر التعليمي.. وفي المقابل هناك أنشطة
ثقافية ينجحها القطاع الخاص ولا تلقى عليها
وزارة الثقافة، مثل الإنتاج السينمائي على
سبيل المثال. وعلى هذا الأساس، فإننا لو
قربنا البعد الأدنى من احتياجات المواطن من
أنشطة وزارة الثقافة في حدود صيغة يومية
وصيغة أسبوعية وصيغة شهرية ونظام أو
مصريه أو عرض موسيقي في الأسبوع،
وكتاب واحد في الشهر تكاليف التوزيع (بأسعار
١٩٩١/٩٢) حوالي ٣٥ جنيه في الشهر.. وهذا
الرقم إذا قارناه بمقرض أجر العامل في العام
لنفسه وهو ٢٤٦٢٨٠٠٠٠٠، سنوياً، (٩) لأصبح ما
ينبغي على المواطن إنفاقه في سبيل الحصول
على هذه الاحتياجات يساوي ١٧ ٪ من دخله
السوي، وهو طبقاً الأمر المستعجل في ظل
الاحتياجات المعيشية الأكثر إلحاحاً وضروية
لجهد الاستمرار في العيش، ولذا راعينا
متوسط الأجر السنوي العام في القطاعات
الفقرية من السكان، لأدركنا أن الوضع أسوأ
بكثير، حيث يقدر نفس المصدر متوسط أجر
المعاملين في مجال الخدمات الاجتماعية

القاهرة، تلبيها عواصم المحافظات وعلى رأسها البحيرة والإسكندرية، ثم أوروبية في كثير من الأحيان لمحافظة الوجه البحري على محافظات الصعيد.. تلى ذلك أهمية لبعض المراكز وبعض المحافظات، وحيث توجد بيوت الثقافة، أما القرى فنادراً ما يصلها نشاط ثقافي ويستغل من ذلك بعض القرى الكبيرة التي توجد بها بيوت ثقافة أو يزورها قافلة من الفعاليات الثقافية على فترات شديدة التباين.

فعلى سبيل المثال، يكشف الجدول رقم (١)، أن عدد المسارح التابعة للبيت الفني للمسرح، بالقاهرة هو ١٢ (٩) من جملة ١٦، بنسبة ٧٥٪، بلغ تصويبها من الفعاليات ٩٥٪ ومن عدد الزوار نسبة ٩٧٪، في حين أن أربع مدن أخرى قد حظيت بمسرحين (الإسكندرية) أو مسرح واحد، لم يقدم بعضها (الإحصائية) سوى حلة واحدة في العام، لا يذكر الجدول رقماً لمعد روادها؟

ويختلف مع هذه النتائج أرقام الجدول رقم (٢) الخاص بنشاط البيت الفني للفنون الشعبية والإسكندرية، رغم أنه نشاط مختلف.. ويمكنه أن يستفيد من مسارح قصور الثقافة أو دور السينما أو حتى مسارح الأفراح أو الملاعب أو مراكز الشباب.. إلخ.. كذلك تتفق نتائج معارض ومبيعات كتب هيلة الكتاب.. حيث تصل القاهرة ١٤ فرعاً ومركز بيع للكتب، بنسبة ٥٦٪، يمثل إيرادها نسبة ٦١٪ من جملة مبيعات الهيئة في الدولة كلها.. أما دار للكتب، فإن الجدول لا يذكر سوى فروصها في القاهرة دون فروصها في المحافظات وهي محدودة جداً بالطبع.

ويكشف الجدول رقم (١) المستخلص من نتائج تقرير التنمية البشرية عن فلتحة أكبر في المقارنة بين ما تحصل عليه القاهرة، وبقية المحافظات، وبين ما يحصل عليه المعصر، وما يحصل عليه الريف عامة.. فلي حين يصل عدد المترددين على السينما سنوياً لكل ألف في القاهرة إلى ١٨٥٩ وعلى المسرح ٥٧ وعلى المتاحف ٣١٤، نجد أن محافظتين كاملتين تخطون تماماً من هؤلاء المترددين وهي محافظتا جنوب سيناء والإبدي الجديد، وخمس محافظات تخطو تماماً من رواد السينما والمسرح وهي محافظات

الحدود وكل المحافظات غير الحضرية تخطو من رواد المسرح.. وينطبق الأمر نفسه على عدد الكتب والمكتبات فهي في القاهرة ٤٣٩ كتاباً لكل ألف قارئ و٩١ للوجه البحري و١٤٠ للوجه القبلي و١٨٧ محافظات الحدود.

أما المقارنة بين الريف والحضر فكشفت نفس الشيء وإن لم تكن الأرقام كافية في الجدول، وهذا يتضح من المقارنة بين المحافظات الحضرية ومحافظات الحدود، فتسود أهما على طرفي نقضين ويدهما محافظات الوجه البحري والوجه القبلي.

(٥) ويكشف التلخيص في بعض الجداول أن القاهرة.. التي تغطي بأعلى المعدلات في كل المجالات، ليست كتلة واحدة.. صحيح أنه يعيش بها ثمر ربع سكان مصر (١٠)، غير أنه صحيح أيضاً أن معظم هؤلاء السكان يعيشون في المناطق العشوائية والفقرية، وإذا كان مطلقاً (٢) أن يندر وجود الأنشطة الثقافية في المناطق العشوائية، فإنه ليس منطقياً أن تتركز معظم الأنشطة في المناطق الريفية لتستغل دون المناطق الفقيرة.. ولكن هذا ما يحدث.. في الجدول رقم (١١) المستلجج من جدول توزيع نشاط تصوير وبيوت الثقافة داخل القاهرة.. وجدنا أن الأحياء الريفية تحتل سبعة عشر قصراً وبيوتاً من بيوت الثقافة (هذا بالإضافة إلى القصور المتخصصة مثل قصر السينما بجاردن سيتي والقصور الأثرية في منطقة الحسين والفقرية.. إلخ) في مقابل ثمانية فقط في المناطق الفقيرة، علماً بأننا توسعنا إلى حد ما في تحديد المناطق الفقيرة فأدخلنا فيها قصر ثقافة الرياء والأمل وقصر ثقافة ١٥ مايو والسلام وغيرها.. وهذه المناطق الريفية امتازت إذن بنسبة ٦٨٪ من مواقع الثقافة الجماهيرية في القاهرة، قمت فيها نسبة ٥٨.٨٪ من جملة العروض، استفاد منها ٥٨٪ من المستفيدين منها.

- ٢ -

مما سبق يمكننا الوصول إلى نتيجة مطمئن إليها إلى حد كبير، وهي أن الأنشطة الثقافية التي تمارسها وزارة الثقافة لا تصل إلا إلى عدد محدود من المصريين، وأغلبهم من بين الأغنياء، وتصوب الفقرات فيها

محدود جداً، بل إن هذا التصويب.. وهذا هو الأهم.. غير مناسب أساساً، فقد كشفت الجداول السابقة أن أكثر أنشطة وزارة الثقافة انتشاراً في القرى هي المكتبات، في حين أننا نعرف أن هذه المناطق تزداد فيها نسبة الأمية، حيث تصل نسبة الأمية في الريف (حسب ١٩٨٦) إلى ٦٩٪ في حين كانت في المعصر ٤٠٪ فقط (تقرير التنمية البشرية من ١٩٦٦) .. ولعلنا نرى في هذه الصاطح البصرية أن تقدم الأنشطة الفنية الشعبية البصرية وليس الكتب.. وسنطرح أن هذه الأنشطة لا تصل إلى القرى إلا في بعض المناسبات المتباعدة جداً.

غير أنه كما سبق القول.. تصمم أجهزة وزارات أخرى في النشاط الثقافي بالمعنى الرابع، وليس وزارة الثقافة فقط.. من هذه الزارات: وزارة التربية والتعليم، وزارة الإعلام، وزارة الأوقاف، وجهاز الشباب والرياضة.. ويبدو لنا أن ترتيب هذه الزارات في الأهمية يمكن أن يتم على نحو تصاعدي فليبدأ من المجلس الأعلى للشباب والرياضة باعتباره متصلاً على قطاع محدود من السواطين، فوزارة الأوقاف المستقلة أيضاً عن قطاع من الأنشطة في الأنشطة الدينية ثم وزارة التربية والتعليم السوفلية عن قطاع واسع من المستفيدين الذين قد يصل تعليمهم حتى أصنام متخلفة (في حالة الإعداد لرسائل الدكتوراه)، ثم وزارة الإعلام المستقلة عن أخطر الأجهزة في عالم اليوم والتي تصل إلى كل المواطنين تقريباً، وتقدم جهاز التلفزيون، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة.. وهذا الجهاز والوسائل الأخرى متماسة بالطبع مع بقية الأنشطة والأجهزة الثقافية وغير الثقافية، معاً أن الزارات الأخرى أحياناً تتداخل أعمالها وتتماشى سواء من حيث طبيعة النشاط، أو من حيث المستفيدين من هذا النشاط.

فالمجلس الأعلى للشباب والرياضة مسئول عن قطاع الشباب (أخطر الأصنام) بالإضافة إلى النشاط الرياضي في الوطن بصفة عامة، وهو نشاط موجه ليس إلى الشباب فقط وإنما إلى مختلف الأعمار، كما أنه يستفيد من جهاز التلفزيون في الوصول إليهم.. غير أن هذا الجهاز يمارس مهامه

الدولة والحاجات الثقافية

ومراقبتها بالتعاون مع أجهزة الأمن أو صمدا عليها) فاشك قري في قدرتها على تحقيق هذا الحصار ليس لنقص الإمكانيات (فقد رجعت الدولة كل إمكانياتها في الفترة الأخيرة لمواجهة ما يسمى بالإرهاب)، وإنما لفقدان الدافع العميق والتنظيم الحقيقي والقيم المتكاملة وهذا واضح في النشاط الذي إن مهمة الوزارة تتمحور في تعيين موظف أو أكثر (في كل مسجد حسب أهميته)، لإقامة الشعائر وصفة خاصة صلاة الجمعة السورطيين، لكنها تهتم بأن تراقب هؤلاء السورطيين لضمان أنهم مجرد موظفين أي تطبق عليهم شروط الأداء الروتيني الخالي من الدافع الخاصة حتى ولو كانت دوافع إيمانية بحتة.. ولذلك فإن معظم الموشوعات والأفكار التي ينفخ في أنفها خطيب المسجد إلى المسلمين هي موشوعات وأفكار إما تقليدية منقولة من الكتب الصغرى بذات الصياغات المصغولة، أو مفروضة على الخطيب من قبل الوزارة، التي كخسرا ما تصدر تعميما على الخطباء فهايعا أو مكتوبا حول موضوع محدد والنتيجة هي أن خطبة الجمعة تتحول إلى مناسبة ملة يضطر المسلمون إلى المشاركة فيها من أجل إتمام الصلاة لكن التكريير منهم تتحولوا عن هذه الخطبة إلى المساجد الأهلية التي تسمع بدوافع ذاتية أعلى نظرا لقربها من المنظمات الإسلامية في الغالب ولأن هذه المساجد الأهلية لم تكف بمجرد إقامة الشعائر أو صلاة الجمعة وإنما تحول المسجد إلى مركز نشاط للمي أو للمنطقة حيث يهود فيه المواطنون متوصلا صليا ومدرسة أو مشلا أو دارا مناسبة للعرء أو لعقد القرآن.. بالإضافة طبعاً إلى دروس الريط وتضيظ القرآن للسائر

وعلى هذا النحو فإن تصوير وزارة الأوقاف وخشوع وظرفيتها تماما لخدمة سياسة الدولة المباشرة على نحو يكاد يكون قريبا من الوظيفة الأمية وكما بدأ في الصراعات مع «الإرهابيين» في السجون خلال السنوات السابقة) أدى بها إلى تكريس قيم السلبية لدى (السجوديين وتحولهم إلى فريسة سهلة للقوى الدينية المنظمة بعد أن طردتهم من مؤسسة المسجد الرسمي بروتينية

عن مراكز الشباب ويهلون إلى وسائل بديلة كالمقاهي وأندية التوجيو أو أماكن للعب الخاصة، أو حتى إلى إقامة بعض الألعاب في الشوارع والمزارع (كما هو الحال في كرة القدم وتيس الطاولة) .. ورغم أن هذه الوسائل تنفق - بالفضل - بعض الاحتياجات التي لا تستحقها الدولة، فإنها يمكن أن تؤدي إلى أضرار جسيمة على الشباب سواء من ناحية الانحلال اللقي أو التطرف الديني، وهذا هو الحادث صفاً الآن، وهذا راجع إلى أنها تلبية عشوائية لاحتياجات ضرورية، وليست غامضة لخدمة منظمة قادرة على تنظيمها وتطويرها وتوظيفها في اتجاه هدف وطني عام.. ولذلك فإنها يمكن أن تتحول إلى وسائل لتفريغ الشخصية الإنسانية بدلا من تكميلها وإضاج أفضل ما فيها.

وتقديرى أن نشاط وزارة الأوقاف يؤدي إلى نتيجة قريبة من هذه النتيجة، وإن كانت أخطر، لأنها تفس كل الصديين - فوزارة الأوقاف هي المسؤولة عن كل المساجد في مصر والتي تزايدت وتكثرت بصورة ملحوظة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، إما بسبب المد الديني في المجتمع بصفة عامة والناش عن الإحباط القوي للمام وغيرها من العوامل، أو بسبب الإعفاء الضريبي الذي يحققه سائر مسجد في المباني الجديدة للسكائنة غير أن وزارة الأوقاف لا تشارن مسئوليتها على كل مساجد وخاصة المساجد الأهلية التي هي مؤلفة للجمعات الإسلامية على نحو طيبس سواء كانت منظمة من قبل القوى السياسية ذات الطابع الديني.. أو مرشحة لهذا التنظيم. ورغم تنجبه الوزارة إلى هذه الظاهرة في الفترة الأخيرة ومحاولة حصار هذه المساجد

أساساً من خلال الأندية الرياضية المصركزة في العاصمة الكبرى وعصام بعض المحافظات، بالإضافة إلى مراكز الشباب المنتشرة في كل القرى تقريبا بسبب الاعتماد على الجهود الذاتية لأهالي القرى في إقامة هذه المراكز.. غير أن هذا الانتشار الذي كان يمكن أن يكون وسيلة ثقافية مهمة - يخلو تقريباً من أي أهمية نظراً لانحصار أنشطته في جهاز تليفزيون ومائدة للمبة للكنس وأحياناً مكتبة صغيرة محدودة الكتب عددًا وقيمة - وبعض المبادرات الرياضية التي تقام في الإجازة الصيفية.. ويهود هذا الانحصار إلى محدودية الهوزانية من ناحية وقساد الإدارة من ناحية أخرى إما بسبب الإهمال أو فساد النمة المالية، بحيث يصعب المستفيدين من هذه المراكز عددًا محدودًا من الشباب (مجلس الإدارة والموظفون بهم)، وتصبح الاستفادة محدودة في مجرد فضيوع وقت الفراغ على نحو صلي أو مل وسلي على كل حال.. ولعل هذه هي القيمة الأساسية التي تحققها أيضا عبر الأنشطة الرياضية على المستوى الوطني العام، حيث إننا نجد أن لعبة كرة القدم قد أصبحت فضيل للشموع الحكومي هي اللعبة الشعبية الأولى ويحسم لها أعداد كبيرة من المواطنين، غير أن حماسهم هذا هو حماس منحرف إلى سرعات فورية بين الأندية المنظمة، وليس حماساً للمنافسة للذهبية أو للكرة المصرية على الصعيد الوطني بصفة عامة.. ولاشك أن محدودية الهوزانية وسره الإلرة يسهمان في إضعاف مستوى الأداء القوي الرياضي الذي يتبدى في الفعائل الخاصة التي تحققها الفرق القومية، في مقابل بعض الصراعات التي يحققها هذا الفريق المستقل أو ذلك.. ولاشك أن نقل الفريق القوي في الألعاب المختلفة يكرس قيمة الدونية والإحسان بعدم قدرتنا على التدخل في مناقشة مع المام (المتعلم) في أي مجال حتى الرياضة التي يبدل لاعبيها أنسى جهرهم، ويبتكون في بعض ألعابها تميزاً ملحوظاً، لكنه يهر بسبب سوء التنظيم أو نقص الإمكانيات أو ضرورية الاعتماد على الصديين الأجانب.. إلخ.. ونتيجة لتقصير هذا الجهاز عن تحقيق الاحتجاجات الشبابية سواء على المستوى الفيزيقي أو على مستوى تقوم، نجد أن الشباب في القرى والأحياء الشعبية يصرفون

وإسلامه وعدم قدرته على أن يمسك بالخصائص الدينية التي تميز المصريين عن غيرهم من المسلمين والتي تمثل في ملامح كبيرة تختلف عن الإسلام السني، أنتجها الخاص للمصريين عبر الحضارات المتعاقبة التي عاشرها وتطوار قيمها، سواء بالإيجاب أو بالسلب.

إن التعرف العلمي الدقيق على منظومة القيم التي يهمن عليها المنظور الديني أو الإيماني لدى المصريين وخاصة لدى الطبقات الشعبية يمكن أن يكشف عن خطوط نفثة عميقة لتحية بصفة عامة، تكن النسق القيمي الذي يشكل الأساس الفكري والقيمي للمواطنين به ويمرشن حياتهم وبرايمهم مصاصها ويدهعن في أحلك اللحظات بل ومن خلالها يقيم احتمالاتهم للمستعدة والتي تصل إلى حد الشكل الكرنفالي من موالد الألوهاة والقديسين والأحشالات الطرق الصوفية ومقوسها المختلفة. وهذا التعرف العلمي لا يحمي القبول أو الرضخ، ملظا نفل وزارة الأوقاف بشأن الموالد حين تسمح بإقامتها مع ترميم كبير من مقوسها وشاشرها وإضا على الإصااك بالجوهرية والمبرمج والصب والي والتمل على تيمنة وإلرائه لأن هذه التلمبة ثراه للهوية وللذائع الحيوي للإنسان أن يحيا ويقام ويدهع وهذا التعرف يمكن أن يكون كغيبلا بتحقيق مواجهة الدولة للطرف السلي أو أنها كانت تريد حقا مراهجه.. ولو كانت نملك المنظور الاستراتيجي العميق في معالجة المشاكل وأمر الحياة بصفة عامة وهذا يعني أن عدم القيام بهذه المهمة، ليس فقط تكريسا عن ثلبية الاحتياج الروحي العميق للمصريين، بل وتزييف هذا الاحتياج ببديل سلي شكلي تتفق فيه المؤسسة الدينية الرسمية مع التيارات السلفية، وسوف يؤدي إما إلى إهدار هذه القيم الروحية العميقة لدى المصريين أو إخراجهم من الصراع الدائر بين الدولة والمضطربين وكلها نتائج تقع أخطارها على حاضر المصريين ومستقبلهم وقد تصعب الدولة ذاتها فإذا انتقلنا إلى وزارة التربية والتعليم ارتقينا في درجة الخطورة نظرا لأن هذه الوزارة تعمل في مجال شديد الحساسية من حيث طبيعة المراحل العمرية للثقافة للأطفال والشباب الذين يخطمون وبسبب

المهمة للضخمة التي يلبس أن يقوم بها التعليم. إن مهمة التعليم لا تملح تعليم الفرد القرامة والكتابة وإنما بدء تنق قيم متكامل للفرد لا يلبس أن يقوم على أساس للقيم التقليدية المستقرة في المجتمع فصب، وإنما على أساس تجديد هذه القيم وتتمسيتها وتطويرها (دون تمسيتها كما سبق القول). يهني إنسانا جدينا قادرا على تجديد المجتمع وتحقيق احتجاجاته الجديده والمتجددة باستمرار وللأسف الشديد فإن الخبرة المتعانة تشور إلى أن التعليم المصري أصبح في حال من التدهور لا يستطيع معه القيام بأى دور من الأدوار المطلوبة به بل يمكن أن يؤدي إلى تفجتها.

فرغم ارتفاع نسبة الإنفاق على التعليم في السنوات الأخيرة، حيث وصلت إلى ٩.٨ ٪ من إجمالي الإنفاق العام سنة ١٩٩٠ إلا إنها نفل نسبة متواضعة إذا قورنت بالنسبة المخصصة للتعليم في الدول الأخرى (١١)، كما أن هذه النسبة ذاتها ليست ثابتة ويمكن أن تنخفض في سنوات وتزيد في سنوات أخرى (١٢) ومنعت الإنفاق على التعليم يمكن تقاسمها على آداء الألفزة لمهاها، والتقصير في تحقيق الأهداف المرجوة ويجلى هذا التقصير في عدم القدرة على استيعاب كل التلاميذ المفروض استيعابهم في المراحل الصرية المختلفة وهذا واضح من رقمين الأول هو نسبة القيد في التعليم الأساسي والثاني التي تصل إلى ٨١.٤ ٪ سنة ١٩٩٠ ومعدلات التسرب التي وصلت سنة ١٩٩٢ إلى ٣٠ ٪ (١٣) ومضى الزميين مما أن نسبة المتقدين الذين يواصلون تعليمهم حتى نهاية المرحلة الثانوية لا يزيد عن ٥٠ ٪ من البالغين من الشامعة عشرة وهذه النسبة العامة الفاجعة تخفي النسب التفصيلية الأكثر خطورة حيث تكمن نسبة المتقدين في الوجهة القبلي إلى ٣٧.١ ٪ ويصعب من الطبيعي في ظل هذا الوضع ألا نحل مشكلة الأسيه لأن النظام التعليمي ليس قادرا على حلها فقط وإنما هو يهنيها من باب آخر هو التسرب بحيث تصل نسبة غير الملمن بالقراءة والكتابة في العمر إلى ٤٠ ٪ وفي الريف إلى ٦٩ ٪ (أرقام ١٩٨٦) (١٤) ومن الطبيعي أن هذه النسبة المرتفعة من الأميين سوف تكون صيدا سهلا لأي نوع

مختلفة يمكنها أن تستفيد من أميهم ويعالون أن تعد هذا النقص عبر مكاتب تعطي القرآن والحضانات المنتشرة في المساجد على سبيل المثال ومعظمها موزن من قبل تيارات الإسلام السواسي المطفة.

فإذا عدنا إلى الذين يروج نظام التعليم في استيعابهم وجدنا أن الشروط التي يتم فيها العملية التعليمية في المراحل المتطفة ترمق تحقق المهام الأساسية أو لأهداف التعليمية إلا في حدود متفيلة ومن الأرقام الدالة على هذه الشروط نسبة المباني المدرسية غير الصالحة وقد كانت ٤٠ ٪ سنة ١٩٩٠ (١٥) وكشافة الفصل في الإبتدائي التي تصل إلى ٤٤ ٪ وفي الإعدادي تصل إلى ٤٣ ٪ لتسيذا في الفصل (١٦) وهذه الأرقام تبد أسداه قوية لها في مراحل التعليم الجامعي، وخاصة الجامعات الإليمية وما يسمى بالكتابات ذات الأعداد الكبيرة وخاصة بعد تطبيق نظام الانتساب المرج الذي يضاف أعداد طلاب بعض الكليات أو الأقسام.

ولا يقتصر الأمر على نقص الأماكن وعدم صلاحيتها فقط فهذان مؤشران على نقص الإمكانيات المادية التي يمتد إلى نقص السائل والألات الضرورية كما تمتد إلى نقص أمور المدرسين والعاملين في حلق التعليم عامة مما يؤدي إلى نتائج أخرى تؤثر على كيفية أداء العملية التعليمية نفسها ذلك أن إنسانا لا يحصل من عمله على القيد الأدنى الذي يكفي حياته لا يستطيع أن يمد بورظيفته على خير وجه هذا هو الحادث بالنفل حيث نجد أن درجة الإجابة في أداء التدريين في كل المراحل متدنية جدا وهذا أدى مع عوائل أخرى كثيرة إلى القضاء على الدور التدريي للمدرسة لصالح دور المنزل أو للمسجد في إطار ظاهرة التدريين النصوصية سواء الفردية أو المتظمة وهي ظاهرة لا تملح عبدا لقتصاد على كاهل الأسرة وخاصة الأسرة الفقيرة فقط وإنما نفل فعلا مانا في النظام التدريي نفسه لأنه يخلق اللائام والإحساس للمتدق بالفوضى في نفوس المتلمين منذ صغرهم كما أنه يسهم في تكريس المنهج التلقيني الذي لا يهمن سوى يفظ معلومات تصلح لاجتياز الامتحان دون أن يهمن بتيمنة عقبة التعلم وقدراته التقنية والإبداعية فيخرج شخصية

الدولة والحاجات الثقافية

البرامج بمختلف أنواعها وبهذا المعنى الراسخ ومن هنا تأتي أهمية توصيف هذا النموذج الثقافي الذي يهتم التلفزيون المصري لأنا في النهاية سوف نصل إلى حد توصيله بأنه تقييد للثقافة بالمعنى اللغوي.

إن عددا من البرامج التلفزيونية يقدم دون شك - مساهمة ثقافية سواء كانت معلومات أو أخبار أو ترفيه للأدراك الفنية وغيرها غير أن هذا العدد من البرامج محدود ولا ينبغي المطالب بالغالب على البرامج والذي يعمل إلى الجفاف والوقوع في أسر صورة أو شوج للإعلام المنفصل عن الحقيقة وعن الواقع وغير التقدير على تقديم المعلومات وليس بالمعنى الدعائي المشوئ، إن الصورة في نظرية المعلومات ليست فقط غير المعروف وإنما أساسا غير المتوقع، وهذا يعني أن الصورة ليست حقيقة مطلقة تصل إلى المثالي من مصدرها دائما، وإنما هي نتاج تفاعل حقيقي بين مصدر الصورة ومتلقيها إذ يجهد ذهن المثالي كي يتلقى الرسالة كي يربط عناصر الصورة في علاقات يستنتج منها الرسالة في النهاية بهذا المعنى تكون الصورة نوعاً من تنمية الإبداع والفتن البشرية وهذا النمط ليس هو المشوئ في التلفزيون المصري الذي يعتمد في نسبة كبيرة من برامجه على المادة المصنوعة في الخارج أو على معرفة ناقصة أو مشوهة بالواقع الداخلي والذي يرضع لجموعة من المحرمات المتعلقة بأمن الدولة (أو النظام) وخاصة في ميدان النقد السياسي أو حتى للقد بصفة عامة.

خسيران أن هذه السلاج لا تشكل نسفا متكامل من القيم التي تصل إلى المثالي ذلك أن هيمنة الدولة على التلفزيون لا تفي تلك عناصر قيسية قد تشكل أسفا تيمية متصارعة مع الفن الأيديولوجي العام للدولة، وقد تنفق معه لكن هذا الاتفاق يجعل للنسق العام مشحنا ومهدتا وقابلا للتأثير والمقصود هنا أن هناك نسفا من القيم الدولية التي تبذلها برامج التلفزيون لا تختلف كثيرا عن القيم التي يدور إليها أعضاء الجماعات الدينية سواء القسطنطينية منها أو المعتدلة وهذا للنسق يبدو في كثير من الأحيان متصارعا مع التوجه العام للدولة الذي يجب بمقتضى أن يسميه تدويرا، كذلك هناك نسق من القيم

ينفاق اعتماد الإذاعة التلفزيونية قد ارتفع من ٣٣٧٥٠٤ مليون جنيه سنة ٩٢/٩١ إلى ١٠٠٧٥٩٩ مليون سنة ٩٣/٩٢ وزعم أن هذا الاهتمام بالانتشار التلفزيوني يحدث أيضا بالنسبة للصحافة حيث نشأ صحف جديدة باستمرار لتغطي المجالات المختلفة: الرياضة، للفنون، الأديب وهي صحف تابعة للدولة أو للأحزاب أو لأفراد إلا أن انتشار الصحافة كما أشارت الأرقام السابقة لايضي التدجئة نفسها التي يملئها انتشار التلفزيوني لذلك فإن اهتمام الدولة بكل من الراسخين هو اهتمام مختلف حيث يسمح في الصحافة بدراسة، أعلى من للتنوع وقدر من حرية الاختلاف ولتد لا يسمح بهما في التلفزيون وذلك فإن اهتمام الدولة بالتلفزيون يشهد إلى أنها تعتبره، وهو كذلك بالفعل أذاتها الرئيسية في التوجه الأيديولوجي ولابد أن يكون خاصتها تماما لوجهها ولا يسمح فيه بالمناقشة كما لا يمكن السماح لمناقشة لتقنيات خاصة أو قاصدة من الخارج عبر الفضاء هذا رغم أن نسبة ٣٥٪ من برامج التلفزيون المصري مستوردة من الخارج (١٨) ولكن هذا الاستيراد المحكوم ومحموم بإشراف أجهزة الدولة أو هكذا يتصور المشوئون في حين أن الحقيقة أنه محكوم أيضا بأيديولوجيات خطته التي تتكامل بالضرورة مع المادة المذاعة وخاصة إذا كانت دراسية وهذا هو الحال بالفعل في المواد المستوردة وأغلبها أمريكي الصنع وزعم أن نسبة البرامج الثقافية وللديورية في التلفزيون المصري محدودة ولا تزيد عن ١٧٪ (١٩) إلا أن مفهوم الثقافة هنا لابد أن يتضمن أي شمل كل القديم وأساطير الملوك والشعائر التي تخلتها

ممسوحة لاقدرة لديه على التفكير أو الإبداع أو للقدرة على التعامل مع مشكلات الحياة وإذا أضفنا إلى هذه العوامل فقدان المتعلمين أنفسهم للثقافة إلى التطعيم نطرا لأن الفرج لا يملك في نهاية دراسته خبرة حقيقية لا إنسانية ولاهنية ولأن فرص العمل قد تضاعفت ومازالت تتعامل باستمرار، يصبح للطرف الآخر أي العملية التعليمية أي الطلاب محرمين عنها وبالتالي أصبحت المؤسسة التعليمية فرضي غير مضمرة وتخرج أجيالا من الجهلة الذين يشكلون جيشا احتياطيا للانحراف أو التطرف وهذا الأمر سوف يتفاقم بعد افتتاح الجامعات الخاصة لأبناء الأثرياء الذين سيستولون على ما تبقى من فرص العمل بدون أن يكونوا قد حصلوا على تعليم حقيقي وقبل أن يصل هؤلاء مع غورهم من غير المتعلمين إلى الانحراف أو التطرف وفي الطريق إليهم يأتي دور وسائل الإعلام في أخفض الأدوات نظرا لتسارع رقة الانتشار وللخصوصية الدورية في كيفية تأثيرها على الجمهور فمن حيث الانتشار نجد أن ٣٤ مائة من كل ألف تصفهم المصحف اليومية وأن عدد أجهزة التلفزيون لكل ألف أسر هو ٧٣٠ في المتوسط وبالطبع ترتفع بالنسبة في العمر إلى ٨٩٢ وتضيق في الريف إلى ٥٨٥ (١٧) وهذه الأرقام تشير إلى أن وسائل الإعلام وخاصة التلفزيوني في أكثر الوسائل وصولا إلى الجماهير الراسخة ولذلك فإن اهتمام الدول بها واضح للبيان إذ يزداد عدد القنوات التلفزيونية والإذاعية باطراد كما يزداد عدد ساعات الإرسال، ومطابقا للكتاب الإحصائي لجهاز المركزي للتحسين للقيام والإحصاء لسنة ١٩٩١ زاد متوسط عدد ساعات الإرسال الإذاعي من ١٥ ساعة يوميا ١٩٥٢ إلى ٣٣٠ ساعة سنة ١٩٨٥ إلى ٣٧٣ ساعة سنة ١٩٩٠ وكذلك الأمر بالنسبة لساعات الإرسال التلفزيوني من ١٤٢ ساعة سنة ١٩٦٠ إلى ٣٨٩٧ ساعة سنة ١٩٧٨ ولاشك أنها تضاعفت الآن بعد افتتاح القنوات الخاصة والسادسة والسابعة والثامنة وقناة النيل الدولية بالإضافة إلى القناة الفضائية المصرية وفي الطريق قنوات أخرى قائمة وامتداد أكبر لساعات الإرسال وتشير إحصاءات وزارة التخطيط إلى أن

الاستهلاك التي تبناها المؤسسات الأجنبية والمسابح الضخمة المعاملة للإعلانات التجارية قد تبدو أيضا متحارضة مع القيم الدينية الميولة في البرامج الدينية ولم نرصد ما يحدث في برامج شهر رمضان أن يكون مثالا واضحا على هذه التناقضات.

ولأن هذه التناقضات واضحة وهناك محاولات واضحة أيضا لإزالتها دون جدوى يصبح من المنطقي أن نعتبرها سمة من سمات النمط الأيديولوجي للتلفزيون يودي إلى اعتباره نمسا مشحنا غير متكامل، وبالتالي لا يودي إلى وظيفة استيعاب المنطق بالإنفاق، والحقبة أنه يقسمه ويسلب شخصيته ويوقعه في مجرد إغراء الصورة والاستجابة لها دون أن يكون مقصدا ضام وهذا يقترب مما يمكن أن نسميه غسيل المخ وهو قضية الدور الذي ينبغي أن تقوم به الثقافة ومن ثم فإن الأثر النهائي للتلفزيون على المشاهدين يتلخص مع الآثار التي رصدها لأجهزة الأخرى سابقا وهي تشويه شخصية المواطن المصري بالإضافة إلى عدم تحقيق احتياجاته الروحية المعقدة.

وفي ظل هذا الوضع تلجأ الطبقات المختلفة من الشعب المصري إلى وسائل إعلامية بديلة ولا شك أن أجهزة الاستقبال الفضائي والتليفزيوني والكاسيت هي أكثر هذه البدائل انتشارا وخاصة لدى الطبقات الغنية والمتوسطة وأما الطبقات الفقيرة التي لا تستطيع امتلاك هذه الأجهزة فإنها تلجأ إلى التعامل السري أو شبه السري مع هذه الأجهزة عبر نوادي الفيديو أو التجمعات أو الدش الحرامى وما إليها وهي وسائل غير خاضعة للرقابة، ومن ثم يمكن أن تؤدي إلى نتائج مدمرة أو غير مصنوعة على كل حال لأنها في الغالب تحقق الاحتياجات الغرائزية على أنماط مشروعة بل تسهم في تنمية هذه الاحتياجات وإيزاها على حساب نمط القيم الكلي الذي يضمن السلامة النفسية للمواطن في ظل اتساق الهوية وعظامها.

إن مجمل الأوضاع التي رصدها سابقا تشير إلى أن فقراء المصريين يعيشون دون أن تلبي احتياجاتهم الثقافية والمعنى المعقود والإنتاج الثقافي السقيم حتى للمتوسطين والأغنياء غير مرض وغير قادر على أن

يحقق شروط التماسك والتكامل الضروريين ناهيك عن التذوق المعقود وتقديرنا أنه في ظل صراع بين قراطينة الدولة ومسالحيها المطبقية مع شروط سياسة التكيف الهيكلي ومع التطور التقني لتكنولوجيا الإعلام والاتصال فإن المآل الذي سبق رصدها سوف تزداد وسوف تزداد أزمة الثقافة ليس فقط بالمعنى الضيق والمحدود وإنما بالمعنى الواسع الذي يشمل نمط القيم المحدود لهوية الوطن المرابط فإذا أمعنا إلى ذلك لتخطيط الواسع لإنتاج ما يسمى بالسوق الشرق أوسطية التي تصبح فيها إسرائيل مهيمنة تكنولوجيا والتكنولوجيا على المنطقة ينتج عن خطر صناع الهوية هو خطر حقيقي أما المتفكرون الوطنيون فإن دورهم قد تقلص وجرى إلى أقصى درجة بحيث إننا لا نستطيع الاعتماد على فعاليتهم في إنقاذ الوضع في اللحظة الراهنة ومالم تتغير كل الأوضاع التي تشكل لهذا المناسب لهذه الأزمة. ■

الهوامش

(١) يشير أطلس معلومات العالم العربى الذى أعده رفيق البستاني وفيليب فارس وصدر ١٩٩٤ إلا أن أكثر من ٥٠٪ من ميزانية مصر يعتمد على الضرائب والموائد من ١١٤.

(٢) المصدر الإحصاء الاقتصادية للبنك الأهلى، النشرة الاقتصادية، المجلد السابع والأربعين، للعدد الثاني، ١٩٩٤، ص ٢٠٩.

(٣) علما بأن عدد السكان مقدر في المصدر نفسه بـ ٥٧,٦ مليون نسمة.

(٤) إحصاء وزارة التخطيط.

(٥) للنشرة الاقتصادية للبنك الأهلى، المجلد ٤٥، ١٩٩٢، ص ١١٠.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر بيانات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء نقل عن د. منحة أحمد عبادة، تحليل سوسيولوجي لمشكلة البطالة في واقع الاقتصاد المصري، بحث مقدم للندوة الأبعاد الاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلي، قسم

الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٦-١٥ مايو ١٩٩٥.

(٨) يشير تقرير التنمية البشرية الصادر عن المعهد القومى للتخطيط ١٩٩٤ إلى أن عدد المترددين على دور السينما سنة ١٩٨٩ قد وصل إلى ٥٢٣ لكل ألف، والسرور ١٧ لكل ألف، والمطاف ٩٩ لكل ألف، أما عدد الكتب بالمكتبات فهي ١٧٠ كتابا لكل ألف. راجع جدول رقم (١٠).

(٩) لابد هنا أن نصوب إلى نصيب القاهرة من المسارح الخاصة ومسارح أخرى تابعة للدولة مثل المركز الثقافي القومى ودار الأوبرا ومركز الفوتوغراف العالمى والجامعات وأكاديمية الفنون وقاعات الفنون والوزارات والهيئات المختلفة.. إلخ.

(١٠) يشير تقرير التنمية البشرية إلى أن نصيب القاهرة من السكان حسب تعداد ١٩٨٦ هو ١٢,٦٪ ولكن هذا الرقم خاص بالقاهرة وباست الكبرى في حين أن نصيب كل من الجيزة والقليوبية التين تشركان في القاهرة الكبرى هو ١٣٪ تقريبا، ولأن نصيب هذا للنصيب أصيب إلى الرقم الأول لوصول إلى ٢٠٪.

(١١) في الأردن مثلا ١٢٪ وفي تونس ١٥٪ وفي السعودية ١٣٪ وفي المغرب ١٧٪ وفي اليمن ١٦٪ تقريبا عن أطلس معلومات العالم العربى بنك المعلومات.

(١٢) تقرير للتنمية البشرية مرجع سابق ص ٣٠٧٢.

(١٣) نفسه ص ٧٣، ١٢٠.

(١٤) نفسه ص ١٢٦.

(١٥) نفسه ص ١٣٠.

(١٦) المصدر نفسه والصحة.

(١٧) تقرير التنمية البشرية مرجع سابق ص ١١٤ والأرقام لعام ١٩٩٠.

(١٨) أطلس معلومات العالم العربى ص ٦٣.

(١٩) نفسه ص ٦٣ ويشير الكتاب السنوى للتعبئة العامة والإحصاء سنة ١٩٩١ إلى أن نسبة البرامج الثقافية في الإذاعة تصل إلى ١٥٪ في سنة ١٩٩٠.

ملحق بالجداول والإحصاءات

جدول رقم (١)
نشاط البيت الفني للمسرح عام ١٩٩٢

النسبة	عدد الرواد	النسبة	عدد الحفلات	النسبة	عدد المسارح	المدينة
%٩٢,٧	١٢٢٤٦٠	%٩٥	١٠٤٩	%٧٥	١٢	القاهرة
%٧,٢	٩٥٤٩	%٤,٥	٥٣	%١٢,٥	٢	الإسكندرية
%٠,٣	٤٣	%,٢٧	٣	%٦,٧٥	١	بورسعيد
٠,٠٠	(٤) -	%,٠٩	١	%٦,٢٥	١	الإسماعيلية
	١٣٢٠٥٢		١١٠٦		١٦	الجملة

* لاحظ أن عدم وجود رواد في حفل الإسماعيلية لا يتفق مع وجود إيراد مرصود، وقدره ٥٠٠ جنيه.
المصدر الإحصائيات الثقافية بوزارة الثقافة للكتاب المستوى ١٩٩٢.

جدول رقم (٢)
نشاط البيت الفني للفنون الشعبية والاستعراضية لعام ١٩٩٢

النسبة	عدد الرواد	النسبة	عدد الحفلات	المدينة
%٨٧,٢	٣٥٩٨٢٥	%٩٠,٢	٩٣٨	القاهرة
%١,٨	٧٥١٠	%٧,٤	٧٧	الإسكندرية
%١٠,٢	٤٢٠٠٠	%٢,٠	٢١	الأقصر وأسوان
%٠,٧٨	٣٢٥٠	%٠,٤	٠٤	طنطا والمحلة
	٤١٢٥٨٥		١٠٤٠	الإجمالي

المصدر السابق

جدول رقم (٣)
نشاط دار التأليف

الحملة		عدد المجلات		عدد الكتب			
التسليم	العدد	التسليم	العدد	التسليم	مترجمة	التسليم	مؤلفة
١١٥٤٢٠٠	٣٠٧	٣١٢٩٠٥	٧٢	١٩٧٦٠٠	٥٥	٦٤٣٧٠٠	١٨٠

المصدر نفسه ص ١٥٠

جدول رقم (٤)
نشاط دار الكتب

المدينة	دار الكتب	المكتبات الفرعية
عدد الكتب المعارة	١٥٠٥٩	٣٣٢٧١٣
عدد القراء	٧٣٩٠٠	١٨٤٨٨٥

المصدر نفسه ص ١٥٠

جدول رقم (٥)
عدد قصور وبيوت الثقافة بالجمهورية عام ١٩٩٢

المحافظة	عدد القصور	عدد البيوت	الجملة	النسبة
القاهرة والجيزة	٥	٤١	٤٦	
الإسكندرية	٤	٥	٩	
وجه بحرى (١٤ محافظة)	٢٠	١٢٦	١٤٦	
وجه قبلى (١٠ محافظات)	١٠	٨١	٩١	
الجملة	٣٩	٢٥٣	٢٩٢	

المصدر السابق ص ٢٢٦

جدول رقم (٦)
نشاط قصور وبيوت الثقافة

مستفيدون	عروض	
٤١٨٢٢١	١٠٠٣	المسرح
٣٦٤٦٦٦	١٢١٢	الموسيقى
٤٢٣٥٦٨	١٠٨١	الفنون الشعبية
٩٢٥٩٣٧	٧٧٤٠	السينما
٣٧٣١٠٤	١٤٧٧	الفنون التشكيلية
٨٢٢٦٩٦		الثقافة العامة
٣٠٩٠٦٧		الثقافة
٢١٣٦٨		الحرف اليدوية

المصدر السابق

جدول رقم (٧)

نشاط قصور وبيوت الثقافة الجماهيرية ١٩٩٢

موزعاً حسب كل محافظة لكل الأنشطة المسرح - الموسيقى - الفنون الشعبية - السينما - الفنون التشكيلية - ثقافة عامة - قافلة

عدد العروض المختلفة	المحافظة
٦٩٦	الإسماعيلية
٤٧٩	السويس
٤٤٨	شمال سيناء
١١٨٥ (٩)	جنوب سيناء
٥٣٢	دمياط
١١٠٩	الدقهلية
١٢٨٧	الشرقية
٢٧٥	الجيزة
٥٠٠	القيوم

عدد العروض المختلفة	المحافظة
١٣٢٤	القاهرة
٦٢٨	الإسكندرية
٣٩١	مرسى مطروح
١٣١٠	البحيرة
٧١١	كفر الشيخ
٦٩١	الغربية
٨٨٧	المنوفية
٩٦٧	القليوبية
٢٠٥	بور سعيد

تابع جدول رقم (٧)

تابع نشاط قصور وبيوت الثقافة موزعاً على كل محافظة - سنة ١٩٩٢

عدد العروض المختلفة	المحافظة
١٠٥٤	بنى سويف
١٩١٤ (٩)	المنيا
٤٨٤	أسيوط
٦٨١	سوهاج
١١٩٢ (٩)	قنا
١٠٥٠	أسيوط
٧٩٥	الوادى الجديد
٢١٧	البحر الأحمر
٢١٠١٢	الإجمالى
٦٣٣٩٧٢٩	إجمالى المستفيدين:

للمصدر السابق .

جدول (٨)
نشاط مكاتب قصور وبيوت الثقافة سنة ١٩٩٢

المحافظة	عدد القراء	النسبة	عدد الكتب المعارة	عدد المكتبات	النسبة
القاهرة	٢١٢٤٦		١٠٥٤٣	٢٢	
الإسكندرية	٣٨٤٣٢		١٥٤٠٤	٦	
مرسى مطروح	٣٩٠٩		٧١٨٨	٦	
البحيرة	١٠٣٩٥٣		٣٤٠٣٥	٢٦	
كنز الشيخ	٧٨٧٧٠		٨٧٦٧٣	٢١	
الغربية	٤٤٠٧٨		٣٥٢٨٢	٢٧	
المنوفية	٤٥٤٤٩		٩٤٥٦٤	١٥	
القليوبية	٥٥٥١١		١٦٩٨٦	١٧	
بورسعيد	٦٣١٣١		٥٧١٤٣	٨	
الإسماعيلية	٢٥٠٨٧		٥٢٠٧٩	٧	
السويس	٤٨٩٣		٩٧٨١	٦	
شمال سيناء	٧٢٧٠		٣٨٨٨	١٠	
جنوب سيناء	١٢١٥٧		١٢٧١٣	٨	
دمياط	٥٢٢٩٨		٥٠٩٤٣	١٣	
الدقهلية	١٣٠١٥		١٦٦٩٥	٣٠	
الشرقية	١٠٦٥٠		٩٢٤٧	١٧	
الجيزة	٥٣٦٣		١٠٤٠٦	١٨	
الفيوم	٣٠٦٦١		٣٨٨٦٨	١٢	
بنى سويف	٥١٨٦		٤٩٧٨	٩	
المنيا	٤٦٩٩٩		٤٨٧٦٧	١٥	
أسيوط	٤٠٤٢٧		٥٩٢١٩	١٤	
سوهاج	٤٨٠١٨		٥٢٠٤٧	١٣	
قنا	٧٨٣٤١		٧٧٠٨٧	١٥	
أسيوط	٣٢٧٤٣		٩١١١	١٥	
الوادى الجديد	٢٢٩٥٦		٢٣٠٧١	١٤	
للبحر الأحمر	٣٣٥٢		١٦٦٩	٥	
الإجمالي	١١٦٣٠٠١		١١٦٧٥٣٨	٣٧١	

المصدر السابق

جدول (٩)
مبيعات هيئة الكتاب سنة ١٩٩٢

النسبة	المبلغ	الفرع أو المكتبة
٦١,٦ ٪	٨٠٨٥٣٨	القاهرة
	٢٠٢٢٧٣	١٤ فرعاً ومركزاً الإسكندرية
	٢٣٣٢٧٧	فرع ومركز بقية المحافظات ٩ مكاتب
١٠٠ ٪	١٣١٢١٧١	الجملة

للمصدر السابق من ١٥٣ - ١٥٦

جدول رقم (١٠)
بعض الملامح الأساسية للاتصال (الثقافة)

عدد المترددين على المتاحف سليوا لكل ألف نسمة ١٩٩٠	عدد المترددين على المسارح سليوا لكل ألف نسمة ١٩٨٩	عدد المترددين على دور السينما سليوا لكل ألف نسمة ١٩٨٩	أجهزة التليفزيون لكل ألف أسرة		المحافظة
			ريفي	إجمالي	
١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٨٩	١٩٨٦	١٩٨٦	
٤٣٩	٣٦٤	٥٢	-	٩٨٥	للقاهرة
٢٧٧	٣٧٥	٤٤	-	٩٣٤	الإسكندرية
-	١٩٤	-	١٠١١	٩٨٨	بورسعيد
٤٤٧	-	٧٦	٣٧٧	٩٣٣	السويس
٣٩١	٣٤٦	٥٢	-	٩٥٢	المحافظات الحضرية
-	٣٥	-	٧٥١	٧٩٠	دمياط
-	٧	-	٦٨٤	٧٣٥	الدقهلية
-	٤	-	١٨٣	٦٣٨	للشرقية
-	١٢	-	٢٠٩	٧٢٣	للقليوبية
-	-	-	١٩٢	٥٣٩	كفر الشيخ
-	١٠	-	٤٦٨	٧٥٩	للغربية
-	صفر	-	٢٩	٦٧٥	للمنوفية
-	٦	-	٢٤٠	٥٤٩	البحيرة
-	٣٢	-	٦٤٣	٧٤٦	الإسماعيلية
٩١	٧	٦	٢٣٢	٦٥٠	الوجه البحري
-	-	-	-	٨٦٣	حضر
-	-	-	-	٦٥٠	ريفي
-	٢٣٢	-	٣٨٨	٨٤٤	الجيزة
-	-	-	٥٣	٤٣٤	بلى سوف
-	٨	-	٢١٢	٩٢٣	ألفيوم
-	٨	-	١٤٨	٤٣٣	المنيا

تابع جدول (١٠)
بعض الملامح الأساسية للاتصال (الثقافة)

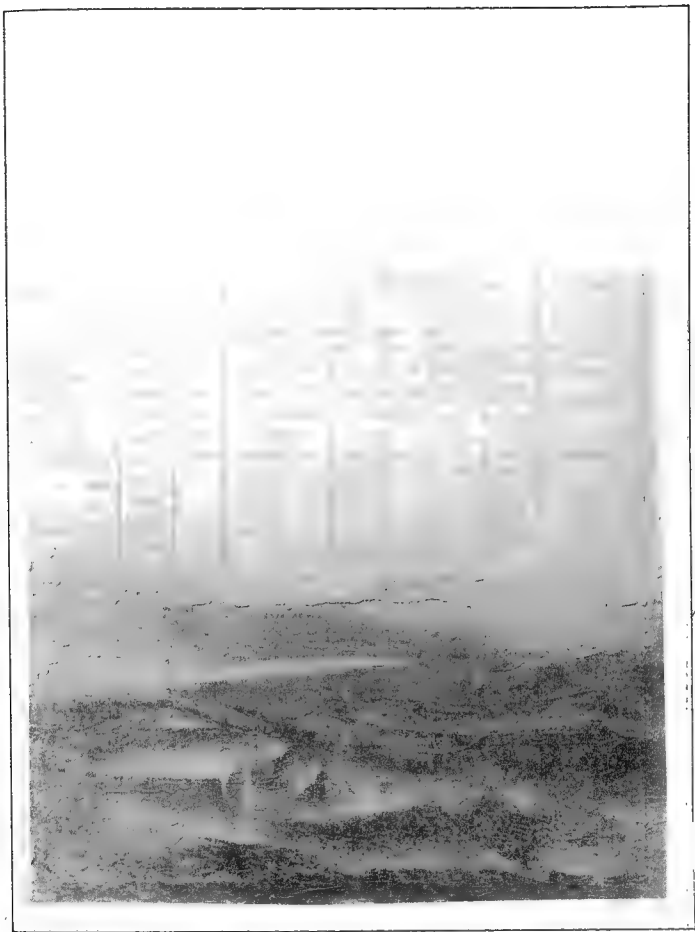
المحافظة	أجهزة التليفزيون لكل ألف أسرة		عدد المترددن على دور السينما	عدد المترددن على المسارح	عدد المترددن على المتاحف	عدد الكتب بالمكتبات لكل ألف نسمة
	إجمالي	ريف	١٩٨٩	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٨٨
أسيوط	٤٩٦	٤٢٠	٢١٢	-	١	-
سوهاج	٥٢٩	٤٧٢	١٦٦	-	-	-
فنا	٦٢٩	٥٨٤	٩٤	-	١١٤	-
أسيوان	٧٥٦	٧٠٢	١٣٥٣	-	١٠٩	-
الوجه القبلى	٦١٥	٥١٣	٢٦٠	١٠	٧٧	١٤٠
حضر	٨١٥	-	-	-	-	-
ريف	٥١٣	-	-	-	-	-
البحر الأحمر	٨٢٩	٤٩١	-	-	٨٣	صفر
الوادي الجديد	٧٩٣	٧١٩	-	-	-	صفر
مرسى مطروح	٥٠٢	١٥٥	-	-	١٢٦	-
شمال سيناء	٥٢١	٢٠٤	-	-	٨٠	-
جنوب سيناء	٣٧٧	١٦٢	-	-	-	-
محافظة الحدود	٦١٠	٣٢٣	٤٣	٨	٧٨	١٨٧
حضر	٨٠١	-	-	-	-	-
ريف	٣٢٣	-	-	-	-	-
مصر	٧٣٠	-	٥٢٣	١٧	٩٩	١٧٠
حضر	٨٩٢	-	-	-	-	-
ريف	٥٨٥	-	-	-	-	-

المصدر: تقرير التنمية البشرية - المعهد القومى للتخطيط للقاهرة ١٩٩٤ ص ١٣١ .

جدول (١١)
توزيع ونشاط قصور وبيوت الثقافة داخل القاهرة سنة ١٩٩٢

الأحياء	عدد القصور والبيوت	النسبة	عدد العروض	عدد المستفيدين	النسبة
الأحياء الفنية:	١٧	٪٦٨	٧٧٨	٧٢٧٩٧	٪٥٨
الأحياء الشعبية:	٨	٪٣٢	٥٤٦	٥٣٣٣٩	٪٤٢
الإجمالي	٢٥		١٣٢٤	١٢٦١٣٦	

الإحصاءات الثقافية بوزارة للثقافة ، الكتاب السنوى ، مصدر سابق ص ١٧٨ - ١٨١
لتخصيص للجدول رقم ٥٤ وقد شمل كل العروض والمعارض والتدريبات ، فيما عدا البند الأخير لخاص بالمعرف للبيوتية .



الفكر والخيال

- ٤٤ الغرب متفرد لاكوني، صامويل ب. هسجتون. ٥٤ ردود، ج. جون
إيكيرس. تونس سميت. ديفيد هاول. بروس سباوم. ترجمة، ناصر
الجلواس. ٥٨ العدوان المشين، نعيم تشومسكي. ترجمة، اسامة القفاش.
٧٦ في نهاية التاريخ وصراع الحضارات، عبد الوهاب المسيري. ٨٦ الأصوية
في الغرب والإقطاع الكوني القادم، مهدى بندقي. ٩٢ الفلسفة وإشكالية
العلاقة بين الشرق والغرب، علاء حـمـرـوش.



توقيع الحاجي كارتا . لوحة قديمة

التحديث ليس كافياً:

ق في الأعرام الأخيرة أعاد الغربيون تأكيد قرائتهم وأثاروا حذق الآخرين بتوضيحيهم لفكرة أن ثقافة الغرب هي، وببساطة لها أن تكون، ثقافة العالم.. اتخذت هذه الفكرة شكلياً؛ الأول هو مسألة استعمارية الكولا، ويدعى مناصروها أن للثقافة الشعبية الغربية، وبمحدد أكبر الأمريكية، ثقافة العالم؛ طعام أمريكي، ملابس، موسيقى البوب، أفلام، وسلع استهلاكية يزداد انكباب الناس عليها في كل قارة. والشكل الآخر يتعلق بالتحديث، ولا يدعى هذا الشكل أن الغرب قد قاد العالم إلى المجتمع الحديث فقط وإنما يدعون كذلك أنه بقدر ما يتم تحديث الناس في الحضارات الأخرى يتم غريبتهم^(١)، بتخليهم عن قيمهم التقليدية ونظمهم الاجتماعية وعاداتهم وتديهم تلك السائدة في الغرب، كلا الطرفين يقدمان صورة عالم غربي بلزغ ونصف بالعالمية والآنالف. وكلاهما، بدرجات متفاوتة، ضال متجرف وزائف وخطر.

يحدد دصاة مسألة استعمارية الكولا الثقافة بأنها استهلاك السلع المادية. إن قلب أي ثقافة يتضمن، بأية حال، لغة وديانة وقيماً وتقاليد وعادات. إن إحساس للزمن لمشروب الكوكاكولا لا يجعلهم يفكرون كأمرئكان بأكثر مما يؤدي أكل الأمريكان للسوشي إلى أن يفكروا كيابانين. عبر التاريخ الإنساني، انتشرت الثقافات والسلع المادية من مجتمع لآخر دون أن يحدث ذلك تحويلاً بالغ التأخير في الثقافة الأساسية للمجتمع المتلقى لها. اجتاحت العالم الغربي، بصورة دورية، الحماسة لعدد من مفردات الثقافة السيدية والهندوسية والثقافات الأخرى، دون حدوث تجاوز مستمر يمكن ملاحظته. إن الادعاء بأن انتشار الثقافة الشعبية pop culture والسلع الاستهلاكية في أنحاء العالم، يمثل انتصار الحضارة الغربية هو أمر يستخف بكرة الثقافات الأخرى بينما يقلل من قدر الثقافة الغربية بحصرها في الأغذية المسممة والبطلونات ذات الألوان الباهتة والمشروبات الغازية. إن جوهر الثقافة الغربية هو الخريطة الهائلة، وليس ساندويتش الماك الصنخ.

الفـرـب

مـتـفـرد

لا كـونـى

صامويل بـهـنـتـيـنـجـتـون

الغرب متفرد إكسوني



إن دعوى التحديث أمر أكثر جدية، من الوجهة العقلية، من مسألة استعمارية كالكولاء، ولكنهما معاً يعبران بالدرجة نفسها.. لقد تمكن الانسحاب الهائل للمرحلة العظيمة والهندسية، والذي تحقق في القرن التاسع عشر، الإنسان من التحكم في بيئته وتشكيلها بطرق غير مسبوقة. إن التحديث يتضمن التصنيع والتمدن وارتفاع مستوى التعليم والتعلم والصحة والديمقراطية الاجتماعية - social mobilization، وبنيات مرفوعة متدرجة وأكثر تركيزاً.. إنها عملية ثورية مقارنة بالانتقال من مجتمعات بدائية إلى مجتمعات متحضرة في وادي دجلة والفرات، وادي النيل، وادي السند حوالي ٥٠٠٠ ق.م. إن مزايا وقيم ومعرفة وثقافة من ينتمون إلى مجتمع محض، تختلف تماماً عن تلك الخاصة بمن ينتمون إلى مجتمع تقليدي. كان الغرب، باعتبار الحضارة الغربية الأولى التي تأخذ بالتحديث، هو أول من أتم اكتساب ثقافة الحداثة. وبحث إن المجتمعات الأخرى اتخذت أنماط التحول نفسها والعمل والصحة والبنية الطبقية، فإن دعوى التحديث ضمنى، وصيغ ثقافة الغرب تلك هي ثقافة العالم.

إن وجود اختلافات بالغة الأهمية بين الثقافات الحديثة والتقليدية هو أمر يتجاوز النقاش.. ففي عالم تتميز بعض مجتمعاته بالتحديث التام في حين بعضها أخرى تقليدية سيكون بلا شك عالماً أقل تجانساً من عالم تكون كل مجتمعاته حديثة بنحو متناظر.. لا يندفع ذلك بالضرورة أنه على المجتمعات ذات الثقافات الحديثة أن تكون أكثر تشابهاً مما عليه المجتمعات ذات الثقافات التقليدية؛ فمعدّد عدة مئات من السنين فقط كانت كل

المجتمعات تقليدية.. هل كان ذلك عالماً أقل تجانساً من عالم التحديث الكوني المستقبلي المحتمل نشوءه؟ ربما لا. وإن صين مينج^(١)، كانت بلا شك أقرب إلى فرنسا فأولاً^(٢)، كما يرى فريماند بروهل^(٣) بأنكر ما كانت عليه صين ماوتسي تونغ بالنسبة إلى فرنسا الجمهورية الخامسة، إن للمجتمعات الحديثة كثيراً من الأشياء المشتركة، ولكن هذه المجتمعات لا تندمج بالضرورة بنحو متجانس، والإدعاء بأنها تستلزم إلى افتراض أنه ينبغي للمجتمع الحديث مقاربة نمط مفرد؛ للنمط الغربي؛ حيث إن الحضارة الحديثة حضارة غربية، والمضارة الغربية حضارة حديثة. ذلك، بأية حال، تطابق زائف. واقع الأمر أن كل دراسة الحضارة تحققين على أن الحضارة الغربية برزت في القرنين الثامن والتاسع وطورت سماتها الخاصة خلال القرون اللاحقة. إنها لم تأخذ بأسباب التحديث حتى القرن الثامن عشر، الغرب، باختصار، كان غرباً لمدة طويلة قبل أن يصبح حديثاً.

ما الذي يجعل الغرب غريباً؟

ما هي السمات المميزة للحضارة الغربية خلال مئات الأعوام قبل أن تأخذ بأسباب التحديث؟ يختلف عدد من الباحثين ممن أجابوا عن هذا السؤال حول بعض الأمور المميزة ولكنهم اتفقوا على عدد من النظم، السمات والسمات والمعتقدات التي قد تكون تصدّت بنحو مشروع باعتبارها لب الحضارة الغربية.

الإرث الكلاسيكي: ورث الغرب، باعتباره الجيل الثالث للحضارات، كثيراً من الحضارات السابقة، ومن بينها أكثر الحضارات الكلاسيكية شهرة. والموروثات الكلاسيكية في الحضارة الغربية عديدة، وتضمنت الفلسفة والعقائد اليونانيتين والتأثير الروماني واللغة اللاتينية والمسيحية. لقد ورثت كل من الحضارتين الإسلامية والأرثوذكسية من الحضارة الكلاسيكية وإنما بدرجة لا تداني ما ورثه الغرب.

المسيحية الغربية: إن المسيحية الغربية بدءاً بالكنائز البروتستانتية، هي التمييز التاريخي الأكثر أهمية وتفرّداً للحضارة الغربية، وبالفعل، فإن ما يعرف الآن

باعتباره الحضارة الغربية، كان خلال معظم ألفيته الأولى، يدعى بالعالم المسيحي الغربي. كان هناك شعور تام بالمجتمع بين المسيحيين الغربيين؛ شعور جعلهم يحسون بالتمايز عن الأتراك والغرب والبيزنطيين وغيرهم. وعندما خرج الغربيون لغزو العالم في القرن السادس عشر قاموا بذلك لأجل الغرب وكذلك لأجل الذئب. وبعد الإصلاح الديني Reformation^(٤) وأيضاً الإصلاح الديني المضاد واتقن العالم المسيحي الغربي إلى بروتستانتية وكاثوليكية. والنتائج السياسية والفكرية لهذا الصدد - ملامح مميزة للتاريخ الغربي، تدوب تماماً عن الأرثوذكسية الشرقية وأقصمت من التجربة اللاتينية أمريكية.

اللغات الأوروبية: اللغة هي التالية في التدريب الذين كعامل مميز لأولئك المتنتمين إلى ثقافة ما عن المتنتمين إلى ثقافة أخرى. ويختلف الغرب عن معظم الحضارات الأخرى بما لديه من تعدد في اللغات. فالإبانية والهندية والصينية والروسية وحتى العربية عرفت باعتبارها اللغات الغربية لحضارات أخرى. لقد ورث الغرب اللغة اللاتينية، لكن عدداً من الأمم نشأت في الغرب، ومعها نشأت لغات محلية ثم تصنيها بنحو شهر دقيق تحت مقولات الرومانية والجرمانية. وبحوالي القرن السادس عشر تقلدت هذه اللغات أشكالها المعاصرة، وأصبحت اللاتينية المجال للفرنسية كلفة عالمية مشتركة للغرب، وفي القرن العشرين أدخلت الفرنسية في مواجهة اللغة الإنجليزية.

فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية: طوار التاريخ الغربي، قامت السلطة الدنيوية Church أولاً، ثم عديد من الكنائس بعدها، بنحو منفصل عن الدولة. الله والقيصر، الكنيسة والدولة. السلطة الروحية والسلطة الدنيوية كانا يشكلان ثنائية سائدة في الثقافة الغربية. فقط في الحضارة الهندية، وكانت السياسة والدين منفصلين بنفس هذا القدر من الوضوح. في الحضارة الإسلامية، الله هو الحاكم. في الصين واليابان، فيقسم هو الإله. في الأرثوذكسية الرب هو الشريك الأصغر للقيصر. هكذا فإن الله وممارسته الفصل - بين كنيسة ودولة، والذي يمثل الحضارة الغربية، لم يتحقق في

حصارة أخرى، وقد أسهم ذلك الفصل بين السلطات بقدر هائل في نمو الحرية في الغرب.

قاعدة القانون.

إن تصور مركزية القانون للوجود المتحضر، موروثة من الرومان. وقد تقصى مفكرو العصر الوسطى فكرة القانون الطبيعي، والذي كان يفترض في الملوك أن يزاووا سلطانهم بحسبه، وقد نشأ في إنجلترا تقليد القانون العام. وخلال فترة الحكم الاستبدادي المطلق في القرنين السادس عشر والسابع عشر، لوحظت قاعدة القانون في حالات مخالفتها بأكثر من حالات تطبيقها، غير أن فكرة إخضاع القوة الإنسانية لتأجيل خارجي تواصلت: لا يوجد إنسان مهيم وإنما إله يقابلون sed sub homine Non deo et lege. لقد وضع تقليد قاعدة القانون Rule of Law أساس الحكم الدستوري وحماية حقوق الإنسان، وضعتها حقوق الملكية، في مقابل الممارسة الاستبدادية للسلطة، وفي بعض الحضارات الأخرى كان القانون عاملاً أقل أهمية بكثير في تشكيل الفكر والسلوك.

التعددية الاجتماعية والمجتمع المدني كان المجتمع الغربي على مر التاريخ متصدياً بحد كبير. إن ما هو مميز فيما يتعلق بالغرب كما ينظر كارل دويتش هو نشوء واستمرار جماعات شتى تتجمع بالحكم الذاتي وغير مؤسسة على علاقات الدم أو للزواج (١). بدءاً من القرنين السادس والسابع، تضمنت هذه الجماعات الأندية والنظم الرهبانية والمطالقات في أول الأمر، ولكنها انتشرت بعد ذلك في أنحاء أوروبا لحدوث عديد من الجماعات والمجموعات.. وأكثر من ألف عام، كان للغرب مجتمعه المدني الذي ميزه عن الحضارات الأخرى. تحددت ارتباطات محددة بتحديدية طبقية. وقد تضمنت معظم المجتمعات الغربية الأوروبية طبقة أرستقراطية ذاتية الحكم وقوية نسبياً، وطبقة عظيمة من الفلاحين، وطبقة متوسطة ولكن ذات أهمية من التجار ورجال الأعمال. كانت قوة الأرستقراطية الاقتصادية مهمة بنحو خاص لأجل تنويع قدرة الحكم الاستبدادي على ترسيخ جذوره في معظم الأمم الأوروبية.. وتكثرت تلك التعددية الأوروبية

بعدها مع فقر المجتمع المدني وضعف الأرستقراطية وقوة الإمبراطوريات البيروقراطية المركزية التي توافقت خلالها نفس القدرات الزمنية في روسيا والصين والأراضي العثمانية وفي المجتمعات اللاغربية الأخرى.

الكيانات النشائية: في تاريخ مبكر ساعدت التعددية على نشوء الملبقات estates ومؤسسات أخرى ملكت مصالح الأرستقراطية ورجال الدين والتجار والجماعات الأخرى. وقررت تلك الكيانات أشكالاً من التمدد فخلقت خلال عملية التحديث في النظم الاجتماعية للديموقراطية الحديثة. وفي بعض الأصول، خلال عصر الحكم الاستبدادي، تم إلزامها، أو تقليص قدراتها بصورة كبيرة، ولكن حتى مع حدوث ذلك، فقد استطاعت تلك الكيانات كما في فرنسا، أن تستعيد وجودها كأداة للمشاركة السياسية الواسعة. واليوم، ليس ثمة حضارة شاملة مثل هذه الإرث من الكيانات للمثلية التي تعود إلى ألف عام. كذلك تطورت حركات الحكم الذاتي self-government على المستوى المحلي، بانه في القرن التاسع في مدن إيطاليا لم توبعت شمالاً، كنزاع السلطة من الأساقفة والنبلاء وأخيراً، في القرن الثالث عشر، مبدية إلى تلك الكيانات الكونفدرالية من المدن المستقلة القوية، مثل كوتل هانزياتييك Hansatic League. بالتالي كان الميثاق على المستوى القومي مدعوماً بمعيار من الاستقلال السياسي الذاتي على المستوى المحلي. وهو معيار لم ير في أي من مناطق العالم الأخرى.

الفرديية: أسهمت عديد من الملامح السابقة للحضارة الغربية في ظهور حس بالفرديية وتقليد يرضى المصالح الفرديية وحريات مخففة فيما بين المجتمعات المتحضرة. تمت الفرديية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. وفي حوالي القرن السابع عشر، ساد في الغرب قبول بحق الاختيار الفردي والذي يصورهم كارل دويتش في عبارة ثورة ريمبر وجوابوت، كما نشأت مطالب تنادي بالمعقود المتمايزة للجميع «للقراء في إنجلترا حياة بوجودها ملغماً للأعداء» - وإن لم يتم قبولها في كل أنحاء العالم. تمثل الفرديية ملجأً مميّزًا

لغرب في حضارات القرن العشرين إذ نجد في أحد التحليلات، والذي يتعرض لجماعات سكانية مختلفة من ٥٠ دولة، أن الدول العشرية التي تسجل أعلى مؤشر لمعدل الفرديية تتضمن سبع عشرة دولة أوروبية. وفي استقصاء ثقافي مقارن آخر حول الفرديية والجماعية collectivism فتأكد وجود مائل هيمنة الفرديية في الغرب مقارنة بعبادة الجماعية في الأنحاء الأخرى من العالم، مستنداً أن القيم ذات الأهمية النسبية في الغرب، تعد متشابهة الأهمية في أنحاء العالم (٢). وثانية ومجدد فإن كلا من الغربيين واللاغربيين يشهدون إلى الفرديية باعتبارها العلامة المركزية المميزة للغرب.

إن القائمة السابقة ليست إحصاء شاملاً للنمات المميزة للحضارة الغربية، كما أنه لم يقصد بها أن تتضمن أن تلك السمات كانت موجودة دلماً في كل أنحاء المجتمع الغربي. بالتأكيد ليست كذلك: إن عديد من النشأة في العالم الغربي تجاهلوا باستمرار قاعدة القانون وعلقوا العمل بالكيانات المتعددية.. وكذا لم نر إلى افتراض أن سمة من تلك السمات لم تظهر في الحضارات الأخرى. من الواضح أن تلك الحضارات قد اتسمت بها: فالقرآن والشريعة وشكلان القانون الأساس للمجتمعات الإسلامية، كما حازت اليابان والهند نظاماً طبقيّة توازي تلك التي للغرب (وربما كنهية ذلك كاتاهاما المجتمعين اللاغربيين الكوريين والبريطانيين اللذين أيدا حكومات ديموقراطية لأي مدة من الزمن). بحدود فردية، فإن من هذه الممارسات تقريباً لا ينفرد بها الغرب، ولكنه يطرده بالتوازية التي تتكون منها نماء والتي ملئت الغرب خاصيته المميزة. لقد كانت تلك الخصائص والسمات والنظم الاجتماعية أكثر شيوعاً في الغرب منها في الحضارات الأخرى. إنهما تشكل التلب للوجود في ذلك الحضارة الغربية، إنها ما هو غربي، ولكن ليس ما هو حديث فيما يتعلق بالغرب.

كذلك أسس الالتزام تجاه الحرية الفرديية التي تميز الآن الغرب عن الحضارات الأخرى. إن أوروبا، كما تذكر أرنست م. شليوسنجر الصغير، هي المصدر - المصدر الفردي لأفكار الحرية الفرديية والديموقراطية

الغرب متفرد إكسوني



١٩٩٤ قائلا، إن المستجلبات الأجنبية حسنة مكائدها، براقية وعالية الجودة... غير أن النظم الاجتماعية والسياسية المجرية المستجلبات من مكان آخر قد تكون مضمرة - أسلرا شاه إيران إن الإسلام بالنسبة لدا ليس مجرد ديانة ولكنه أيضا أسلوب حياة، نحن للمعويدين نرغب في التحديث ولكننا لا نرغب بالضرورة في الغربية، لقد أصبحت اليابان وسفانقورة وتايوان والمعمودية ودرجة أقل، إيران مجتمعات حديثة دون أن تصبح مجتمعات غربية: إن الصين تقوم بالتحديث ولكن من المؤكد أنها لا تقوم بالغربية.

إن الخفايا والاستعمارة فيما بين الحضارات أمر دلك الحديث، وقد أصبح بحث على نطاق أوسع بفصل الوسائل الحديثة للنقل والاتصالات. على أية حال فإن معظم حضارات العالم العظيمة بقيت على الأقل ألف عام وفي بعض الأحيان عدة آلاف من السنين، ولذلك الحضارات سجل واضح من الانتقال من الحضارات الأخرى، بوسائل تزيد من فرصها في اللقاء. استعاب الصين لبوذية الهند، يوافق الباحثون على أنه لم يصب في -هندنة Indinization الصين، وإنما في جعل البوذية صينية. لقد عدل الصينيون البوذية لأجل أن تراقق أغراضهم وحاجاتهم. على الصينيين أن يورخوا لتخليهم الدائم على الجهود الغربية المكثفة للتصويرهم، وإذا ما كان قد حدث في لحظة ما أن استعاب الصينيون المسيحية، فإنه أكثر من مجرد احتمال أنه كان سيتم استعابها وتعديلها بطريقة تؤدي إلى تعزيز لب الثقافة الصينية لذلك.

بحسب مماثل، في قرون سابقة، قام العرب المسلمون بخلق وتقدير واستخدام «إرثهم الهليني لأسباب استعمارية جوهريا، ولكنهم شديدي الاهتمام بالتحالف أشكال أرا مظهر تقوية خارجية معينة، فقد عرفوا كيف يهلون كافة العناصر في الكيان الفكري اليوناني والتي قد تتعارض مع «المقيدة، كما تأسست في المعايير والفرض القرآنية الأساسية، وقد التبت اليابان النهج نفسه. ففي القرن السابع استجلبت اليابان اللغة الصينية وقامت «بإجراء التحويل، دونما إيماز خارجي، ويعمد عن أي مضغوط اقتصادية وعسكرية، لترقى بالبحارة». وخلال القرون التالية، كان ثمة فترات من

السياسية وقاعدة القانون وحقوق الإنسان والعرية الثقافية... تلك أفكار أوروبية، ليست أسورية أو أفريقية أو شرق أوسطية إلا في حالات تبني هؤلاء لها...^(٩) تشكل تلك المفاهيم والسمات المميزة - بمقدار واسع - جزءا من العوامل التي مكنت الغرب من أن يكون له السبق في تحديث نفسه وتعديث العالم. لقد جعلت من الحضارة الغربية حضارة فريدة، والحضارة الغربية لنفسه ليس لأنها عالمية وإنما لأنها متفردة.

هل يمكن للأخرين نسخ الغرب؟

لتحقيق التحديث، ينبغي للمجتمعات اللأغربية أن تتخطى من ثقافتها وأن تتبنى العناصر الجوهرية للثقافة الغربية؟ في وقت آخر كان قادة مثل هذه المجتمعات يفكرون في أن ذلك أمر ضروري. كل من يهتسر الأعظم ومصطفى كمال أتاتورك، عزا ما على تحديث بلديهما متعتين بأنه لتحقيق ذلك ينبغي لمجتمعيهما تبني الثقافة الغربية حتى إلى الحد الذي يمكن معه أن يستبدلوا بضاه الرأس التقليدي عليه القري... وخلال إنجازهم ذلك خلقا بلدانا متفسيحة، غير موفقة من هويتها، كما أن المستجلبات im-ports الثقافية الغربية لم تساعدهم بنحو مهم في مسهم لتحقيق التحديث. وفي الأغلب فإن قادة المجتمعات اللأغربية قد سوا إلى إنجاز التحديث وبذرا الغربية - west-ernization وتلخص عنهم في عبارات Ti-yong (التعليم الصيني للمبادئ الأساسية، والتعليم القرني للاستخدام العملي)، woken.yose، الروح اليابانية، والتقنية الغربية) قلها المصلون الصينيون واليابانيون منذ قرن مضى، وفي المملكة العمودية على الأمير بدر بن سلطان عام

العزلة النسبية عن التأثيرات القارية، تم خلالها فرز المستجلبات السابقة واستعاب المفيد منها، تلتها فترات من الاتصال المتجدد والاتصال الثقافي، وبالكيفية نفسها، تقوم اليابان ومجتمعات لا غربية أخرى اليوم باستعاب عناصر مختارة من الثقافة الغربية مستخدمين إياها لترسيخ هويتهم الثقافية. سيكون الأمر، كما يرى برونل Broudel، أقرب إلى «الطفولية، أن نعتقد أن «التصار الحضارة في المفرد، سوف يؤدي إلى نهاية تعددية الثقافات التي نهضت لقرون في حضارات العالم العظيمة»^(١٠).

رد فعل ثقافي مضاد

إن التحديث والتنمية الاقتصادية لاجتماعي لا يتجانس غربية ثقافية، على العكس، فإنهما يتجهان لإعاش، وعلى متجددا تجاه الثقافات المحلية. على المستوى الفردي، فإن حركة الناس داخل أعمال ومباني اجتماعية ومدن غير مألفة تعظم روابطهم المحلية التقليدية، وتولد مشاعر الاغتراب واللامعيارية anomie^(١١)، وتخلق أزمة هوية ولتلي غالبا ما يزودها الدين بعل. وعلى المستوى الاجتماعي، فإن التحديث يلقي الشريرة الاقتصادية والشريرة العسكرية للدولة ككل كما بحث الناس على الثقة في قرائمهم وأن يصحبوا شديدي الوثوق ثقافيا كمتحصلة، فمديد من المجتمعات اللأغربية رأيت عائد الثقافات المحلية. وهي تتخذ في الغالب شكلا دينيا، والانبعاش العالمي للدين هورندجة مباشرة للتحديث. في المجتمعات اللأغربية يتخذ ذلك الإحواء، بشكل لازم تقريبا، قالب ملاحظة الغرب، كما يرفض - في بعض الحالات - الثقافة الغربية بسبب كونها مسيحية ومضرة، وفي حالات أخرى بسبب أنها عثمانية ومتفسفة، وعائد الثقافة المحلية يمكن ملاحظته بوضوح في المجتمعات الإسلامية والأسبوية. لقد تيددت النهضة الإسلامية في كل بلد إسلامي، وفيها جميعا تقريبا أصبحت حركة فكرية وثقافية واجتماعية كبيرة، وفي معظم هذه البلدان كان تأثيرها قويا في السياسة. في عام ١٩٩٦، كانت كل البلدان الإسلامية بالفعل، عدا إيران، أكثر إسلامية دينيا وترجها في نظرتها وممارستها ونظمها الاجتماعية

ما كانت عليه منذ ١٥ عاماً: ففي البلدان التي لا تشكل فيها القوى السياسية الإسلامية الحكومات، نهدما لتوسط بدور متزايد وغالباً ما تكتسح مواقع المعارضة للحكومة، وعبر للمال الإسلامي فيخذ الناس رد فعل متحاذ للتسليم للفرقوي Westoxification، لمجتمعاتهم.

مرت مجتمعات شرق آسيا بإعادة اكتشاف مراز لتقيم المحلية، وخططت بصورة متزايدة مقارنات غور محاذلة بين ثقافتهم والثقافة الغربية. ولعدة قرون، ومعهم شعوب لا غربية أخرى، غبطوا الأزياء الاقتصادية والعبارة للتكنولوجيا والقوة العسكرية والتماسك السياسي للمجتمعات الغربية. لقد تقصروا سر هذا النهج، في الممارسات والمبادئ الغربية، وعندما تفرغوا على ما اعتقدوا أنه قد يكون مخاض هذا النهج حاولوا تطبيقه في مجتمعاتهم. والآن على أية حال - فإن تغييراً أساسياً قد تحقق. واليوم تطوّر دول شرق آسيا تطورها الاقتصادي للدراسي لا إلى استيرادهم للثقافة الغربية وإنما إلى تسكهم بثقافتهم. لقد نهجوا، يقرّون، لا بسبب أنهم أصبحوا شبيهين بالغرب، وإنما بسبب أنهم ظلموا مختلفين عنه. وبكيفية مشابهة إلى حد ما أصبحت شعرت المجتمعات اللا غربية بالضيق في علاقتها بالغرب، ليس عدد من قاعدتها القيم للغربية المستطعة بحق تقرير المصير والليبرالية والديمقراطية والحرية ليوبروا. ممارستهم للهبة الغربية الملتية. والآن بعدما زال ضعفهم وزادت قوتهم فإنهم يبدون أنهم نفساً والتي استعصموا من قبل لدم صحتهم بأنهم «إمبرورالية» حقوق الإنسان. وفيما تنقص القوة الغربية، كذلك تنقص جانبية لتقوم والثقافة الغربيين، يولج الغرب الحاجة لتلبية نفسه لثمة اللداعي التي تذاب قدرته على فرض قيومه على المجتمعات اللاغربية. وبدور جدي فإن كثيراً من دول العالم تصبح أكثر حذرة وأقل غريبة.

وأحد سمات هذا الاتجاه هو ما صاغه روثالد دور «مهاجرة محملانية - digenization لاجل الثاني»، ففي كل من البلدان اللاغربية سواء كانت مستعمرات غربية سابقة أو كانت مستقلة، فإن «أول التلاميذ والتحديث» هو - من - ما بعد

الاستقلال، وكان غالباً قد تلقى تدريبه وتعليمه في جامعات أجنبية (غربية) بلغة غربية عقلية، إلى حد ما، بسبب أنهم يتجهون أولاً إلى الخارج كطلاب قابل للتأثير، وقد يكون استجوابهم لتقوم وأساليب الحياة الغربية صعباً. أما معظم أفراد الجيل الثاني والأكبر، فطلى المكس، ويتلقى تعليمه في الوطن في جامعات أسما الجيل الأول، حيث تستخدم اللغة المحلية، بدولة اللغة الإنجليزية، في التدريس.. وذلك الجامعات توفر اتصالاً أضعف كدوراً بثقافة العالم المتميز، وأصطفيت المعرفة فيها بالصيغة المحلية، بواسطة للترجمات. عادة ما تكون محدودة النطاق وتوعية مشيئة القومية. يساهم المتخرجون في تلك الجامعات من وجهة الجيل السابق السهل غريباً ومن ثم قفاليا، ما يخضعون لإغرامات حركات المعارضة الوطنية. ومع تقلص التأثير الغربي، فإن القادة الشباب الطامحين لا يستطيعون للترجى إلى الغرب لوفّر لهم لقوة والثروة. فيكون عليهم أن يعثروا على وسائل للنجاح في قلب مجتمعاتهم. ومن ثم أن يوفقوا مع قيم وثقافة ذلك المجتمع.

لقد نمت المحملانية بواسطة التناقض الديمقراطي: عندما تبتت المجتمعات اللاغربية الأسلوب الغربي للتحقيقات، نجد أن الديمقراطية تضع، وغالباً ما تضع في السلطة، الحركات الوطنية المناهضة للغرب في سوياتها، وبمعلومات هذا القرن كانت حكومات الدولة التامية، التي تم غريبتها وذلك المشايمة للغرب، مهددة بالثقلات وأزمات، وفي اللامانيات والشمويات تزايد خطر الانفصال عن السلطة في الانتخابات. تنجح للديمقراطية إلى جعل المجتمع أكثر محدودة في نظره، وليس أكثر عالمية، فلا يرجع السياسيون في المجتمعات اللاغربية في الانتخابات وإظهارهم إلى أي مدى هم غربيين، إذ تعلمهم المنافسة الانتخابية على أن يعملوا بكيفية يعتقدون أنها ستكون ذات جانبية شعبية أكبر.. وهم عادة عرقون وقوميون ودينيون في شخصياتهم، وللثقة هي تميل شعبية ضد الصفوة ذات التوجه الغربي والغرب بشكل عام.. تلك المحلية، والتي بدأت في سوريا لتلك في الصوماليات، لعدت من بلد آخر في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وتجدي في نهجيات الأحزاب ذات

التوجه الدولي في الهند وإثيوبيا والبنسوة وإسرائيل في انتخابات ١٩٩٥-١٩٩٦. وهكذا فإن الإرساء الديمقراطي Democratization على خلاف مع الغربية.

إن التيارات الثقافية المحملانية والنشطة في العالم، تسخر من التوعية الغربية بأن الثقافة الغربية تصبح ثقافة العالم. إن المتصيرين المركزيين لأى ثقافة ما اللغة والدين. واللغة الإنجليزية، كما تؤكد، ستفوق لغة العالم.. من الواضح أنها أصبحت لغة للحضاب للاتصالات في الأعمال متعددة الجنسيات والدبلوماسية والمؤسسات الدولية والصياحة والبطيرين.. ذلك الاستخدام للإنجليزية للاتصال بين الثقافات، بأية حال، يفترض وجود ثقافات مختلفة، فالترجمة والتفسير متلا ومرسال للتوافق مع تلك الاختلافات، لا إقصاءها. في الواقع، فإن نسبة سكان العالم من متحدثي الإنجليزية مشيئة وأخذت في نقصان. وبموجب معلومات جديدة للزرق، مرضوعة بواسطة سمدي من - كليات، بروفيسور في جامعة واشنطن، فإنه في عام ١٩٨٥ كان زهاء ٩٨% من البشر يتحدثون الإنجليزية كلغة أولى أو ثانية، في عام ١٩٩٢ كانت النسبة ٧٦.٧%.. إن لغة أجنبية بالنسبة إلى ٩٢% من سكان العالم ليست بلغة للعالم. وبالمثل، ففي عام ١٩٥٨ كان ٢٤% من البشر يتحدثون إحدى اللغات الخمس الأساسية للغرب، وفي عام ١٩٩٢ كانت النسبة أقل من ٢١%.. والوضع مشابه بالنسبة للدين؛ حيث يذلل المسيحيون الغربيون الآن حوالي ٣٠% من سكان العالم، ولكن النسبة تتناقص باطراد، وفي لحظة ما في العقد القادم، أو حوالي ذلك، سيؤيد عدد المسلمين على عدد المسيحيين. وفيما يخص والمتصيرين المركزيين للثقافة واللغة والدين، فإن الغرب في تراجع مشاً لاضع ميشيل هاواره أن الانحسار الغربي للنام بأن الترح الثقافي هو فنون تاريخي سرعاً ما يلي بطل من ثقافة عالم الأنثروفرية الغربي التوجه والنام، مشكلاً قوماً الأساسية.. هو ببساطة غير حقيقي، (١٢).

وحيث إن المحملانية تنتشر وتضمحل جانبية الثقافة الغربية، فإن المشكلة المركزية في العلاقات بين الغرب وبقية العالم هي الهوة بين الجهود الغربية، وبشكل خاص الأمريكية، لدعم الثقافة الغربية باعتبارها

الغرب متفرد إكسوني



الثقافة العالمية وقدرتها المتصائلة على تحقيق ذلك. لقد فاقم النهيار الشيوعي من هنا التفاروت من خلال ترطيد النظرة في الغرب بأن أيديولوجيته الليبرالية الديمقراطية، قد انصهرت عالميا وأنها بالتالي صالحة على المستوى العالمي. يعتقد الغرب. وبخاصة الولايات المتحدة، والتي كانت دائما الأمة المهيمنة. أنه ينبغي على الشعوب اللاغربية أن تتعهد بالالتزام بالنظم الغربية كالديموقراطية والسوق الحرة والحكومات المحدودة السلطة والفصل بين الدين والدولة وحقوق الإنسان والغربية وقاعدة القانون، وأن عليها تجسد تلك القيم في مؤسساتها. أفتيات في الحضارات الأخرى من متعلق وتؤازر هذه القيم، لكن الانهياحات السائدة تحولها في الثقافات اللاغربية تتفاوت من الشك وحتى المعارضة الشديدة. إن ما يدهم الغرب نزعة عالمية يدهم الآخرين استمارا.

إن اللاغربيين لا يترددون في الإشارة إلى الاختلاف بين النظم الغربية والممارسة الغربية. رياء ومرافق مزججة هي ثمن الاندماجات بالمالسية. لقد تم دعم الديموقراطية، ولكن ليس إذا كانت ستأتي بالأصوليين الإسلاميين إلى السلطة، لقد نصمت العراق وليران بالعدم من التصح ولكن نيس إسرائيل والتجارة الحرة إكسبور النمو الاقتصادي، ولكن ليس الزراعة، حقوق الإنسان قضية قاسمة مع الصين، لكن ليس مع الشيوعية، الإعطاء على الكوريين أصعاب التبدول يدفع بالقوة للظلمة، ولكنه ليس إعطاء قويا ضد اليساريين الذين لا يمكن بترولا.

إن الاعتقاد بأنه ينبغي للشعوب اللاغربية أن تتبنى القيم والنظم الاجتماعية والثقافة الغربية هو، إذا أخذنا الأمر بجديه، اعتقاد لا أخلاقي في قرواه. إن الشيوعية الأوروبية شبه المالسية في نهاية القرن التاسع عشر وديمية الولايات المتحدة على العالم في النصف الثاني من القرن العشرين قد نشرت عديدا من مظاهر الحضارة الغربية في أنحاء العالم، غير أن الذخيرة العالمية للغرب لن تقوم.. وكذا سيتطلب للتصلب الأمريكي إذا لم تعد هناك حاجة لها لحماية الولايات المتحدة ضد تهديدات الحرب الباردة السوفجوية. الشفاعة تتبع السلطة، وإذا ما غت إرادة تشكيل المجتمعات اللاغربية بواسطة الثقافة الغربية، فسوف يحدث ذلك فقط كنتيجة لتوسع وإعشاد القوة للغربية. الاستثمار هو النتيجة اللازمة والمحظية للذخيرة العالمية، غير أن بعض أنصار الذخيرة العالمية يؤيدون للتوجه المعكرو والإكراه للرؤى الذي قد يكون ضروريا لتحقيق هدفهم. بالإضافة إلى ذلك، باعتبارها حضارة ناضجة، لم يعد الغرب حائزا للدينامية الاقتصادية والسكانية المطلوبة لغرض إزائه على المجتمعات الأخرى، وأية جهود في هذا السبيل سيجري متناقضة مع القيم الغربية لتقرير المصير والديموقراطية. في مارس من هذا العام، قال رئيس الوزراء الماليزي ماهاتير لريضاء الحكومات الغربية المعتمدين: «إن القيم الأوروبية فهي الأوروبية قيم أوروبا؛ أما القيم الآسيوية فهي قيم عالمية». وبينما تشرع الحضارات الإسلامية والآسيوية في تأكيد الشأن العالمي لثقافتهم، يسجل الغربيون إلى تقدير الرابطة بين النزعة العالمية، والاستثمار وأن يروا قضايا العالم المتحد.

تحرير الغرب

لقد حان أوان نظى للغرب عن وهم المالسية وأن يدعم قوة وباسك وحيوية حضارته في عالم الحضارات. إن مصالح الغرب لم تتحقق بالتدخل السافر في خلاقات الشعوب الأخرى. في العقبة البازغة، ينبغي للتسوية الأولى في إعفاء وحل الصراعات الإقليمية أن تقع على عاتق الدول الكبرى للحضارات السالدة في تلك المناطق. «محمل السياسة، سياسة محلية، كما يذكر توماس ب. ديه، أوفيل، المتحدث

السابق للبيت الأبيض، والذخيرة الطبيعية لتلك الحقيقة أن «محمل السلطة، ملطة محلية. لا يمكن لأي من الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة أن تفرض على الصراعات المحلية حولا طويلة المدى تشد عن وقائع السلطة المحلية. وكما لا ينبغي عن أي خبير بالجرية، فإن أفضل تأمين للنظام والقانون المحلي يكون بواسطة شرطي مدرجل، لا بواسطة الظهور المعتملى في الأفق لفرقة عسكرية من رجال الشرطة الراكبة. في عالم متعدد الأقطاب والحضارات، تكون معتملية الغرب هي تأمين مصالحه الخاصة، لأن يدعم مصالح الشعوب الأخرى ولا أن يصابر إتهام الصراعات بين الشعوب الأخرى عندما تكون الصراعات ذات أهمية ضئيلة أو عديمة الأهمية للغرب.

يعتمد مستقبل الغرب في قسم كبير على وحدة الغرب، يرى دارسو الحضارات أنها تتطور خلال عهود من الاضطرابات ومرحلة من الدول المتحضرة، تؤدي في النهاية إلى دولة عالمية للحضارة التي قد تكون إما مصدر تجديد أو مقدمة للحطاط وذل. دخلت الحضارة الغربية مرحلة الدول المتحضرة متجهة صوب مرحلتها الأخيرة بالذخيرة العالمية.. تلك المرحلة مزالت غير مكتملة، مع وجود الأمة. الدول للغرب المتصاسكة في شكل دولتين شبه عالميتين في أوروبا وأمريكا الشمالية.. لذلك الكيانان ووجدانتهما التي تشكل مقوماتهما، على أية حال، متزايمان معا بشبكة مركبة ببحر وفوق العادة من الترابط التأسيسية الرسمية وغير الرسمية. إن الدول العالمية للحضارات السابقة كانت إمبراطوريات، ومنذ أصبحت الديموقراطية هي الشكل السياسي للحضارة الغربية، لم تعد الدول العالمية الناشئة للحضارة الغربية إمبراطورية، بل بالأحرى توليفة من الاتحادات والاتحادات المتنامية confederations ونظم الحكم الدولية.

إن المشكلة بالنسبة للغرب، في هذا الومع، هي أن تحافظ على ديناميكيتها وأن تعزز شماسكها.. ولتعدد وحدة الغرب على الأحداث في الولايات المتحدة بأكثر من تلك الواقعة في أوروبا، وحاليا تتجانب الولايات المتحدة اتجاهات ثلاث، تتجذب جوبا بفعل

الهجرة المتواصلة لسكان أمريكا اللاتينية وإتساع حجمهم وقوتهم، ويغفل عدم مشاركة المكسيك في اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا) Nafta وإمكانية توسيع مجال اتفاقية نافتا لتشمل بلدان نصف الكرة الغربى، ويغفل التغيرات الثقافية والاقتصادية والسياسية في أمريكا اللاتينية مما جعلها أكثر شبيها بالولايات المتحدة، في الوقت نفسه، تجنّب الولايات المتحدة غرباً بفعل تزايد ثروة وتنفوذ مجتمعات شرق آسيا، ويغفل الجهود الدائنية لتطوير مجتمع باسيفيكي، لنفس في لاجتماع التعاون الاقتصادي الآسيوى - الباسيفيكي (APEC)، ويغفل الهجرة من المجتمعات الآسيوية، إذا ما كان للتدويرات والمواضع والأموال الحرة وقاعدة القانون والمجتمع العنقوى والفردية والبروتستانتية جذوراً راسخة في أمريكا اللاتينية، فكله القارة، التى ظلت ثقافتها وثقافة العنق الصلة بثقافة الغرب، سوف تندمج بالغرب وتصبح هى الدعامات الدافعة للمحضارة الغربية. إن تقاربا مثل هذا غير محتمل مع المجتمعات الآسيوية التى يربحها، بدلا من ذلك، أن تكون تصحيات اقتصادية ريسامية متواصلة للولايات المتحدة بشكل خاص ولتغرب بشكل عام. وثالثا تجذب تجاه أوروبا، وهو الأكثر أهمية، فالتقوى المشتركة والعظم الاجتماعية والتاريخ والثقافة هى ما أوجبت ارتباط الولايات المتحدة القوى والدائم بأوروبا، وما هو لازم ومرغوب فيه، هو تطوير إشتاقى للروابط للناسية عبر الأطلسي، متضمنة التفاوض حول لتساق التجارة الحرة الأوروبية الأمريكية وإنشاء منظمة اقتصادية شمال أطلنطية كنظير لحلف شمال الأطلسي Nato.

إن الاختلافات الرئيسية الحالية بين أوروبا وأمريكا لا تشا من صراعات المصالح المباشرة مع بعضها بعضا، وإنما عن سياستهما تجاه الجماعات الأخرى، ومن بين مسائل أخرى، فهي تتضمن توفير الدعم للحكم الإسلامى للبرصة، لأروية استحيات الأمان الإسلامى فى السياسة الشرق أوسطية، جهود الولايات المتحدة لمعاينة للشركات الأجنبية التى تقوم علاقات عمل مع إيران وكوبا، والحفاظ على تاييد اقتصادى تام ضد العراق، كما يدعى أن يكون لحقوق الإنسان لتجزئية والأعضامات المتزايدة والتوسع دور فى التعامل مع الصين. لقد حاولت القوى

للاغربية بشدة، وخاصة الصين، استغلال هذه الاختلافات للربحية بين دولة غربية وأخرى، لقد نشأت تلك الاختلافات نفسها وبشكل عام عن وجهات النظر الجيوبوليوتيكية والمصالح السياسية والاقتصادية الإيجابية المختلفة. إن الحفاظ على وحدة الغرب، على أية حال، أمر جوهري لإنهاء نهيار التآثير الغربى فى العلاقات الدولية. إن ما لدى المجتمع الغربى من الأمور المشتركة يفوق بكثير ما بينها وبين الشعوب الآسيوية أو الشرق أوسطية أو الأفريقية، فلهذا الدول الغربية الكبرى لشكل من اللغة والتعاون فى العالم، فى شكل مؤسسى، لا يمكنه، باستثنائات نادرة، مع المجتمعات الكبرى الأخرى، طالما بقى الغرب متحدا، ويظل له حضور هائل فى المشهد العالمى، وباتساعه سيكون نهجا لجهود الدول للاغربية لاستغلال اختلافاته الخلقية بتقديم مكاسب قصيرة المدى لبعض البلدان الغربية مقابل خسارة طويلة المدى لجميع البلدان الغربية. إن على شعوب الغرب، بحارة ولهاهم، أن تكون، أن يتأذروا ماء، ولا فمن التوكد لتلكهم.

إن تميزز تماك الغرب يعنى كلا من صون الثقافة الغربية داخل الغرب، وبمعين حدود الغرب.. ويطلب الأمر، من بين أشياء أخرى، التحكم فى الهجرة من المجتمعات اللاغربية، مثلما فعت الدول الغربية الأخرى ومثلما شرعت الولايات المتحدة فى القيام به، مع تأمن استتجاب المهاجرين، الذين سمح لهم بتلك الهجرة، فى الثقافة الغربية.. ويعنى ذلك أيضا إدراكه أنه فى عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن اللاترو مظلومة أمن الحضارة الغربية، وأن هدفه الأول هو الدفاع عن وحماية تلك الحضارة. وللأدنى، يبنى على الدول الغربية تاريخا ودينا وثقافة، إذا رغبت أن تكون قادرة على الانتماء للئاترو. وإذا تحفظا بنحو عملى، فإنه ينبغي لمصنوية اللاترو أن تكون متعلقة لدول Visegrad، دول البلطيق وسلافونيا وكرواتيا، ولكن ليس للدول ذات التاريخ الإسلامى أو الأرثوذكسى أساسا. وفيما يركز النقاش للئاترو ضامسا على توسع لا تقوى للئاترو، يكون من الضروري أيضا إدراكه أنه بتجريب مهمة اللاترو، فإن الروابط التركية واليونانية بالئاترو متضخم ويمكن لمصنويتها فيه أن تنتهى وتصبح غير ذات معنى. إن الانسحاب من اللاترو هو الهدف المعلن لحزب القارة فى تركيا، أما اليونان فهي حليفة لروميا يمثل ما هى عضو فى اللاترو.

لقد مر الغرب بمرحلة أوروبية من التطور والتوسع استمرت عدة قرون ومرحلة أمريكية سادت خلال هذا القرن إذا ما قلمت الولايات المتحدة وأوروبا بتجديد حياتهما الأخلاقية، محددتين على المشاركة للثقافة، وطورا لشكلا أقوى من التكامل الاقتصادى والسياسى لدعم تعاونهما الأمنى فى اللاترو، فسيمكن لهما تكوين مرحلة أورو أمريكية ثالثة من التآثير السياسى والثقافى الغربية. إن تكاملا سياسيا مهما سوف يجابه، إلى حد ما، الإنهيار النسبى فى نصيب الغرب من سكان العالم والتنازع الاقتصادى القدرات العسكرية، كما سيمهى قوة الغرب فى عيون قادة الحضارات الأخرى. على سبيل إعادة الترتيب، قادة الغرب إلى عدم محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى بحسب صورة الغرب. والى تزايد باستمرار عن قدراتهم. وأن يتعمدوا بالرعاية والتجديد الخصائص الفريدة للحضارة الغربية.. وتبع المصنوية بالمركب، على الدولة الغربية الأعظم قوة الولايات المتحدة الأمريكية. لن تحقق النزعة العالمية أو الانفصالية، ولا التحديد أو الأحادية، المصالح الأمريكية، وإنما ستحقق مصالحها بصورة فاعلة إذا تعاضت الولايات المتحدة تلك المصالح المتطرفة، وأن تتبنى عرضا عنها سياسة أطلنطية من التعاون الوثيق مع الشركاء الأوروبيين، سياسة سوف تضى وتدعم المصالح والقيم والثقافة للنخاسة بالحضارة للغربية والفريدة التى يشاركون فيها. ■

الهوامش:

١. صابول، ب. هونتجنجرو هو ريفورس جامعة البرات، ج. ويذكره الثالث لدى جامعة هارفارد، حيث يفتل أيضا منصب مدير معهد جون م. أوكين للدراسات الإستراتيجية وريوس أكاديمية هارفارد للدراسات المتقدمة والسياسية. وثالثا المقالة مأخوذة من كتابه «صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمى».

٢. لفردية westernization: إضفاء للالامح والسمات الغربية على المجتمعات للاغربية الأخرى (م).

المصدر: مجلة علاقات خارجية Foreign affairs، المجلد ٢٥، العدد ١، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦.

الغرب متفرد إكروني



٢ - يقصد هذا أسرة ميبل التي حكمت الصنن
في الفترة من عام ١٣٦٨ إلى ١٦٤٤ (م)

(٣) أسرة فالو Valois التي أنهت ١٣ ملكا
وحكمت فرنسا في الفترة من ١٣٢٨ إلى
١٥٨٩ (م).

(٤) فرناند برزيل، من الفاريخ، شيكاغو: مطبعة
جامعة شيكاغو، ١٩٨٠، ص. ٢١٣.

(٥) The Reformation حركة الإصلاح؛ يقصد
بها حركة الاضطراب الديني التي سادت
أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس
عشر، وكان من شأنها أن تقسم الكنيسة
المسيحية في الغرب إلى قسمين للكنائز
والبروتستانت. وقد كان من أهم أهدافها بتدوى
سلطة البابا والنظام الديني الذي كان سائدا في

أواخر الصور الوسطى، كما كانت تهدف إلى
إعادة توزيع السلطة السياسية ومهاجمة نظام
نبلاء الإقطاع وسلطة الكنيسة التي كانت
مرتبطة به. 3. معجم مصطلحات العلوم
الاجتماعية - أحمد زكي بدوي، (م)

(٦) كارل دويتش حول القومية، أقاليم العالم،
وطبيعة الغرب في بير ترغريك، تمديد،
الطبعة، بني حالة المركز وناه الأم، برجن،
Universitetsforlaget، ١٩٨١، ص. ٧٧.

(٧) شتاين روكمان ألهاد تشكيل الدولة وناه
الأمة، في شارلز تيلي، محدد، تشكيل الأمة -
الدول في أوروبا الغربية، برنيسون،
مطبعة جامعة برنيسون، ١٩٧٥، ص. ٥٧٦ -

(٨) جويرت هيرستد، والثقافات القومية في أباد
أريخ، دراسات دواية في التنظيم والإدارة،
١٩٨٣، ج. ١١٣، هارنر، ص. تيريلاندز،
«دراسات ثقافية مقارنة للدرية والجماعية،
«ندوة أبراسكا للبحوث حول الخلقة، ١٩٨٩،
لوتكران، مطبعة جامعة أبراسكا، ١٩٩٠، ص.
٤٤ - ١٣٣، مقبسة في كتاب داتول كولمان
«الجماعة والذات: شميمين جديد لا للصدع
الثقافي، «نيويورك تايمز، ٢٥ ديسمبر،
١٩٩٠، ص. ٤٩.

(٩) آر.م. شوميدجر، للصفير، لشتاكي لأريخا،
نيويورك: و.و. نورتون، ١٩٩٢، ص. ١٢٧.

(١٠) أنكب. بوزمان، محاضرات تحت الضغط،
دورية فريديها فورسسية، شتاء، ١٩٧٥،
ص. ٧، ويليام. أ. نائف، «أفكار حول مسألة
شرق وغرب من وجهة نظر الياباني، «دورية
للمحاضرات المقارنة بمغريف، ١٩٨٦، ص.
٢٢٢، برونل، «حول الفاريخ، ص. ص.
٢١٢-٢١٣.

(١١) Anomy, Anomie الأكرمسية، لي،
للانمبارية: تشور إلى حالة للهباء البناء
الثقافي، وتظهر بصفة خاصة عندما تمل
الروابط بين المعايير والأخلاق للثقافة، وبين
للتدات الاجتماعية عدد الأفراد للقيام ببارك
يتسق معها. وهي تقابل للتضامن الاجتماعي،
إذ هي حالة للقوى والندام الأمن ولقدان
للمعايير. 3. أحمد زكي بدوي، (م).

(١٢) روناك دور، والوحدة والتفرع في الثقافة
العالمية للمعاصرة، تمديد، هدلي بول وآدم
واتسون، توسع المجمع الدولي، أكسفورد،
مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٨٤، ص. ص.
٤٢٠-٤٢١.

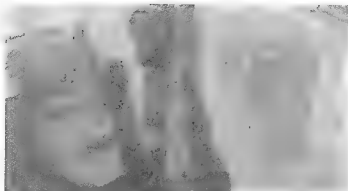
(١٣) ميشول هوراد، أمريكا والعالم، (محادثة
لوتين الملوقة) سان لويس: جامعة واشنطن،
١٩٨٤، ص. ٦.

ترجمة: ناصر الحلواني





الغرب متفرد .. لا كوني ردود



الغرب: نفيس ... لا متفرد

حضارات تتجه نحو نموذج فقير

ج . جون إيكبرى^(١)

ف ما إن حسبنا أن الحال آمن للثال بعض الراحلة، حتى وصل صامويل ب. هنتونجتون بأخبار سيئة: قد يكون عالم سياسة الواقع والتوترات العظمى للقوة قد انصهر، ولكن استبدل به عالم أكثر فهماً وأقل تكيهاً؟ عالم من الصراع الثقافي والديني الذي يلوح في الأفق («الغرب: متفرد، لأعالي»، نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦). وعلى خلاف عصر القوة السياسية المنصرم، يدعى هنتونجتون، فإن السياسة المضاربة تقاوم العقل والعلم.. وعلى الغرب المتحفل أن يقبل هذا الواقع الجديد للخطر، وأن يحشد معاً، وينتجها للأموال.

إن مشكلة أطروحة هنتونجتون المستفزة أنه يبالغ في توصيفها بصورة كبيرة، وأنها - إذا كان لأفكار المفكرين البارزين أي تأثير - في العالم الواقعي - ذات خطورة محتملة. للبدء، فإن المصالح السياسية التي نسبها هنتونجتون للغرب - الديمقراطية والحكومة محدودة السلطات وقاعدة القانون - ربما انبهت في أوروبا أولاً، ولكنها أساساً ليست ظاهرة ثقافية أو حضارية.. إنها نظم اجتماعية وممارسات تتحدى عبر ثقافات ومجتمعات عدة، وتم للتعامل معها، بواسطة للرأسمالية والمطالب العملية للتبادل، كأي شيء آخر.

إضافة إلى ذلك، إن التفاول يصعد للنشاز المعادلات والمبادئ «الغربية»، لا يتطلب اعتقاداً ساذجاً بالتقارب كما يطعم هنتونجتون، فإن الصيغ المستورة لخطرية التحديث لم تتوقع أبداً تقارباً للثقافات والمجتمعات في نموذج غربي عالمي. يعني التحديث تألقاً مشتركاً للتصنيع، مع الظهور المتفرع للنظم المخططة والمتزايدة التعقيد والتي دمجت عديداً من العناصر، الغربية واللاغربية. لقد كانت هناك تغيرات صادمة في الثقافة السياسية في المجتمعات اللاغربية الكبرى، وليست اليابان أقل في ذلك. إن أكثر التطورات تميزاً في عصر ما بعد الحرب كان التحول الناعم في البنية الاجتماعية والسياسية للمسكينة

والاستعمارية لليابان (وآلمانيا). يبدو أمراً لاغنياً تقدير التطور الترامى فى الثقافة السياسية للذول الفاشية والإسلاحيية الماركسية للقرن العشرين ومع ذلك يدعى أن الذول للأغربية أسرى ثقافتهم.

خلافا ما يقول هنتنجتون، فإن اعتقادا بالعالمية والجناسية الثقافية العالمية ليس أمراً ضروريا لثقل نظام يتجاوز الغرب المجهود تاريخياً. كل ما هو مطلوب دول ثلث التزامات نهام الديمقراطية والأسواق الحرة وقاعدة القانون، يمكن للمجتمعات والمضمارات أن تراصل تطوير للثراوات عميقة الجذور تلك المبادئ للتكيفية الأساسية كتنجبة، فإن المجتمع السواى الأكثر مدانة ومناسبة لا يقتصر على العالم الأطلسى وإنما يمتد إلى ما وراء ذلك تماماً - إلى جمع أكبر (ولكن بالتأكيد ليس عالمياً) للبلدان الديمقراطية المتمسكة باقتصاديات السوق الموجهة.

حتى إذا كان هنتنجتون محقاً فى تأكيد أن الغرب مختلف بصورة جوهرية عن الباقين، فإن الصراع بين الحضارات معترف بالاختلاف. ولكنه ربما يكون أكثر احتمالاً إذا ما اكثرت قادتنا بأطروحة هنتنجتون، إن إعلان الانقسام المضارى قد يسددهى تبجمات مضادة ويخطر تحديداً بإثارة أمثال النزاعات التى يوقعها هنتنجتون، ذلك هو المكافئ الحضارى - المأساوى الأملى، - إن هنتنجتون يريد من الغرب أن يقوم بالحراسة بصورة دفاعية ضد الصدام الأتى، ولكن بالنسبة للشرق الأخرى مثل الصين واليابان، فإن حومان المعربات الغربية سرف يبدو أشبه بإعلان حرب باردة جديدة.

إن جاذبية أطروحة هنتنجتون أنها توفر إيديولوجيا جاهزة وفى متناول اليد لدم الصلاقات الأمريكية بأوروبا، ولكن بالنهات الحرب الباردة ماذا سيكون اللاصق الذى سيمسك على تماسك للتحالف الأطلسىين مما؟ الإصجاب بالحضارة الغربية - التى تفصل داء عن الآخرين، - يبدو كمكان مناسب للبدء. أسوء الحظ، مثل هذا الإصجاب يحل مشكلة واحدة - كيف تحقق الصلابة لهوية أطلسية عامة - بخلق هويات أكثر خطورة عبر محيطات وقارات أخرى.

أخيراً، فإن هنتنجتون يفشل فى تقدير المجتمع السياسى الأوسع لديموقراطيات السبق الحرة التى أبطلها الغرب، بتجادة الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أنه، بلاشك، قد رسا فى العالم الأطلسى، فإن هذا المجتمع يؤلف الآن قسماً كبيراً من العالم. لقد طور - هذا المجتمع - نظمه الاجتماعية وعاداته بنموستين وموسم لأجل إدارة الصراع وحل النزاع، وأضفى عليه استقراراً غير مسبوق... ذلك المجتمع الأكبر، قد يكون أصعب فى تصويله، ولكنه أكثر أهمية بكثير من رؤية هنتنجتون للحضارة الغربية.

يرى هنتنجتون الرؤى الضمى للبيلة المستقبل كحضارة عالمية تأسست على انتشار الاستهلاك والثقافة الشعبية الغربية أو ما يسميه الواقع الأكثر انزناً للانقسام الحضارى، ولكن ذلك ليس هو الاختيار. إن العالم متجه إلى انقسام أفضل ما يرى كاتقسام بين المجتمعات المتفجرة ثلث الحكومات المسؤولة والآخرين، وتقف الولايات المتحدة فى وسط ذلك المجتمع العريض للديموقراطيات، وسيد بمثابة تدييد مأساوى لهذا الإنجاز بالكفاءة بنظرة جديدة وغرب مثيل، دفاعى.

حذرس فطر

تؤنى سميت (٣)

إن السهولة التى يجرى بها هنتنجتون العالم إلى حضارات مقسمة بواسطة خطوط سواسية محببة وتخلنى. إن تقرير ما هو بالضبط «الغربى» هو نقطة الخلاف الأولى. فى بادئ الأمر، لماذا لا يعد أمريكا اللاتينية «غربية» مع اعتبار رحلتهم الشاقة خلال المعتدين الماسانيين، رحلة اقتربت بها سواسيا واقتصاديا وثقافيا تجاه أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية بأكبر ما كانت عليه لثرون مضت؟ وإذا كانت أمريكا اللاتينية تتحرر فى تطورها محلى غربيا، أما لا يكون الآخرون كذلك؟ أين فى حسابات هنتنجتون موقع بلدان مثل اليابان والهند والفلبين وإسرائيل؟ بتقديمه لقائمة ملتزمة من المعايير لتحديد من يكون عضواً فى النادي الغربى، كما يبدو أنهم لم يربطوا ملتزمين للغرب بأكثر من أمريكا اللاتينية، على الرغم من نظمهم

السياسية للديموقراطية واقتصادياتهم المصدرة، وكما فى حالة إسرائيل واليابان، للتصالح طويل المدى مع الغرب، هو أمر سيئ أيضاً، علينا الافتراض، بالنسبة للآتين مؤخرًا مثل جنوب أفريقيا وكوريا الجنوبية.. وبالمثل لروسيا، والتى تعد أجنبية بنحو جلى ولا أمل فيه بالنسبة للغرب بفعل مساهمتها المسيحية الأرثوذكسية - ولذى تشاركه فيه اليونان، إنه سرعان ما يتم طردهم من الناتو، لسبب لا يفيقه سبب آخر، هو إرثها الأرثوذكسى.

كل هذه الأمور المتعلقة برسم حدود قد لا تزيد من كونها مجرد مراوغة أكاديمية، ألم ينظر هنتنجتون نداء صريحا للغرب لنقل ملابس الحرب استعدادا للسرعات التى يوقعها من العالم للأغربية - وبشكل خاص، علينا أن نعرض، مع العالم الإسلامى والصين، إن الخطر، بالتحديد، هو أن هذا النوع من التفكير يحوز منطق التجارب الذاتية، ربما ستشأ الصراعات مع الحضارات الأخرى بأية حال، ولكنها ستصبح جميعها أكثر احتمالاً إذا ما افترضنا أن الحضارات الأخرى يتوصل فيها الفخر وأن على الغرب أن يقيم الاستحسانات ضدها بدلا من أن تقيم توافقا لاختلافاتنا معهم.

فى كتاب الصالحين، إن، فإن مقال هنتنجتون هو تصريح غير كاف على الإطلاق؛ فهو لا يفر صرة دقيقة للحدود السياسية المتطورة للعالم، أو كنهياً مؤثراً فيه لما يحمله المستقبل من تهديدات حقيقية للأمن.

شرق يتجه غربا

دافيد هاول (٣١)

إن هنتنجتون يخلف عن الزمن. إن استعمارية لثولا قصة قديمة. أما اليوم فالنصية - على الأقل فى أوروبا - ليست غربة الشرق وإنما شرقية Easternization الغرب.

يناقش الأوروبيون الآن الكيفية التى يمكنهم بها الاستفادة من القوة المالية والتكنولوجيا لآسيا لتعزيز اقتصادياتهم التى لاتبارى، وتشكل تحالفات مع عملاقة آسيا

المتمسجين في كيوان مشتركة. لذا لدينا هنا إصلاح مسيحي Meiji Restoration في المقابل. ولكن الأمور تذهب إلى أبعد من ذلك. ينظر المفكرون السياسيون الأوروبيون كذلك إلى قدرة المجتمع الكونفوشيوسي على تعزيز منظومة القيم الشهيرة للغرب.

أخشى أن نداء هنتونجوتون والعودة إلى التبحيرة الأطلسية، بحضارتها، الففيسة والمتفردة، يهيء متلخراً جداً إلا إذا طمنا بسرعة من المجتمعات الأكثر شاسكا والأكثر نجاحا بصورة كبيرة للشرق اللينياميكي، وأن نلجج معاً أفضل ما يمكن نسجه لتقدمه مع الأفضل من ثقافتنا، وهكذا يبقى القليل من الحياة الغربية للعلية وما يتم بكونه نفيساً أو مفترداً.

رأسمال، لثقافة

بروس نسبام (٤)

بالرغم من الشهرة الفائقة التي حازها هنتونجوتون، فإن أطروحته لتسم بقوة تفسيرية واحدة بقدر كبير، كما لا تقدم إرشاداً فعلياً في السياسة الخارجية التطويقية. إن تكهيه بصراع حضاري يعكس ندرة نماذج السياسة الخارجية في فترة ما بعد الحرب الباردة، وليس للتبصر الفطن لجورج كنان للألفية.

إن حجته واحدة، في المقام الأول، بسبب أنها مبنية على مفهوم «الثقافة»، والذي لا يزيد

تعريفه على تعريف حبة ثلج في يونيو. إن كل الحقايق تتضمن كل لتقديم بصورة عالمية، ولكن التشكيل المحدد للصورة والنظم الاجتماعية والتكنولوجية لحل نظم اقتصادي معين، هو ما يحدد القيم المهيمنة في فترة معينة. ماذا تكون «الكونفوشيوسية» في ٢١٩٩٧؟ أمى الاشتراكية المركزية المتصلة للصورة المفوض إليها السلطة في الصين، والتي تستخدم للزعة القوموية والدعوة المناهضة للغرب المفرطون لإحلال أودولوجيا شيوعية مثالية؟ أم أن الكونفوشيوسية اليوم هي ديمقراطية للشرق في آياون؟ وماذا عن كوريا، مع اتصالات عمالية، والانتخابات الحرة والسمن للعالمى للديكتاتوريين العسكريين السابقين؟ حتى أكثر التحليلات سطحية لكوريا خلال العقد الماضى تظهر تمولا مذهلاً من السلطوية العسكرية إلى ديمقراطية شرسة وخشنة. هل حولت الثقافة الكورية نفسها بشكل ما في تلك الفترة الزمنية القصيرة؟ لا، ولكن حدث تغيير موكذ في الاقتصاد والقيادة والأحزاب.

يمكننا ممارسة اللعبة نفسها مع كل حضارة يذكرها هنتونجوتون. إذا ما رغبت في شكل تحليلي أكثر إفادة لسياسة الخارجية بعد للحرب الباردة، لا يكون عليك الذهاب أبعد من القرن التاسع عشر والمجد، والذي استلهم حتى ثلاثينيات القرن العشرين. إنه ليس صدام الحضارات وإنما صدام الرأسمال ما يجرى اليوم. لقد أصادت نهاية الحرب الباردة فتح الاقتصاد العالمى، كما ازداد حجم الرأسمالية العالمية إلى ثلاثة أضعافها، حيث

تنمو رأسمالية ثنائية الأقطاب، دعاة مذهب التجاريين merchantilists ضد دعاة التجارة الحرة والباسيفيكي ضد الأطلسى والصين ضد الولايات المتحدة وأوروبا. إن تدافع الدول التي تكافح لأجل صعود السلم الاقتصادى والجهود الزهوية للآخرين الذين يحدرون عليه هو ما يعين العصر الحالى، إنه توازى قوى مستعاد، مع تكنولوجيا متطورة ذات بريق، والإيحاء فإنه هنرى، وليس سام sam، مترنيخ ويس فيبر Weber.

إن أفسنل ما يقال عن أطروحة هنتونجوتون هو أنها تكثير الغضب، وأساساً ما يمكن أن يقال عنها إنها قد توفر ذخيرة فكرية زائفة للقوميين في كل مكان والذين يسعون إلى تبرير لأفكار القبحه والأفعال الأكثر قبحاً. ■

ترجمة : ن. ح.

الهوامش :

١. استند: مجلة علاقات خارجية Foreign af-airs، السجاد ١٦، العدد ٢٢، أبريل/نيسان ١٩٩٧.
- ٢) ج. جون ليكنبري أستاذ مشارك العلوم السياسية في جامعة بنسلفانيا.
- ٣) تولى سيوت رايس قسم العلوم السياسية في جامعة تافت بزميل مركزل وينزو ويغسون قنولية للباحثين.
- ٤) تاليد هارك عضو البرلمان البريطاني ورئيس مجلس للجنة العامة للعلاقات الخارجية.
- ٥) بروس نسبام محرر الصفحة الافتتاحية في دورية Business Week.





ف وقع ثاني عمل عدواني في مرحلة ما بعد الحرب الباردة في ٧ أغسطس ١٩٩٠، عندما غزت العراق الكويت، ومن ثم ضمتها بالكامل بعد فرض المقاطعة الدولية مباشرة. إن أي أزمة شرق أوسطية تتخذ أبعاداً هائلة في الحال نظراً لاحتياطيات الطاقة الهائلة الموجودة في المنطقة. وبالتالي لم تكن أحداث أغسطس استثناء لهذه القاعدة.

اتخذت ريفود الفعل تجاه عدوان صدام حسين طريقين محددتين، ومن الصعب الربط بينهما، فورا، أدان مجلس الأمن الغزو ودعا إلى المقاطعة الاقتصادية ويضمن هذا المنهج طريقاً دبلوماسياً لتزريب الانسحاب بعد المفاوضات، والمدهش هنا أن هذا البديل قد توفرت له احتمالات نجاح مرتفعة وهذا بسبب واحد هو أن الدول التي اعتادت خرق الحظر والمقاطعة (أي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وحلفاءها) قد أبدت المقاطعة في هذه الحالة للمعينة تأييداً شديداً. في الوقت نفسه اتخذت الولايات المتحدة وبريطانيا طريقاً آخر وأعدنا لضربة عسكرية ضد العراق وقواته التي تحتل الكويت. وهذا التفاهت مفهوم في ضوء التاريخ وتوزيع القوى في عالمنا المعاصر.

كان بترويل الفرق الأوسط أولاً في أيدي إنجلترا، وفرنسا، ثم شاركتها بعدئذ الولايات المتحدة في اتفاق صاغته اتفاقية النفط الأحمر عام ١٩٢٨. وبعد الحرب العالمية الثانية أبدت فرنسا باستخدام حول قانونية وتسلتت الولايات المتحدة الدور السبائي. وكما قلنا سابقاً كانت السياسة الهادية لحكومة الولايات المتحدة دائماً هي أن بترويل الشرق الأوسط يجب أن يكون تحت سيطرة الولايات المتحدة وحلفائها وعملائها وشركاتها للبترولية ولا يمكن تعمل أي نزاعات استقلالية من قبيل القومية الجذرية. وتلك السياسة هي وجه من أوجه المعاد المام تجاه النزاعات القومية الاستقلالية في دول العالم الثالث بيد أنها ذات أهمية خاصة. وقد ردت الولايات المتحدة وحلفائها بريطانيا على التحدي العراقي لامتيازاتها الخاصة رداً عتيفاً. فإظهرت القيادة السياسية والمديرون العقائديون استيادهم الشديد من تجرؤ دولة قوية على غزو جاراتها المسالمة العزلاء،

الفردان

المشنيين

نموم تشومسكي

وأعطيت المسألة أبعاداً كونية باستخدام خطاب قبح حول نظام عالمي جديد على أساس من السلام والمحادثة واحترام القانون الدولي. نظام وصلنا إليه أخيراً بعد انتهاء الحرب الباردة بانتصار أولئك الذين احترمو هذه القيم واحتراماً شديداً. وأوضح في هذا الصدد وزير الخارجية جيمس بيكر قائلاً: «نحن نحيا في لحظة من لحظات التحول النادرة في التاريخ. لقد انتهت الحرب الباردة وبدأت مرحلة محملة بالأمل. وبعد فترة ركود طويلة صارت الأمم المتحدة منظمة أكثر فعالية. وأصبحت القيم العالمية الفيالية في مهلق الأمم المتحدة حقائق. لقد حطم عدوان صدام حسين رؤيا عالم أفضل فيما بعد الحرب الباردة. في الثلاثينيات كوني المستحدث وفي عام ١٩٩٠ أوضح الرئيس موقفاً تاماً: هذا العدوان لن تتم مكافأته.

لقد أصبح الشبه بهتلر ومولوخ نوعاً من الكليشيه الشائع.. فبرغم عدم قدرة العراق على هزيمة إيران برغم مساندة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا وكل العالم العربي تقريباً له، تستعد العراق الآن للاستيلاء على الشرق الأوسط والسيطرة على العالم. كانت المراهقات كبيرة، إن مسار التاريخ سيقرر على حسب قدرتنا على الانتقام من عدوان صدام حسين على دولة متعيفة عزلاء.

• هنا العمل الشبح الذي لم يسبق له مثيل - وتدمير هتلر الجديد قبل أن يفلت الزمام.

وعلى الفور أرسلت الولايات المتحدة قوة استطلاعية ضخمة تضاعفت تقريباً بعد انتخابات نوفمبر. وإذا كان من الممكن استبقاء قوة ردع في الصحراء وفي مياه الخليج فمن المستحيل إبقاء مئات الألوف من الجنود في مكائهم فترة طويلة. وللتأثير المتحدي لهذا القرار هو قطع الطريق على المقاطعة التي كانت ستأتي لمرها بعد فترة زمنية بعيدة. وقد أوضحت الولايات المتحدة بجلاد شديد أنها لن تحصل الدبلوماسية وستقتصر الاتصالات مع العراق على توصيل إنذار نهائي. وهذا الرافض الصريح للدبلوماسية هو ما أسماه الرئيس بوش «السير» حتى ما بعد النهاية، لاستكشاف كل الإمكانات الدبلوماسية وفيها عدا كلة قليلة فقد سار للرأي العام المختف خلف قائله.



المدون المشيين



لغزب مباشرة، بما في ذلك حالة حدثت قبيل الغزو العراقي بحدّة أشهر فقط، رغم الدروس المستفادة من الغزو بمسند النظام المالي الجديد.

كانت تقاليدنا وقيمنا في جوهرها واضحة جلية منذ أمد بعيد في الخليج. ولو اقتصرنا على العراق فقط، لوجدنا مثالا رائعا لها خلال الثورة على الحكم البريطاني وهي أحد فصول «الفتائل المعديّة» التي أصابت الإمبراطورية البريطانية في مصر إلى الابد. لقد تأثرت الأحاسيس البريطانية للرهفة تأثراً عميقاً من جراء هذه العملية اللطيفة التي كانت بمثابة طعنة في الظهر في وقت ضعفت فيه الإمبراطورية نتيجة للحرب العالمية. وأرضى السير أرفولد وييلسون قائلاً: «إن أكثر وسائل قضاء وقت الفراغ شعبية في الشرق هو أن تضرب رجلاً جانياً، هذا الشرق الذي يجهل المبادئ والقيم منذ قرون خلفه». وقد أرجع مكتب الهند الثورة العراقية إلى المتطرفين المحليين الذين يروجون «إلى» أشكال للسيطرة الأوروبية على أرجاء الشرق، وواقفهم وتحتون تشترشل وأسي الثورة، «مجرد حالة من ضمن حالات الهيجان العامة المنتشرة ضد الإمبراطورية البريطانية وكل ما مثله».

ومن الواضح أن الموقف كان يستدعي تدابير رادعة. ففي الهند وقبل هذا بحام أطلقت القوات البريطانية النار على اجتماع سياسي سلمى في أمرينشارما أدى إلى مسردح قرابة ٤٠٠ شخص. ونظرًا لقلّة لشاة والقوات البريطانية في العراق لجأت بريطانيا إلى القصف الجوي للقوى العراقية ليس لغرض التدمير في ذاته ولكن كجزء من إستراتيجية عامة أوسع. لقد صرح تشترشل: «وكان يقفها وزير المستعمرات. بأن القوة وحدها، لا تكفي، لإخضاع بلاد ما بين النهرين». إن ما تحتاجه تلك البلاد هو حكومة وهاكم يتقبلها للشعب العراقي ويقبلها بحرية. ويهدد ضمان ألا يفسد خروج أي فرد عنه، هذا الإجماع للحر. «يدعمها سلاح الطيران البريطاني وقوات عملية تنظيمها بريطانيا» و٤ كتاب إمبراطورية. بيد أن هذا التكليف له مشاكله فقد حذر وزير الدولة للشؤون الحربية في معرض تعليقه على «الوسائل المستخدمة الآن

ولندبر رفعتها الذي لم يسبق له مثيل» للديبلوماسية، ادعت الولايات المتحدة أنها تلزم بمبادئ سامية لا يمكن العبث عنها، وهو موقف كلاسي قلع الطريق بدجاج على أي شكل من أشكال الديبلوماسية (والتي دعيت في بعض الأحيان باسم الاتصالات) وكذلك أعاق أحياناً التسحاب القوة الاستطلاعية بدون خضوع العراق. وهذا الموقف اللطفي لا يحتمل. ولو للحظة واحدة - أي قمص أو قميص، بيد أن هذا لا يمثل أي مشكلة، لأنه لا يتحضر إطلاقاً لأي فمضن أو نظر من قبل الديار الأساسي في أجهزة الإعلام. لقد استمر الخلاف ولكن حول مبرهنات لتكتيك ضيقة وفي إطار كانت الحكومة الأمريكية متأكدّة من سيطرتها التامة عليه. إن ومنذ اللحظة الأولى فقد اخذتلت التدويرات إلى التهديد باستخدام القوة أو استخدام القوة.

١ - قيما التقليدية:

فصل بروفيسر حرموق ويقوم بتدريس النظرية السياسية في جامعة كمبودج الأطروحة الأساسية تفصيلاً جلياً فقال: «لبيت لمن لحد أن تقاليدنا تعمل في جوهرها قوما عالمية كونية، بينما من الصور أحياناً التمييز بين قيمهم وبين الخدمة اللطيفة (المنجحة بالسلح). ولم يكن بوسع الزلايين يوش أن يطرح القضية بشكل أروع من هذا... اليوم في الخليج العربي».

إن من يفسل في ابتلاع هذا المبدأ مستعمر عليه التفرقة بين غزو صدام حسين للكويت وبين جرائم أخرى عديدة بعضها أفتح بكثير مما ارتكبه صدام، جرائم تجعلها بسهولة ودعمها بثقة بل وافتقارها

في الزلوع، وتعديداً، قصف النساء والأطفال في القسوة، من أنه «لو أدرك الصرب أن السيطرة السلمية على بلاد ما بين النهرين تعتمد على قصف النساء والأطفال فأنا أذك كوكور» في أننا سنلجح في الحصول على مرفقتهم، التي كان تشترشل يأمل فيها. ونجحت بريطانيا في إقامة نظام عمل بينما استمر سلاح الطيران الملكي في عمليات للقصف الإمبراطورية للتحلب على «الفتائل» القليلة، كما وصفها وزير المستعمرات في وزارة حزب العمال برئاسة ويزلي ماكديوالد عام ١٩٢٤ واستمرت في جمع المراتب والشوك من رجال الفتائل الذين كانوا لا يستطيعون دفعها لفتقرهم الشديد.

لقد أتيت لتشترشل بوصفه وزير دولة في وزارة الحرب عام ١٩١٩ فرس عديدة لتنفذ قيما التقليدية. لقد طلبت إليه قيادة سلاح الطيران الملكي في الشرق الأوسط السماح باستخدام أسلحة كيميائية ضد «العرب» المتطويعين على أساس التجربة، ووافق تشترشل على التجربة. ورفض البصر عن امتداحات وزارة الهند بوصفها غير معقولة مثلاً: «بأن لا أقدم معني كل هذا اللطع حول استخدام الغاز.... أنا لؤيد استخدام الغاز السام ضد القبائل غير المحمدية تأييداً شديداً... لا ضرورة لاستخدام الغازات السامة ذات السفعول الأهد فمن الممكن استخدام الغازات التي تسبب مشاكل ضخمة ومن ثم نشر رعباً حقيقياً بيد أنها لا تترك آثاراً خطيرة دالة على محتم الذين يتأثرون بها».

وأضاف تشترشل: «لا يمكن بأية حال من الأحوال التناقص من استخدام أية أسلحة متاحة من أجل الإنهاء السريع للمشاكل التي تسود الجبهة، إن الأسلحة الكيميائية ما هي إلا «مجرد تطبيق العلم الغربي على الحرب العنصرية». وفي الواقع فقد استخدمها سلاح الجو البريطاني ضد الباشا في شمال ليبيا بنجاح ساحق وقتاً لما أعلنه للقيادة البريطانية. إن الاعتقاد الشائع أن تدمير استخدام الأسلحة الكيميائية تحريماً قاطعاً منذ الحرب العالمية الأولى قد فقد معظم لفره، نظراً لأعمال العراق وتجنيدتها ما هو إلا اعتقاد كاذب حتى لو نادىنا لوجه الولايات المتحدة إلى استخدام أسلحة كيميائية على نطاق واسع في جنوب فيتنام ما أدى إلى

خسائر بشرية رهيبه بوعداً لا أهمية له لحراس قبيلة النقيدية. عقب الحرب العالمية الأولى نظر إلى الأسلحة الكيميائية مسلماً نظراً إلى الأسلحة النووية بعد هروبها من جازاكي. من ثم فلم تكن معلومة حقاً أن ربيع قشاش حتى قبل حصار براين عام ١٩٤٨، على حكومة الولايات المتحدة بأن تهدد الاتحاد السوفيتي بالحرب النووية ما لم يصعب اللزوم من ألمانيا الشرقية.

في يوليو ١٩٥٨ هدد الانقلاب العسكري الذي قام به ضباط قوميين في العراق السيطرة الأمريكية البريطانية على مناطق إنتاج النفط للمرة الأولى (نقد بعض التدخل الأمريكي البريطاني لإعادة الشاه إلى الحكم في إيران قبلاً بنحو خمسة أعوام، التهديد الذي مثلته الحكومة القومية المحافظة). وأدى الانقلاب إلى حدوث ربيع قشاش واسعة المدى بما في ذلك إزلال لقوات مشاة البحرية الأمريكية في لبنان. وقد استنجد وليام كوانت في تحليله للأزمة على أساس سجلات العامة بأن الولايات المتحدة قد وفقت - على ما يبدو - على أن ترضى المصالح النفطية البريطانية وبخاصة في الكويت مع تأكيده بأن أية تحركات عراقية ضد الكويت تؤثر على المصالح البريطانية هو أمر لا يمكن عمله، رغم أن هذه التحركات لا تبدو متوقعة.

ويعتقد كوانت أن الرئيس أيزنهاور كان يشير إلى الأسلحة النووية عندما أمر، مستخدماً كلماته نفسها، رئيس الأركان المشتركة الجنرال توفينج بأن يستعد للتحدة حالما يبقى المرافقة زمن أيزنهاور مهما كانت الوسائل الضرورية لمنع أي قوى معادية من التحرك نحو الكويت، ولقد توصل الموضوع عدة مرات أثناء الأزمة، كما يضيف كوانت، وكان الهم الأعظم في هذه الأيام هو جمال عبد الناصر المصري - هتار هذا الزمان - ورميحه العربية.

وتضيف الوثائق السرية التي كشف عليها الانقلاب مؤخرًا معلومات جديدة رغم أن سجلات الولايات المتحدة ناقصة نظراً للمراقبة الخفية التي تمكن - على الأغلب - التزام الفترة الريحانية بحماية سلطة الدولة من الجمهور. فقد أرسل وزير الخارجية

البريطانية سلوين لويدي برقية سرية إلى رئيس وزرائه بعد مباحثاته في واشنطن عقب الانقلاب العراقي مباشرة. وأوضح في هذه البرقية أن ثمة خيارين بالنسبة للكويت، إما احتلال شبه السهمية تلك احتلالاً مباشراً بالقوات البريطانية وقوة، أو التحرك نحو استقلال اسمي. ونصح بعدم اتباع الخيار الأخير. رغم بأن فائدة هذا العمل هي أننا سنحضر أينما بشدة على نفط الكويت، فمن المحتمل أن يكون مشاعر قومية في الكويت وإن يكن تأثيره حماً على الرأي العام العالمي وبقية العالم العربي، أما السياسة الأفضل فهي إقامة نوع من سويسرا الكويتية حيث لا يمارس البريطانيون السلطة المباشرة، ولكن رقبنا هذا الخيار فوجب أن تقبل أيضاً ضرورة التدخل فوراً تدخلًا عنيفاً لو لم تدر الأمور على هولنا بعض النظر عن سبب المتاعب، وأكد أن ثمة مساندة تامة من الولايات المتحدة لنا فيما يتعلق بالخليج، بما في ذلك الحاجة، والتخاذ موقف صلب للحفاظ على موقعنا في الكويت، والقرار نفسه اتخذته الولايات المتحدة، بالنظر إلى حقول بترول أراكو، في المملكة العربية السعودية، فقد وافق الأمريكيون على أن تقل كل أبار البترول في الكويت والسعودية وقطر والبحرين، في أباد غربية مهما كانت الثقيلة. وقبل الانقلاب العراقي بسنة شهور لاحظ لويدي أنه لا محالة من حدوث تغيرات طفيفة في اتجاه استقلال أكبر بالنسبة للكويت على سبيل المثال الانضلاع بالخدمات البردية. وقد أعلن أيضاً ملخصاً للمصالح البريطانية، وفي الواقع الغربية في منطقة الخليج العربي على النحو التالي:

(أ) ضمان حرية حصول بريطانيا وغيرها من الدول الغربية على البترول الذي تنتجه بلاد الخليج.

(ب) ضمان توفير هذا البترول بشكل مستمر وبشروط ملائمة للإسرايلى، والمحافظة على أوضاع ملائمة لاستثمار عوائد النفط الكويتي الفائضة.

(ج) منع انتشار الشيوعية وأشياء الشيوعية في المنطقة وما بعدها وكفطز قبلى لهذا النفاق عن المنطقة ضد القومية العربية التي تفصل الحكومة السوفيتية أن تقدم تحت غطاءها في هذه الأزمة.

وتتعدد وثائق الولايات المتحدة في القدرتها نفسها الأهداف البريطانية بالمعنى نفسه :- لقد أكدت المملكة المتحدة أن استقرارها المالي سيهدد تهديداً خطيراً إن لم يتوفر بترول الكويت ومنطقة الخليج العربي للمملكة المتحدة بشروط معقولة وإذا انصبت الاستثمارات للضخمة التي استثمارها دول المنطقة من المملكة المتحدة وإن حرم الإسرائيليين من الدعم الذي يوفره بترول الخليج العربي، ومثلت هذه الاحتياجات البريطانية وحقيقة أنه من الضروري وجود مصدر مأمون للنفط لاستمرار حيوية اقتصاد أوروبا الغربية، حجة الولايات المتحدة لدعم أودع الضرورة مساندة البريطانيين في استخدام القوة للاحتفاظ بالسيطرة على الكويت والخليج العربي، وكانت الحجة المضادة هي أن القوة ستؤدي إلى المواجهة مع القومية العربية البهيمية، وأدت علاقات الدول المحايدة بالولايات المتحدة ستأثر تأثيراً شديداً.

وفي نوفمبر ١٩٥٨ أوصى مجلس الأمن القومي بأن تستعد الولايات المتحدة لاستخدام القوة ولكن كلاً آخر فقط سواء بغربها أو بدعم من المملكة المتحدة، لضمان الحصول على النفط العربي، ونصح مجلس الأمن القومي أيضاً بأن إسرائيل تستغل حاجزاً للقومية العربية وبناء وضع أساس أحد عناصر نظام السيطرة على الشرق الأوسط المدعو «الأمن» أو «الاستقرار».

وقد امتد التناق على توفير ثروات ونفط الخليج لدعم الاقتصاد البريطاني المتدها مع بداية السبعينيات، إلى الاقتصاد الأمريكي الذي كان من الواضح أنه يتراجع بالنسبة لليابان وأوروبا بقيادة ألمانيا. وأكثر من ذلك مثل التحكم في النفط وسيلة للتأثير في أرباب المصنوع المتناف. وبار تدفق رموز الأموال من العربية السعودية والكويت وغيرها من إمارات الخليج للولايات المتحدة وبريطانيا دعماً ملحوظاً لاقتصاديات الدولتين وشركتهما ومؤسساتهما المالية. وتلك من بين الأسباب التي تفسر عدم معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا لزيادة أسعار البترول.

إن تلك للمساكن معقدة وشديدة التدخل بحيث يصعب سبرها هنا. بيد أن تلك العوامل

العدوان المشين



لها أثر اكيد. وهكذا، لم تكن مفاجأة شديدة أن الدولتين اللتين أسما دعاية الاستعمار وكذلك المستعبدتين الرئيسيتين منه والمخالفتين عليه، كانتا تتوليان إلى الحرب في الخليج بينما حافظ الآخرون على مسافاتهم.

٢ - صياغة الموضوعات:

بينما يشابه العلان العدوانيان في فترة ما بعد الحرب الباردة باستخدام معايير المبدأ والقانون فثمة فروق بينهما لا محالة. وأهم فارق ملحوظ هو أن غزو الولايات المتحدة لبهاما هو غزو قننا نحن به ومن ثم فهو غزو حميد، بينما يمكن أن يمثل الغزو العراقي للكويت تهديداً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية المبررة ولذا فهو عدوان مشين، يخرق معظم المبادئ السامية للقانون الدولي والأخلاق.

وترتيب الأحداث بهذا الشكل يطرح عدة تحديات عقائدية. وأول معضلة هي تصوير الديكتاتور العراقي صدام حسين بوصفه طاغية شرراً وزعيم عصابات دولي. وكانت تلك مهمة سهلة فمن الواضح أنها حقيقية. وكانت المعضلة الثانية هي للفرق في مخطوع إلى من غزا لبهاما وأدار الاستفخدام غير المشروع للقوة، ضد ديكاراجرا وهو يقدم بإذالة الاستفخدام غير المشروع للقوة ضد الكويت ويعلن للذاتية الذي يمشيها الأمم المتحدة مصرحاً بأن أمريكا تقف حوفا كانت دائماً ضد العدوان وضد أولئك الذين يرون استخدام القوة لتحل محل حكم القانون، ولو تضلوا إلى شيء من التاريخ فقد تعلم أنه يجب علينا مقاومة العدوان أو سيدمر العدوان حريكتنا، ٢٠١ أغسطس

في المخاطرة أو الإنفاق كخبراً لتحقيق هذه الغاية. وهم بالتأكيد يشاركون والشلن في إيماها بالبمدا الساسي في أن القوة لا تصنع الحق إلا عندما تريد ذلك نك.

ولم يمر العدوان الأمريكي بدون ملاحظة إطلافاً. فقد أعلن صراحة رئيس هيئة الأركان المشتركة السابق الجنرال وليام كسرو، أننا هنا لبسا بسدد لبسا ولاجرانادا، وحذر من مخاطر إرسالينا العالية، فإن التكاليف والمخاطر مهولة، وواقع محروو الليوريوك تايمز قاللن: «إن هذه العملية تتحدى عمليات الولايات المتحدة العسكرية في لبنان وجرانادا وبهاما. ووصف المراسل العسكري السابق للشايمز بربناة وتونرو وهو الآن مدير برنامج الأمن القومي في كلية كينيدي للدراسات الحكومية بهارنارد، صدام حسين بأنه «نوريجا الشرق الأوسط ومثله مثل نظيره البني يوجب أن يذهب». وفي الحقيقة تقف العقلة بين صدام حسين ومائول نوريجا ضد هذا العد فقط. لكن التشابهات لم تعد بين ملاحظة. ففي كل الأحوال كانت الولايات المتحدة تعمل دفاعاً عن النفس وفي خدمة النظام العالمي والبهذا الساسي. مجموعة أخرى من حقائق المنطق التي تطفو بأمان وبسام فوق عالم الواقع. وقد مدح محروو الليوسون جنوب الليبرالية بوش لوقوفه بجانب قيمة الرئيسة ورسم خطأ في الزمال أمام الشر الهائج، هذا لطف كان أروع من لفظ الرسوم في كوريا وقيتا، ولبنان، كما لاحظوا، واستخرج آخرون كذلك الدلال السابقة على نوبتا الخالصة في مراجعة أية مصاصب لتأديب الذين يلجئون إلى القوة أو ييجحدون بشكل ما عن تقاليدنا السلمية واللتزامنا بحكم القانون.

وفي المقابل فقد أشارت خطابات القراء مرات عديدة إلى نفاق رخواء هذا الموقف وتسامات، عن الفرق بين غزونا لبهاما وغزو العراق للكويت،، في معرض ذكرها لحالات أخرى عديدة من حالات عدوانا الصميد، ومرة أخرى يوضح من الفرق الدراما بين خطابات القراء وتعليق المحررين، فشل الهجوم العقائدي الذي شن في الأعوام الماضية في تخفيف حدة الصفوة المعدلة والوصول إلى كل قطاعات الجمهور المعادي.

٢١٩٩٠. وقد يبدو أن هذه المعضلة أصعب من الأولى بيد أنها ليست كذلك. فقد لعل وجه الرئيس ذي النظرة الصلبة للمصفعات الأولى جنباً إلى جنب مع كلماته عن المصلحة إلى مقاومة العدوان مع للتأكيد على هذه العقولة حتى يحترم الجميع شجاعته وإقلامه وإيماها بالسل التي تقصها، حتى استخداها للتكرات المية عن وقتنا بومفها درساً عن الحاجة إلى مقاومة العدوان واحترام حكم القانون، مر بدون ملاحظة ولو مسة عتاب وتلك هي علامة الانضباط الحقيقي. لقد لاحظت المصالحاة بالإجماع أن بوش قد أثبت أن الولايات المتحدة هي القوة العظمى لوجودها القادرة على تطبيق القانون الدولي بالرغم من إرادة معتد قوي، فيما عدا ذلك فقد ردت الصحافة وأجهزة الإعلام للزمالا التي لا يتزعزع، بحكم القانون وقدمية الحدود. وعبر مدى الطيف السياسي كان هناك تقدير لهذا الإثبات المتجدد لدفاعنا التاريخي عن طرق السلام رغم أن بعض اليميين التقليديين قد تساموا؛ لماذا يتعين علينا أن نقيم بالعدو القسور؟ وفي أقصى حالات الانشقاق كتبت ماري ميجوري «بالله قد يكون لبهاما حصين اتياج بين الحرب والفناء، لكن رغم هذا فالأمريكية ملتزمون للزمالا عاطفياً بالخلص من الوحش، بطريفة أو بأخرى. واقترحت قصف بغداد رغم أن هذا قد يكون تصرفاً أفرق بسبب احتمال الانتقام من الأمريكيين. وقد سربت جريدة الواشنطن بوست خطة للبيت الأبيض للقضاء على الوحش والتي وافق عليها الرئيس عندما أخبره مدير وكالة المخابرات المركزية لبهاما وستران «صدام حسين يمثل تهديداً للمصالح الاقتصادية بعيد المدى للولايات المتحدة». وقد وافق بالإجماع كل من البيت الأبيض والمعلقين السياسيين على أن هذه المصالح الاقتصادية هي المحرك الأساسي للقرارات السياسية. ولذا أرسلت الولايات المتحدة قوات عسكرية ضخمة إلى المملكة العربية السعودية وساعدت على تنظيم مقاطعة دولية وتقريباً حظر تام. وهذا بدعم فائق بشكل ملحوظ من قبل معظم حلفائنا الذين ولا شك يفتنون أن تكون الولايات المتحدة وعمالها من المؤيرون الأساسيون في إنتاج ونشر النفط وليس صدام حسين. بيد أنهم بدوا مترددين

أما خارج الحدود فمن الممكن تبين الحقائق البسيطة دوناً عن مراكز القوى العظمى حيث الانحراف عن الحقائق المستقرة هو أمر شديد الخطورة. فيذكرنا المقال التريسي جريدة السنداي تريبيون الدنيلية وعنوانه: السخط الأخلاقي رياء خالص، يرد الفعل الفريسي تجاه غزو العراق لإيران وغزو الولايات المتحدة لجيرانها ولما وغزو إسرائيل للبنان والعراق الواقع على للفلسطينيين وهو سبب مستمر للفتن المبرر في الشرق الأوسط، وسؤدد إلى اضطراب مستمر... لاحظ مرسل التلاميذ الأرثوذكسي في واشنطن سين كرونن الكلمات المصممة لمتدرب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة توماس بركليج تدعيها لقرار مجلس الأمن بإدانة العراق وتذكر المرسل بعض الأحداث التي لم تكن قد معنى علوها أكثر من ٨ شهور:- الاعتراف الأمريكي في ٢٣ ديسمبر ١٩٩٩ على قرار مجلس الأمن الذي يدين غزو بنما ومساعدة بريطانية وفرنسية في هذه الحالة، وعلى قرار الجمعية العامة في ٢٩ ديسمبر ٨٩ الذي يطالب باتسحاب قوات الغزو المسلح الأمريكية من بنما، ويسمي الغزو خرقاً شديداً للقانون الدولي ولتجاهكا لاستقلال وسيادة ووحدة أراضي دولة عضو بالأمم المتحدة.

يبد أن المعلقين المستعربين في الوطن لم يرمش لهم جفن. فم تجاهل التشابه مع غزو بنما تجاهل تاماً وبما وصل القارئون الذين لاحظوا أن الهجوم هو أفضل دفاع، إلى حد مقارنة أفعال جورج بوش في بنما بإرساله القوات إلى السعودية ولين بغزو صدام حسين لكويت، وتذكر كذلك وبشكل ملفت جرائداً وقيمتها وإيدان بوصفها سوابق لدفاعنا عن مبدأ عدم التدخل، وبالإجماع نفسه فشل المعلقون المسؤولون في تذكر غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ بفرض إقامة نظام عميل دمية في شكل نظام جديد، يخضع لمصالح إسرائيل، ويهدف ليقان مبادرات منظمة التحرير الفلسطينية للزيادة والمثقة من أجل التوصل إلى تسوية سلمية دبلوماسية. وقد نوشت كل تلك الأمور بصراحة داخل إسرائيل منذ اللحظة الأولى رغم أنها معمت من الرمسول إلى الجمهور الأمريكي. ويتألم هذا العمل العنواني الذي قامت به دولة عميلة ليكون عملاً حميداً، وكذا يستفيد

من الدعم النشيط لحكومة ويهان رغم إدانة الليبراليين والديمقراطيين وغيرهم من اليسار المتطرف لها، لأنها لم تقم بشك كالف لهذا العنوان الآثم الذي أدى إلى وفاة ما يزيد على ٢٠ ألف مواطن غالبيتهم لطلعي من المدنيين. والملاحظ أيضاً أنه تم تدفق مقارئة مع الاحتلال الإسرائيلي للمستمر للأراضي التي غزتها عام ١٩٦٧ وضمتها القدس الشرقية ومرفعات الجولان السورية، ورد الفعل الأمريكي، وتم أيضاً تجاهل التدخل السوري الليبي في لبنان بمساعدة أمريكية في مراحله الأولى عندما كان ضد الفلسطينيين وطلانهم اللبنانيين. ونسباً كذلك الغزو التركي لشمال قبرص الذي أدى إلى وقوع آلاف الإصابات ومئات الألوف من اللاجئين بعد حلة ماجة من القتل والتعذيب والاعتصاب والنهب من أجل استئصال البنية الأخيرة للصنارة الإغريقية بما في ذلك الأفكار الكلاسيكية. وقد مدح جورج بوش تركيا لأنها تعمل كحارس للسلام، بعد انضمامها لأولئك الذين دوقوا إلى جانب القوم الحضارية في الصائم، وقلعة هي التي تستطيع تذكر الغزو المغربي الذي أبدته الولايات المتحدة للصعراء الغربية في ١٩٧٦ والذي برزته السلطات المغربية على أساس أنه تكلي كويت واحدة في العالم العربي، فمن الظلم وقرع موارد ضخمة مثل تلك هي أبدي حلة مثيلة من البشر. ولو خرجنا عن السلطة فقد كان من السهل تناسي الدعم الأمريكي الخامس (وكذا الفرنسي والبريطاني والهولندي وغيرها) للغزو الأندونيسي لشرق تيمور الأمر الذي قارب الإذانة والمستمر حتى الآن مثلاً ولم تناسي أمور مشابهة كثيرة واضحة.

وقد قام العرب وغيرهم من مراقبي العالم الثالث بإجراء تلك المقارنات المستفدة وظهرت أحياناً كمحاولات صحفية. بيد أنها ترفقت عند هذا الحد. أوت توجيه اللوم والبرصيح لن قام بها، لأنهم ضد أمريكا ووطن وعاطفون وسخطيهم مغرلة. وفي تقرير للتويوريك تايمز حول ردود الفعل العربية الأمريكية تذكر فلسطيني بارنجر العرب الذين تقابلهم بأن الفصائل التي ومقدونها مع الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، لا تأخذ في الحسبان غارقة حساساً: إن الكويت لم تهجم العراق، بينما كان الجواب

اللباني مولاً للقواعد الفلسطينية التي كانت تنصف الأراضي الإسرائيلية بشكل مستمر، ويمنى عتاب بارنجر الزايف هذا من تقيسة واحدة هي: غياب الزقائع باختصار شلت إسرائيل على جنوب لبنان هجمات عنيفة مدمرة منذ أول ١٩٧٠ وإعادة بدون حتى انصاء الانتماء والاستفزاز فقطت أوف البشر وطرقت مئات الألوف من مساهكم وكان عرضها الذي صاغه الدبلوماسي الإسرائيلي أبأ إيهان هو الاحتفاظ بكل السكان رهان تحت تهديد الإرهاب بفرض تحقيق الهدف المنطقي المتحقق لا محالة، وهو: خنصر السكان المئثرين، للمطالب الإسرائيلية. وبعد الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨ والذي وضع المهر الجهنمي تحت السيطرة الإسرائيلية، قامت إسرائيل بقصف الأهداف المدنية قسماً مكثفاً، وأدت موجة من الهجمات الإسرائيلية المصمومة بدون أي سبب عام ١٩٨١ إلى لبنان لإطلاق النار سقط فيه سة قتل إسرائيليون ومئات من القتلى الفلسطينيين واللبنانيين عندما قصت إسرائيل مناطق آمنة بالسكان، والتزمت منظمة التحرير الفلسطينية بوقف إطلاق النار وضعه الولايات المتحدة ولكن إسرائيل كررت خرقه مراراً مما أدى إلى سقوط عديد من الضحايا المدنيين، وكان هذا في شمار سعى إسرائيل اليانس والصعوم لاستفزاز منظمة التحرير الفلسطينية لفعل شيء. ويمكن استخدام كذوبة للغزو المذبر من قبل، وبعد غزو ١٩٨٢ عادت إسرائيل على عائدتها القديمة في قصف لبنان على مرأها مع ممارسة الإرهاب البشع دفي مطقتها الأموة، في الجنوب.

بيد أنه من الظلم أن نلرم بارنجر على قلبها الحقائق رأساً على عقب؛ فالمواديت التي قصتها هي النصفه للتوازية المبرورة في التويوريك تايمز وغيرها وقلعة هي التي تفكر في مساملة وتدعي الهجوم المستقرة. ومن ثم فإن قلب الزقائع في هذه الحالة على أية حال، هو مجرد نصر ضئيل لا يقاس بالإنتاجات الحقيقية للذلة التي حققها جهاز الدعاية من قبيل تحويل عدوان الولايات المتحدة على جنوب فيتنام إلى جهد نبيل للدفاع عنها ضد الاعتداء.

وبوسعنا أن نقول للقول لنفسه عن المعلقين الآخرين الذين غضبوا وأدانوا العرب

العردوان المشيين



صنعت هذه الأراضي السورية (وأدلتها مجلس الأمن بالإجماع لولا أن الفيتو الأمريكي قد منع تنفيذ المقاطعة والقرارات) ولكن أيضاً لأن إسرائيل هاجمتها واحتلتها خارقة وقف إطلاق النار. أما في حالة الضفة الغربية، فالمسرحيون سيستطيعون أن يدعوا في معرض دفاعهم عنها أن القوات الإسرائيلية قد استولت عليها بعد دخول الأردن للعرب. وفقاً لاتفاقتهما مع مصر التي هاجمتها إسرائيل.

وعلى طول الخط، نرى كم هو مهم استحالة التاريخ وتشكيله حسب الأغراض التي يطلبها الأقوى وكم هي قيمة مساهمات القدم الخلفيين الذين يؤدون وظائفهم.

٣ - طرق للابتعاد عن الكارثة:

ولقدرة قصيرة ومضى تهديد في الأفق من أن العلاقة الخاصة مع إسرائيل يجوز أن تأتي إلى المقدمة بعد ١٢ أغسطس ١٩٩٠ عندما اقترح صدام حسين تسوية تربط بين الانسحاب العراقي من الكويت والانسحاب من بقية الأراضي العربية المحتلة: سوريا من لبنان وإسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧. وتكررت للفاينانشيال تايمز للندن أنه رغم أن عرض صدام لم يخفض الأخطار المحيطة فإنه من الممكن أن يفقد بشكل ما، ويوفر طريقاً للابتعاد عن الكارثة خلال المفاوضات، وأكثر من ذلك، فربما كسان على حق في إفسارته إلى أن رفض إسرائيل التخلي عن سيطرتها على الأراضي المحتلة يمثل مصدراً للنزاع في المنطقة، وكان في ربطه الانسحاب العراقي من الكويت بالانسحاب الإسرائيلي من الأراضي السورية والفلسطينية عبر السيد صدام حسين عن شيء لا يستطيع أي قائد أو مواطن عربي مهما كان متحيزاً أمريكياً أن يرفضه، وأن رفض مناقشة الموضوع يمكن أن «يقرب مخاطر الحرب الشاملة في الشرق الأوسط وقد تدخل فيها الدولة اليهودية»، إن الموضوع الآتي هو الانسحاب العراقي من الكويت، ولكن في ضوء الاقتراح العراقي مهما كان غرور مرض كما قد يبدو فإن مسؤولية قراره متداخلة بما في ذلك القوى الشرق أوسطية والغربية هي أن ينتهز تلك المبادرة ويربط المبادرة للدبلوماسية باستعراض القوة السياسي والعسكري والاقتصادي الذي

بقوة لمحاولتهم المقارنة مع حرب ١٩٦٧ وأدائها بالدرجة نفسها، وتلقاه وجهه، القدمين التلفزيونيين والصحفيين الذين أتاحوا لهم الفرصة ليتقنوا يمثل هذا الهراء (هنري سيجمان المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي الأمريكي، وفي كندا الحاليين فسر سيجمان لأولئك السامعين التأنيهن ما حدث، فقد غزت الدول العربية دولة جارة لهم مسألة بدون أدنى استفزاز أو سب، رغم أن «المعتدين الأول في ١٩٦٧، كانوا «سوريا ومصر والأردن، وليس العراق. وأعلن محرر التاييمز نايدهم وهم يديرون موسكو وغيرها من الأرباب الأمنيين لمحاولتهم تقتل حجة بغداد في أن استيلاءه على الكويت يمكن مقارنته بأية حال من الأحوال بالاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية، وهي مفارقة خاطئة ومربكة بشكل عبي، لأن احتلال الضفة الغربية قد بدأ فقط بعد هجوم الجيوش العربية على إسرائيل، ولا يوجد حتى داء للسؤال عما إذا كانت إسرائيل قد هاجمت مصر عام ١٩٦٧ وأن الأردن وسوريا قد دخلتا الحرب معهما مثل إنجلترا وفرنسا عندما هاجمت ألمانيا حليفتها بولندا فدخلتا الحرب عام ١٩٣٩. يجوز أن نجادل أن الهجوم الإسرائيلي كان مشروعاً ولكن تحويل ييدو أنه ككله لو لم يكن هو الأسلوب المعتاد.

ونلاحظ أن العقال الإسرائيلي للتاييمز قد صيغ بشكل حريص، فهو يشير إلى الضفة الغربية وليس إلى غزة وهضبة الجولان فمن الأفضل التفاوض على غزة لأن الأكود أن إسرائيل قد هاجمت مصر واستولت على غزة، من الصعب أيضاً الدفاع عن حالة مرتعات الجولان، ليس فقط لأن إسرائيل قد

وعرض الآن في الخليج، كان رد العمل الأمريكي مختلفاً، سواء في الاستجابة الرسمية أو التعليقات العامة، لم ترد أية فكرة أنه يجوز استكشاف العرض لإيجاد حل سلمي لأزمة شديدة الخطورة، لم تحدث حتى بادرة كاذبة نحو إمكانية جواز أن توجد نقطة لها قيمة معصورة في مكان ما في هذا الاقتراح، على العكس فقد رفض العرض باستخفاف شديد، وفي هذا اليوم في نشره أنباء للتلفزيون ظهر الدينامو جورج بوش وهو يبحر مسرعاً ببحنه للشرابي ذي الصبرك ويجري بحلف ويغلب للنس والبوليف وينقل طاقته الممتلئة بفتى الرسائل في أمور مهمة، وكما صرح كان مشغولاً جداً بالتذرع بحيث لم يستطع (إصاعة كثير من الوقت في مثل الذبابة المروعة ذات الزى العربي، وقد حرضت أنباء التلفزيون على التاكيد على أن انزعاج الرئيس من هذا المزيج كان شديداً لدرجة أنه اضطر حتى إلى إيقاف مسيرة من منبريات الجراف للتعبير عن احتجاجه لما أسماه المعلق، «ما يدعي بحرض صدام حسين، الذي لا يجب الخلط إليه بوصفه عرضاً جدياً». واستجب العرض العراقي عبارة شجب واحدة في تقرير إخباري من المقاطعة الدولية في جريدة النيويورك تايمز في اليوم التالي، وبسرعة مضت معقبات مضطرب بحث تلك المقترحات، وقد مرت وسائل الإعلام مثير الكرام على واقعة حدثت قبل هذا يومين حيث نشرت وزارة الزراعة الإسرائيلية تصريحات على صفحة كاملة في الجرائد تقول «إنه من الصعب تصور أي حل سياسي يتفق مع بقائه إسرائيل لا يتضمن سيطرة إسرائيل المستمرة والكاملة على أنظمة الري والصرف (في الأراضي المحتلة) وعلى البناء الصحي الملازم لها بما في ذلك إمدادات القوى وشبكة الطرق اللازمة لتفكيكه ومصلحتها والوصول إليها»، كما أن منح للفلسطينيين حق تقرير المصير الحقيقي «سيهدد المصالح الإسرائيلية الحيوية تهدداً خطيراً، كما أكدت التصريحات على أن «استمرار الوجود الإسرائيلي، مزوون بضمان السيطرة الإسرائيلية على الضفة الغربية، باختصار من غير التدخل أي انسحاب له معنى من الأراضي المحتلة أو قبول للعرق القومية للشعب الفلسطيني وهو الموقف

الرئيسي المستمر للولايات المتحدة وإسرائيل والذي شكل على مدى ٢٠ عاماً الحاجز الأول ضد أي حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي، وأقيمت الوقائع هناك من الصحافة الأمريكية بما في ذلك الموقف الأمريكي الحالي، وهو تأييد خطة شامور - بيريوس التي تعلن أن الأردن هي الدولة الفلسطينية وينبغي أي تغيير في مكانة الأرض التي تحتلها إسرائيل عدا وفقاً لمقتدحات الحكومة الإسرائيلية والتي تمنع أي تقرير مصير حقيقي وترفض التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ومن ثم لنكر على الفلسطينيين حقهم في اختيار مثلهم السياسيين وتدعو إلى انتخابات حرة، تمت السيطرة العسكرية الإسرائيلية العظيمة ومع تمنع معظم القيادات الفلسطينية في سجون إسرائيل، ومن ثم فليس من الغريب أن شروط الموقف الأمريكي، والتي تسمى «عملية السلام» والعلبة الوحيدة في اللعبة، لم تكثر أبداً في وسائل الإعلام الأساسية.

وفي ١٩ أغسطس ١٩٩٠ ظهرت مشكلة جديدة مع اقتراح صدام حسين بترك مشكلة الكويت لتكون مسألة عربية خالصة، تتعامل معها الدول العربية فقط بدون تدخل خارجي كما في الاحتلال السوري للبنان ومحاولة المغرب الاستيلاء على الصحراء الغربية.

وتم رفض الاقتراح بناء على الأسس المعقولة التي تقول إنه في هذه الحالة يمكن أن يأمل صدام حسين في الوصول إلى أغراضه عن طريق التهديد باستخدام القوة أو حتى استخدام القوة. ولكن تم التفاوض عن واقعة مهمة: إن الديكتاتور العراقي قد انتزع مرة أخرى ورقة من كسب واشنطن. إن الموقف التقليدي للولايات المتحدة بالنسبة لنصف العالم العربي هو أنه لا حق للفرياد في التدخل، فإذا تدخلت الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية أو الكاريبي فذلك موضوع خاص بالنصف الغربي من العالم ويجب حله في النصف الغربي من العالم دونما تدخل خارجي. الرسالة هي: أيها الفرياد انتظروا في الخارج فمن قادرين على علاج شؤنا في الحبة التي يستطيع الإقطاعي المحلي أن يوقع سيطرته التامة عليها.

ولكنكم مثالا واحداً فقط ومن الجلي أنه مسجد هنا: في ٢ أبريل ١٩٨٢ وضعت

الولايات المتحدة سابقة بتصويتها ضد قرارين لمجلس الأمن في موضوعين مختلفين في اليوم نفسه. دعا القرار الأول إسرائيل لإعادة ثلاثة من عدد الضفة الغربية المستعبدين إلى مناصبهم وقد كانوا أبحاثاً طاجيكية للإرهاب اليهودي. ودعا القرار الثاني الأمين العام للأمم المتحدة إلى إعلام مجلس الأمن باستمرار عن تطورات الأزمة في أمريكا الوسطى وحين ذكر أسماء ولا اتهام ولكن للقرار ضمناً موجه ضد التدخل الأمريكي في نيكاراغوا. وقد اعترض مندوب الولايات المتحدة على أساس أن القرار يلمى روح الرأيا ويسخر من جهود السلام ويهدم النظام بين الأمريكيين، ذلك النظام الذي له الحق فقط في معالجة هذه المسائل بدون تدخل الأمم المتحدة. وهكذا، توبة أكثر لطرفاً من موقف صدام حسين اليوم.

في ٢٣ أغسطس ١٩٩٠، حمل مسئول أمريكي عالي سابق لمستشار الأمن القومي برنت سكوكروفت عرضاً عراقياً آخر وقد نشر كقوليت رويوس في النيوزداي في ٢٩ أغسطس ١٩٩٠ رويوس على الجمهور. هذا العرض الذي أكدته الرسل الذي حملته والفتكرات المتبادلة. وفقاً لمصادر مسئلة عن الموضوع عرضت العراق الانسحاب من الكويت والسماح برحيل الأجانب في مقابل رفع الحظر وضمان الوصول إلى الخليج والسيطرة الكاملة على حقل بترول الرميطة، والذي يمتد من الأراضي العراقية إلى داخل الأراضي الكويتية بعض الشيء. كما أكد (رويوس) - وهي منطقة حوراني مليون من الأراضي المتنازع عليها. وفقاً للمذكرات التي ألقطت منها رويوس فمن مقترحات العرض الأخرى أن يتفاوض العراق والولايات المتحدة على اتفاق لفظي يرضى مصالح الأمن القومي للأمتين. «وتمتلأن مما على استقرار الخليج، وتطوران خطة مشتركة لصالح مشاكل العراق المالية والاقتصادية، ولا تكرر لانسحاب أمريكي من السعودية أو أي شروط مسبقة أخرى. وقد وصف مسئول بالحكومة متخصص في شئون الشرق الأوسط العرض بأنه جاد وقابل للتفاوض.

ومرة أخرى كان رد الفعل موجياً. سخر المتحدث الرسمي للحكومة من الموضوع

برمته. وتكررت النيويورك تايمز تقرير النيوزداي باختصار في صفحة ١٤ وهي صفحة بها تمة مقالة عن موضوع آخر. واقتطعت من أقوال مستعبدين رسميين للحكومة رفضوا الموضوع بوصفه كذباً دعائياً. وبعد وضع الموضوع في إطاره الصحيح اعترفت النيوزداي بأن القصة دقيقة واقتطعت من أقوال مصادر البيت الأبيض التي قالت إن الموضوع لم يؤخذ بجدياً لأن السرد يهين يطلب الانسحاب العراقي غير المشروط من الكويت، ولا حظت التاييز أيضاً بهدوء، أن دبلوماسياً شرق أوسطي له اتصالات رفيقة، أخبر النيويورك تايمز منذ أسبوع راي في ٢٣ أغسطس، عن عرض مماثل ولكن الحكومة رفضته أيضاً. ذلك الأنباء لم تكثر رغم أنه أصبح من المستحيل تجاهلها تماماً بعد ترسيبها إلى الجريدة الإقتصادية النيوزداي بعد أسبوع وهي جريدة تباع بصورة ملحوظة في محلات نيويورك مما يعطي صورة موحية ونظرية واضحة لما حدث. وقد تخلص آخرين من المشكلة بالكيفية نفسها.

هنا تتضح عدة مميزات للنظام وسائل الإعلام. ومن الممكن أن تحدث الحركات عن اللفظ الدعائي بسهولة أكبر مما في تلك الحالة كلما خرجنا عن نطاق دائرة الضوء القومية، ومن ثم نواجه عددًا مشكلة تصعيد النصارى. إن الآلية الصحفية القياسية لإخفاء الوقائع غير المرغوب فيها والتي ظهرت إلى النور مع الأسف الشديد وأسرته البعض، هي ذكر تلك الوقائع في سياق اللفي الحكومي لها. وبشكل عام ولاسيما شروط الموضوعية توضع للقصة العنصرية وفقاً لأولويات القوة. في هذه الحالة فإن التقرير الإخباري في التاييز - ذلك الذي سيحصل «التاريخ» - يستقي مصدره من السلطات الحكومية. أولاً يتم إنكار الوقائع غير المرغوب فيها بوصفها كذباً ثم يتم الاعتراف بدقتها وصحتها ولكن بعدم أميبتها لأن واشنطن غير مهتمة. ونعرف أيضاً أن الجريدة قد أخفت من قبل عروماً سابقة «كاذبة» للسبب نفسه. وهذا يلهم الموضوع برمته. ويمكن التكنس بسهولة وارتياح فقد ألفي التاييز بإمكانية وجود «طريقة لتجنب الكارثة من خلال المفاوضات».



المعدوان المشيين

٤ - الماضي قديماً:

تظهر بعض المشكلات عدد معالجة حقيقة أن حلفاء الولايات المتحدة ليسوا جذابين على وجه الخصوص. فتمتة فارق شذول بين صدام حسين وبين حلفاء الأسد بعض للظن عن الخدمات المالية لاحتياجات الولايات المتحدة. وفي ٢ نوفمبر ١٩٩٠، ذكر تقرير غير ملامم لمنظمة العفو الدولية أن قوات الأمن السعودية قد عذبت وأهانت مئات من «العمال المينمين المنبوذ» وطردت أيضاً ٧٥٠ ألفاً منهم بدون سبب واضح غير جنسيهم أو لثقتهم في ممارستهم لحقوق الحكومة السعودية في أزمة الخليج. وتفاضت الصحافة عن ذكر ذلك، رغم أنه في حالة الدول العربية توجد وفرة في المعتقلين الذين يكشفون طبيعتهم الشريرة.

أيضاً يحتاج التحالف مع تركيا لحماية السلام، في قبرص إلى بعض الحرس، خاصة بسبب مسألة الأكراد في شمال العراق فمن المصعب ألا نلاحظ أنه من الممكن إضعاف القوات العراقية لمواجهة للقوات الأمريكية إضعافاً شديداً لو ساندت الولايات المتحدة تركيا كبرديا. وقد رفضت واشنطن هذا الخيار على الأغلب لغربها من انتشار التمرد الكردي من العراق إلى شرق تركيا حيث يعاني السكان الأكراد (الذين لا يعرفون الأتراك بكرتهم كذلك) من اضطهاد وحشي. وقد لاحظت البول ستريت جورنال في لنتاه صغلى نادر للموضوع، أن الغرب يفتي من أن يصف التحالف المعادي للعراق أو أكرت «المسألة الكردية» مع تركيا وسوريا وإيران. ويضيف التقرير أن حكومة الولايات المتحدة رفضت أيضاً باتاً مقابلة زعيم كردي عراقي

زار واشنطن في أغسطس «طالب الدعم» وأن الأكراد يقولون إن لنقرا تستخدم أزمة الخليج وما نجم عنها من شعبية لتركيا في الغرب من أجل قمع الأكراد.

حتى في هذا الموضوع المسأوري، تم الحفاظ على النظام. وصعوبة شديدة سجد كلمة واحدة لروما لا لجد أي كلمة على الإطلاق. عن استخدام حكومة بوش لتضمينه بعدة ألوف من أرواح الأمريكيين. حتى مع تفاقمنا عن مسألة الأكراد الذين استغلوا بأنفسهم درجة من درجات اللراء والنفاق على يد الحكومة وسائل الإعلام. من الضروري أيضاً أن نعامل بشكل ما مع واقعة أنه قبل هجوم صدام حسين على الكويت، عاملته حكومة بوش وأعلنها هذا القاتل السراح على أنه صديق حميم وشجعت التجارة مع نظامه والقروض لمساعدته على شراء البضائع الأمريكية. وتقبلت دعمت واشنطن غزوه لإيران ثم ازداد ميلها إلى العراق في حرب الخليج حتى إنها أرسلت قوات عسكرية لحماية النفط البحري من إيران (وكان التهديد الرئيسي للنفط البحري هو التهديد العراقي). واستمرت في هذا الخط حتى بعد أن هاجم الطيران العراقي البازجة الأمريكية أشاركه في ١٩٨٧. وبينما تسارعت الأمة لتدمر الوحش أعلن عضو الكونجرس عن تكساس هنري جوتز أليس رئيس لجنة البترول في. للجلس أن ينكأ وإحدى فقط مقره أطلانطا قد قدم ٣ بلايين دولار خطابات ضمان للعراق منها ٨٠٠ مليون دولار تضمه هيئة القروض المتعلقة بالمشتريات الزراعية والتي تضمن القروض البنكية لتمويل تصدير المنتجات الزراعية الأمريكية. وادعى جوتز أليس كذلك أن ثمة دليلاً مقبوساً على أن العراق قد حصل على أسلحة وروما أسلحة كيميائية أيضاً في غمار هذه الصفة، وقال «لا شك أن تلك التور قد مرتل غزو الكويت حقاً، و لا شك أيضاً أن الجانب الأعظم من هذا القرض كان للتسلح، وقد ناقشنا من قبل محاولات حكومة بوش لتدعيم صدام حسين التي أعلنت مع بداية عملية «الهدف للعبول» لتخفيض السلام من ظلم مانفول نوريجا وعدم وجود أي رد قبل أو حتى ملاحقة. ومن الصعب تجنب هذه المسألة غير المريحة تجنباً تاماً، ففي ١٣ أغسطس اعترفت الليبيريك تليز أخيراً أن

العراق قد وصل لقمة قوته «بمرافقة الولايات المتحدة وأحياناً بمساعدتها» بما في ذلك «تجارة الحبوب المزدهرة مع المزارعين الأمريكيين والتعاون مع وكالات المخابرات الأمريكية وصصمت البوت الأبيض عن نقد قتلهم في مجال حقوق الإنسان والمعلومات الحربية، فمذ ١٩٨٢ «صارت العراق واحدة من أكبر مستوردي القمح والأرز الأمريكي، فاستوردت ما قيمته ٥.٥ بليون دولار من الماشية والمصاحيل باستخدام قروض فدرالية مضمونة ودعم زراعي وتقدمها السحب» وتصلت كذلك حوالي ٧٧٠ مليون دولار قروض مضمونة من الحكومة لشراء بضائع أمريكية أخرى بالرغم من قتلها عن مداد البون. وحسب بيانات ١٩٨٧ - وهي آخر البيانات المتاحة - استورد العراق ما يزيد على ٤٠٪ من طعامه من الولايات المتحدة ونسل الحراق في ١٩٨٩ بليون دولار ضمانات قروض ويأتي في هذا الصدد في المركز الثاني بعد المكسيك، ويذكر تشارل جلاص أن الولايات المتحدة قد صارت السوق الرئيسية للنفط العراقي، في الوقت الذي دمجت فيه الغرفة التجارية الأمريكية العراقية والتي يرأسها دبلوماسيون سابقون ورجال أعمال مرموقون، صدام حسين محدداً شديداً نظراً لاحتلاله وإتباعه امر الديمقراطية، وتفاضت حكومتها بوش وريجان تقريباً عن شراء العراق لطلانات مريحة أمريكية وتحويلها للأغراض العسكرية مما يخرق الوعد التي قطعتها على نفسها، وكذلك عن استخدامها لتقازات السامة ضد القوات الإيرانية ومواطنيها من الأكراد وأيضاً عن تهجيرها لصف مليون كردي وسردى بالقوة ضمن غورها من الناطق.. مجرد خطأ في التقدير أو وفقاً للرأية إلى صمة إحدى تكات التاريخ. ولم يطرح أي تساؤل عن سبب نشر التنازع لهذا الآن بعد تحول واشنطن ضد العراق ولين قبله.. مثلاً عند غزو بنما - عندما كان الحلول متورفاً وبسولة وروما كان هذا اللفر قد ساعد على تجنب ما يحدث الآن!!

وكانت ثمة مهمة أخرى هي إلقاء الة أن مبررات العراق لتفقه الصريح للقانون الدولي تشابه تلك التي قبلها العراق وسائل الإعلام بل في بعض الأحيان تمدها في حالة الصخران العميد الذي تقوم به الولايات

المتحدة وعملها. فقد زعمت العراق أن ثمة تهديداً خطيراً لاقصانها نتيجة خرق الكويت لاتفاق الأوبك حول محسن الإنتاج النفطية من شأنه أن يضرب بمحاولة العراق تخطي أزمة حربية مع إيران. ولا جفان أن هذا الخرق يضرب العراق شتراً شديداً. ولم تهازل شكوى العراق في هذا الصدد تجاهلاً تاماً مطها مثل اتهامها. قبل هجومها على الكويت، للكويت بأنها تسحب النفط من المعقول الصوديوم مما يؤدي حسب الزعم العراقي إلى تضيق المعقول العراقي ويشكل «سرقة تصل إلى حد الاعتداء العسكري». ويبدو أنه لا ذكر لهذه الاتهامات في ذلك الوقت رغم أنه بعد شهر من هذا كان ثمة اعتدال ملحوظ بأنه سواء كان صدام حسين مثل هتلر أو أفاة بعض المدن في جانبه، ومن وجهة نظر العراق فقد تصرفت الحكومة الكويتية، تصرفات عدائية وتمثل حرباً اقتصادية، وبالتالي ثمة رنة مؤلمة لهذه الصيحة العراقية؛ فقد سمع موثق الأمم المتحدة للولايات المتحدة بحق الدفاع عن مصالحنا بالقوة، وفقاً لوجهة النظر الرسمية الفتحمة لتدوير غرض بذا. وقد كان الهجوم الإسرائيلي على مصر عام ١٩٦٧ بسبب الانحياز الاقتصادي الناجمة عن تهديده الاحتياطي أثناء فترة الأزمة والتوتر. وقد بررت الولايات المتحدة خطواتها لمواجهة العدوان العراقي، بوجود تهديد متضمن للمصالح الاقتصادية الأمريكية كما في حالات عديدة من حالات التدخل والغريب، ولم يكن التهديد الذي شكلته الأفعال الكويتية على المصالح الاقتصادية العراقية تهديداً متنياً. ويشكل أكثر صعوبة فقد برز الديقاقور العراقي عدوالة على أنه عمل نبيل، فداغاً عن الأمم المتحدة، مدعي أن الكويت كيان مستقل وجزم من قرأت الاستعمار الأوروبي الذي شكل العالم العربي وفقاً لمصالحه الأتالية.. وضمت هذه الأليات الأتالية للثورة النفطية المضغمة العالم العربي البماضمة العربية ولكن القوى الصناعية الغربية وقلة محدودة من الخلية المرتبطة بها، ويرغب للثقل الشديد في موقف صدام حسين فإن الاتهامات لا تغفل من رجامة ولها قبول جماهيري ملحوظ، ليس فقط بنو ٢٠٪ من السكان غير الكويتيين الذين يودون العمل الذي يخسر الأقبية

المراطة وليس «الأشقاء العرب». وقد لوحظت كراهية الولايات المتحدة بين شعوب العالم العربي ولكن بدون أي تحليل جدي لسبب رحمتية وجود هذه الكراهية، ورد للثقل المهوره إرجاع هذه الكراهية إلى المشاكل الشورية والماتلية لشروب تخطها مشكلة التاريخ نظرًا لثقافتها. وقد يكون من المستحيل تقديم تقرير مطلق عن مسائل محورية مثل الخلافات المتداخلة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وقلسطين حيث إن الجهود الأمريكية الممتنية واللانحة جداً لمنع تحقيق تسوية سلمية سياسية قد حذفت من التاريخ بكتابة مقطعة التطوير. ويسهل الترتب الشديد والعصرية المضادة للعرب في الثقافة السائدة من للعبة المهوردة التي ترجع كراهية الولايات المتحدة لأخطاء الآخرين. والثير السائد هو أن العرب لا حق لهم أساساً في النفط الذي وضعته السدفة الجيوبولوية تمت أقتانهم. وكما شرح والتز لأكور أسئلة عام ١٩٧٢ يمكن تدويل نفط الشرق الأوسط ليس لمصلحة بنمع من شركات النفط ولكن لمصلحة كل البشرية؛ ويمكن تحقيق هذا باستخدام القوة فقط بيد أن هذا لا يمثل معضلة أخلاقية، لأن كل الرهان هو مصير بعض مشايخ الصمراء.. فقط من الصتري تصوير هذا بعض الشيء.

اقرأ بدلا من كلمة «تدويل» عبارة «سيطرة الولايات المتحدة وعملها»، طالما ظلوا مؤيدي مخلصين لإسرائيل، وأقرأ بدلا من كلمات «بنمع من شركات النفط، عبارة العرب الذين لا يستحقونه». وهو المثلث نفسه الذي يربطه المغاربة عدد غزوم المصمراء «تلكي كويت واحدة»، من المظلم أن تقع الموارد الغنية في أيدي بشر لا أهمية لهم عندما يكون الرجال الأغنياء الذين يمكنهم العالم في حاجة إليها. وبالطبع فمختور الغرب أربع بكتير من مختور المغرب فهو ينشئ كل المنطقة، وكل موردها في الواقع مورد العالم بأكمله.

وبالمثل فإن الاهتمام الشديد بمصلحة البشرية، الذي أظهره لأكور وأخرون لم يود بهم إلى اقتراح تدويل نفط أمريكا الشمالية ونفط الشرق الأوسط أثناء أعوام ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما كان الغرب بقيادة الولايات المتحدة، وسيطر سيطرة تامة

على مصادر الطاقة، ولا جعلهم يصلون للاستنتاجات نفسها فيما يتعلق بموارد لقرب الزراعية والصنعية والصناعية التي تحتفظها بمدنحي السعادة والرضا الأمم الغنية، وكالمادة يرتكز التدويل على قيمة «الأمية».

من السعيد أن نتذكر كم هو قليل الجديد في كل هذا. لنذكر للتسميرات السابقة حول عدم أهقية المكسيكيين عديسي الكفالية الرؤساء في التحكم في مصبور أرضهم الغنية. وبعد بداية هذا القرن أربع المورخ والإستراتجي المشهور ألفريد. ث باهال الأدميرال المشروف بالتزامه بالقيم المسيحية وقانون الحقوق الطبيعية أربع أن هذه الحقوق يجب تدميرها في حالة البلاد عديمة الكفالية ميث الصين وأنه يجب تحقيقها بثلث الكيفية ميث نصن الحق الطبيعي للعالم بأكمله لضمان عدم إعمال تلك الموردة أو إساءة استخدامها، فإن حقوق البشرية أهم من حقوق الصيديين فهم «خراف بدون راع» وتجب قيادتهم وتقسيم بلادهم وتطويعهم العقائل المسيحية وباهتمام التحكم بهم من قبل الساسة الغربيين لتأكيد الذات العادلة فقط لا لغرض ذاتي ولكن لرغابة البشرية جمعا. إن الأفكار الضميمة لها أسلورها في تكرار الظهور في كل عصر.

٥. الأمم المتحدة تتعلم قواعد السلوك:

وعلى شور المائدة تلت الأمم المتحدة تقريرا كيبيرا. فقد حيا مخترو البريطان جلوب تمت عفوان «تدوم عصر الأمم المتحدة»، حدوث تغير ملحوظ في تاريخ المنظمة، وظهر وجه جديد من المتدولية والهدية، والأمم المتحدة كقوة مبادرات الولايات المتحدة لمعاقبة الممتدى وحب عدة آخرون بهذا الانحداد المسموع عن النمط السابق المخل.

وقد عزى التغير المصوح في سلوكيات الأمم المتحدة إلى التضمن في سلوك المندوبين والسلوى والتحصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة. ويفرض مقال إخباري في الجلوب إن «إدانة موسكو لنفسه العراقي بسرعة قد حورت مجلس الأمن الذي ظل مشغولا فترة طويلة بسبب النزاع بين القريين العظيم ومكتفه من أن يلعب دورا حاسما، في الرد على الاعتداء». وكتب مراسل التايمز ج.و. أبجل أن واشنطن «زاد اعتمادها

العدوان المشبين



كثيراً في صياغة سياساتها على الأمم المتحدة التي صارت الآن أكثر وطنية وحركية عنها في عقود خلت وهذا سبب لنهاية الحرب الباردة، ورحب مقال افتتاحي في التايمز بالتغير الشغل في اتجاه اليمين، قد تحول الأمم المتحدة (خيراً) إلى الجدية، فصمت «معظم نقادها» واتاحت للرئيس بوش الفرصة في متابعة مجهوده النبيل لخلق نظام عالمي جديد لحل للنزاعات عن طريق الدبلوماسية متعددة الفروع والأمن الجماعي، وراجع جون كوشنوك في الواشنطن بوست خلفية هذه اللحظة الحاددة في تاريخ الأمم المتحدة «إلى فجأة بدأت في العمل بالطريقة التي صممت من أجلها» وتحوّلت إلى هيئة من أجل السلام العالمي بعد سترات من رفضها نظراً لفتلها للذريع ولأنها صارت منصة ديماجوجية العالم الثالث خلال نزاعات الحرب الباردة الطويلة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهما، لقد تذاوى المفهوم الأصلي للأمم المتحدة كحارس للسلام في العالم في البداية كتجربة للحرب الباردة المستعرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. في هذه الأعوام الأولى كانت صبرة الأمم المتحدة التي انطبعت في ذهن العالم هي صورة السندوبين السوفيتيين المتجهمين وهم يعترضون على قرارات مجلس الأمن أو يسحبون منه بينما جرات الدول الأعضاء الجديدة من العالم الثالث الجمعية العامة إلى منصة للهجوم المتوف على الغرب..... ثم ومنذ عامين تقريباً بدأ يبحث تغير في هذا كتجربة للتغيرات في السياسة السوفيتية الخارجية الموجهة نحو الرقابة، وأضاف مقال اليوم السياسي للرئيس دافيد يور

(بصمته قائلاً: «أنهاء أحوال الحرب الباردة جعل القويو السوفيتي وعدائية معظم دول العالم الثالث من الأمم المتحدة هدفاً لاحتقار معظم المواطنين والسياسيين الأمريكيين.. لكن في المناخ المتغير اليوم ثبت أنها أداة فعالة لقيادة العالم وضعتاً هيئة يمكنها أن تؤثر في السلام وحكم القانون في المناطق المستطرية، ويقتحج جورج بوش تحوله القدي سياسة الحكومة في نيويورك ونيو بقره «مع نهاية الحرب الباردة وبداية أزمة الخليج صار بإمكان الولايات المتحدة الآن أن تختبر قيمة المفهوم الويلسوني عن الأمن الجماعي اختياراً لخدمة طوائف الأعوام الأربعين الماضية للويو السوفيتي التي في مجلس الأمن، ويقول الصحير مارك أريان في تقرير لبي بي سي عن الأمم المتحدة «مراراً وتكراراً أثناء الحرب الباردة، استخدم الكرملين القويو لحماية مصالحه من تهديد تدخل الأمم المتحدة، فلطالما ظلت الإجابة هي لا الروسية، ظلت مناقشات مجلس الأمن مسخلة، لكن الآن، اختلف السلوك السوفيتي تماماً، مع لقتصاد قحاضي، وفائد يؤمن بالتصالح، من لم عيلنا أن نذكر أن الخلاف بين القوى العظمى والتعبير الرئيس والقويو السوفيتي المستمر والمشاكل النفسية لدول العالم الثالث، قد حال دون تحمل الأمم المتحدة لمسؤولياتها في الماضي.

وقد تكررت تلك السمكفات في عشرات من العقالات المماسية وكلها ذلت خاصة ملحوعة: لا يوجد دليل يقدم ادعم هذا الذي يبدو أنه حقائق جلية لا تحتاج إلى أدلة. وثمة طريقة لتحصيد سبب فشل الأمم المتحدة في أداء دورها في حفظ السلام. فلم فقط مراجعة سجل القويو في مجلس الأمن وسجل الاعتراضات الملبي للمعزول في الجمعية العامة، ورفض نظرة سريعة إلى الوقائع سبب وضع للتساؤل على اللف لمصلحة للتوليروجة السياسية ذاتية للخدمة.

فلمذ عام ١٩٧٠ والولايات المتحدة تتقدم - وبمسافة كبيرة - للجمع في الاعتراض على قرارات مجلس الأمن ورفض قرارات الجمعية العامة في كل الموضوعات ذات الأهمية. يأتي بعدها في المركز الثاني ولكن يافرق كبير بريطانيا وأساساً في مجال دعمها للنظام المتحصري في جنوب أفريقيا. إن

السندوبين المتجهمين الذين يصوتون معترضين يتحدثون الإنجليزية بطلاقة. بينما صوت الاتحاد السوفيتي بانتظام عن الغالبية الساحقة. وفي الحقيقة كان من الممكن ازدياد شدة عزلة الولايات المتحدة لولا حقيقة أن قوتها الهائلة قد منعت معظم الموضوعات الدالية من الوصول إلى جدول أعمال الأمم المتحدة. قد أدبى القويو السوفيتي لأفغانستان إنالة صبرية مراراً وتكراراً بيد أن الأمم المتحدة لم تكن مسددة أبداً ليحث حرب الولايات المتحدة ضد الهذد الصيني. ولتوضيح هذا بإمكاننا استخدام دورة الأمم المتحدة التي تسبق «التغير الشغل في اتجاه اليمين» مباشرة شتاء ٨٩ - ٩٠ م. الاعتراض على ثلاثة قرارات لمجلس الأمن؛ - إدانة لهجوم الولايات المتحدة على سفارة نيكاراجوا في دما «فيتو أمريكي واقتناع بريطاني»؛ وإدانة لغزو الولايات المتحدة ليدما «فيتو أمريكي بريطاني فرنسي»؛ وإدانة للممارسات القسوة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة «فيتو أمريكي»؛ وكان هناك قراران للجمعية العامة يدعوان كل الدول لاحتزام القانون الدولي؛ أحدهما يدين دعم الولايات المتحدة لقوات الكونترا والأخر يدين المقاطعة غير الشرعية لنيكاراجوا. وبرز للقراران مع اعتراض دولتين فقط هما الولايات المتحدة وإسرائيل. وصدر قرار يمارض الاستيلاء على الأراضي بالقوة بأغلبية ١٥١ ضد ٣ هي «الولايات المتحدة وإسرائيل والدمنيكان». وقد دعا هذا القرار مرة أخرى إلى إيجاد تسوية سلمية عن طريق الدبلوماسية المعتدلة العربي الإسرائيلي في إطار الحدود المعتدلة بها وضمانات الأمن مستضماً كلمات قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وحق تقرير المصير للفلسطينيين داعياً ضمها إلى تسوية على أساس دولتين. والولايات المتحدة تعارض هذه التسوية بمفردها تقريباً. كما تظهر مرات التصويت الأخيرة منذ اعتراضها على هذا الاقتراح في يناير ١٩٧٦ والذي قدمته سوريا ومصر والأردن بتأييد من منظمة التحرير الفلسطينية. ولقد اعترضت الولايات المتحدة مراراً على قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة وبغیرها من مبادرات الأمم المتحدة في موضوعات عديدة ومتنوعة وتشمل العدوان والضم وانتهاك حقوق الإنسان ونزع السلاح والالزام بالقتالون الدولي والإرهاب

وغيرها. وقد انتهت الدبلوماسية تايمز في غمرة تصميمها السعالي للقانون الدولي والأمم المتحدة مرات عديدة إلى شخصية بطولية واحدة؛ دانييل باتريك مونيهان، ووصفته بأنه شاعر عيان على «روح الإجماع الواحدة في الأمم المتحدة، شارة أنه كان شمة خرق بشع للقانون الدولي في الماضي، ولكن الآن ومع تدخل مصالح القوى العظمى فقد صارت ألبسة الأمم المتحدة تعبت للطلب، وقرنتت «اللزامة الشديدة بالقانون الدولي، في مقالة نقدية لدراسته «قانون الأمم». ويلاحظ كاتب المقال «غضب القناني لتكمي، الذي يذكرنا بالأستاذ المحمض الذي يشك في أنه لا يوجد من يسمعه، بينما هو «بحرق الإرم غيبًا لأن أحد المبادئ الأخلاقية التي لا تنازل فيها مثل القانون الدولي يخرق بانتظام على أساس أنه مجرد ساذج ويمكن التخلص منه، وينرف أوصًا من قسمة في مجلة التايمز أن مونيهان «قد فرح فرحًا شديدًا، لتبوت صحة آرائه بعد نصائحه الطويل من أجل إقرار القانون الدولي ونظام الأمم المتحدة، تلك الأفكار المجردة، والتي، تصلي للكثير، بالنسبة له. وأخيرًا لمطحي الجميع «محصان مونيهان المفضل، بدلًا من تجاهل المبادئ التي جعلها باقتناع شديد طوال هذه الأعوام. ولا حاجة الآن في أن يظل «مونيهان شهيدًا، فإن «ركب التاريخ قد لحق به».

حذف من هذا السند مرجعة سبيل مونيهان عندما كان مندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة عندما وإنه الفرصة لتطبيق مبادئه. ففي برقية لهفري كيسلنجر في ٢٣ يناير ١٩٧٦ شكر مونيهان «التقدم المنسوب، الذي حققه باستخدام «تكميكي لي للذراع في الأمم المتحدة، من أجل «الهدف الأساسي للساسة الخارجية، ألا وهو «تفتيت التجمعات الدولية الكبيرة ومسطعها من دول جديدة، والتي تجمعت ضدها في المحافل الدبلوماسية والقماءات الدولية عامة ولفترة طويلة، وقيم مونيهان حاليين مهمتين كمثال: الأولى لنجاحه في إفساح رد فعل الأمم المتحدة ضد لفريو الأندونيسي لتدمير الشرقية، «والثانية للمعانى المفري في الصحراء وكلامها دعمته الولايات المتحدة والأثر بحاسة خاصة. وقد أضاف في الحديث عن هذه الأمور في مذكراته عن أعمال خدمته في الأمم المتحدة

حيث يصف صراحة دوره عندما غزت أنونوسيا تومور الشرقية «قد مدت الولايات المتحدة أن تصل الأسر إلى ما هي عليه الآن وعملت على تحقيق هذا وزعت وزارة الخارجية في إثبات فشل الأمم المتحدة التام في أي إجراءات قد تتخذها، وأبوتت ذلك المهمة بي وقد حققنا بنجاح غير قليل.

وأضاف أنه في غضون أسابيع قليلة قُتل ٦٠ ألف شخص، أو ١٠٪ من تعداد السكان أو تقريبًا نفس نسبة الضحايا التي تكبدها الاتحاد السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية. وتعلينا حلقة الأمم المتحدة التي «خربنا بها مثل هذا، بعضًا من المعض حول المناخ للقناني السائد، فألام المتحدة ذات وظيفة اليوم لأنها تؤدي بشكل أو بآخر ما تريده وإحططن، وهي واقعة لا علاقة لها إطلاقًا بنهاية الحرب الباردة أو الروس أو أمراض العالم الثالث، فالمنصة الباردة ضد الغرب التي ولورها العالم الثالث كانت عادة دعوة للاعتزاز بالقانون الدولي، ولأول مرة حدث أن الولايات المتحدة وحلفاءها قد عارضوا أعمال المندوب والضم وانتهاكه حقوق الإنسان من بلد ما تدمرت الأمم المتحدة من القويو السامد للولايات المتحدة - المملكة المتحدة. ولأن هذه العقائل لا يمكن قولها فهي غير موجودة.. إنها تدخل في نطاق «تفويه الواقع، أي للتاريخ الحقيقي؟ وليس «الواقع ذاته، أي ما نرغب في تصديقه» تلك عناصر أساسية في فهمنا الثقافية التقليدية.. ومن خلال هذا تتضح كذلك فيما الأخلاقية التقليدية خاصة من تباير معارفه النخبية لعلط الولايات المتحدة الأمريكية الحربية. وكانت إحدى العلامات المبكرة مقابلة مع قائد القوات الأمريكية للجنرال نورمان شوارزسكوف وقد احتلت الصفحة الأولى في النيويورك تايمز وافتتحت كما يلي: قال قائد القوات الأمريكية للرواجية المراق اليوم إن قرائه بإمكانها تدمير المراق بيد أنه حذر من أن التدمير الشامل لهذا البلد قد لا يكون في مصلحة توازن القوى في المنطقة على المدى البعيد. وقد أوضحت آخرون مطى مذكراته. وكما نل نطى كوبيت لخصائيل الشرق الأوسط في التايمز جوديث مولر تحت عنوان «مسألة التكلفة السياسية للصراع».. قلة هي التي تشك في أنه لو

حدثت حرب في الخليج الفارسي يمكن أن تحول الولايات المتحدة وحلفاءها بغداد إلى ساحة للانتظار حسبما صرح مؤخرًا دبلوماسي أمريكي في الشرق الأوسط.. بيد أن هناك مقلين عديدين يظنهم قلق منازيد بشأن التأثير المحتمل لهذا النصر على المصالح الأمريكية بعيدة المدى في المنطقة. فقد حذر وإيام كرو الرئيس السابق لهوية الأركان المشتركة في الأسبوع الماضي، «من أن عربًا كثيرون سيؤمنون بشدة الحملة التي ستؤدي بالضرورة إلى مصرع عدد ضخم من أصفاهم المسلمين.. باختصار بإمكاننا نزع ١٧ مليون نسمة ومسح دولة عن وجه الأرض بيد أن الإيادة الجماعية قد تكون خطرة دور حكيمة كتكتيكًا وصناعة بمصلحتها. وقد نوقشت الأطروحات مناقشة مخالفة في عدة مقالات والملاحظ صدم وجرى أي عصابات على «الذقة» التي أظهرها مكتب العهد عام ١٩١٩ حول استخدام المازات السامة ضد القتال غير المتحضرة، وإمكان أولئك الذين عبروا عن قلقهم حول تراجع قيمنا التقليدية أن يطمئنا.

٦ - المستبدون والقويون:

والله المستبد بشدة في القصة هو رد الفعل السائد أو التهديد السرايبي الذي انتهى الآن بلا رجعة. وقد اتفقت بشدة عدم قدرة الرئيس على تحقيق الأهداف المطلوبة ولكن أسباب تردده لم تحسم، والأكيد أن ذلك الانتقادات ظالمة. من الصعب على الأمر توقع الحقيقة مطلًا هي الحال في الماضي وخاصة في غياب الأعتل المعهودة القياسية. وقد اتفقت أهد التجارب طريقًا آخر وهو تقصي التفاصيل المتأري السامد باستخدام مطومة قدموها حول ما يمكن أن يشترى، وأحيانًا استرقت بعض الأصوات بالتوقع استجاءه عادة: أن للتدخل في دول العالم الثالث بضرورة دائما إهمامات الولايات المتحدة الإسرائيلية والاقتصادية وفي هذه الحالة «ندعم دولة أربك التي تدعز لمعالج وإحططن.. ولقد نذر إلى المهجمة العراقية على أربح من أرفق مصادر الطاقة في العالم بوصفه تهديدًا خطيرًا وفي وجهه نظر صريحة. بينما في المقابل تعتبر ميدة الولايات المتحدة على موارد العالم العربي ميدة حميدة، وهي بالتأكيد ليست كذلك

العدوان المشيبي



حدث رد فعل إسرائيلي محمّر تجاه العدوان العراقي فسيتم النظر إليه على أنه عمل مشروع للدفاع عن النفس ولاحظ أيضاً أن عبارات معتدل مؤيد للغرب وقومي شرس معاد للغرب في عبارات فتنافضة، تتضمن عبارة مؤيد للغرب معنى الاعتدال وعبارة معاد للغرب معنى الشراسة للقومية أي الشر والتعصب.

٧- النهج الدبلوماسي:

بحلول منتصف أغسطس كان من الواضح أن الولايات المتحدة لا تقود حقاً جماعة أتتدب متزايدة في الأمم المتحدة على تحاول تعبئة الأمم لحصصها عند استخدام القوة في الخليج، فبرغم التهديد والالتعاضد والتعلق لم يستطع دبلوماسيو الولايات المتحدة المتمركزون تجميع أكثر من تواجد رمزي في أي شيء أبعد من المقاطعات والحظر الذي حاولت الأمم المتحدة فرضه في حالات العدوان الأخرى وعادة ما كانت الولايات المتحدة تجمع هذا. وكان من الصعب عدم ملاحظة عزلة الولايات المتحدة في الصحراء السورية أيضاً فليس للنظر عن بريطانيا ولكن لم تثر التصاولات حول الخط الرسمي الذي يدعي أنه عندما وقع العالم في أزمة فإنه يستدعي الأساور ونحن اليهودي، الفقراء والأغنياء بدرجة كافية لحمل العبء الملقى على أكتافنا.

أعلنت ألمانيا أنها لن تساعد في ترويض الصلوات العسكرية الأمريكية لأن الاتفاق بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية لتفريق ثنائي ولم تصرح به الأمم المتحدة ولا حتى الجماعة الأوروبية بدخول الموقف. وقد صرح وزير الخارجية الإيطالي معلقاً على قرار الجماعة الأوروبية بعدم دعم العمليات العسكرية للولايات المتحدة في الخليج مع تقديم ٢ بليون دولار في عام ١٩٩٠-١٩٩١ (حزلي ١٥٪ من التكلفة المتوقعة) للدول التي تعاني من الحظر بأن «العمل المسمى الذي قامت به الولايات المتحدة كان عملاً مغفلاً.. ولا تتسار مبدأً أنه (لا ضرائب بدون تعذيب)، وقد وافقت اليابان بأبدي على تقديم أقل لتقليل بينما ادعت كوريا الجنوبية الفقر.

وفي العالم الثالث أخوس رد الفعل ولم يكن هناك تعصّب لجهود الولايات المتحدة

لصعق السكان الذين يمكنهم الكويت أو المنطقة عامة أو آخرين غيرهم في أماكن أخرى ولكنها كذلك بالنسبة للناس المهمين، فحين نرى ذلك المبدأ الأساسي نفسه - يجب أن تكون موارد العالم وحكومته في أيدي الأغنياء الذين يعيشون في سلام داخل منازلهم، يجب حفظ الجوعى والمفقرين في مراكزهم. وينس القرضيات التفرشقة فإن الأغنياء الذين يأمرون بأسرنا في للسلام العربي هم معتدلون منهم في ذلك مثل موسوليني وسهوارتو وجنرالات جرانملا وأخريين غيرهم. وفكرت البريوروك تايبر في تقريرها عن عواقب الغزو العراقي «أن الشرق الأوسط قد انقسم الآن انقساماً واضحاً إلى معسكر معتدل مؤيد للغرب، وجمع قومي شرس ضد الغرب، وهو يشمل رجل الشارع العربي، كما لاحظت جريدة يومية ترسنية في معرض تعليقها على ازدياد أتتدب العراق بين شعوب الدول العربية الأكثر فقراً ويضيف برقرار ترويض أنه «لو نفذ صدام هذا «سيؤدي إلى ازدياد حبيته وسط ملايين العرب الفقراء الذين سيحولونه إلى بطال والذين بإمكانهم خلق مناصب ألمعية في الدول العربية المعتدلة والمحافظة تلك التي يحكمها ويديرها الأسراء وخريجو كليات إدارة الأعمال الذين يتبرهم ملايين رجال الفقراء مغتربين وسجنون لله بينما يقرهم مع بلى أمية. وتجرى بنا ملاحظة أن ترويض قد اتبع النهج المساند في إدانة صدام حسين كمشاولين مغتربين لمجديده بخدمهم إسرائيل انتقاماً من العدوان الإسرائيلي وهو الأمر الذي يتم تجاهله تماماً كما في هذه الحالة أو يرفض على أنه غير ذي بال. وبالتفارقة فـ

وعادة كان ثمة معارضة جماهيرية. وبصفة عامة احتفظت الدول العربية بمسافة، وقد أظهر استطلاع للرأي في قرى الواسية للغرب أن ٩٠٪ يؤيدون العراق وأدان كثيرون الكوليك بمكساليين، الذي انتص من سرك الولايات المتحدة تجاه العدوان الإسرائيلي والصمت والتهنكات حقن الإنسان. ولاحظ المعلقون ملاحظة صابرة أن تأييد مبادرة الولايات المتحدة العسكرية كان أقل ما يمكن في الحكومات ذات الحركات الديمقراطية الوليدة، وهي الأردن والجزائر وتونس لجويث ميلن. وغير المحتلين الحكوميين عن قلقهم من أنه مع استمرار القوات الأمريكية في مواقعها لفترة طويلة، فإن المناصب الإسلامية كالجع ورمضان ستصبح للشعوب مزيداً من حرية التعبير عن مشاعرهم، وقد تردد إلى «إطلاق مشاعرهم احتجاجاً وربما انقلاباً، تطوع بالحكومات الوليدة للغرب في المنطقة وتسبب بساط للشريعة الدبلوماسية من تحت أقدام القوات التي تقودها الولايات المتحدة في مواجهة (بيتر جوسلوفين) والذي ذكر أيضاً وبكل ثقة أنه لم يوجه أي من نقاد الحكومة في الكونجرس أي أسئلة حول سيادة بوش الأولى التي ترى أن الخليج العربي له أهمية قصوى بالنسبة للولايات المتحدة ومن لم فيجب عليها أن تدافع عن مصالحها فيه باستخدام القوة العسكرية، وهو مبدأ أساسي يربح به صدام حسين بكل تأكيد. وقالت أخصائية الشرق الأوسط في معهد ركنسج جويث كيجير، بالنسبة لي فإن الأطروحة المركزية هي الأنظمة في مواجهتها للشعوب لأنه لا يوجد نظام عربي يمثل شعبه وإذا تجد الفرح في الشوارع تأييداً لصدام هذا ويخطر إليه على أنه المدافع عن مصالح الجماهير العربية ضد الطغمة الحاكمة التي استخدمت اللزوة اللطيفية العربية لآخرى نفسها والعالم الغربي، وكان ثمة تعليقات قليلة جداً حول حقيقة أنه طالما وجدت عناصر التعصدية في العالم العربي لم تستطع الحكومات أن تتخبط في صف قضية الولايات المتحدة.

وقد حاولت الصحافة أن تصغر خدماً لكن هذا فأكثت على الإجماع المذهل للرأي العام العالمي دعماً للموقف الأمريكي وهي

نرى عتق التفاسيل على قدر الإمكان. وقد التفتحت المشكلات التي تواجه الصحافة في مجلس الأسوشيتدبرس حول أهم التقارير في هذا اليوم وأعلن وزير الخزانة نيكولاس برادي نجاح جولته حول العالم لجميع الدول رغم أنه لم يلق أي ترحيبات متصيفة كما هو أية مساعدات جديدة للإسهام في التحرير «بيد أن المشرورين والكتابات أبادوا اليابان وألمانيا لأنهما حلفتا الزمن للطوب الثامن ورفضتا المساعدة بتقديم نصيحتها للكل والعادل في المجهود المشكور لاحتواء العراق».. لكن المجهود المبذول لا يستغاث سبب الرضا القريب من قبل الذين يعتبرون نظرياً المستفيدين الأساسيين من أعمال الولايات المتحدة (إفناء السفينة، كان مجهوداً متفريلاً للغاية.

وأدت هذه المشاكل إلى حساب تندر ملاحظته [والثاني] موقف الولايات المتحدة المتبادل في نيويورك تأمل في مقالة بقلم توماس فريدمان على الصفحة الأولى. وقد عزى رفض الحكومة حتى مجرد النظر في الطريق الدبلوماسية، إلى قلقها من أن المفاوضات قد تؤدي إلى صوبع الأزمة واستمرار الوضع القائم السابق على حساب بعض المكاسب في الكويت لمصلحة ديكتاتور العراق أو ربما جزيرة كويتية أو تعديلات حدودية متخيلة وكلها مسائل محل نزاع طويل. من ثم فلا أقل من التمسار حاسم وكامل لقوة الولايات المتحدة على لو كان هذا يعني حرباً كارثية ذات نتائج لا يمكن التنبؤ بهاء، وبالمناسبة الإسرائيلية أن تؤدي الدبلوماسية إلى صوبع الأزمة تاركة المشاكل المتضخمة والمهمة طويلاً مثل نزاد لسلطة النصارى في المنطقة وليس في العراق فقط ليم حلها بهوده وخلال الوسائل الدبلوماسية. فذلك كارثة يجب تجنبها وليس خياراً يجب استكشافه. واستمر كبير مراسلي التايمز الدبلوماسيين فأرجع التصرف من أجل المفاوضات إلى الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية المتضاربة دائماً وجهودهما للرباطة، هي طرفيها الوحيد لتبرير دعمهما للفوز الذي قام به الرئيس صدام حسين.. لم تدعم الأردن للفوز، رغم أنها لم تدعم رد الفعل الأمريكي عليه كما يكرر من عمان ويشكل أكثر دقة من صدام المرسل البرلماني مارتين ويكوت حيث قال إن

جهود الملك، منذ أن بدأت الأزمة تهدف إلى إصادة البون إلى الزجاجة والوصول إلى التوصل عن الكويت وبشكل عام إرجاع الوضع إلى ما كان عليه، ورغم أن التلاميذ قد قدرت أن تلك الواقعة لا تستحق للنشر فمن الصعب أن تصدق أن إحصائياً الشرق الأوسط الرايبي فيها لم يكن يدري أنه منذ بضعة أيام مضت قبل كتابته هذا الكلام أصدرت منظمة التحرير الفلسطينية أول بيان رسمي لها حول الأزمة يدعو إلى حل الأزمة عن طريق ضمان أمن وتساكك العراق والكويت والسعودية والخليف وكل دول المنطقة العربية، وقد تناقشت البيان خطوط الشرق.. إن لوم «التفسير الفلسطيني للأحداث» وإذلة السلوك السيئ للأردن ما هو إلا إسرافة أخرى ملحوظة لتخميم خط للدعاية الأمريكية - الإسرائيلية.

قلة هي المعلومات للحقة المتاحة حول مواقف الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية. لقد ذكرت الصحافة الإسرائيلية خطة لمنظمة التحرير الفلسطينية قرأها المناضل الفلسطيني فيوصل الحصوني في القدس وتصدر تلك نقطة إلى تصامير قوى للثروات العراقية بين الكويت ويده مباحثات السلام فوراً بين الكويت والعراق حول سياسة اللطخ والحدود وحق الشعب للكويتي في «اختيار حكومته المركزية في بلاده بدون تأثير أجنبي سواء عربي أو شوري». ووفقاً لمصادر منظمة التحرير الفلسطينية قمتت الأردن والمنظمة خطة بمقتضاها تهتم الأمم المتحدة بقوات حفظ سلام دولية ويتم تنشيط المباحثات حول المعركة المقبلة في الكويت وربما تدعى إلى استفتاء عام في الكويت. ومثلها ما هي المقترحات الأخرى للفرص إلى حل سلمى، فقد تم تجاهل تلك المقترحات أو رفضها بسرعة سواء من قبل البيت الأبيض أو الكويتيين أو وسائل الإعلام. وبينما حذرت للتايمز من إضراف الحل السلمي فقد دعت أيضاً إلى الدبلوماسية كبديل عن اللجوء القوي للقوة، ولكن كما لاحظنا من قبل فإن الدبلوماسية تحي إرسل إنذار أخير: استسلموا أو متروا. وفي الواقع فقد خربت الإنكثيات الدبلوماسية وكذلك خيار المتابعة من البادية.

يجب على الشره أن يشكر دائماً أن حكومة الولايات المتحدة مثل أي معال على

مسرح العالم سطن على الناس أنها تفعل الدبلوماسية وليس القوة.. كان هذا هو موقف الولايات المتحدة بينما هي تحاول عرقلة المفاوضات والمحل السلمي في فينلاند وأمريكا الروسية وكان هذا أيضاً الموقف المتعلن دائماً بصدد الصراع العربي الإسرائيلي رغم أن الولايات المتحدة هي التي تقود مسيرك الرفض. ومهما كان موقف الولايات المتحدة بالدبلوماسية والوسائل السلمية. من ثم لقد «عن المجهود الأمريكي لتركيز الانتباه على الدبلوماسية والعزير وليس بطول الحرب» بينما في الواقع فإن المجهود تركز على إشلاق طريق الدبلوماسية ورفض المفاوضات والالتزام بالقوة والقهر تمت غطاء دولي لو أمكن ولا يهملها، ومثل كل الصالات الأخرى فإن النقطة البديهية المحنة منذ الوقائع هي أن واشنطن تسعى لحل المشكلة حلاً سلمياً بدون استخدام القوة.

ولقد ذكرنا من قبل عدة محارلات مبكرة للتح طريق دبلوماسي: الاقتراح العراقي في ١٢ أغسطس للفصل بالانصاف من كل الأراضي العربية للحدثة وإقرار ١٩ أغسطس الذي يرض على أن تقدر الدول العربية ويحدها وضع الكويت ورفض ٢٢ أغسطس الذي نشرته البورزاي. والعرض السائل «أر ربما كان هو لثله، الذي حفظه للتايمز في الأرشيف في نفس الفترة والمقترحات الفلسطينية الأردنية المنكورة، واستمرت العروض لتتالي نفس النصير.. فقد ذكرت صفحات المال والأعمال في نيويورك تايمز والوول ستريت جورنال، وجود رغبة مضمومة في شراء الأسهم في وقت متأخر من اليوم، في الرابع من ديسمبر بعد تقرير التلفزيون البريطاني حول عرض عراقي للانصاف من الكويت عدا حقول النفطية بدون أي شروط أخرى فيما عدا مراقبة الكويت على مناقشة تأجير جزيرتين في الخليج بعد الانصاف وقد تناقشت أسلحة البرق هذا اللبأ ولكن نشرات الأخبار لم تعرضه ببيان التقارير الإخبارية قد عبرت عن عدم ارتياحها لأن المباحثات المقترحة على العراق (التي هي في الواقع مجرد إرسال الإنذار النهائي وفقاً لريت (بعض) قد تشجع بعض الشركاء الأوروبيين على إطلاق مجتمعات سلام لن تقيده. وفي أواخر

العقدون المشين



تتسحب العراق تماماً من الكويت مع تعهد الولايات المتحدة بعدم الهجوم على قواتها المسلحة وتذكره القوات الأجنبية المتدخلة ويمن مجلس الأمن التزاماً جاداً بكل مشاكل المنطقة الأخرى وترك المسائل الحدودية موضع النزاع ليدم النظر فيها في وقت لاحق، وقد رفضت واشنطن هذه الإمكانية رفضاً قاطعاً ولم تحرف طريقها لوسائل الإعلام أو للوعى الجماهيرى. وأصبحت الولايات المتحدة وبريطانيا على الالتزام بالقوة وحدهما.

وظهرت مرة أخرى قوة هذا الالتزام عندما حاولت فرنسا محاولة أخيرة لتجنب الحرب في آخر لحظة في ١٤ يناير مقترحة أن يدعو مجلس الأمن إلى الانسحاب التام والسريع من الكويت مع تصريح بأن أعضاء المجلس سيعاونون تسارى جهدهم للوصول إلى حل مختلف لمشاكل المنطقة الأخرى وخاصة الصراع العربى الإسرائيلى والمشكلة الفلسطينية وإقامة مؤتمر دولى في اللحظة المناسبة، لضمان أمن واستقرار وتتمية هذه المنطقة من العالم، ودعيت كل من بلجيكا (وهى عضو فى مجلس الأمن) وألمانيا وأسبانيا وإيطاليا والجزائر وتونس والسفيرة وعدد من دول عدم الانحياز. بينما رفضت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا (بالإضافة للاتحاد السوفيتى ولو أنه لا أهمية له). وصرح توماسون بكونج المندوب الأمريكى لدى الأمم المتحدة بأن الاقتراح غير مقبول لأنه يخطئ قرارات الأمم المتحدة السابقة بصدد العراق.

ومن وجهة النظر الغربية فإن تصريح المندوب صحيح. فإن عبارات الاقتراح قد أخذت من مصادر مختلفة وتحريراً قرار مجلس الأمن في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠ المعلق بالقرار ٦٨١ الذى يدعو إسرائيل لاحترام اتفاقيات جنيف فى الأرض المحتلة، ويدعو القرار إلى عقد مؤتمر دولى في وقت مناسب وبتريكية ملائمة، المساعدة على تحقيق تسوية سلمية عن طريق التفاوض وإقامة سلام دائم فى موضوع النزاع العربى الإسرائيلى، وقد انتزعت تلك العبارة من القرار ذاته لتجنب اللبس الأمريكى وتركت الملقق. ولأحظ أنه ليس ثمة ربط بالغمزى العراقى الذى لم يذكر. ولا يمكن معرفة ما

ديسمبر ١٩٩٠ عرض العراق اقتراحاً آخر كشفه المسؤولون الأمريكيون في ٢ يناير ١٩٩١. وهو عرض للانسحاب من الكويت إن تعهدت الولايات المتحدة بعدم مهاجمة الجدد للمسلمين ويتناصب القوات الأجنبية من المنطقة وإن كان ثمة اتفاق حول المشكلة الفلسطينية وحول حظر كل أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة، ووصف المسؤولون العرض بأنه مشور لأنه أسقط موضوعات العدد وأشار لاهتمام العراق بالتسوية عن طريق المفاوضات، وقد وصف خبر فى الشرق الأوسط بوزارة الخارجية العرض بأنه مرقق قبل نقاشه جاد، ويذكر التقرير أن الولايات المتحدة قد رفضت العرض فى الحال، وصر هذا مرور الكرام بدون ذكر فى الصحافة القومية (بأدراك ما ذكرت فى أى مكان آخر. بيد أن نيويورك تايمز قد ذكرت فى نفس اليوم أن ياسر عرفات بعد مباحثاته مع صدام حسين قد أعلن أنه ليس بينهما من يصر على حل المشكلة الفلسطينية قبل خروج القوات العراقية من الكويت، ويستمر لتقرير تذكر أنه وفقاً لمرافق فإن تصريح صدام حسين في ١٢ أغسطس ١٩٩٠ الذى يربط بين الانسحاب العراقى والانسحاب الإسرائيلى من الضفة الغربية وقطاع غزة لم يعد مطلباً أساسياً للموقف التفاوضى (وكل ما هو مطلوب ضمان ربط قوى من قبل الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن وبين حال كل المشاكل فى الخليج وبين حل المشاكل فى الشرق الأوسط وخاصة القضية الفلسطينية، ومن ثم فإنه قبل الموعود المحدد النهائي للانسحاب العراقى بدأ من الجائز تجذب العرب على أساس هذه الشروط:

إذا كانت المحاولة الفرنسية ستنجح فى تجنب الحرب، وإخفيفها من هذا عارضتها الولايات المتحدة وفقاً لممارستها المتحمسة لأى شكل من أشكال الدبلوماسية. وفى هذه الحالة معارضتها القوية كذلك المؤتمر الدولى. وقد ارتبط صدام حسين بجورج بوش فى هذا الرض حيث لم يظهر أى اهتمام على التمتدحات الفرنسية رغم أنه لو قبل هذا، ربما كان يمكن تجنب الحرب. وقد عبر الرئيس بوش عن الموقف الأمريكى غير المتزعزع بمنتهى الوضوح فى خطاب أرسله إلى صدام حسين فى يناير ١٩٩١ ورفعه طارق عزيز وزير الخارجية العراقى عندما قدمه وزير الخارجية الأمريكى جيمس بيكر وكان أساس الرض أن لفته لا تلام أسلوب التفاوض بين رؤساء الدول وقد صرح بوش فى هذا الخطاب بأنه، وإن تكون هناك مكافأة على العدوان ولن تكون هناك مغاربات فلا يمكن التنازل فى المبادئ، وقد أعلم صدام حسين مجرد إعلان بأن القرار أمامه هو أن يرضخ دون مفاوضات أو يتم تدميره بالقوة، والدبلوماسية ليست من ضمن الخيارات. ويحق للمرء أن يتعامل مع جدية وإمكانية هذه الخيارات، إن تجاهلها أو رفضها لأنها كاذبة هو إهبار لكل خلال التمهيد بالقوة أو استخدام القوة العسكرية مما كانت العواقب وخيمة. ولا يجب التفاضل بين مغزى ونتائج هذه الوقائع على المدى البعيد.

والنظر لاهتمام الولايات المتحدة البالغ حالياً بضمان تدمير قدرات العراق العسكرية من الأسلحة غير التقليدية فمن السهل أن تفكر عرضاً عراقياً مغروراً آخر فى ١٢ إبريل ١٩٩٠. حيث عرض صدام حسين وكان لا يزال صديقاً وحليفاً أن يدمر ترسانة من الأسلحة الكيميائية وغيرها من الأسلحة غير التقليدية لو وافقت إسرائيل على التخلص من أسلحتها الكيميائية والنوية، وصرح السفير العراقى فى فرنسا مرة أخرى فى ديسمبر ١٩٩٠ بأن العراق على استعداد لتدمير الأسلحة الكيميائية وأسلحة الدمار الشامل أو كانت إسرائيل مستعدة لهذا كذلك، وجاء هذا فى تقرير لوكالة رويتر. وقد قالت وزارة الخارجية فى روما على عرض إبريل الذى نقله مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى أنها ترحب باستعداد العراق لتدمير ترسانتها ولكنها تعارض الربط بين

هذا وبين أي موضوعات أخرى أو أنساق تسليم أخرية (على لسان المتحدث باسم وزارة الخارجية ريتشارد بيرس) ولاحظ أن أنساق التسليم الأخرى قد تركت دون تصديق فلا يمكن أن يطلق أي مسئول أمريكي بصيغة «أسلحة إسرائيل النووية، لأن الاعتراض بوجهها سيؤيد التمسلات حول شرعية المساعدة الأمريكية لإسرائيل وفقاً للصوص الملحق بقانون المساعدة الخارجية منذ 19٧٠ والتي تمنع أي مساعدة عن أي دولة تتورط في تطوير الأسلحة النووية بصورة سرية إن ما نزعجنا إلى ما نتهدد الصار الشامل ولا القدرة على التهرب ولكن بالأحرى أن يكون هذا في الأيدي الأسيئة السلمية: أهدنا أو أيدي عملائنا. انضمت منذ أغسطس 1٩٩٠ الخطوط العامة للتصوية السلمية المكنة وتضمن ترتيبات بخصوص وصول العراق للتفجير ربما عن طريق تأجير جزيرتين مقترحتين وتسوية النزاع حول حقول الزيمية بداية خطوات نحو تسوية أمنية في المنطقة وربما شكل من أشكال حق تقرير الرأي في الكويت. وقد صارتت الولايات المتحدة كل هذه الخطوات معارضة صلبة منذ اللحظة الأولى معلنة أنه «لا يمكن مكافأة العدوان، وأن الربط يتعارض مع موقفنا المبدئي الأخلاقي السامي وأنه لا يمكننا أن ندخل في مفاوضات مطولة والأخرى على العراق أن تقنع في الحال لاستعراض القوة الذي أظهرته الولايات المتحدة ويحدد ربما. نعم ربما. تسمح واشنطن بمناقشة موضوعات أخرى ويمنع رفض الربط من الحقيقة التي لا يصحح بها هي أن الولايات المتحدة تتعارض أي تسوية سلمية لكل موضوعات الربط بينها وخاصة فهي تتعارض منذ أمد بعيد الموضع الدولي بخصوص النزاع العربي الإسرائيلي لأن هذه الجهود ستؤدي فقط إلى ضغوط لتسوية تسوية سلمية عن طريق دبلوماسية والتي تعزلها الولايات المتحدة بنجاح شديد عن طريق ما يدعي «عملية السلام» في الأيديولوجية الشاملة. في حالات كثيرة مماثلة كانت الولايات المتحدة سعيدة جداً وهي تكافئ العدوان وتجرى مفاوضات مطولة وتعمل على الربط لهذا بعض الفخر عن تلك الحالات التي سمحت فيها الأعمال الإجرامية). على سبيل المثال في حالة أرمية قد أدانت الأمم المتحدة احتلال جنوب أفريقيا

لذلك البلاد في 1٩٦٠ ثم تلا هذا حكم المحكمة العدل الدولية يدعو لطرد جنوب أفريقيا منها. وبهذا انتهت الولايات المتحدة للدبلوماسية الهادئة والحوار البناء نهجت جنوب أفريقيا ناميبيا وأرخبيتها واستخدمتها القواعد لجهنمية الضمرة ضد جيرانها. وقد كلفت خطة وزير الخارجية جورج شولتز للسلام في لبنان عام ١٩٨٣ العدوان مكافأة ضخمة. وتقدم للغة في الواقع إسرائيل الكبرى، كما أصغرت المجردة المحايدة لإسرائيل بشدة والنيويورك تأييد هذا بينما تميز سوريا بالانصياع ببساطة إلى ما يطلبه الولايات المتحدة وإسرائيل (وقد رغنمت أن تفعل هذا كما هو متوقع) وهذا مثال متطرف على الربط.

وكذلك كوشفت إسرائيل على غزوها مصر عام 1٩٦٦. فمن غير المتوقع لعدوان صلاء الولايات المتحدة أو مذهب نفسه من العدوان والإرهاب بدون إشباع حاجاتهم ورغباتهم. وهذا الضلع عام كما يلاحظ المفقون في دول العالم الثالث بالاجتماع وتأثيره ضئيل للغاية على الثقافة السياسية الغربية المتأسسة بشدة.

من المنطقي تماماً اتخاذ موقف أن العراق يجب أن تتسحب فوراً وتدون شروط ولا يربط بأي شيء وإن عولسها دفع تويضات وحتى يجب أن تخضع لتحكيمات على جرائم الحرب التي اقترعتها وهذا موقف مفهوم بالنسبة لأولئك الذين يحترمون المبادئ التي تؤدي لهذه النتائج، ولكن منطقياً أيضاً لا يمكن احترام المبادئ احتراماً لتناقضاتها. وكواقع قلة هي التي يمكنها أن تدعي أنها تتكلم بالموقف العام عند العراق علينا أن نأسس مبدئي كما يظهر بسرعة من الفصل الأولي.

وتجدر بالملاحظة في هذا الصدد عملية رفض الربط التي تقبلها الدخبة بإجماع مدخل لأنها مرتبطة بطلب حل المشاكل الأمنية في المنطقة كجزء من الانسحاب العراقي، والآن بعد أن ظهرت العراق نفسها كعدو راس عمول يحدده كما كان مفترضا من المستحيل ترك قدراتها العسكرية المنضمة سلمية. بيد أن «توازن القوى على المدى البعيد في المنطقة، يتطلب بقاءها كما هو عند إيران كما أثن الجنرال شوارتسكوف ومن

المصور توقع أن يظل العالم العربي مراقبا سلبيا بينما يقوم للعمل الأساسي للاتحادات المتحدة في المنطقة ليس فقط بالاحتلال الأراضي العربية وقمع أهلها بشدة ولكن أيضاً بزياد في ترسانته النووية وغيرها من الوسائل الممككة، من الواضح أن مسائل «الأمن» والاستقرار تتطلب اعتبار موضوعات إقليمية في هذا الربط للعالم. لكن في هذه الحالة ولأن الولايات المتحدة والولايات العام المشغف تتعارض الطول السلمية بالطريق الدبلوماسية عامة نظراً لضغطها السياسي، فوجب عليها أن تتعارض الربط على أساس مبدأ «لا يمكن مكافأة المعتدين».

وبعد ٣ أيام من ذكر وبتدريج مسارات الولايات المتحدة من أن يتم إغراء الآخرين باتخاذ الموقف الدبلوماسي لأن محسرو التأييد صدام حسين غاضبين من محاسنهم للمساومات الأجنبية بالقرارات العراقية ومصرحاً بأنه يضرب الدبلوماسية قائلاً. وكما لاحظنا من قبل فقد أدى ذلك لخلق التامع للقانون الدولي إلى أن يطلب محسرو التأييد معاملة صدام حسين كمجرم حرب حسب مبادئ لوريمرج.

والتم المحررون صدام حسين بارتكاب هذه الجرائم «بداية حرب عولونية خرقاً للمعاهدات الدولية، وهم يتكبرون في هذا للسدد غزو إيران و «سوء معاملة السكان المدنيين في المناطق المحتلة، وتهمرد المواطنين من جنسيتهم وإساءة معاملة السكان المدنيين في المناطق المحتلة وتهمرد المواطنين من جنسيتهم وإساءة معاملة المدنيين وهذه الجريمة المحددة ضد الدبلوماسيين التي تضمن اتفاقيات فيينا مكاتبتهم الخاصة وكلها اتهامات صارمة وتلصق عليهم مبادئ لوريمرج حقاً. وأسره للجرائم تعود للقدرة التي تقاضى فيها المحررون عن رؤية دعم الولايات المتحدة لأسسقاتها العراقية، ويمكن للمرء أن يفكر في بلاد أخرى تورطت في جرائم مماثلة منذ فترة قريبة كما في ذلك دولة تصحها التأييد فلما لأنها الحارس للنبل للظلم العالمي وحقوق الإنسان وأخرى تصفها بأنها لثال العظيم لتكرامة الإنسانية وأنها مجتمع تتعدو فيه العنصرية الأخلاقية مبدأ من مبادئ

الحياة السياسية ولكن المحررين لا يرون من الواجب قيادة القراء خلال معرلات عدم الأهمية التاريخية المتعرجة.

٨ - حماية حاجتنا:

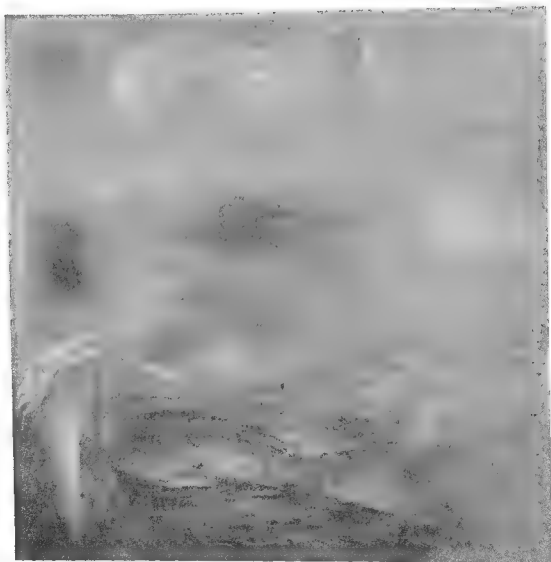
وفقاً لأية معايير فإن صدام حسين شخصية متوحشة وبالتأكيد يمكن مقارنتها مع الشخصية الإجرامية الأصغر ماثول توريجيا. لكن إهرامه لم يكن سبب تسلمه لدور الشيطان الأعظم في أغسطس ١٩٩٠. فقد كان هذا واضحاً منذ زمن بعيد ولم يوقى الجهد الأمريكية لإعطائه دعماً ومحوته. ونحتاج فقط لتصنيف كلمات قليلة على التزامنا التقليدي بمقارنة العدوان واحترام حكم القانون، لقد صار حسين شيطاناً حسب

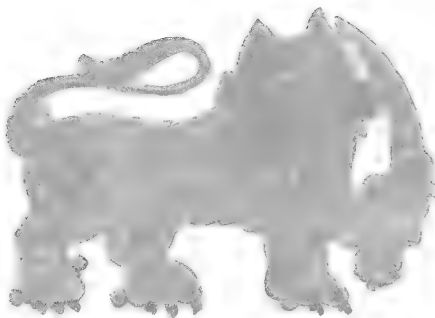
الطريقة المعتادة عندما فهمنا أخيراً ودون أدنى شك أن نتجاهه القومي التحرري يهدد مصالح الولايات المتحدة. عددت صارت سجلات فظائعهم التقديرة متلاحمة للأغراض الدعاية ولكن بعيداً عن هذا لا علاقة لذلك أساساً بانتقاله المفاجئ في أغسطس ١٩٩٠ من صورة الصديق المحبوب ليكون التجسيد الجديد لجشكيز خان وهتلر فإن استمر الاحتلال العراقي للكويت بنجاح سيصبح دكتاتور العراق لاعباً أساسياً في الساحة العالمية ولكنه لا يمثل تهديداً بمواجهة بين القوى العظمى ولا بالحرب النووية كما حدث في النزاعات السابقة في المنطقة. وهذه الواقعة ذات الأهمية تعكس بالطبع انهيار النظام السوفيتي مما ترك الولايات المتحدة

دون تحد عسكري ووضعاها كإغراء شديد لإظهار فاعلية الآلة التي تملكها بمفردها. وهذا المفهوم الإستراتيجي لم يتعرض لأي تحد حتى وسط دولر للفضة حيث بدأ يظهر صراع منذ عدة أشهر على نفس الخطوط المشالعة. إن إستراتيجية الحكومة للسيطرة على الظلم خلال استخدام القوة أو للتهديد بها تتعارض مع أهداف الحفاظ على المروية الاقتصادية ومصالح التعامل الدولي وفي الآن مشاكل خطيرة جداً. ومن الصعب مراجعتها بدون تغيرات ملحوظة في السياسة الاجتماعية في البلاد. ويعتمد شكل النظام العالمي الجديد بدرجة كبيرة على سيادة أي من هذين المذهبين!! ■

ت: أسامة القفاش







في نهاية التاريخ وصراع الحضارات

عبد الوهاب المسيري

فلا يمكن أن نخشى ولا نقهر الملقى والمعالم المعاصرة، إلا من خلال أعلى درجات التطور والتجديد، فمن يظل متصلاً بواقعنا المباشر غير متجاوز له، لا يدركه في كليته وتركيبه وخصوصيته، ومن لا ينظر لنفسه حسب تجريده وحسب تفاعله مع واقعه، سيختر الأخرين له حسب مقولاتهم وتصوراتهم وتميزاتهم وأمرالهم. ولكن لا بد أن يكون التطور على علاقة وثيقة

بتفصيل الواقع وحفاته، ولابد من اختيار النماذج النظرية التي نلجأها بالعودة إلى الواقع لنرى قدرتها التفسيرية وإلا أصبح التطور تزييناً كاديمياً خالياً من الروح والمعنى. وسنحاول، بإذن الله، أن نقرب من هذا المال الأعلى المنهج في بحثنا هذا.

وبدا من أن تبدأ من النظرية والمفاهيم (نهاية التاريخ - صراع الحضارات - ما بعد الحداثة - النظام العالمي الجديد) فبدأنا من

بعض وقائع المعاصر والتاريخ المباشر التي قد تبدو مخافتة ولا يربطها رابط والمسأل؛ ما هي العلاقة بين العمل النهائي للنازي للمسألة اليهودية وعاصمة إسرائيل الأبدية؟ وبين الاستنساخ والاستعمار - Cloning and Co- Ionialism بين الماكرونال والشركات العابرة القارات والصهيونية؟ الحصر المشترك هو محاولة إغناء الزمان والتاريخ وتصفيته التركيب وإنكار مقدرة الإنسان على تجاوز

واقعه.. فالحال النهائي للنازي يعني رفض الواقع التاريخي المركب للصومح الألماني، الذي كان يضم الألمان واليهود (والعاجل والأطفال المعوقين والفقر). ولكن التاريخي قرراً بتبسيط الأمور واختزالها ليبدو بديلة جديدة، من صفحة يمينه tabula rasa، عالم بلا يهود Judentein، عالم عضوي مصمت تحكم فيه البيروقراطية النازية وتطبق عليه معايير الرشد الاقتصادي والمصلحة المادية ويخضع له الجميع، فبالد من لا غائده لا يصبح التاريخ الثالث كياناً شاملاً معشاً، شاملاً مثل الهيكل الثالث (أحد أسماء الدولة الصهيونية) الذي سيأتي حتى نهاية التاريخ، عاصمته الأبدية في القدس. والاستدعاء هو أيضاً نفى للتاريخ والتأخرية بحيث تنتج في العمال (خارج حدود الزمان والمكان، بخارج التاريخ) نسخاً كربونية بسيطة معقمة من أي شخص يمحوا. الوجه يشبه الوجه والسطح يشبه السطح، ولكن دون اتصال أو أبعاد، فالعلم تركيبي ولا حاجة لنا به، ولا حاجة لنا بالتأخرية أو التاريخ. والاستحمار هو الآخر نفى للتاريخ، فهو يجعل العالم بأسره إلى مادة استعمالية بسيطة لا قيمة لها ولا هوية ولا تاريخ، مادة يمكن أن تفرقت في صالح الإنسان الغربي أو لصالح القوة الأعظم. والماكروبالد طعام بسيط، لا لون له ولا طعم ولا رائحة له، لا ينتمي إلى أية حضارة ولا يتحرك في أي فضاء زمني محدد ولا يعرف للصهيونية أو العدو، شأبه في هذا شأن الشركات متعددة الجنسيات وعابرة القارات، التي لا نهتم إلا بالعلم البسيطة، أحادية البعد، وبالأسماء الأكثر بساطة وأمانية، ولا تكتف بالخير أو الشر أو بالمكان أو الزمان، والتي لا تخلف كلور.. من هذه الزاوية - عن الصهيونية التي تذكر تاريخ المصرب في فلسطين أو تاريخ اليهود خارجها وتعالون تأسيس صهيون الجديدة البسيطة الخالية من العرب Arab brein، صهيون التي لا تعرف الحدود، التي لا تكف عن التمدد والتوسع، القادرة على ابتلاع الأراضي التي احتلت قبل وبعد عام ١٩٤٨، وقبل وبعد عام ١٩٦٧.

وحتى لنهم العلولات الحقيقية لفكرة نهاية التاريخ، وصراع الحضارات، قد يكون من المفيد أن نلحظ جانباً محاولة التمييز بين

المحضارية والثقافة، وأن نحاول بدلاً من ذلك أن نميز بين الطبيعية والمحضارية.. مفهوم الطبيعة هو المفهوم المحرور في الخطاب الفلسفي الغربي، وسأقول بتعريف بسيط للغاية وهو أن الحضارة والثقافة هما كل ما صنعت يد الإنسان وما عدا ذلك فطبيعة. ويمكن تقسيم الروى السائدة في عصرنا الحديث إلى قسمين اثنين: رؤى متمركزة حول الإنسان باعتبارها كائناً مركباً متعدد الأبعاد، صاحب وعى تاريخي وعقل ومفاهيم معرفية وقيمة، لا يمكنه العيش دون هدف أو غاية، يعيش داخل العالم الطبيعي متمركزاً عنه، متجاوزاً له، لا يرد إليه، يعيش داخل حدوده المحددة، ويشغل مركز الكون، بسبب وعيه التاريخي وتركيبته. أما الرؤية الثانية فهي رؤية متمركزة حول الطبيعة، والطبيعة بسيطة، حتمية، لا غائية، أحادية البعد، لا تاريخ لها ولا حدود خالية من للتعقيد، لا يشغل الإنسان فيها أية مكانة خاصة، فالطبيعة لا تعرف للفرق بين الإنسان والقرود، لا تميز بينهما، قلعة قانون طبيعي واحد صارم يسرى على كل الكائنات لا يمكن لأي منها تجاوزه.

وحتى عادة ما استخدمت الرؤية الثانية (أو المزدوج للتفسيرى الخلفي) في التعامل مع الأبعاد ومع الجوانب المادية الطبيعية لوجودنا، وإذا فهذا النموذج التفسيرى هامشياً بالنسبة لما هو إنسانى. ولكن الأمور تغيرت تدريجياً منذ عصر النهضة في الغرب حين طرح مفهوم القانون الطبيعي والإنسان الطبيعي، أي تم تطبيق النموذج المتمركز حول الطبيعة والمادة على الإنسان، وكان الإنسان ظاهرة طبيعية وليس ظاهرة تاريخية معزولة، وكان فضائه هو الفضاء اللغوي وحدوده هي حدود الطبيعة لا يمكن أن يتجاوزها.

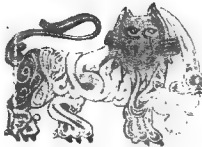
وقد نلحظ عن هذا الإنسان الطبيعي أنماطاً إنسانية أخرى قد تخلف في مضمونها عن الإنسان الطبيعي أو عن بعضها بعضاً، ولكنها، في نهاية الأمر وفى لتحليل الأخير، واحدة في بنيتها وفى أحاديثها وفى تفردها من الإنسانية والتاريخي. وأهم هذه الأنماط هو الإنسان الاقتصادي، وهو إنسان متحرر تماماً من القنعة (شأنه شأن الطبيعة) أحادي البعد

دولته الأساسية الاقتصادية بسيطة وما يحركه هو القوانين الاقتصادية، إنسان لا ينتمي إلى حضارة يديها وإنما ينتمي إلى عالم الاقتصاد العام.. وهو لا يعرف الخصومية ولا الكرامة ولا الأهداف السامية التي تتجاوز الحركة الاقتصادية، ويهدف نشاطاً واحداً هو البيع والشراء. ويدور هذا الإنسان الاقتصادي في إطار المفاهيم الاقتصادية البديلة (تماماً مثل الإنسان الطبيعي الذى يفتقد لقوانين الطبيعة وحتميات القانون الطبيعي لا يملك تجاوزاً لها).

وثمة فط آخر هو الإنسان الجلسى أو الجسمانى الذى يشبه الإنسان الاقتصادي تماماً في بديته، فهو أيضاً أحادي البعد، خاضع للحتميات الفيزيائية، مجرد من القيمة لا يتجاوز قوانين الحركة. إن الإنسان الطبيعي هو ذاته الإنسان الاقتصادي، وهو ذاته الإنسان الجسمانى، قد تختلف المضامين لكن البنية واحدة. ولو أننا وضعنا كلمة "اقتصاد" أو كلمة "جلس" محل كلمة طبيعة، لظل كل شيء على ما هو عليه وأما شهرنا شيئاً في خطايها.

ويجدر الرؤية المتمركزة حول الطبيعة هي إنكار الإنسان، فالإنسان وسعد إنسانيته من كونه كائناً مفصلاً عن الطبيعة، بقوانينها الصارمة وحتمياتها النهائية.. فرفض أنه يعيش داخلها، خاصصاً في بعض أرجاء حياته لقوانينها، إلا أنه قادر على تجاوزها وتجاوز قوانينها، ليتحرك داخل البنى الإنسانية، للمضاربة والتاريخية التي شغلتها يده والتي تشكل حيزاً إنسانياً له قوانينه الخاصة.. هذا الحيز هو رقعة الحرية الذى يمكن للإنسان أن يمارس فيها حرية الاختيار والسيطرة والارتجاع، حرية أن يخطئ ويصيب، وأن يتحول إلى بطل أو متهرج، وإنما يصبح التنبؤ بسلوكه في حكم المستحيل. والإنسان إنسان بسبب حضارته وتاريخيته، وهذا ما تذكره الرؤية المتمركزة حول الطبيعة، التي ترد الإنسان، في جميع أبعادها، إلى عالم الطبيعة /المادة وإلى قوانينها البسيطة التي يمكن التنبؤ بها والتحكم فيها وتوطيدها.

وقد شاعت في الآونة الأخيرة عبارة نهاية التاريخ وهي تعنى أن التاريخ، بكل ما



نهاية التاريخ وصراع الحضارات

سبلتهم هو التاريخ الإنساني ، بكل ما فيه
من تعارف وتنافس ، كي يبدأ التاريخ الطبيعي
بكل ما فيه من تسلية وتكرار .

ويظهر راض التاريخ بطريقة أكثر
تركيباً في فكر الاستنارة . ويطلق هذا الفكر
من تأكيد أن التاريخ هو نشاط إنساني ، فهو
ثمرة جهد عقل الإنسان وهو مستودع
حكمته . وإذا فهناك نزعة في فكر الاستنارة
للمسجد التاريخ وتقسيمه / ولكن العكس
صحيح أيضاً فقرائين للمثل هي نفسها قرائين
الطبيعة والصاد والحرية ، والعقل المستنير
لا يعتمد محاربه من التاريخ أو للصنارة من
المجتمع وإنما من خلال الدراسات العلمية
الصارمة لقوانين الطبيعة والمادة والحرية .
وإذا بدلا من الرؤية التقليدية التي ترى أن
التاريخ يسير بدرجة إلهي ، طرحت فكرة
جديدة ضاماً على الفكر البشري وهي أن
التاريخ يتحرك من لقاء نفسه تنفخه قوى
مادية كامنة فيه . ولكن بعد نقطة الانطلاق
البيديية هذه تنقسم رؤية التاريخ في عصر
الاستنارة إلى قسمين . ومصدر الاختلاف
بينهما هو الهدف والغاية من حركة التاريخ ،
إذ يذهب فريق إلى أن حركة التاريخ لا غاية
لها ولا هدف (تماماً مثل الطبيعة/المادة) ،
أما الفريق الثاني فيرى أن حركة التاريخ هي
حركة تطورية غائية تتبع قوانين صارمة ،
هي في واقع الأمر قوانين الطبيعة . وغني
عن القول أن الرؤية الأولى تصنف فكرة
التاريخ الإنساني تماماً . أما الرؤية الثانية فقد
ترجمت نفسها إلى رؤية للتاريخ باعتباره
عملية تتقدم دالة ، ولكنه تقدم مرحجيته
النهائية هي الطبيعة / المادة ، وهدفه النهائي
هو تحقق قوانين الطبيعة في التاريخ ، ومن

يحرية من تركيب وبساطة ، وصيرورة
وثبات ، وشوق وإحباط ، ونيل وخسارة ،
سبيل إلى نهائية في لحظة ما ، تصبح
سكونياً تماماً ، خالياً من التدافع والصراعات
والثلاثيات والتضاميات ، إذ إن كل شيء
سبيل إلى مبدأ عام واحد ، طبيعي مادي ،
يفسر كل شيء (لا فرق في هذا بين الطبيعي
والإنسان) . وسيسيطر الإنسان سيطرة كاملة
على بيلته وعلى نفسه ، وسيجد حلولاً علمية
نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه ، فالعمر
الطبيعة . حسب هذا التصور . هي المعرفة
التي ستتمكننا من السيطرة على قساوين
الضرورة وتأسيس صهيون العلمية ، أي
اليوتوبيا التكنولوجية التكوينية . ومن
الملاحظ أن دعاء نهاية التاريخ يصدر
عن رؤية علمية (أو علموية) متينة تدور في
إطار السببية الصلبة ، ويصورون أن العلم
سيؤدي إلى معرفة يقينية شاملة كاملة .
(ومن المفاخرات أن كل هذه التصورات
فقدت مصداقيتها في الأوساط العلمية التي
أصبحت تدرك الآن التحذير وإحتمالية العلوم
الطبيعية . ومع هذا ، لا تزال مثل هذه
التصورات سائدة بين بعض الأوساط في
العلوم الإنسانية التي لا تزال تتجلى مغشورة
علمياً سبباً ضاماً عفا عليه الزمان) .

وإشكالية نهاية التاريخ إشكالية كامنة في
كثير من النظم الفلسفية ، ولكنها تحولت إلى
موضوع أساسي في الحضارة الغربية الحديثة
مذ عصر النهضة مع هيمنة النموذج
المتحرك حول الطبيعة . ويمكن القول إن
بروتويات عصر النهضة في الغرب هي تعبير
عن هذا الموضوع ، فهي في معظمها
بروتويات تكنولوجية تكويفية ، تتلخص عن
التاريخ الإنساني أنها تزعم أنها تدار بطريقة
عقلانية تماماً ، انطلاقاً من إدراك للقانون
الطبيعي الذي لا علاقة له بالقرائين
الاجتماعية والتاريخية والإنسانية (لأن
قوانين المثل ضال لقوانين الطبيعة)
فاليوتوبيات التكنولوجية التكوينية مثل
يوتوبيا توما كمبالوا (١٥٦٨ - ١٦٣٩) مدينة
الشمس ويوتوبيا سير فرانسيس بيكون (١٥٦١ -
١٦٢٦) أطلانتس الجديدة هي تعبير عن
الرغبة في وضع الحلول العلمية الطبيعية
النهائية لكل المشاكل وتأسيس للفردوس
الأرضي وإنهاء التاريخ . ولكن التاريخ الذي

ثم يصبح التقدم هو نزياد تطبيق القوانين
الطبيعية إلى أن تعود هذه القوانين تماماً ،
ويصبح المجتمع الإنساني في بساطة عالم
الطبيعة ويحل التاريخ الطبيعي محل التاريخ
الإنساني .

وقد عبرت هذه الرؤية الاستنارية عن
نفسها في كل من الهيجلية وفي الفلسفات
التي تارت على الهيجلية . ولينبدأ بالفلسفات
المعادية للهيجلية فرضتها للتاريخ أمر واضح ،
فهي فلسفات تنكر فكرة الجواهر والكل
والمرکز والسببية وأي شكل من أشكال الثباتية
أو الثبات ، بل وتنكر الغائية لأنها ، فويصبح
العلم في حالة حركة دالة خالية من المعنى
والهدف والغاية ، ومن ثم لا يمكن أن تقوم
للتاريخ قائمة .

وإذا كان عهده الفلسفات المعادية
لهيجلية أمر واضح ، فالأمر مختلف بعض
الشئ بالنسبة للهيجلية التي تتحدث كثيراً
عن التاريخ وحتمياته وقوانينه ومراحله
وأشكاله . ولكنها مع هذا ، في فترتها لا
تقل في عدائيتها للتاريخ عن المدارس المعادية
لهيجلية . فالفلسفة الهيجلية تنكر أن ثمة
فكرة ليس لها وجود مادي أو نسبي ، هي
التي تحرك التاريخ والمجتمع والإنسان
والطبيعة . ويطلق على هذه الفكرة عدة
أسماء: الفكرة المطلقة . العقل المطلق . الروح
بشكل عام (جاستي) . الروح اللاعناني .
وكن المطلق ليس سكونياً ، فهو لن يدرك
نفسه إدراكاً كاملاً وإن يحقق تحققاً كاملاً إلا
في الطبيعة والزمان والتاريخ ، وذلك عبر
عملية جدلية تتدخل فيها المتناقضات
وتتحدد من خلالها الأضداد ، إلى أن يصبح
الفكر طبيعة ، ويصبح الطبيعة فكاراً ، وهذه
الوحدة الكونية النهائية ممكنة لأن قرائين
الفكر هي في واقع الأمر قرائين المادة ،
وقوانين للمثل (العقل) هي في واقع الأمر
قوانين الطبيعة . كل هذا يعني أن الفلسفة
لهيجلية ، رغم كل حديثها عن التاريخ
والجدل والتناقض ، فلسفة واحدة تسد الثغرة
التي تفصل بين الإنساني والطبيعي وتلقي
ثلاثية الفكر والمادة والصنارة والطبيعة ، ومن
ثم تعود الإنسان كظاهرة مفردة مستقلة عن
الطبيعة . ولهذا قبل عن حق إن الهيجلية
فلسفة لا تعرف للثلاثيات ولا تفصل بين
الصادق والخطأ ، أو بين الطبيعي والإنساني ،

أو بين المقدس والزمني، إذ سؤد كل شيء إلى عنصر واحد الطبيعي، مادي فعلا رويي اسما، والفكر الهيجلي لا ينظر إلى الواقع إلا من منظور نهاية التاريخ حين يتجسد العقل لتكن ويتحقق للتقنين العام في التاريخ، في لحظة ينتهي فيها الجدل والمعادلة الإنسانية، إذ يصل الإنسان إلى الحال النهائية لكل مشاكله، وبحكم السيطرة على كل شيء. ولكن من المفارقات أن لحظة السيطرة الكاملة هذه هي أيضا لحظة انقصار البسيط على المركب والطبيعي على الإنساني.

ويمكن القول بأن النموذج الكامن وراء جميع الأيديولوجيات الطمانينة - الصهيونية (النارية) - السارترية - الماركسية - الصهيونية (النارية) - هو ما يسمى «الطور أحادي الخط» (بالإنجليزية: unilinear)، أي الإيمان بأن ثمة قانونا علميا وطبيعيا واحدا للطور تخضع له المجتمعات والظواهر والبشرية كافة، وأن القنصم هي في الواقع عملية متصاعدة من الترشيد المادي إلى إعادة صياغة الواقع الإنساني في إطار الطبيعة/إعادة فستخدام كل العناصر الكيفية والمركبة والغامضة والمعموفة بالأسرار، بحيث يتحول الواقع إلى مادة استعمالها بسيطة ويتحول الإنسان إلى كائن وظيولي أحادي البعد. ومن ثم يمكن توظيف كل من الواقع المادي والإنساني بكفاءة عالية.. ثم تتصاعد عمليات الترشيد (والتبسيط والتخسيري) إلى أن يتحقق حلم البورتوبيا التكنولوجية، حين يتم برمجة كل شيء، والتحكم في كل شيء، وما في ذلك الإنسان، ظاهره وباطنه (ومن ثم يمكن استتصاغه ببساطة). وعمليات الترشيد تأخذ شكل مراحل تمر بها كل المجتمعات البشرية (ومن هنا ولد الفكر الغربي بتقسيم التاريخ إلى مراحل متعددة).

وتصاعد عمليات الترشيد على مستوى العالم هو العولمة بحيث يصبح العالم كله مادة استعمالية ويصبح كل البشر كائنات وظيفية أحادية البعد يمكن للتبني مطويعها، وتتصاعد مسدلات الترشيد إلى أن تصل سائر المجتمعات البشرية إلى لحظة تتلاقى عندها ويسود التجانس الكامل بينها، وهذا ما يسمى أيضا «نظرية التلاقى» (بالإنجليزية: convergence theory) كورنيلجاس ليرى.

Or)، والتلاقي هو توحد النماذج كلها بحيث تتبع نمطا واحدا وقانونا عاما واحدا هو قانون التطور والتقدم بحيث يصبح العالم مكونا من وحدات متجانسة؛ ما يحدث في الواجهة يحدث في الأخرى. وقد أشار أحد المعلقين إلى أن ما يحدث الآن في العالم هو سقوط الماركسية ودلا من الماركسية ماركسيزم (Marxism ظهرت الماركسية (نسبة إلى السوق) ماركيزم Marketism وهذه السوقية ويعتمدها على العالم بأسره، وبشمله وجنوبه وشرقه وغربه، هي في واقع الأمر نقطة التلاقي التي تمتد عنها علم الاجتماع الغربي.

وقد كتبنا سابقا في «شهر» بأن عمليات الترشيد تؤدي إلى تحويل المجتمع إلى حالة التصنع وإلى إخفائه للقنصم المزدوج، وننقل معه تماما في صورة القنصم المزدوج، ولكننا نذهب إلى أن العالم سيحكمه إقناع ثلاثي: التصنع (حيث ينتج الإنسان) - والسوق (حيث يستجيب) - وأماكن الترفيه (حيث يفرغ ما فيه من طاقة وترتبات ومقد وأبعاد)، أي أنه إقناع يستوعب كلا من الإنسان الاقتصادي والإنسان الجماعي ويشجع جميع رغباتهم البسيطة الطبيعية أحادية البعد، التي لا علاقة لها بتركيب إنساني.

وحينما يسود هذا الإقناع الثلاثي على العالم بأسره يظهر النظام الحالي للجدد وأيديولوجيات التاريخ وما بعد الحداثة، وهي أيدولوجيات نابضة من الموقف المزدوج. يُعصر الاستقارة في التاريخ: موقف هيجلي يقنص التاريخ ويؤكد أنه له غاية محددة وأنه يصل إلى نهايته حين تتحقق هذه الغاية، وقسم مادل ليهول يرى أن التاريخ لا غاية له ولا هدف.. والدجيران، كعسا ستيون، في تقديسها وفي عداوتها للتاريخ، ولكنا له.

١ - التاريخ يصل إلى نهايته عند تحقق غايته: فوكوياما وهنتجتون:

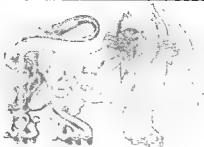
(أ) فوكوياما ونهاية التاريخ:

يرى فرانيسوس فوكوياما أن كلا من هيجل وماركس كانا يريان أن التاريخ سيصل إلى نهايته حينما تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع الذي يشجع

الاحتياجات الأساسية والرأسمالية للبشر، فهو عند هيجل الدولة الليبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي. ولكن العالم بأسره قد وصل إلى ما يشبه الإجماع بشأن الديمقراطية الليبرالية كنظام صالح للحكم بعد أن أفضت الهزيمة بالأيديولوجيات المتنافسة، وهذا يعود إلى أن الديمقراطية الليبرالية خالية من تلك التناقضات الأساسية الداخلية التي شابت الأشكال السابقة للحكم.

ويستخدم فوكوياما نموذج العلوم الطبيعية (المادية) لتفسير التاريخ؛ فالعلوم الطبيعية الحديثة تمثل النشاط الاجتماعي لهم الرصيد الذي يجمع الناس على أنه يصمم بالنمى والتراكم والتغاير، ومن ثم يقرر فوكوياما أن ملحق العلوم الطبيعية الحديثة يدعو وكأنما يفرض على العالم (الطبيعة والإنسان) تطورا شاملا يتجه صوب الرأسمالية والصق الحديثة، أي أن ما يمكن تسميته «الرأسمالية العلمية» يمثل الورد الحقيقي للمبدأ الطبيعي /المادي الواحد، قد حل محل ما كان يسمى «الاشتراكية العلمية»، التي كانت تدعى نفسها شرف شغل البشر الطبيعي.. وبذا، تتحول الإنسان في الشرق والغرب إلى الإنسان الاقتصادي (المادي) الذي يمكنه إدارة حياته على أسس علمية رفيعة.

ولكن يبدو أن فوكوياما، بعد أن استخدم نموذج العلوم الطبيعية (المادية) بهذه السهولة والسهولة، وبعد أن أكد الأسبقية المطلقة للمادة على الإنسان، يحاول أن نفسه ويقرر أن يدخل عنصرًا إنسانيًا غير مادي (وهذا نص مستخدم في الأيديولوجيات المادية العلمانية كافة، فهي لا تستطيع أن تواجه وحشية ماديها، ومن هنا فإنها تخطئ مصنات رومية مخرجة). والعصر المخرجة غير المادي الذي يدخله فوكوياما هو سعي البشر إلى ذيل الاعتراف بقدرهم أو الاعتراف بقدر الأشخاص أو الأشياء أو القواعد التي يعتقدون أن لها قدرا كبيرا (وهو ما يسمى «عصر العصر»). والتفسيرات العلمية الليبرالية ستحقق كل ما يريده الإنسان على المستويين الاقتصادي (المادي) والإنساني (غير المادي). ولكن رغم كل هذه المصنعات، نجد أن فوكوياما، مع هذا، وليس الشك في حرج إمكان أن يؤدي التطور التاريخي العلمي إلى



نهاية التاريخ وطراع الحضارات

ولكننا لو دققنا النظر لوجدنا أن التعددية التي يطرحها هنتجتون وإميه زائفة إذ نخل للثانية المسببة بوجهها، فالعالم ينقسم إلى قسمين اثنين: الغرب من ناحية وبقية العالم من ناحية أخرى (أو كما يقولون بالإنجليزية: the West and the rest)، ولوجدنا أن العالم بأسره يحركه في واقع الأمر نمو الغرب (تماماً مثلما بشر فوكوياما). وسنكتشف أن كلمة «الغرب» تحث في واقع الأمر «العدالة»، فحمة تترافق بين هاتين الكلمتين عند هنتجتون (وهذا كلمات أخرى مثل «السوق الحرة» والديمقراطية، و «الفرديّة» تؤكد هذا الترافق)، أو كما يقول هنتجتون: «إن الحضارة الغربية حديثة وغربية»، أي أن التحديث هو «الغريب»، ومن ثم فإن «من يود أن يبحث في الغرب» وهو يتعبد باستحسان بالغ كلمات نابول (الكتاب الجاهلي الذي تغمض في تأليه الغرب وتبريح العالم الثالث، ومنه ملحة الأم؛ الهند، كما تغمض في الهجوم على الإسلام): «إن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية التي تناسب كل الناس»، ومعنى ذلك أن الحضارة الغربية حالة طبيعية، صفة لصيقة بطبيعة الإنسان، ومن يحرف عنها فهو إنسان غور طبيعي وشاذ وهذا يعني أن التاريخ يتبع مساراً واحداً، وأن هنتجتون يؤمن بالمدروج أمادي النمط، رغم كل حديثه عن التعددية والصراع.

ويوضح هذا الإيمان بالمدروج أمادي النمط في الأمثلة التي يورقها في مقاله: فهو يتكبر أنه اكتشف «أنه مغايلة له من رئيس جمهورية المكسيك» أن هذا الأخير يود أن يحول بلده من بلد أمريكي لاتيني إلى بلد أمريكي شمالي (أي يحاول أن يجعلها تلتق بركب الحضارة الغربية والطبيعية!)، ولا يملك هنتجتون إلا أن يعبر عن إعجابه العميق بعملية التطبيع هذه، التي ستجعل المكسيك متصلة مع قوانين الطبيعة وأمريكا الشمالية، «يتقدم إنمراحها عن السراط المستقيم.. هذا هو الإيمان المستقر.. ولكن رئيس جمهورية المكسيك، هذا الذي يعرف أمير المساهة، ويعتد من الإفصاح عن هذا الإيمان ويقول: «لا يمكن أن نقول ذلك علناً، إذ إن السيد الرئيس يعرف أن جماهير الشعب تتسمك بالخصومية والأصالة ولا تتركه،

واستخدام هنتجتون لكلمة «حضارة» يعادل تقريباً استخدام كلمة «معرفي» عندنا؛ فكل حضارة - حسب رؤية هنتجتون - رؤية للكون تدور حول العلاقة بين الإنسان والإله (الفرد والمجتمع - الجزء والكل)، وتؤسس على هذه الرؤية للكون منظومات معرفية وأخلاقية تعدد تراتب السعرات والحقائق (المساواة والسلطة - الفرد والأسرة - المواطن والدولة - الصراع والاتساق). هذه الرؤية للكون أمر متجزئ في البشر عبر قرون طويلة ولا يمكن أن يمسى لفرها في سفوات قلبية، وما يراه أهل حضارة معينة أمراً أساسياً قد يراه آخرون هامشياً، ويؤكد هنتجتون أن أساس اختلاف الحضارات هو التاريخ واللغة والحضارة والتقاليد ولكن أهم العناصر طرأ هو الدين (نلاحظ بشكل جانبي أن طريقة هنتجتون في التحصيل ليست جيدة، فهو يورد عناصر متداخلة مثل التقاليد والتاريخ باعتبارها عناصر مستقلة تمام الاستقلال، كما أنه يتكرر الحاضر بشكل رئيسي وكأنها جميعاً متساوية، ولكن يجب أن نذكر أنه يعطي مركزية سيئة للدين).. فكان هناك صراعاً حضارياً في العالم هو في واقع الأمر صراع ديني.. وبعد أن يتبدل هنتجتون أطروحة بهذا الشكل (الحضارة الغربية في مقابل الحضارات غير الغربية) يسعى لطبعاً بأن ثمة تدوراً حضارياً هائلاً في العالم (ومن هنا حديثه عن الحضارة الغربية الأرثوذكسية مقابل البروتستانتية والكتانوكية، والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية اللتين يرى لهما مبرسان نوعاً من التعاون في اكتساب القوة والثررة).

سعادة الإنسان، فالتأثير النهائي لهذا التطور على سعادة البشر أمر غامض.. بل إن فوكوياما يورد، بقدر من الاستحسان، عبارة من كتابات كوجيف (مفسر هيجل الذي يصد عليه فوكوياما) يقول فيها: «إن إخفاء الإنسان بانتهائه للتاريخ ليس بكارثة كونيّة [طبيعية/ مادية]؛ فالعالم الطبيعي [المادي] سبقي كما كان عليه منذ البداية، ولا هو بكارثة ببربرية، فالإنسان سبقي حياً كالحوانات منمجة مع الطبيعة/ المادة، أما ما سيخفي، فهو الإنسان بمحاده للشائع؛ والإنسان بمعناه اللغوي أمر حضاري تاريخي مركّب لا يهتم به الماديون الطبيعيون كثيراً.

إن إعلان فوكوياما نهاية التاريخ هو إعلان نهاية الإنسان والتصار الطبيعة/ المادة، أي الموضوع (اللاإنساني) على الذات (الإنسانية)، ومعناه تحول العالم بأسره إلى كيان خاضع لقوانين الواحدة المادية (التي تجسدها الحضارة الغربية) والتي لا تفرق بين الإنسان والأشياء والسيوان والتي تحول العالم بأسره إلى مادة استعمالية، فنهاية التاريخ هي في واقع الأمر نهاية التاريخ الإنساني وبداية التاريخ الطبيعي.

(ب) صموئيل هنتجتون والصدام بين الحضارات:

أشار بعض المحللين السياسيين إلى أن أطروحة هنتجتون هي عكس لأطروحة فوكوياما، فبينما يحن الأول تصاعد الصراع بين الحضارات يمثل الثاني انتهاء للحد والتدافع والتاريخ.. والأمر هو بالفعل كذلك لو قمنا بالمستوى التحليلي السياسي وبشكل الأتكان، أما لو تعمقنا وماردنا الوصول إلى المستوى المعرفي فلنأنا نجد أن الأمر مختلف تماماً.

يبدأ هنتجتون بتأكيد أن دور الدولة القومية كفاعل أساسي في الصراعات الدولية قد تراجع (ولم يختف كلياً)، ويظهر بدلاً من ذلك الصراع بين الحضارات والشرابات الحضارية.. وقد نشب هذا الصراع نتيجة دخول الحضارة غير الغربية كعناصر فاعلة في صياغة التاريخ، فالغرب لم يعد هو القوة الوحيدة في هذه العملية؛ فالصراع ليس حتمياً وإنما هو نتيجة دخول لاعبين جدد!

كما يدركه هو وكما يدرك هنتجتون طبيعياً الحال، أن الخصوصية زخرفة يمكن الاستغناء عنها، وأن الهوية إضافة لا مبرر لها. ولعل هذه الإشكالية لا بد من الحديث عن الخصوصية والأمثلة ذكراً للرماد في اللميون مع الاستمرار في عمليات التحديث والتغريب والتطبيع، وهذا ما فعله أوزال رئيس جمهورية تركيا، هذا الذي يؤمن بالتحديث كتغريب وتطبيع، ومع هذا أدى فريضة الحج إلى مكة.

هؤلاء هم أبطال هنتجتون، رجال يؤمنون بأن الحضارة الغربية حضارة عالمية تناسب كل الناس في كل زمان ومكان، ولذا فيطهه الأساسي هو أتاتورك الذي قام بأشمل وأسرع عملية تحديث وتغريب (انطلاقاً من إيمانه بضرورة التخلص من الهوية والخصوصية وإماضي) حتى وصل بمجموعته إلى الحالة الغربية الطبيعية/ المدنية الحديثة، وهي حالة «على كل» سبيل إليها المجتمع في نهاية الأمر، شاء أم أبى، من خلال قوانين التقدم التاريخي للخصوصية الطبيعية العلمية.

ولكن كل حضارة كما يؤكد هنتجتون تستند إلى رؤية دينية، فما هو البعد الديني للحضارة الغربية؟

يعلن هنتجتون أن قيم الحضارة الغربية هي الديمقراطية والاقتصاد الحر وفصل الدين عن الدولة والليبرالية والنسبوية وحقوق الإنسان. وفي الواقع، فإن ما يود أن ينسبه هنتجتون هو أن الأساس الديني الداليت للحضارة الغربية هو فصل الدين عن الدولة (وهو يظهر هذا مرة أخرى عدم قدرته على التصنيف الذكي والترتيب الدال، ولكن ما يهمنا هنا هو أن الترميز الفكري كامن وواضح). ولابد أن إصحابه بأتاتورك ينبع من هذا الإيمان للتمسك بالعلمانية، وليس من قبول الصدقة أن يقصص كلمات المستشرق الأمريكي اليهودي العنصري برتراند رابنسون حين يتحدث عن نشوب ثورة من جانب الحضارة غير الغربية «مضد التراث اليهودي/ المسيحي ومضد حاضرنا العلماني ومضد الانحياز العالي لكتلهم»، فالعنصر لليهودي/ المسيحي ينتمي

للماضي (مجرد تراث)، أما الحاضر فهو العلمانية، أما الوعد فهو الانتشار، أي أن ثمة تراثاً بين الغربي والعلماني والإمبريالي التوسعي (يفترض فؤاد عجمي هذا للترانف في مقاله الذي رد به في مجلة الشؤون الخارجية على هنتجتون، فهو يتحدث عن عمليات التطبة في الهند وتركيا باعتبارها عمليات تغريب وتحديث). والواقع أن مفهوم الدولة الممزقة أو المتمزقة (بالإنجليزية: torn state) الذي يستخدمه هنتجتون يفترض هذا الترانف، فهي دولة ممزقة بين الحديث والغربي والعلماني من جهة، وبين تراثها وهويتها وأقيمتها من جهة أخرى.

ثمة ثنائية حادة واستقطاب متطرف في عالم هنتجتون بين الأنا الغربي (الحديث العلماني) من جهة، والأخر (غير الغربي وغير الحديث وغير العلماني) من جهة أخرى، وهي ثنائية لا بد أن نسمي، وهذا هو في واقع الأمر صراع الحضارات، أي صراع الحضارة الغربية الحديثة العلمانية ضد الحضارات الأخرى، وهي نفس الثنائية الكلامية في عالم فوكوياما وفؤاد عجمي.

ولكن نقطة الاختلاف الأساسية بين الدلالة هو اختلاف حول سرعة الوصول، ففوكوياما زادت حرارته الشجانية فجمول وأعلن أننا قد «وصلنا» وهذا هو رطل نهاية الآخر والتمسك بالذات ونهاية التاريخ وبنية الفردوس الأرضي، أما فؤاد عجمي فيرى أننا قد وجدنا كلنا تسحت الخطة ولكننا لم نصل بعد. أما هنتجتون فهو ألق فقالوا من كليهما، فهو يرى أن الطريق إلى النهاية للردمية الطبيعية في لحظة الوصول ليست بهذه البساطة. وحتى يوضح وجهة نظره، يشير إلى تلك الأيام الجميلة حينما كان الغرب يهيم على المؤسسات السياسية والأمنية الدولية والاقتصادية ثم تغير الأمر بعد ذلك إذ ظهر لأول مرة بعد إعلان حقوق الإنسان (وهو إعلان علماني ضامناً يستند إلى فكرة القانون الطبيعي)، دول لا تؤمن لا بالتراث المسيحي/ اليهودي (أي تراث الحضارة الغربية) ولا بالقانون الطبيعي (للحديث على الطريقة الغربية والعلمانية). وقد زادت هذه الدول عدداً وأصبحت الآن في المتقدمة..

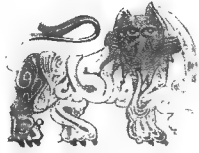
وهذه الدول التي لا تتصوى تحت المنظومة الغربية لا تحت الخطة نحو النهاية المرعوبة (والاستسلام لتأخير لسر الفئانية) إذ إن بعضها بدأ (على حد قول جورج ووجيل الذي يتكهن هنتجتون كلمته) بتراجع عن عمليات التطبة والتغريب في العالم وبدأت تتحول، بل وقد تتحالف مع بعضها ضد الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ وصالة الطبيعة. ويعد هذا التراجع هو الحقيقة الاجتماعية الأساسية في المهارة في نهاية القرن العشرين. والذين (كما قال هنتجتون) هو أساس الثورة والخصوصية الحضارية التي تتجاوز الحدود القومية وترتد الحضارات، فالصراع ليس صراعاً بين حضارات (تكل) قيمتها وقيمها) وإنما هو صراع بين منظومة قومية غربية علمانية تدور في إطار المرجعية المدنية وتستند إلى فكرة القانون الطبيعي (المدني) بكل ما يتضمنه ذلك من إنهاء للتاريخ والارتباط بالإنسان والهوية من جهة، ومن جهة أخرى كل من يقارم ذلك ولا يوافق عليه ويرى أن الإنسان ليس مجرد مادة (وهذه هي العملة الحقيقية بين الإسلام والتكفوشوسية). ولكن هنتجتون مرقن ضامناً أن هذه صراع مؤقت، فحمة نقطة أساسية ولحده يتجه نحوها العالم فيتحقق فيها القانون الطبيعي (والعقل الكلي الغربي، الطبيعي/ المدني الحديث) نقطة التمسك الحضارة الغربية الحديثة الطبيعية/ المدنية العلمانية العلمانية، نقطة وصلت إليها بعض البلاد بالفل.

ويتبين هنتجتون بشأن الحضارة الغربية باعتبارها حالة الطبيعة أمر بخير الخوف، فمن يقارم حالة الطبيعة لا بد من تقويمه بطبيعة الحال ووضعه على المسار الطبيعي، فهو المسار الوحيد والصحيح، الأمر الذي يتطلب - طبعاً - اتخاذ بعض الإجراءات الطبيعية غير السارة وطرح بعض الطول الطبيعية المخزية الهائلة مثل إسقاط الحكومات القومية (التي تتحكم بأهذاب خصوصية زائفة) وذلك المواسم المقارمة (التي تدافع عن قيم لا جدوى لها مثل تكريمه واللغة الوطنية) واستباحة المدن والقرى العاصية التي تقارم قانون الطبيعة والتطور الغربي.

٢ . التاريخ لا هدف له ولا غاية.. ما بعد الحداثة :

ما بعد الحداثة هي الرؤية الفلسفية التي أهرزت مؤخرًا شويشًا لا نظير له في العالم الغربي، وهي رؤية تنطلق من عبدة أطروحات الفلسفية مخدلة ومصطلحات صاخبة زئانة (تتغير بمعدل مرة كل أسبوع تقريبًا) كلها تؤكد غياب المرجعيات وبأن كل الذات وتقدائنها لحدودها، وبأن كل الموضوع وفقدانه لحدوده، وبهيمنة النسبة المعرفية الأخلاقية، ومن ثم استحالة الوصول إلى فكرة الكل، سواء كانت هي فكرة الإله أو الأخلاق المطلقة أو التمييزية البشرية (أساس الأنطولوجيا الغربية) (مختبر فلسفة ما بعد الحداثة هي قمة الثورة ضد الهيكلية، وهي تبرز للاتجاه الفلسفي الغربي المعاصر للفلسفة).. ولكن هذا يحل في واقع الأمر اختفاء العقل، أي الملكة التي يقوم الإنسان من خلالها بمراكمة المعنى والإنجازات، ويظهر ما يسماه أحدهم «ذاكرة الكلمات المتقاطعة»، أي معلومات متناثرة لا يربطها رابط وينشأ الإحساس بأننا في الحاضر الأزلي؛ تغير مستمر بلا ماضي ولا مستقبل، وتغير بلا ماضي ولا معنى ولا منطق.. ويتحول التاريخ إلى مجرد لحظات جامدة، وزمن مسطح لا صق له، ملاف حول نفسه لا قسمات له ولا معنى.. ويفرغم الحاضر والباضى والمستقبل وتتسارى ضامًا مثل تتسارى الذات والموضوع والإنسان والأشياء، ولكنه تزامن دون استمرارية، فقة انقطاع كامل. ومن هنا، يتحدث أنصار ما بعد الحداثة عن إحلال القصص الصغيرة (أو الجزئية أو الذاتية) محل القصة الكبيرة (أو الشاملة أو الكلية)، أي أن الإنسان غير قادر على الوصول إلى رؤية تاريخية شاملة تضم البشر كافة ولكنه قادر على خوض تجارب جزئية يمكنه أن يقصها بدرجات متفاوتة من الدجاج والفشل، ولكنها لا ترقى قط إلى مستوى تاريخ عام للبشر، فليست لها أية شرعية خارج نطاق تجربته.

إن ما بعد الحداثة قد لا تطرح نماذج خطية تطورية أو حلولاً نهائية وقد لا تبشر بالدرروس الأسمى أو بالثورة التكنولوجية للتفوقراطية ولكنها هي أيضاً إعلان لنهاية التاريخ ونهاية الإنسان ككائن مركب



نهاية التاريخ وطرايع الحضارات

لجماعى قادر على الإختيار الأخلاقى الحر لنحل محله إنسان ذو بعد واحد يدور في إطار المرجعية الكامنة أو دون أية مرجعيات يعيش متكفلاً إما على ذاته الطبيعية التي لا علاقة لها بما هو خارجها، فهي مرجعية نفسها، أو على كليات إنسانية مجردة لا علاقة لها بالإنسان كما نعرفه.. وهذا الإنسان لا ذكورة له فهو يعيش في اللحظة دائماً، في قصته السرى، ولذا نلخص أحدهم ما بعد الحداثة بأنها تسيان نشط للذاكرة التاريخية، وهي طريقة متخففة صغرة للقول بنهاية التاريخ. ويمكننا القول إنه إذا كان فوكوياما اكتشف نهاية التاريخ فإن ما بعد الحداثة تقوم بقلته.

ما علاقة نهاية التاريخ وصراع الحضارات وما بعد الحداثة بواقعنا وبالمنظّم العالمى الجديد؟

ومرة أخرى، كى نجيب من هذا السؤال لإبد من تعريف هذا النظام العالمى الذى يوصف بأنه «جديد». ويمكن القول بأن النظام العالمى الجديد إن هو إلا امتداد للنظام العالمى القديم، وإعادة إنتاج للرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية على عصر ما بعد الحداثة. وتذهب الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية إلى أن للعالم مادة، وأن هذه المادة مادة استعمالية بالدرجة الأولى، والإنسان، باعتباره جزءاً لا يجزأ من هذا العالم، هي أيضاً مادة استعمالية، ولذا فهو كائن ذو بعد واحد، تحركه الدوافع المادية وأهمها الدافع الاقتصادى والدافع الجسى. ولذا فالمنافع الاقتصادية والبحث عن القوة (لدى لا تتجاوز عالم المادة والحواس الخمس ولا تصل إلى عالم الطلعات والأسرار

والأشواق والتاريخ المركب)، هي المحرك الأول والأخير لسلوكه، وهي المرجعية النهائية لوجوده.

والمنظومة القيمية الغربية منظومة كلية شاملة تسعى على الإنسان والطبيعة، وعلى كل البشر في الشرق والغرب؛ فالجميع مادة استعمالية.. ومع هذا، يوجد داخل هذا الإطار للكلى الشامل ثنائية الأنا والآخر.. ولذا، ففى داخل هذه المنظومة التي تدور في إطار المرجعية الواحدة المادية، نجد أن الإنسان الغربى مادة مستعملة (يكسر المعنى) أكثر منها مادة استعمالية، أما سكان آسيا وأفريقيا فهم مادة المعنى؛ مادة استعمالية أولاً وأخيراً، ولذا، عبرت هذه الرؤية عن نفسها في النظام الدولى القديم على هيئة خطاب عصى يؤكد على الثغرات بين الأجناس كما يؤكد على عبء الرجل الأبيض ورسالته العنصرية.

وإنطلاقاً من ثنائية الأنا والآخر العنصرية الصلبة، كان النظام الإمبريالى القديم يحاول استعباد الشعوب الأخرى فيحاول أن يوقف عمليات التحديث في أى مكان في العالم، ويقمع كل الثورات ليعمن تدفق المادة والمواد الخام الرخيصة ويضمن وجود مجال حورى وشكل امتداداً إسرائيانياً واقتصادياً له، حتى يظل العالم الغربى منتجاً ومستهلكاً كالعالم الثالث فيظل منتجاً بدلاً، ومستهلكاً حاجزاً لبعض بضائع أوروبا وأفكارها. وفي إطار هذا ولدت عصرية الثغرات وأفكار الشعب العنصرى وعباء الرجل الأبيض والشمال الحورى، وهي أفكار تسبغ القلادة على الإنسان الغربى وعلى تاريخه وحضارته وتزعم القداسة عن الإنسان غير الأبيض وعن تاريخه بل وتقبلها، إذ يفترض هذا الإنسان كإنسان ينتهى تاريخه، فهو مجرد تاريخ مختلف والعراق من اللقطة التي يقصها نهرها التاريخ العالمى. وكانت هذه العلول النهائية ودعها مدفع غرسى واضح يدك كل من يقف في طريقه دكا، كما فعل في فلسطين والجزائر وقيتنام.

هذه رؤية ثنائية حادة تكرر تاريخ الآخر وإنسانيه ولا تقبل إلا كفاءة استعمالية. وقد تكررت ممارسات النظام الإمبريالى الدولى القديم بأشكال تتراوح بين درجات مختلفة

من الصدة والتدفير في أنحاء آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. وكان يمكن للاستعمار أن يستمر على شكله القديم، ولكن حدثت تطورات تاريخية عميقة لا تشكل لحظة إنفاقة أخلاقية تاريخية وإنما تشكل لحظة إدراك ذكية من جانب الغرب أوازن القوى. ومنه ننسب أسباب ظهور النظام العالمي الجديد فيما يلي:

١- أدرك الغرب عمق أزمة العسكرية والثقافية، وأحس بالفتك الداخلي وبهزيمته عن فرض سياسته بالقوة.

٢- أدرك الغرب تراجع المركزية الغربية وظهور مراكز عديدة (غير غربية) تتفاوت قوة وضعفها.

٣- أدرك الغرب استحالة المواجهة العسكرية والثقافية والاقتصادية مع دول العالم الثالث التي أصبحت جماهيرها أكثر صموداً ونخبها أكثر حركية وصقلها فهدمها قواعد اللعبة الدولية، وبذا أصبحت المواجهة العسكرية مكلفة للغاية إن لم تكن مستحيلة.

٤- أدرك الغرب أن تحالف شعوب آسيا وأفريقيا يجعلها غير قادرة على الاستهلاك ومن ثم لا يمكن استيعابها في حلقة الترشيد المادية إذ لابد أن تتقدم هذه الشعوب لتصبح شبه ملدجة شبه مستهلكة.

٥- أدرك الغرب أنه رغم هذه الصعوبة، فغمة عوامل فتكه بدأت تظهر في دول العالم الثالث، فقد ظهرت نخبة محلية مستوعبة تماماً في المنظومة القومية والمعرفية والاستهلاكية الغربية يمكنه أن يعاون معها ويجهدها، وهي نخبة يمكن أن تسبق له من خلال السلام والاستسلام ما فشل في تحقيقه هو من خلال المواجهة والغزو العسكري.

تكل هذا كان لابد أن تظهر رؤية جديدة هي استمرار للثورية القديمة وتكريس الوضع القديم ولكن من خلال خطاب جديد يتروعب الإدراك الفردي للتكلفة العالية للمواجهة بل واستحالتها. ومن هنا ظهر ما يمكن تسميته «الاستهلاكية العالمية». والثورية الجديدة مثل القديمة تماماً ترى أن العالم والإنسان مادة استعمالية وترى ضرورة أن يتحول للعالم بأسره إلى ساحة كبيرة لا تسودها إلا قوانين العرض والطلب وتعليم المتفعة المادية واللذة

الجسدية، ولذا فهي تحاول ترشيده العالم بأسره لتحويله إلى مصنع وسوق وملهى ليلي (أو شركة سياحية). ولكن في الوضع القديم كان هذا يتم لصالح الشعوب الغربية، والمطلوب أن يستمر ذلك دون حاجة للمواجهة، مع استيعاب الجميع في حلقة الترشيد المادية للشأمة.

لتحقيق هذا قرر الغرب اللجوء للإغواء والإغواء بدلا من التمتع والقتل، والاستفادة من التفكك لضرب التماسك، أي أن التفكيك والانحلال لجدي وأخص من للدمير والمواجهة، وبذا يمكن للغرب حل إشكالية صغره عن المواجهة وبأن يخلق عن مركزته الزائفة وهيمته السعلة ليعمل محلها هيمته بديوية كاملة.

وأقيمت الإغواء عديدة من بينها إيهام الآخر، أي أعضاء النخب المحلية الحاكمة التي تم تقييدها، بأنها شريكة مع الاستعمار الغربي في عمليات الاستثمار، بل وشريك (صغير) في عمليات نهب الشعوب وطمعهم ملها. ويؤكد هذا عملية إفساد ورشوة لأعضاء هذه النخب، بل إنه يتم إغواء للنخب نفسه إما عن طريق وسائل الإعلام العالمية، وبيع أحلام الاستهلاك الوردي للثروسة، أو عن طريق النخب المحلية. وتصدق في الوقت نفسه عمليات فتح للمحود وتفكيك الدولة القومية وباعتباره إطارا لجميع القوى الشعبية للخطلة ضد الإمبريالية أو ضد الهيمنة الغربية وذلك عن طريق المنظمات الدولية والـ NGO (المنظمات غير الحكومية) وإثارة الألبات وإثارة مشاكل للعدو... إلخ، وبذلك الأسرة باعتبارها الملأ الأساسي والآخر للإنسان والعجز الذي يحقق المجتمع دخله استعمارية الهيمنة والمنظومة القومية (وتكفل به جماعات المتمركز حول الأتلي فيميويزم Feminism وجماعات الدفاع عن الإباحة باعتبارها شكلا من أشكال الإبداع لهذا الجانب من عملية التفكيك).

وأخيراً يطلق هذا النظام سباعية كثيفة من الدباجات والأكاذيب عن اخفاء الأهداف الاستغلائية القديمة والإيمان بالديموقراطية والعدالة... ويمسك الحديث عن التفاروت وبعده الرجل الأبيض ليكون هناك حديث

عن المساواة (التي هي في واقع الأمر تصوية). ويؤكد هذا النظام أن التحالفات السياسية في الوقت الحاضر لا تستند إلى الأيديولوجيا والإيمان بالخصوسيات القومية أو الدينية وإنما إلى التكنولوجيا والمصالح الاقتصادية العلمية، والمصارف لا يتم صعب المبادئ وإنما يتم بسبب المصالح والبحث عن اللذة، وبمسة تلاق بين الأمن القومي والمصلحة الاقتصادية، وبالتالي يمكن حصر الخلافات بين الدول وتحييدها والتعامل معها بشكل رفيد، فالمصالح (على عكس المبادئ) يمكن حسمها، ويمكن إخضاعها لعمليات حسابية رياضية دقيقة، والشئ نفسه يقال عن الخلافات داخل المجتمع الواحد، فبالإمكان حسمها من خلال العملية الديمقراطية، لا كما يسمى «ملقالات الإجماع»، أي الاتفاق على قوانين اللعبة وإجراءاتها دون الانشغال بالسامية أو بالأهداف.

والخطر الذي يهدد الأمن القومي - حسب ديباجات النظم العالمي الجديد - لا يأتي من الخارج وإنما من الداخل، من قوى تقف ضد الديمقراطية وضد تأسيس المجتمع على أسس اقتصادية وعلى أسس التفكيك مع النظام الدولي... هذه القوى هي التي تجر الداخل القومي إلى صراع مع الخارج الدولي بدعوى الدفاع عن الكرامة أو الاستقلالية أو الشخصية القومية أو الرغبة في التنمية المستقلة أو الخصوصية والأصالة لمجابهة القوانين القومية العامة. وثمة افتراض كامن بأن المجتمع الأمريكي (الذي يفترض أن الدافع الأساسي في سلوكه للبرش عن الاقتصاد والني حق أعلى مستويات الإنتاجية والاستهلاكية والمتعة لأعضائه) لابد أن يصبح للقدرة والمثل الأعلى.

ولكن كل هذه الآليات والأهداف تصب في هدف واحد أو حل نهائي واحد هو ضرورة ضرب الخصوصيات القومية والمجموعات الأخلاقية حتى يفتد الجميع أية خصوصية وأية منظومة قيمة ليصبحوا آلة إنتاجية استهلاكية، لا تكف عن الإنتاج والاستهلاك دون أية تساؤلات، ومن هنا تظهر نهاية التاريخ كمفهوم أساسي، فالنظام العالمي الجديد لا يشير إلا للحظة الزائلة



نهاية التاريخ وطراع الحضارات

وحسب، ويتحدث عن المستقبل ولا يتحدث قط عن الماضي فهو نظام يدعي أنه هو نفسه لا ماضى له، وأن كل البشر لا ماضى لهم، وإن كان لهم ماضى فهو ليس مهماً فكل شيء جدد طازج. داخل هذا الإطار، يصبح الإنسان إنساناً طبيعياً أحادي البعد لا عبق له ولا ذاكرة ولا قيم.. يبدأ الإنسان دائماً في نقطة الصفر وينتهي فيها، يعيش في عالم بلا جنس ولا خطيئة ولا حياة، عالم مفصول في الزرند المادى والإجرائى، كل ما غيبه وحسره بشكل هندسى متناسق، مستقيم من التناقض ولجلد.

ولنلاحظ أن ما تصافق هذا ليست خصوصية قومية بمعناها وإنما مفهوم التفردية لنفسه، وليس تاريخياً بعينه وإنما فكرة التاريخ نفسها، وليس هوية بمعناها وإنما كل الهويات، وليس منظومة قيمية بمعناها وإنما فكرة القيمة نفسها، وليس نوعاً بشرياً بمعينه وإنما فكرة الإنسان المطلق لنفسه، الإنسان ككيان مركب لا يمكن رده إلى ما هو أدنى منه. لقد انحلت المرجعية، ولا مرجعية، وظهر عالم لا خصوصيات فيه ولا مركز له.. هذا العالم الذى لا مركز له.. يسير فيه بشر لا مركز لهم ولا هدف، لا يمكنهم التواصل أو الانضمام لوطن أو أسرة، كل فرد جزيرة منعزلة أو قصة صغيرة، يظهر إنسان استهلكى أهدى البعد بعد أهدافه كل يوم، ويغير قيمه بعد إشعار صبر يأتيه من الإعلانات والإعلام؛ إنسان عالم الاستهلاكية العالمية الذى ينتج بكفاءة ويستهلك بكفاءة ويعلم لذته بكفاءة حسب ما يأتيه من إشارات وأصناف؛ هذا هو العمل النهائي في عصر التسوية الذى لا محل للتحلل النهائي لمصر الثقافات، فبدلاً من الإبادة من الخارج، يظهر التسوية من الداخل.

ومن هنا نرى أن ما بعد الحداثة هي في واقع الأمر الإطار المبرمج للكامن للنظام العالمى الجديد، فهي رؤية تنكر المركز والجمعية، وترفض أن تعطي التاريخ أى معنى والإنسان أية قيمة أو مركزية أو إطلاق، وتسقط كل الأيديولوجيات (عصر ما بعد الأيديولوجيات)، وتنكر التاريخ (عصر نهاية التاريخ)، وتنكر الإنسان (عصر ما بعد الإنسان).. فالعالم حسب هذه الرؤية يفتقر

إلى المركز، فكل الأمور مادية، وكل الأمور متساوية، وكل الأمور نسبية، فهو عالم في حالة سيولة كاملة (تماماً مثل التناص textuality حين يحولك نص إلى نص قبله ونص بعده، فيغتنى المعنى وتغتنى العدد والهوية والمسؤولية). وكما يقول فريديريك جيمسون، الناقد الأمريكى للماركسي، إن روح ما بعد العدالة تعبر عن روح رأسمالية عصر الشراكات متعددة القوميات حيث قام رأس المال (هذا الشيء المجرد المتجرى الذى لا يكثر بالبعد أو الزمان أو المكان) وإلغاء كل الخصوصيات، كما ألغى الذات المتماكة التى يتحد فيها التاريخ والعمق والذاتية، وحلت القيمة التبادلية العامة محل القيمة الأصلية للأشياء.

ومن نقبل بتحويل جيمسون لفكر ما بعد الحداثة وإن كنا نستعمل بكلمة «رأسمالية» عبارة «علمانية شاملة». والحدث عن القيمة التبادلية العامة التى تلغى الخصوصيات هو- فى واقع الأمر- ليس حديثاً عن رأس المال باعتباره شيئاً اقتصادياً وإنما عن رأس المال باعتباره آلية ذات بعد مصرفى تؤدي إلى تفكيكه ودمج كل ما هو فرود وخاص ومقيم ومقتن ومحمل بالأسرار، ومن ثم فهي آلية مادية للإنسان لأنها مادية لكل من التاريخ والحضارة، إذ إن التاريخ والحضارة - كما أسلفنا - هما مصدر التفرد الإنسانى. ورأس المال هنا هو آلية دفع الإنسان من عالم الحضارة والتاريخ المركب إلى عالم الطبيعة الأحادى البسيط؛ هو آلية سيادة للقائين الطبيعى المادى للولدى، فهو أهم كليات زرع القحاسة عن الإنسان؛ وهو ليس الآلية الوحيدة، إذ توجد آليات أخرى اعتقد أن من

أهمها (فى عصر ما بعد الحداثة) الإباحية وصناعة اللذة المتصلة فى هوليوود وأفلامها. ويمكننا الآن أن نعود مرة أخرى إلى موضوع إلغاء التاريخ وإلغاء الإنسان؛ الموضوعان الأساسيان فى كتابات فوكياما وهنتجتون وكتاب ما بعد الحداثة.. فمع وصول التاريخ إلى نهايته، ينتهى الصراع وتغتنى كل السمات وتكتسب كل التوتريات، ويظهر بشر ذو بعد واحد وتغتنى الذاتية والعمق والحضارة والإنسان، عالم مرت الإنسان بعد أن مات الإله. وهكذا، ورغم اختلاف الميول، تتلاقى النتائج. والنظام العالمى الجديد، بهذا المعنى، نظام مدام للإنسان ومعاد للتاريخ، وهو عداة تابع من العداة الذى يحس به ذور الاتجاه الطبيعى للمادى نحو كل الظواهر المركبة بكل ما تصوى من قداسة أو أسرار، وهو أيضاً تابع من رغبته المارة فى تسوية الإنسان بما حوله، حتى يذوب فى الطبيعة/ المادة ويغتنى ككيان مركب مستقل، ولابد من التصدى لهذه النزاعات المعادية للإنسان وللتاريخ، أو يمكن أن يتم هذا عن طريق الهبادة ضد عمليات التفريد المادى والتمسكة والتركلة و Macdonaldization and Co-accolization. والهبادة هذا هو الهبادة الأعظم، مجاهدة النفس، أى أن يكشف الإنسان ما بداخله من أسرار يهدهد أنه ليس بمادة ميتة صماء، وأنه ليس مجرد مجموعة من المصالح الاقتصادية والدوافع الغريزية، وأنه بوسع - لو شاء - أن يعرف مصالحه بطريقة لا تتعارض بالضرورة مع خصوصيته القومية ومنظوماته القومية. ويمكننا دخل هذا الإطار أن نعد تعالاً يضم العلمانيين والإيمانيين لتصديده الآلة الهيكلية التى تمسك بتلابيب العالم وتصدع من أحلام البشر الاستهلاكية وتبشر بمسرى معيشى يتناقى مع حدود الطبيعة ذاتها وتوازنها، بل ومع حدود الإنسان وتوازنها مع نفسه. إن مستوى المعيشة الذى تصفه الحضارة الغربية للإنسان الغربى لم يتم إلا من خلال التجربة الإمبريالية ومن خلال المراد الطبيعية والمعالجة البشرية الخاصة وذلك فى لحظة تاريخية تائرة تصد فيها الغرب على العالم ولا يمكن لها أن تنكر، ولا نرجو لها أن تكرر للحضارة الغربية أو

لغيرها من الحضارات، فالأزمة البيئية التكنية تحقق بالجميع. إن هذه الحضارة الغربية تشيع صورة للإنسان باعتباره كائناً طبيعياً جسمانياً وتشيع نمطاً استهلاكياً لا أساس له في الواقع المادى أو للتاريخى. ولذا فالصور التى تشيعها هي أكبر دعوة للإرهاب، فمن يبيع صورة مستحيلة يدعو بشكل صريح إلى الصراع والتقاتل والإرهاب.

والإسلام كروية للكون يرفض هذه الرؤية المادية البروموية للفاوسية، فهو يدعو للتوازن بين الإنسان ولكن ويضى في الإنسان إحساسه بذاته الإنسانية ومفهوماته الأخلاقية التى تطلق مسافة بينه وبين الطبيعة والمادة وتزوده بروية تمكنه من رفض هذه الاستهلاكية الثقافية للشرسة،

ولانزال الشعوب الفقيرة في عالم الإسلام تجاهد ضد هذا النظام العالمى الجديد والقديم. وهذا هو سر عداء هذا النظام للإسلام، فهو أن الإسلام يدور حول بعض الشعائر ويركز جل اهتمامه على خدان الإنث (كما يدعى البعض) لقيام النظام العالمى الجديد بتشجيعه وتحويله. وللمالم الغربى على أم اعتماد للتصالح والتعاون مع حكومات شمولية قاتلة ترفع لواء الشرية الإسلامية علانية ولكنها تنتهى، بشكل راع أو غير راع، رؤية للإنسان باعتباره كائناً اقتصادياً جسمانياً والعالم باعتباره غابة داروينية مادية. ولكن النظام العالمى الجديد يطم تمام العلم أن لمة رؤية إسلامية إنسانية شاملة، أساسها الإيمان بالعدل، وأن هناك خطايا إسلامياً جديداً مركباً إلى أقصى حد يؤكد

ضرورة المساواة بين الرجل والمرأة وبين أعضاء الأغلبية والأقلية وي طرح رؤية مركبة للعدل الاجتماعى والعلاقات الدولية، ويجند جماهيره ضد الاستهلاكية اللعينة.

يقول سورج لا توفى في كتابه، تخريب العالم،. إن الغرب لم يعد بقعة جغرافية ولا حتى لحظة تاريخية وإنما أصبح كالألة التى تدور وتدوس للجميع بما فى ذلك صاحبها والمتألمين عليها. والجهاد الأعظم هو محاولة الخروج من القفص الحديدى ومن هيمنة الآلة البسوسطة (التي تشبه فى دورانها ورتابتها حالة الطبيعة) إلى عالم مركب مدمش، يقف فيه الإنسان كائناً نبيلاً كريماً، متعدد الأبعاد، يحمل عبء وعيه التاريخى ومفهوماته الأخلاقية والمعرفية.. وأقول فولى هذا أسفطر الله لى ولكم. ■





الأصولية فى الغرب والإقطاع الكونى القادم

ممدى بندق

جاء رجل من أقصى المدينة يسمى . قال يا موسى إن الملأ يأمرؤن بك ليقتلوك . سورة القصص - قرآن كريم

لم تكن العقيدة الدينية قلة عائقاً أمام البشر، فهي ضرورية حياتية وعقلية بدونها يسقط امره العادى فى متاعمة الاضطراب ففهم عليه الرؤية الشاملة ويستبد به اليأس والمزن وقد يلجأ إلى الانتحار أو

قا

التاريخ لا يعمل شيئاً . الإنسان وحده .. الإنسان الذى هو وحده الذى يعمل ويملك ويصارع . التاريخ لا يستخدم الإنسان لأجل ضاياته كما لو كان التاريخ شخصاً مستقلاً ، ليس للتاريخ سوى نشاط الإنسان الماصى إلى أعدائه . كارل ماركس

من كتاب العائلة المقدسة كفاكم قموداً فى هذا الليل . تحركوا وارتموا .

سفر التثنية - العهد القديم

إشارات افتتاحية

إن وقوف العقل البشرى على نمو العالم يهوى لمرحلة جديدة يحول فيها الإنسان التكون إلى خدمته ، وفيها يتأسس العالم ويتمكن . رينيه مونبلان من كتاب المذهب الفكرى الألمانى

المنصرة هي التجمع الأكبر للناس الذين ينتمون إلى ثقافة واحدة .

سموول هنتجتون . من كتاب صدام الحضارات

ومارس الجريمة؛ بيد أن العقيدة الدينية الحققة ليست مجرد إرث مجاني أو حروباً في بطلانها إلهية، بل العقيدة الحققة أبنة شرعية للمعانة الذاتية وللإبداع الفكري والوجداني، وأما قوانين الخلق الجمالي فهي «التألق» التي تشرف على ولائها، ويكون للناخ اللغائي الصمى مديها المحرص على ألا تشب نسخة مكروية من غيرها فتذلل وضوت أو تهمل وتندثر.

لعل هذا الرعي بكنه العقيدة العقيدية هو ما دفع الألبانياء والمريسلين إلى مناهضة حجة أقرامهم المتعصبين لتقديم والمعادية لكل جديد .. تلك الصجة التي يلخصها القرآن الكريم قائلًا بلسانهم: «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» (١)

لقد أدركه الألبانياء أن ثمة فارقاً جوهرياً يفصل ما بين القطيعة الثقافية وبين القطيعة المعرفية. الأولى مستحيلة إذ لا يمكن لجديد أن يأتي من فراغ فيما يخص بالكتابات؛ ومن حيث إن الثقافة في التل التركب المتضمن: المعرفة والعقيدة والفل والأخلاق والقانون والأعراف والتقاليد والعادات المتكسبة من المجتمع، فإن القطيعة الثقافية من هذا التل التركيب مستحيلة. ليس الأمر كذلك بالنسبة للمعرفة؛ فالمعرفة ليست كلاً مركباً وإنما هي فرع من فروع الثقافة يمكن أن يبحث اجتهاداً ليمو غيره دون أن تتحمل الشجرة. إن المعرفة الخاصة بالذرة عدد الإغريق لم تكن لتتجاوز مفهوم ديموقريطس القائل بأن الذرة هي أسفر جزء في العادة وأنه لا يمكن تعظيمها هذه المعرفة كان ضرورياً أن تهمل وأن تتعلق صلتها بها تماماً منذ أن اكتشف ج. ج. طومسون الإنكثرون وهو ما يعني أن للذرة مكونات وأنها قابلة بالتالي للانقسام.

كذلك فإن رؤية العالم World look جغرافياً من منظور المورخ الطهرسي كانت تضع السور الذي أقامه ذو القرنين بينا وبين ياجوج ومأجوج، في موضع بين جولين مما أنزويجان وأرمينيا؛ وهي معرفة جغرافية لا يتقبلها حتى تلامذة المدارس الإعدادية في أيامنا هذه، ولكن لأن

الأصوليين لا يرغبون في استخلام آلية التقطيع المعرفية فإنهم يوردون رؤية الطهرسي الجغرافية هذه باعتبارها حقيقة واقعة! (٢)

للتقطيع المعرفية إذن مطابقة لتطور البشر. فهي بوصفها آلية عقلية التوقف الاستمرارية Dis-continuity بالنسبة للمعارف السابقة إنما تؤسس لمعرفة أتق من نوع مختلف يركب حركة العالم المادي التي لا تلي تكشف للناخ عن أسرارها غير المحدودة بقدر ما يسعى للناخ إلى استكشافها وسبر أغوارها .. وفي هذا يقول السيد المسيح «ملكوتي ليست من هذا العالم، فيؤكد عليه المحدث البهرى «أنتم آدمى بشعون دنواكم».

الألبانياء والمريسلين إذن يطمون أن دنيانا هذه خاضعة لقوانين جد مختلفة عن سنن العقيدة، ولهذا فهم يؤكدون أننا نحن المسؤلون عن التعامل مع عالمان هذا المادي بشرطه، وأن جل ما يزيجه لنا أن نؤمن بعالم آخر يكون فيه حساب عما قدمت أدينا من خير أو شر.

هم إذن يكرسون التواصل اللغائي وفي الوقت نفسه يحرصون على تغيير معارفنا الدينية بقدر ما تكشفه لنا قوانين العالم الأرضي التي تعيش فيه دون أن يجدوا في ذلك تناقضاً. وإيس ثمة تناقض بالفل.

بيد أن الألبانياء - ويسبب للكم العقلي لتلامذ كل تابع - لا يتفكرون إلى هذا الفارق الخطير، ولهذا فهم حين يتقبلون عقيدة الدين الجديد يطمون ذلك بالمعقولة القديمة ذاتها، فتراهم يتعصبون له بعد أن كانوا يتعصبون ضده وبالحدة نفسها .. ومع الوقت تتحول هذه الحدة إلى لوستالجيها جماعية خصوصاً في أوقات الأزمات.

تلك الدنسلالجييا الجماعية - التي هي نوع غور سوي للمودة إلى الماضي في محاولة استعادة وضع يتحول أسفراده بالكامل - إن هي إلا جوهف الأصولية.

يكتم ولهم اليسوت جريغس في مقدمته لكتاب البوفيدو قائلًا:

«إن الدارس الخبير بطرائق الروح والمتعمق بتاريخ الجنس البشري كما يحركه الراعي الأبدى، يحتم عليه أن يضع خطأ فاصلاً بين تعاليم مؤس الدين (السود المسيح) والوثائق الأصلية من جهة، وبين الإضافات والتعديلات العقلية والمعرفية والكسبية من جهة أخرى» (٣) بغض النظر عن اختلافنا مع فكرة جريغس الدينية القائلة أن السيد المسيح هو معمره الداريخ؛ إلا أننا نوافق على التمييز بين الوثائق الأصلية التي هي الكتب المسألة وبين الإضافات والتعديلات العقلية والمعرفية للآباء تلك التي تشكل جوهف الأصولية Fundamentalism.

ظهرت هذه الأصولية في الغرب المسيحي في القرن الثالث عشر بظهور كتاب «خلاصة اللاهوت» Civitas Dei لحجة الكاثوليكية القديس توما الإكويني، وما كان لهذا الكتاب أن يظهر في هذا الوقت بالذات إلا تمجوراً عن تغيرات عميقة في البناء التحقي للمجتمع الأوروبي (الذي كان متحداً متماسكاً منذ شارلمان) ذلك أنه حين يبلغ النظام المسند أعلى درجات المركزية، فإن قوة الطرد المركزي لابد وأن تتغلب على قوة الترابط فتحول الوحدة المتناسكة إلى وحدات متحدة تطبق هذا على العوالم الفيزيائية: «السم، النجوم، الكواكب فالناربع ... إلخ كما تطبق على الظواهر الاجتماعية (الإمبراطوريات والممالك الكبرى - الشيعة - القربانية - العائلة - الأسرة) فهو قانون فيزيائي وسوسولوجي في آن.

هكذا إن السال حين شزقت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ظهرت بدات النظام الإقطاعي في فرنسا أولاً، ثم في إنجلترا في عصر الفتح النورماني في أواخر القرن الحادي عشر. يقول ديهاليس في كتابه «الإقطاع والمكتبة في فرنسا وإنجلترا في القرن العاشر والحادي عشر:

«ولقد ساعد على انتشار هذا النظام في إنجلترا أن ولهم الفاتح لاحظ تشابه بين سمات المجتمع الأنجلوسكسوني وبين المجتمع النورماني في فرنسا من حيث إيمانية

الإصُولية في الغرب والإقطاع الكوني القادم

بوصفه صاحب السلطة السياسية. صار يمثل حاجزاً في وجه تقدم البورجوازية لتحقيق أهدافها؛ فلقد وضع البورجوازيون على رأس جدول أعمالهم بند إسقاط هذا الإقطاع ورسمه حليفه «الأصُولية الدينية» تلك التي خاصصها وعارضها حتى رجال الدين المستبشرين: «أعلن مارتين لوفتر معارضته للبابا، وبأذى كالمثل وباقامة «محدثة الإيمان» باعتبارها هدف المسيحي، ومنذ هذا الحداث «الديني» الثوري غدا هدف اللورد «البورجوازي» هو السجود للجنس والقدرة والنجاح. وطوال عصر النهضة مثلك الكالفينية ما نسبه اليوم بالتحديث Modernization الذي صار به الواقع البشري إنسانياً خالصاً Pure Humany بعد أن ظل لا هو لا هي Theologic طوال القرون الوسطى معارضا للتقدم ومعادياً لطم الحديث. هنا فغضب تراجعت الأصُولية الدينية إلى الكنائس والأديرة خصوصاً بعد أن قمت الثورة الفرنسية البورجوازية على الملك (رأس الإقطاع) وراحت تصفسي الإقطاع ذاته دين هوانة. وبهذا تم فصل الدين عن الدولة ومصار الشعب. وليس زويس - هو المصدر الوحيد للسلطات السياسية.

فإذا كان ممكناً تفسير صعود وسقوط الأصُولية في الغرب بصعود وسقوط الإقطاع؛ فكيف يمكن فهم محاولة بث هذه الأصُولية في أيامنا هذه فيما لا يقع بالبحث عن الأسباب في سيرة الفكر السجود، بل فيما يربط الفكر جديداً بحركة الواقع على المستويين الكونومويلاني والحقلي؟

إن شراهد الحال لحشي بأن نظاماً إقطاعياً كونياً يشكل في رسم السيرة العالمية الحالية، وبدن على أشلاء النظم الرأسمالية المحتضرة (برغم سقوط منظومة ما كان يسمى بالدول الاشتراكية) من حيث إن هذه النظم الرأسمالية إنما تتناثر الآن على المستويين السوسيوثقافي تهيداً لاختفاء الرأسمالية على المستويين الاقتصادي والسياسي في آخر السطاف، وهو ما يذهب إليه فلسفة ما بعد الحديثة Past Mod

مسورة هبات من الأرض أو تنصبة من الإزيرات الإقطاعية ... وتراكمت هذه الهدايا حتى أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي، (٥).

وهكذا أصبحت الكنيسة دعامة رئيسية لهذا النظام الإقطاعي وجزءاً لا يتجزأ منه، فمسار - كما يقول دويل ديورانت - بأملها الزمنية المادية سيطرة الملحنين وعاراً لكل مسيحي صادق !

تجمعت الأصُولية الدينية إذن في الوصول إلى السلطة لكن المجتمع لم ينجح في عبور الأزمة. ولم تقم بالطبع محدثة الله على الأرض، بل انتشرت الأريفة الجماعية واشتعلت ثورات الفلاحين في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، وسقطت للتسطلطينية عام ١٤٥٣ على أيدي أصُولية متناوئة هي الخلافة العثمانية.

وعلى التقيض من الإقطاع المتأزم بايديولوجيته الدينية (الأصُولية)، كانت طبقة البورجوازية (أمرار المدن) تصعد بقوة وعظما، تبني مصالحها وتكرس في تجارتها عبر البحار، ويتباشر مهام الإدارة في المستعمرات متسلطة للثروة والبحث العلمي وللاكتشافات الجغرافية؛ فم لها اكتشاف قارة أمريكا عام ١٤٩٢، واختراع المطبعة راحت تدرج وتشر المؤلفات وتنشئ المدارس والجامعات تصمتن للمواهب من الطباء والكتايب واللغائين، بالاختصار راحت تغفل كل ما حوز عه الإقطاع بجموده ورجعية فكره وقلق أيديولوجيته. ولأن الإقطاع -

تضطرب الإقطاع العردي وإقامة نظام الدلالة Manor فقد وجد طبقة من النبلاء عليها التزامات عسكرية نصر الملكية مثل الدفاع وحفظ الأمن فضلاً عن الالتزامات الإدارية مثل جمع الضرائب، وكذلك لاحظ أن لهم سلطات قضائية في محاكم المقاطعات ... إلخ، (٤).

ومن فرلما وإنجلترا انتشرت النظام الإقطاعي في سائر أوروبا، وبالعقاب تقلص نفوذ الملوك والكنيسة الأم على السواء فكان أن اشتعلت الحروب بين الملوك من ناحية وبين أمراءهم ونبلائهم الإقطاعيين من ناحية أخرى وذلك في ظل نظام للإنتاج يجهل من الإقطاعي رأ في مقاطعته (واللورد لغة هو الرب) ويجهل من الفلاحين أفاقاً إلى صيداً للآرض ليس لهم حق مفادرتها وإنما هم عاملون فيها بغير أجر لمصالح الإقطاع.

وكان من نتيجة هذا التحزق الذي ساد العالم الأروبي المسيحي، وللفناعة العيش في مثل هذه الأوضاع أن تقدم القديس ثوما بمشورعه الأصُولي لبناء مدينة رباتية على الأرض، الحاكمة فيها لله (ولكن رجال الدين سرف يمارسون سلطاته نوراً عنه بالطبع) وكان ملحقاً في ظل الأزمة الخائفة تلك أن يجتذب هذا المشروع السياسي قلوب الناس، حتى إذا شكلت الكنيسة من ثبوه السلطة. في عصر البابوات - رأينا معارضتها يصادرن إلى اللرق أحياء، ورأينا مسكونه الفخرفان تباغ بالمال للسجود يشتررون بها قصوراً في الجهة مامامو قد فقدوا كل أمل في شراء قطعة أرض في المقاطعة.

غير أن وصول الكنيسة للسلطة لم يتم بمعارضة منها للإقطاع، بل تم نتيجة كون أساقفها جزءاً أصُولاً من نظام الإقطاع ذاته.

وكان ملك الضعفة في بعض الأحيان أسبقاً أي رئيس دير، وكبحير من الأديرة والكتايب تبال حظها من أموال المشور التي تجبى من الأبرشية، ولكن المؤسسات الكهنوتية الكبيرة كانت بالإضافة إلى هذا العمل اليدوي وتلك الأموال في حاجة إلى الصونة المالية. وكانت تبال الجزء الأكبر من هذه الصونة من الملوك والأشراف على

ernity من إعلان فشل مشروع المحادثة الغربى الذى اعتمد على عناصر موسيقافية فى الفريدة والعقلانية والوثوق بالمعلم والارتكاز على الليبرالية واعتبار التاريخ مسيرة مساعدة على التدرج، فقد تأكد لهؤلاء الفلاسفة أن للفريدة تتكامل بالمراد أمام مسودة للمؤسسات، وأن العقلانية تكشفت عن عبثية Absord وأن العلماء تفقدوا استقلالهم أمام سيطرة الساسة ورجال المال، وأن الليبرالية لم تكن إلا شكلا ليس له مضمون اجتماعى.

وأخيراً تبين أن التاريخ الذى قيل إنه تابع فى مسيرته خطأ ساعداً باستمرار (كما لو كان يملك عقلًا زائدة حرة) ما هو إلا فعل البشر يسمد إن أرادوا له الصمود ويسقط أو يتراجع إن هم تراجعا أو تركا صلا أو سلموا قبيادهم لأعدائهم من بنى جنسهم تجار المهرب، أصعاب النزاعات الفاشية، عبدة الصول الذهبى، اللاراجسيون وخو المعتقد التنفسي حينما تقدم الظروف إلى مواقع السابعة .. إلخ).

لكل ما قيل عن المشروع المحادثى للورجوازية والذى وصل بالنظام الرأسمالى إلى الطريق المسدود، أما الإقناع الكونى القائم بتمجده - فيما نرى - على ذات التلمذة الأصولية التى لازمتها فى القرن الوسطى، تلك التلمذة التى تربت لتكون تراثياً شاقولياً، فبينا وضع الإقناع القديم، التورود الفرد بأعلى ووضع الأفتان بأسفل، فإن الإقناع الكونى القائم سوف تصعد فيه السجتمعات المتقدمة إلى رتب الدول / اللوردات بمكبيحتها لإقناع السلطات ومساند إنتاج المعرفة واحتكارها لعلم التكنلوجيا المتقدمة، وسوف تهبط فيه السجتمعات إلى وضعية الدول / الأفتان لتعاصر داخل حدودها دون أن يكون لساكنها حق الهجرة والوفورات العالية حول اضهاد الأجانب فى دول الغرب تؤكد ذلك خصوصاً ألمانيا وفرنسا - وسوف يكون على سكان الدول المتخلفة أن يعملوا كإدخول فى المقول والمصانع (التي سيصدرها لهم للغرب باعتبارها محدودة الربح ومولدة للبطالة) وسوف يكون عليهم أن يستهلكوا السلع

الكونى (الذى سينتجه لهم الإقناع الكونى الجديد) دفاعاً عن ساحتهم الدول / اللوردات إذا صار أور لورداً، أو لهم أن يستهلكوا فى حدودهم الخاصة بهم تلك الحروب التى سوسمعت بإشغالها اللوردات (البقرة كانت حرب الخليف الأولى ثم الثانية) وهى ليست إلا حروباً صليبية طائفية ودينية وعرقية تغذيها «الأصوليات» التى يعتمد عليها اللوردات الجدد بطريقة «فرق تسد».

إن الشواهد كثيرة على مشابهة الوضع للقادم بوضع الإقناع فى القرن الوسطى - وإن لم يكن الحاضر على المالحظ بالطبع - وذلك من حيث تلك الطبقات الوسطى والكنهاء بطبقتى اللوردات والأفتان وإن كانت الأرض الزراعية هى الوسيلة، الإنتاجية الرئيسية فى الحالة الأولى، فإن الصلطات والمعرفة ستكون هى وسيلة الإنتاج المتحركة فى الحالة الثانية.

لنقرأ مرةً من هذه الفقرة المفزعة من كتاب العرب وعصر المعلومات :

«مصدق: إذا السرعة والتكنلوجيا فى أغلفة لا شك أن نقصها، وحزم يصعب علينا تفكيكها وفكها شفرتها. لهم ومجربون عا التفاصيل الدقيقة تمت دعوى جمل التكنلوجيا أكثر يسراً لشعوب العالم المتخلف (...) وسيمولونا من مهمة دراسة الجدوى وتقييم الأداء، وما دورنا إلا مهمة تسليم النتائج، (١)»

أليس هذا بالضبط ما كان يخططه الإقناعى للتقدم ؟؟ يقدم للأفتان أدوات الإنتاج ليأخذ منهم الإنتاج ذاته ؟؟ دون أن يكونوا قادرين على الاستغناء عنه ؟؟

أما خبراؤهم فيسوزفون عن زيارتهم القصيرة لديارنا وسوف يرسلون «الدليل» فى هيئة نظم الخبرة Expert Systems خبراء ليقين لتشخيص الأمراض والتعقيب عن الموارد الجيولوجية وفقر تصميم النظم، وتحليل التربة ومراقبة الإنتاج، (٢)»

مرة أخرى الإقناعى / اللورد يرسل وكيل الدائرة ليقابل الأفتان ويفتقد معهم سير العمل بالمنطقة (فى أيامنا هذه باتى وكلاء

وزارات المالية والاقتصاد والتجارة لمقابلة ملوكنا ورؤسائنا وفيما بعد سيحضر إلينا الرابوت ؟) وأما اللوردات فيسوزفون استراتيجيات الإنتاج (الإنتاج الذى يصطلبه منا) ويرسمون خطط الأمن (لأنهم بالطبع) ويرتبون تدابير الدفاع عن مصالحهم الحيوية (مقاطعاتهم) ومجربون المقبولات للأفتان إذا تضمنوا (إرائياتها) لتجارتهم فى أول بند فى لائحة المقبولات للقائمة) أو ناملوا فى الوصيات المالية لتيبة والسكان والمرأة .. إلخ.

تقول سوزان جورج مخيرة السعد الوطنى الفرنسى فى مقالها عن الوعى الكونى وجماعية التفرقة : «من دون ضغط عسكري يستحيل كبح جماح المطالب الشرعية لهذه التيارات الجائعة، وكذلك يقول سواطها مورويس برتران: «إن الاتفاقيات التى أبرمت مع الاتحاد السوفيتى (سابقاً) وأمريكا ودول أوروبا الشرقية، لا سيما فى المجال العسكرى، تحول هذه الدول الغربية إلى تحالف عسكرى حقيقى يضم دول الشمال، هدفه الوحيد هو السيطرة على دول الجنوب ومروجه - المضطربات والصدرات واللوردات» (٨).

مع ذلك فليس ثمة شك فى أن الدول المتقدمة سوف تتصارع فيما بينها تنافساً على خيرات الإقناعيات الدولية، ولكنها نظم منذ الآن لا سبيل إلى حل تلتاساتها وحل منازعاتها - فى إطار النظام الإقناعى الدولى القادم - إلا بتوقيع أرضاها على حساب النظم المتخلفة (الأخرى أن تقول الضعيفة) بما تصطلحه الدول المتقدمة هذه من أحلاف عسكرية فيما بينها فضلاً عن الاتفاقيات السياسية عبارة على التوزيع الاقتصادى والتلقى للأدوار.

وهل ثمة شك فى أن ابتعثت الأصوليات الدولية إنما يتم الآن بوى كامل من واضعى الاستراتيجيات الكونية بعد أن وعوا درس التجربة التاريخية والذى يخلص من أن الأصولية الدولية سامى إلا للسد الأول لأى نظام إقطاعى ؟؟ لا ريب أن الأصولية هى كذلك فى نظريهم - وهم الذين

الإصولية في الغرب والإنقطاع الكوني القادم

في إقامة بناء فلسفي شامل ينفي عن الوجود اغترابه بطل مشكلة المادة/ الطاقة، وينفي عن المجتمع استلابه بنقله إلى علاقات إنتاج ما بعد الرأسمالية، وينفي عن الفرد غرخته وانقاره بإزالة الدولة عن عائقه كما بشره بذلك ماركس وإنجلز. وثالثاً: نتيجة فشل الوجودية في دعم الموقف اليساري من العالم حيث ركزت على الفرد وحرياته المطلقة ومرافقة الذاتية مضحية بالمرأمة العلمية بتهوهم منها أن الخارج من منبع وابتداع المبادرات الفردية الحرة فحسب، وحين حاربت الوجودية دمج نفسها مع الماركسية كان الأوان قد فات. وثالثاً بحسبان ما كشفت عنه البنيوية من كونها مجرد مناهج للتحليل سواء في نطاق اللغة أو في مجال الخطاب المؤسساتي، وهذا المنهج في التحليل قد يكون قادراً على أن يطلعنا على ما وصل إليه المجتمع البشري من مستويات التقدم، ولكنه يجهز عن تقديم تحليل وافٍ وشاف لتواقع الإنساني، لأن هذا التحليل - بمنهج البنيوية - سيؤدي بالضرورة إلى إنكار الذاتية وإمكانيات الطلق والإبداع عند البشر.

الحاصل إذن أن الفلسفة - في عصرنا - لم تتخلف عن ركب التراجع الذي بدأ بكونغرس فينكون حين أنزل الأرض من منصبها الأسمى كمركز للكون إلى مجرد كوكب تافه في كون مهول، وثاني هذا الموكب يهزون بعصف بغرور الإنسان كاشفاً له عن أصله النشئ كسلسلة أنواع حيوانية وليس كسيد للمملكة كما كان يصوره العهد القديم، ثم تثق موكب التواضع هذا بـ... فريد وقدّم للفرد سريرة عن نفسه لا تخرج عن كونها مبرجة من أقوى المعروفة والجهولة تتغافل مما في غير استقرار ودون ضمانات.

فإذا كان لنا أن نقاطع الفلسفة بمفهومنا القديم عنها (مطلق الرعي)، فإنه لا يجوز أن نهجرها لمجرد أن إمكانياتها التي كشفت لامتحننا المطلق واليقين ولا تهدينا لغير النسبي والمرجح والمحمّل. فلنقل إذن بهذا ولكن لنصغحه أفضل استغلالاً ساعين إلى

والخطاب الفلسفي للحلثة الذي يطى قبيها من شأن للمقل ويرفض اعتبار الماضي معياراً للأحكام... صحيح أيضاً أن عشرات من العلماء في فرع علم اجتماع المعرفة يكرسون جهودهم للوقوف في وجه تيار «مبادئ الحلثة» باعتباره تياراً عدوياً لا يقود إلا إلى اللوات المرفقة وإحياء النزعات الأسسورية والمزازات الطائفية؛ كل هذا صحيح ومفيد ولكن يبقى دور مفقود العالم الثالث... فهم المظالمون أولاً وقيل غيرهم مناقشة هذا الفرض العلمي الذي سقاه عبر هذه الصفحات - بمنهج كارل بوبر - إلى مستحوى النظرية، واستطهاسها لحلول مبدعة، وأسساً لمشروعات مضادة تقوم على القطعية المعرفية لفهمنا الكلاسيكي لعالم قديم حسبنا أننا ألقناه بخبره وشره إلى أن نؤمن أن السيرة العالمية العالية تتحدره إلى سفوح السموات أو تحطه في مطاف التاريخ ليهدي على أنقاضه اللوريات الجدد (ومن بعض أبحاره القديمة) إقطاعياتهم الكونية على حساب المحروب ودماء الكادحين الصنّاعين من قبل الأسسورية.

وأول ما يدعني علناً مناقضته هو موقفنا التقليدي من الفلسفة؛ «تلك التي اعتبرناها حلماً» (مطلق الرعي)، أو السلك الذي يحتظم للمعارف والأفكار في جدية واحدة؛ ذلك أن للفلسفة في عصرنا قد تخلت عن هذا «المطلق» أو بالأحرى راحت تطامن من غرورها مطلة الحيرة النبيلة للترابدية.

أولاً - نتيجة إغشاق جهادية الفكر الاشتراكي - بجناحيه الثوري والإصلاحى

لا يتركسون شاردة ولا واردة من ظواهر التاريخ إلا واستخلصوا منها جوهرها ونهلوا إمكانياتها إيجاباً أو سلباً محتولين بها من الدراسة النظرية إلى ميدان التطبيق العملي. وبالنسبة للأسسورية قلقد بدأ دور تطبيقها منذ الآن... فإذا اقتصر دورها على تعزيزية الشعب المتهورة وتعزيزية نفسها والمؤمنين بها حلماً بعالم آخر سعيد بعد الموت؛ فيها ونعمت، وإن طالبت بنصيب من الكعكة فلتأخذ منها بقدر ما تخدم الأهداف وتؤدي المهام ويقدر مالها - في الوقت نفسه - من قدرة على المناجزة وإثبات الذات.

لقد رأينا مفكرين من أمثال صمويل هنتنجتون وفوكوياما وفريمان ستوتار و جون بورهارد و بول فيسبايند (من مطلقات ورواحات مختلفة) وسهون العقائدية ويكفون في إمكانية أن تسود الديمقراطية العلاقات بين الدول وبين الدول الأخرى، بل بين الدولة وأفرادها، وكان هؤلاء المفكرين إنما يفهمون المجال لأبنية فكرية رجعية قولها القبول بالديكتاتورية الأمريكية وترفع صعود قوى بربرية كالنازية الجديدة والمفاشية المستنسخة والدينية المتعصبة، فضلاً عن إمكانية تدويل الإرهاب في إطار من نظام عشوائي كونهي قادم يكون مهيئاً لإعادة تقسيم العالم إلى دول سادة ودول أرقاء تكون بدايته انفجار المركز العالمي (أمريكا) وديجها ظهور وحدات كبرى ذات طابع إقطاعي معلوماتي ومعرفي وإلا فيماذا نفسر سكوت هؤلاء المفكرين الغربيين عن محاولات بحث الأسسويات الدينية بدرجة معينة ومضنطة بين طبقاتهم الدنيا، وديجات غير محدودة بين المجتمعات المرفضة للثقافة؟

صحيح أن مفكرى الغرب ليسوا جميعاً على هذا الدرب الوقع؛ فحسبة مفكرين من طراز مختلف يحرصون حق الملل العليا ويرفعون من قيم الحق والعدل، من هؤلاء نعلم تشومسكي صاحب كتاب «الإرهاب الدولي» الذي يكشف فيه عن وجه أمريكا القبيح وتابعتها لإسرائيل (جريمة القرن)، ومن هؤلاء المفكرين أيضاً يوجين هابرماس صاحب كتابي «إعادة بناء المدينة التاريخية»

تغيير مناهجها التقليدية مستحيلين بها مناهج جديدة أساسها «الخيال المبدع» و «الافتراض الخلاق» مزودين لهذا الأساس بتأليخ العلوم الطبيعية والإنسانية وفي مقدمتها علم اجتماع المعرفة الذي «يسعى إلى إيجاد العلاقات بين أنماط من الأفكار والمعتقدات والمفاهيم والتصورات وبين الظروف الاجتماعية التي تظهر فيها تلك الأنماط، وكذلك علينا أن نحلم كيف نستعين بمناهج الإستيمولوجيا (فلسفة العلوم) وعلم الاجتماع الديني الذي «يقوم على دراسة المسلك الديني للإنسان والظلم الدينية المختلفة» كما يدرس نشوه وتطور الأديان الملغوسة التي تتشعب في ثقافات المجتمعات المختلفة ويربط بين الآلهة التي تحتلها هذه الثقافات وبين حياة أفرادها اليومية والاجتماعية وأحوالها البيئية»^(٩)

لقد حاولت الفلسفة طوال الوقت أن تفسر الكون والحياة والإنسان فأخفقت في الوصول إلى إجابات نهائية، ولكنها قد تلجج في تغيير الراسد (الإنسان) إذا هي وضعت مشروعها الخاص متفحفاً على كل التجارب والإنجازات المعرفية. قد تلجج للفلسفة بهذا السطح في تجديد شبابها واستعادة برامتها الأولى شريطة أن تلحج بأمال الجماهير الكادحة (كما حاولت الماركسية أن تفعل) وأن تكتب حلم الفرد الصغير في حياة إنسانية حرة كريمة (كما أرادت الوجودية أن تكون) وأن تواصل تفاسيساً مع الذبح الأنطولوجي- وأليس الأستيمى محسوب للذين مع المرحس على الخفر بين هذا الذبح الأصيل للأديان وبين ما تفرع منه من تعاليم وإضافات وتعديلات هي بحدتها «الأمبريالية» التي يخدمها عالمها القرب الإمبريالي الآن بهدف قهر البشر وحادتهم إلى حظائر الأبقار.

ولا نستطيع أن نلهم هذه الصفحات المخدرة «الشعائنة» دون أن نسمير مطوراً كتبها ماركس في رأس المال حيث يقول: «نستطيع أمة من الأمم- بل يجب عليها- أن تستمد إرشاداً من أمة أخرى؛ وحتى حين يكون مجتمع معين قد اكتشف خطى سير لقائس الطبقي الذي يدير حركته. والنهاية للنهاية تكتأبى هذا إنشا هي الكشف عن القانون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث؛ فهذا المجتمع لا يستطيع أن يخطى بقفزة ولا أن يلقى بقرارات مراحل تطوره الطبقي ولكنه يستطيع اختصار مدة حمله وتخفيف آلام وضعه»^(١٠).

إن موت المشروع السياسي للماركسية (الأسباب لا علاقة لها بماركس) لا يعنى أبداً خطأ النقد الماركسي السوجه إلى الرأسمالية خصوصاً بعد أن تصرات هذه الأخيرة عن وضعية الليبرالية إلى وضعية الأيديولوجية المثقلة والمفروضة فرضاً على الناس^(١١).

كتب هارولد لاسويل في مسوعة العلوم الاجتماعية يقول:

«يجب ألا نستسلم للأفكار الديمقراطية الهامدة التي تفتيد أن الناس هم أفضل من يتدرون مصالحهم»^(١٢) وهو قول لا يصدر إلا عن مفكر إقطاعي أصول، إنما نشره في موسوعة العلوم الاجتماعية هو الدلالة الساطعة على ما سيؤول إليه حالنا ما لم تستمد إرشاداً من تاريخ الأمم الأخرى.. وللتاريخ هنا لا يعنى مجرد الأحداث وإنما مجمل النظم والأفكار والفلسفات والبنى الاجتماعية وأيضاً ما خفى في أغوار النفس

البشرية من غرائز وتطلعات وأطماع و.. نكسات. ■

هوامش ومركزات

- ١- القرآن الكريم- سورة الزخرف آية ٢٢.
- ٢- انظر المنتخب من تفسير القرآن الكريم- لجنة القرآن والسنة- مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الطبعة الخامسة- ١٩٧٤ ص ٤٤٠.
- ٣- إيتانير تونوي- البوشر، الفكرات التقليدية للثقافة اليابانية- ترجمة- د. نصر حامد أبو زيد- القاهرة/ الكويت- دار سعاد الصباح- الطبعة الأولى ١٩٩٣ ص ٧٢.
- 4 - Dutailis, C.P., the Feudal Monarchy in France and England in the 10 th and 11th centuries, London, 1935, pp36 - 51 .
- ٥- رول دورانت- قصة الحضارة- ترجمة محمد بدران- الجزء الثالث من السد الرابع ص ٤٢٥.
- ٦- د. نيل علي- العرب وعصر الحضارات- للكويت- سلطة عالم المعرفة العدد ١٨٤ ١٩٩٤ ص ٧٩.
- ٧- المرجع السابق- ص ٣٠.
- ٨- المرجع نفسه وللمسحة لأنها.
- ٩- د. أحمد زكي بدوي- مفهوم مصطلحات العلوم الاجتماعية- بيروت- مكتبة لبنان- ص ٤١٢.
- ١٠- كارل ماركس برلى المال، ترجمة محمد عديني- بيروت- منشورات مكتبة المعارف- الجزء الأول ص ٩.
- ١١- مهدي بفق- دراسة بخوان تأسيوس الإستمعية العربية- مجلة دراسات عربية- بيروت- العدد ٩ / ١٠ ص ١٠٠- كز، رايو / أغسطس ١٩٩٥.
- ١٢- ندم نظرمسكي للإرهاب الديني، الأسطورة والواقع- ترجمة ليلي صبري- دار سينا- القاهرة- ص ٢٥.

ق من المسائل ذات الأهمية الكبرى،
في تحليل قضايا الصراع الفكري
الموقع الصحيح للفلسفة بين النزعة المركزية
الأوروبية والنزعة المركزية الآسيوية أو
الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب.

وتعبر «المركزية الأوروبية» - معنى
بصورة عامة طريقة محدودة لبناء الصورة
العامة للتاريخ العالمي، والتي تركز في
أساسها على التحظيم الزائد حول الدور
التاريخي لأوروبا الغربية، بفمثل نجاحات
وانجازات التطور الرأسمالي الحضاري
التاريخي لبلدان أوروبا الغربية ونتيجة للمكان
المشروع لهذه الجاهات، ظل نظام أفكار
المركزية الأوروبية سائدا ولفترة طويلة في
علم التاريخ الغربي كما أنه من الأهمية
بمكان التأكيد على أن تعظيم الدور التاريخي
للشعوب الأخرى وعلى وجه الخصوص
شعوب الشرق، يعطي بدوره تصورا مشوها
للتاريخ العالمي. وهذا ما يعبر عنه أنصار
«المركزية الآسيوية» هذا التيار الفكري الذي
نشأ كرد فعل على اتجاه «المركزية
الأوروبية».

وتاريخ الحضارة والفلسفة يثقف شاهدا
عند الآراء الفاتحة لأولئك المفكرين الذين
يقولون بأن هناك شعوبا أسهمت في إغناء
الحضارة والفلسفة وتطويرها وأخرى لم تسهم
في هذا الصفاء.

فنجند «هيجل» يزعم (أن الفلسفة
بالمعنى الدقيق تبدأ فقط في الغرب - ففي
الغرب وحده أشرقت حرية وعي الذات)
ويصف هيجل الشعوب الشرقية بأنها المرحلة
الدنيا من الفلسفة (الفكر في مرحلة التأمل)
ويذكر عليها أي دور حقيقي في تطوير الفكر
الفلسفي العالمي.

ونجد «هامنتون جسيب» يزعم (أن
النظرة العقلانية والمطلقية تبقى غريبة تماما
عن تلك الشعوب). ويرى «ماسينيون»
يطرح فكرة (أن العرب والإسلاميين لا
يستطيعون تصور العالم إلا على نحو رمزي،
محتفك، تحليلي) ويؤكد بعض المفكرين
الأوروبيين على أن نهضة المسلمين الثقافية
المتعاصرة ليست سوى مجرد تقليد لأوروبا

الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب



علاء حمروش

وأن الأديار والزرعة القومية اللذين يتطوران برونلر سريعة حتى البلدان الإسلامية هما أيضا اختراع أوروبا، ويرى المستعرب الأمريكي «من. جوفكين» ضرورة تقسيم الحضارة إلى أدوار انطلاقا من درجة اقترابها أو ابتعادها عن التراث الهلالي أو قوما بعد النهضة الأوروبية.

وإذا كان الشرق لم يقدم طوالم هذه العقبة الأخيرة - إلا بمقدار ما أخذ عن الغرب - فإن عليه الآن أن يهتدى بالنماذج السياسية الغربية. ناهيك عن الاقتصاد - وأن يرفعوا إلى كراسي الحكم رجالات الثقافة الغربية.

ولقد اكتسبت الزعرة المركزية ألوانا جديدة ومتلوعة للتأكيد على وجهة النظر التي تعتبر تاريخ أوروبا الغربية مركزا لا يزعزع للصورة التاريخية العالمية. فبعد البعض من المفكرين للغربيين يدعو إلى تصوير الإنسان من طيفان الوعي بالتاريخ واستحصان الماضي نهائيا. أي الأخذ بالقيم المعاصرة، أي مرة أخرى - التقيم الأسخوذة من الغرب إذن فالغرب هو الذي ينبغي التاريخ لمصلحته.

ويرى البعض الآخر من المستشرقين الغربيين يحاول البرهنة على أهمية وحدة الغرب الاستعماري والشرق المختلف اقتصاديا، استنادا إلى وجود قيم دينية مشتركة - الروحية - الصوفية للاعقلانية .. إلخ.

ويلاحظ هنا أن كل المشاريع الفكرية المقدمة من الغرب لبناء أديولوجية علمية تقدم دورا متواضعا ومحدودا لأفكار ومساهمات الشعوب الشرقية.

ويلاحظ أيضا، أن بعض المفكرين الغربيين - يمارحون فكرة التفاضل بين الحضارات الإقليمية - وللوهلة الأولى ندرج هذه الفكرة صحيحة نظريا وتطبيقاتها مقنعة للغاية - وتصبح هذه الفكرة أكثر جاذبية في عصرنا، عصر انبعاث وتحرر الشعوب التي كانت راضية سابقا تحت يبر الاستعمار والاضطهاد - نظرا لكونها وكأنها «تساوي» بين الحضارات الحقيقية والاشطاطات

المعنوية التاريخية الدول الغربية - غير أنه يدين عد تشريع فكرة تكافؤ الحضارات الإقليمية عن كلف أنها تركز على مزج غير مفرح المسائل المختلفة للمعرفة التاريخية الأمر الذي يؤدي إلى التلغيزات ويصحب تجاوزها.

وبالرغم مما يبدو على هذه العقولة من دفاع عن تعدد سبل التطور وبالتالي تعدد النماذج الثقافية الحضارية - غالبًا ما مثل شكلا جديدا للمركزية الغربية.

إن التأكيد على تكافؤ الحضارات - على تكافؤ روحانية الشرق وإمانيه للغرب، صوفية الشرق وعقلانية الغرب، تشاورية الشرق وتشاورية الغرب - يعنى التأكيد على بعض القيم والتقاليد الثقافية التي تدرج التطور والتقدم لبلدان للشرق وترسيخها، وبمغ التلطف بـ (الكافد) فالغرب هو القبلة التي يجب أن يتوجه إليها الشرق في سعيه نحو التطور والتقدم.

يحاول ممثل نظرية الحضارات المتكافئة تطويل وتبرير فكرة التكافؤ، التساوي، للتوازي للحضارات الإقليمية بصنوعة التخلي الحازم عن وجهة النظر الناعية إلى مركزية الغرب وأولوية دوره الحضاري والفلسفي. وعلى النقيض من ذلك - نجد دعاة الزعرة المركزية الآسيوية - يحاولون الاستناد - إلى أن التعرف الواسع على حيوات الحقائق التاريخية التي تدل على غنى وثقافة البنى الثقافية التراثية لشعوب آسيا وأفريقيا لإظهار الخطأ للفادح لأصنام ما يسمى بـ «المركزية الأوروبية».

ويحاولون بدورهم التأكيد على مركزية الشرق وأولوية دوره الحضاري والفلسفي ونجد على سبيل المثال «جاروف» يرى أن للشرق مركزا مدعوا لإشاعة الوحدة الفكرية والمعنوية في العالم المعاصر شرق وغرب.

كما نجد بعض البحارلات لإحياء دور الكونفوشيوسية كمركز للفكر الإنساني، وغيرها من الأطروحات، التي تهدف في نهاية الأمر إلى إسفاء الطابع الشرقي على مسيرة التاريخ الإنساني، والتركيز الشديد والمبالغ في دور الحضارات القديمة التي نشأت في بلدان للشرق القديم في الهند

والصين ومصر وبابل. وإغفال إسهامات الشعوب والبلدان الأخرى في مسيرة التطور الحضاري والفلسفي. وتحدثنا في مجال تاريخ الفلسفة - مما لا شك فيه أن أوروبا كانت مركزا مرحومًا للفكر اللبني والشمي - فقد بلغت فلسفة اليونان القديمة شأنًا عاليا، وانطوت على بدايات لمعد كسبر من الانجازات الفلسفية اللائقة، وطرحت حدنا من المسائل الأساسية التي أصبحت تشغل تشاغل للفكر الفلسفي اللاحق، وعرفت ظهور المعسكرات المتعارضة - كما شهدت نشوء أول شكل تاريخي للتدليل عليه - كما اكتسبت الفلسفة الكلاسيكية الأملانية في نهاية القرن التاسع عشر - بداية القرن العشرين، والفلسفات المعاصرة التي ظهرت في أوروبا أهمية كبيرة - لكن هذا لا يعنى أبدًا أن أوروبا كانت الموطن الوحيد للفكر الفلسفي - كما يزعم أنصار المركزية الأوروبية - اللذين يكررون وجود أي فكر فلسفي في بلدان الشرق أو يحذرونه فكارا دينيا - غيبيا - تأمليا - حصيا غربيا عن الفكر العقلاني، عن العلم .. إلخ.

لما أن «إيبرلر» مثلا يزعم أنه (لا يمكن حتى الحديث عن وجود فلسفة بالعلمي الدقيق، عند الشعوب الشرقية) - ونجد «ماكفولالد» يشير إلى أن الشعوب الناطقة بالعربية والتركية لا تحرف الشرق إلى السرفة لأنه ليس في لغتها ما يقابل الكلمة الأوروبية interest.

ونجد بعض فلاسفة التاريخ السوسيولوجيين مثل «ياكوفاجور هاروت» يرون أن الشرق لم يعرف سوى شكل واحد للحكم، الملكية الفردية، ومناجده من أفكار ولويد غيليان المعاطة الدينية.

ويشير «ماكس ويب» إلى التمايز بين المجتمعات الغربية (العقلانية والمنظمة) والحضارات الشرقية (الاستبدادية وغير المستقرة).

ويقدم تاريخ الفلسفة نفسه الدليل على خطأ القول بأن النضفة الشرقية لم تلعب أي دور في تطور الفكر الفلسفي العالمي.

الفلسفة وإشكالية العلاقة بين الشرق والغرب

للفلسفة العرب - المسلمين - اكتسبت حياة جديدة وأسهمت الفلسفة العربية الإسلامية - وإنجازت الحضارة العربية الإسلامية في دفع التطور الاجتماعي الطمي - الفلسفي في أوروبا، كل هذه الحقائق تندرج مزام أنصار المركزية الأوروبية عن ركود الفلسفة في الشرق.

ومن ناحية أخرى نرى أن نظريات «المركزية الآسيوية» التي ترى أن الشرق وحده موطن الفلسفة الحقيقية - في حين غاص الغرب في أحوال العقلانية - بعيدا عن التحالف الدينية - الأخلاقية التي هي جوهر الفلسفة في عرف أنصار هذه النظريات، خاطئة، وكذلك لا أساس لمزاعم أنصار المركزية الآسيوية - في أن الاتجاهات الرئيسية في الفلسفة الغربية بما فيها المادية للفرنسية، والفلسفة الكلاسيكية الألمانية حتى الماركسية تنحدر أيضا من الشرق من الكونفوشيوسية والمذاهب المثالية الأخرى في الشرق القديم.

وكذلك فليس صحيحا أن هناك تناقضا وجداً أديا بين النمط الغربي والنمط الشرقي في التفكير، فقد تطورت الفلسفة في الشرق بالاتجاه نفسه الذي تطورت عليه في الغرب وتأثرت كل واحدة منها بالأخرى فالفكر الفلسفي تطور في الشرق والغرب على السواء، والمذاهب الفلسفية التي ظهرت في بلدان مختلفة قد عالجت المسائل الفلسفية الأساسية ذاتها، وأسهم كل منها بخصيصة في إغناء تراث الفكر الفلسفي العالمي.

وللفلسفة بوصفها شكلا معينا من أشكال معرفة العالم ومنظومة الآراء المتقطعة

لقد بدأ تطور الفكر الفلسفي في بلدان الشرق القديمة (مصر، بابل، الصين، الهند) قبل مدة طويلة من ظهور الفلسفة اليونانية القديمة كما أن تفاعل الفلسفة العربية الإسلامية مثالا مع المدارس والتيارات الفلسفية القديمة (وخاصة فلسفة المجتمع العبودي اليوناني) التي اتصلت بها بدرجات وأشكال متفاوتة من الاتصال لم يقتصر أمره على تطوير الفلسفة العربية الإسلامية بل شمل تطوير تلك المدارس والتيارات الفلسفية وعلى سبيل المثال - فالفلسفة اليونانية أعادت من هذا الاتصال أو التفاعل - فقد عادت إلى الصلة بالعالم من جديد بعد عزله وانقطاعه عن حركة الفكر الإنساني لبعضة قرون - بإغلاق الإمبراطور جوستنيان مدارس ألبينا الفلسفية عام ٥٢٩ م - إذ لمبات الفلسفة اليونانية إلى العزلة حتى بداية حركة التنقل والترجمة منذ خلافة الخليفة العباسي المتوكل، كما أن الفلسفة اليونانية اكتسبت على يد العرب حياة جديدة - لأنها حضرت هذه المرة في عالم تغيرت فيه العلاقات الاجتماعية تغيرا نوعيا - عن المجتمع اليوناني العبودي - فالفلسفة اليونانية على يد

بالمسائل الأكثر شمولية للوجود والفكر - تطورت من البسيط إلى المعقد ومن الأدنى إلى الأعلى - بيد أن عملية توسيع المعارف الفلسفية هذه - والتي أسهم فيها الشرق والغرب على السواء - لا تتم وفق خط مستقيم بل تتداخلها التفرجات.

إن دراسة تاريخ الفلسفة يوفر لنا إمكانية فهم مسيرة الحضارة والفكر الإنساني - واستيعاب التجربة التاريخية العظمى - تجربة معرفة الإنسان للعالم، كما يساعد على أن يستوعب وتطوير أحسن تقاليد الفكر الإنساني الذي شارك في صحنه مختلف الشعوب التي اندمجت في مسيرة الحضارة الإنسانية. ■

«المراجع»

(١) م. م. أ. ثالوفسكي، «الوحداية الخارجية الإنسانية والتأثير المتبادل للمحركات»، لوندرا، ١٩٦٧.

(٢) مستشرق، «الله، تأثير الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا»، دمشق، ١٩٨١.

(٣) روجيه جازولي، حوار الحضارات، بيروت، ١٩٧٨.

(٤) إدوارد ماربريان، إشكالية نشوء النشاط الإنساني والحضارة، برلين، ١٩٧٣.

(٥) إدوارد ماربريان، في أسرار الفكر البشري وأثره عليه، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٢٨٣٧، بيروت، ١٩٨٣.

(٦) بندي جولي، دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب، بيروت، ١٩٧٧.

(٧) فدا - إسماعيل وآخرون، السويج في تاريخ الفلسفة، ترجمة توفيق سليم - دمشق، ١٩٦٦.

(٨) مسعود فرح، «أثر الحضارة العربية الإسلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد ٢١، بيروت، ١٩٨٣».



المراجعات

- ٩٦ المشوائية وتفكك المجتمع في «ليل ونهار»، عبدالرحمن ابوعوف.
- ٩٧ تأويلات على متن «فهارس البياض» - شعر السؤال الفلسفي، إدوار الخراط.
- ٩٨ في الرؤية الجبلية، ياسين النصير ١١٣ تحولات الفيتوري، كمال نشات.
- ٩٩ ثنائية القيمة والواقع والتمثيل في «مريم النور»، ميلاد زكريا.

العشوائية وتفكك المجتمع

في «ليل ونهار»

عبد الرحمن أبو عوف

شيدنا فشيخنا من صورة بانورامية مرسعة بالرمز والمحسوس والمجاز على إيقاع ونمض الحياة المصرية وهموما وإشكالياتها وتبني وانتهيار وتدرب التآكل ككلية الحياة البشرية المصرية المعاشة الآن بجانب التحرف على السؤال التريفي والهمل الأساسي للكاتبة وهو ما هي حياتنا وما يجب أن تكون عليه؟

والواقع الروائي المعقد الملغز بأحداثه وشخصياته ونماذج الدلالة، مقدم هنا من منظور - وجهة نظر الرواية الأول - (موسم صيد الفلاح) فتاة بسيطة محببة مهمة مبرورة متواضعة في مجلة استهلاكية تجارية هي (ليل ونهار) ونموذج دال وشائع لحيل السيجنات) الذي كتب عليه أن يعي أن أدان وقائع انتصارات الثورة المعنودة التي قلنا الماديات ضد المشروع الفاسد للهنة منذ منتصف السبعينيات الكئيبة، وما أحنته من تراجع أصاب بنية المجتمع من الفلاح استهلاكي وشركات توظيف الأموال وخسفاة وصلح ومهادنة مع العدو الإسرائيلي وتهمية للسيد الأمريكي والنظام المعالي الجديد وجاهلية جماعات الإسلام السياسي وما تفرضه من إرهاب وقلق على بنية المجتمع المدني وحقوق المرأة المكسبة.

هي تتمتع برعي محدود غير أنها ليست نمطا ونموذجا لاتجاه سواسي محدد الأهم السخط ولقدان الانتماء وعدم الإيمان بالمؤسسة فتاة تعيش وحيدة مع أمها ولا مورد رزق لهم سوى معاش أبوها الضئيل وحصلت عليه أمها بعد وفاته إضافة إلى مربيها المحدود المتناقص دوما بسبب ارتفاع الأسعار ولأن الامتيازات الصفيفة لا يحصل عليها لمأثلتها كثيرا وهي لا تكفل إلا بالهام التي تتطلب جهدا كبيرا ولا تقابل إلا بالما يمكن من المكافآت.

ومجلة ليل ونهار، مطبوعة تصدر يوم الخميس من كل أسبوع، وهي تتشابه وعشرات المطبوعات الأخرى المعروضة في سوق الصحافة؛ طباعة فاخرة على ورق لامع مصقول، إخراج جذاب مبهر، ومادة رخيصة تافهة تعتمد على أخبار نجوم السينما والسبعين في الأساس وتنتهت وراء تلمصيل الحياة الشخصية والديمية لهم بكل ما فيها من خفايا وأسرار، وتروج السجلة لكل ما هو بؤس

وقبل أن نحاول تناول واستنطاق الروي المكثفة المعقدة والمتعددة المسقوتات، ونقصي الدلالات السياسية والاجتماعية الجبرية والجارحة التي يتضمنها الموضوع الروائي هذا، نترقب عند استراتيجيتها للحميرية ونائها الشكل التي تقدم نوعية من السرد الروائي بسيط له عذوبته ويصرعه وحمقه بلغة رفيقة سلسة مقصدة محددة... وهجارات تشكل إشاعات ذات علائق اجتماعية ونفسية مزج بين سفونة وحوية العامية للفصمي وجازلة ومجاز للفصمي العامية لغة ليست متحصنة أو مفتعلة تحمل شذلات التعبير بسدق ومباشرة ووضوح ساطع دال وموج ومثير للناظر.

وصبر هذا التناول للفصمي المحركم والمفكر والحكم البناء والإنشاء، تابع يبقطة الأحداث والوقائع وتشابكها المعقد، وتعريف على الشخصيات والنماذج للرئيسية والثانوية المنعوتة من واقع حياتنا الاجتماعية الملوث وفي مجال الصحافة الاستهلاكية التي تتعب عقل القارئ وتزيت وتضيق وعيه، وتفترب

ف (ليل ونهار) علوان روائي دال واضح الدلالة .. يجاوز الرمز... هو كقلقة انزعاص المصرية نحو الهدف .. تؤكد وتثبت حمق البصيرة السياسية والاجتماعية الواعية بلغة الفن .. الصورة .. الفكرة للروائية - سطوي بكر- في مواجهة الانهيارات والتصدع والتفتت والسقوط للقابع لجلد المعيلة الاجتماعية والمأساوية لمجتمعا المصري والذي يلوث مخاض حياتنا الآن .. وفرض على الكاتب والقارئ الاشتباك والصراع معه حتى يمنع الاستلاب والقهو والمماندة الذي يهاصر المغمورين والمهمشين من أيداء شعبنا الطيب المستسلم المنسكع والذي أخشى ما أخشاه أن أقول إنه فقد الرغبة في السعي والمقاومة والتمرد .. وأكر الفرق في حل مشكلاته الحياتية المعقدة بطريقة فردية أنانية جزائية لا تترك كلية المأساة الاجتماعية التي تظلل بكآبتها الجميع والتي لن تخففى وتزول إلا بالإرادة المنظمة الفعالة.

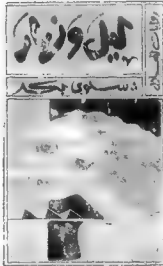
وهو التجسيد الحي لمرحلة الانحطاط التي نعيشها.

وتعريف لتفلاحي مشوا: (دابة إنسانية ظهرت وانتشرت انتشارا مريعا منذ بداية الزمن السادس وتباعدت سياسة الانفتاح الاقتصادي على الغرب .. وتتميز هذه الدابة الإنسانية بفجاجة الشكل والسلوك وقدرتها المالية على توظيف للقيم والمبادئ والدين والأخلاق السائدة لصالحها، كما تتميز بقدرتها المصيبة على القفز والتسلق الاجتماعي، وهي قادرة على التحول والتحول .. لتبقى السهومة والمتعمدة فتدور تارة في عصابات دينية وتارة في ملاهي

ورخيص في حدود ما يسمح به القانون، إنها نوع من المخابرات العقوبة لكل عقل، لذلك نطلي غلافها دائما صورة حمنة لتقسم في موزعة، أو تكشف عن بعض مفاتيح جسدنا، كما إعلان أولي عن طبيعة سادتها بين الفلاطين، وزعم هذه الدابة الإعلامية المتعة، فإن السجلة لا تفرغ كثيرا - أظن - بسبب خيبة القامدين عليها مسليا، فزئوس التحرير الذي هو من فصوله (شايل ومشول) تبدو علاقته بالصحافة، كعلاقة أي موظف في الحكومة بوظيفته المتواضعة، وسيلة لأكل العيش، ناهيك عن أنه شخص باهت، غير موهوب، لا في الصحافة ولا في أي شيء آخر في الحياة اللهم إلا الربا والفساد والفساد والمسكلة لكل من له منسقة أو مصلحة معه لذلك فهو نموذج جيد لشعار الدارجل المناسب في المكان المناسب .

لقد تمسكنا اقتباس هذا القطع لندرك ملاحظة اللغة والتعبير المباشر الذي تلجأ إليه الكاذبة في بذلها السري وزعم أنه يوضح بسطوح عملية هذه الأفعى عن سرطان أوضاعها الاجتماعية خاصة في مجال الإعلام إلا أن للبررة الزائفة قد تفقد عملية التأثير والدلالة النقدية .. كما أنها تلجأ إلى أسلوب الكاريكاتير في رسم أوضاع المرحلة المتدنية لفرقت في الهرامش تعريقات ساخرة عن رئيس التحرير (شايل ومشول) «فصوله» تبشيرية تطورت من نوع قديم معروف بقدرته العالية على التلازم والتكيف بسبب إمكاناته الخاصة الهائلة في ألا يصطدم أو يزطم أو يصارع أو يناطح حتى في أصعب الظروف، وشعاره الدائم هو: دمع الأخلاق نعت حذائك، وتعامل كما ما يؤدي إلى خصومة بينك وبين الآخرين، فإن قالوا عن الحق باطل قل: هو الباطل، وإن قالوا عن الفلن قاتل فلن: بل هو أكثر من قاتل، وشايل ومشول يرى الحياة خذ رحمتك، ومن لا يعطيني لا يعطيني أما من بدأ كرفي فأبرس رجليه وأمشي ..»

بالأسلوب الكاريكاتيري نفسه تروم شخصية رئيسها المباشر الصحفي حسن عبدالفتاح - وهو شخص غليظ ومتعب، من فصوله اسمها (انفلاحي مشوا) هو في نظرها ومد أن تعرفت عليه وعملت معه



عسيرة، وهي مع كل المذاهب السواسية والاقتصادية، أما من حيث الشكل فلها قم مربع قادر على التهام أي شيء ولها خرطوم مصاب باختلاطات معرفية، وانحطاطات ثقافية، يجعلها لا تعرف إلا السطح والمباشر، ولا تهتم إلا بالث والهل، وتنقله حولها نكت القيع للسم .

ورغم التحديد والتصوير الجارح الساخر للشخصية واللمط الروائي إلا أن هذا الأسلوب والبذاء السريدي يقع ويغالي من السقوط في مستنقع اليقينية المزجعة والتفريزية الساذجة المباشرة التي تتحول إلى فن الريبوراج الصحفي وليس التناول الجمالي الروائي الماتق، فالتمجيد للشيء عن بناء الشخصية واللمط الروائي يجب أن يقدم بلغة للفن خلال حدث درامي ومواقف محددة وحوارات ووصف وتبنيات مجازية تصور وتشخص سمات اللمط وتطرح ملتجما في سياق النص الروائي في لوحة عضوية ديناميكية وليس تقديرا شاذا واضحا وبقينا لجا، يغاطب عقل القارئ دون وجدانه وأحاسيسه.

وتكبر هذه الرواية من البداية إشكالية طرح الموضوع الروائي الرئيسي ما بين التناقض والعقوبة وبين القصد الممدي المتقاني البهرة مصحى اختيار أو فبركة موضوع مخيف ليوسف بخله الرمزي على الحاضر لينقذ ويحريه، وهذا قد يس إشكالية أخرى تتصلق بدرجة التسلق القلي ومدى تحقيق الاقتناع لإحداث التأثير الوجداني.

إن الموضوع المقدم بقصدية وتعمد هنا هو مسابقة غريبة ومربكة .. اختيار أحد الشيوذيرات مسجلة (كيل ونهار) للإعلان عنها، ومقدار المبلغ المرسود للمسابقة مليون جنيه لأفضل اقتراح يصل من قراء السجلة بخصوص فكرة مفهومة مبتكرة لصالح المجتمع أو بعض للشيء فيه .. مليون جنيه ستكون جائزة لصاحب أفضل فكرة بالطبع والمليونير سيكتفل بتقليد هذه الفكرة بعد ذلك في حدود مليون جنيه أخرى.

ويقع اختيار رئيس التحرير - حسن عبدالفتاح - بتكزية من رئيس للقسم السري

الدفعى على الرواية المحررة سوسن أبو الفضل بدولى إجراءات المسابقة ويطلب إليها مقابلة المليونير مول المسابقة، ويقطر غضبها لهذا التكليف وتعلن عن أسدياتها ولما بدالاتها، لكن على أية حال وبالنسبة إلى كله محصل بمعنى، محروقة مجلة (ليل ونهار)، محروقة بتفاساتها وبسفاقتها وممريرها الأغنياء وحسن عهد الفتحا قر ثبت أن الرجل مول المسابقة نصاب أو تاجر مخدرات، أو سلاح أو آثار قديمة، فلا شأن لى بالمسألة فأنا محروقة متواضعة، لا لاقه لى ولا جمل فى هذه المجلة، ولو تهمدت الدنيا، فليسرف تقع على مديح حسن عبد الفتاح وأمثاله قبل أن تقع على دماغى، ومطرح ما تدق يكون مرصاه.

غير أن ما كتشف عنه سابقات الأحداث وتحوالاتها المتناقضة هو تعقد وخموض وإسالة العلاقة التي ستنشأ بين المحررة (سوسن أبو الفضل) والمليونير الغريب الهوية الغامض وبشير للتمثال فهو يشترط عدم ذكر اسمه بأى شكل كمبول للمسابقة، كما أنه سيكون صاحب القرار النهائي فى تحديد أفضل فكرة مرسلة إلى المجلة ومحصها الهالزة وسكون اختبارها للفكرة الأكثر تميزاً فى حدود المشروع والمنطقى وسوف يطلع على الخطابات الأفضل للناحية عن القلرز لنفسها والمفاضلة بينها. وفى أول لقاء له معها شعرت بالرغبة من هذا الرجل اللذيذ الجالس أمامها فى مفتاح الأدب والهجو، ظلت فى البداية أنه جاسوس، واحد من الجواسيس للمصيرين المشغلين لاصحاب واحد من الجهات لكثيرة المشغلة على البلاد الآن، لسببين: أولاً ما لذي ينغمه ليعزقة وهذر فلسفه على هذا النحو فى مسابقة عبيطة كهذه خصوصاً أن معظم رجال الأعمال من أمثاله ينفلا، هله، ويموتون فى سبيل القلرز الأحمر الذى لا قيمة له الآن؟ وإثانياً لأن كناية التصنيف والتبويب

للخطابات والتي اقترحها غريبة بعض الشيء، ثم ما سبب إصراره على أن يكون القرار النهائي فى المسابقة له؟!

غير أنها بدلت ترويك بهذا الأتكار تتدلق فى رأسها، فالرجل شامض بلاشك، خصوصاً وأن شكله بدأ لها اقرب إلى أشكال المظلمين منه إلى أشكال رجال الأعمال، ببذله القطن ذات اللون البنى الفاتح وبمسه الخفيف قرميذى اللون، قالت لنفسها وهى تتأمل سرواله المجد، لا .. لا يمكن أن يكون رجلاً للأصنام بأى حال من الأحوال وفكرت فى الهروب من هذه الشهمة وأن تأخذ إجازة مرضية لفحص عبد الفتاح ما كان يتركها لها هذه الشهمة إلا إنها كانت ورأىها مشكلة أو مصيبة .. غير أنها شعرت برغبة شامضة فى أن تبادل الحديث معتدرة من أن وقتها عن يتسع لهذه المسابقة لأنها كعد ما يستدير عن انصاعات المشكلات الاجتماعية فى المصاهرة من خلال بريد القراء فى الصحف والمجلات خلال السنوات المشر الأخيرة .. ولكنه أدمشها بأنه قرر مكافأة عشرة آلاف جنيه للمصحى الذى سيقوم بهذا العمل.

وبدا مسلسل الإثارة وخموض الرجل وعدم فهمها له، غير أنها فضولية وحشرية تريد أن تعرف أصل وقصص المبروض، ورغم إغراءه البليغ وترددها إلا أنها حسنت أمرها وقررت الاعتذار الذى رغبته المليونير وصدمها بقوله (العقيدة عندى إحساس بأن انتشارك بالمجستير والتلف عن القلوز ليس للسبب المحترقى لهروبك والسحابك) .. فوجهته على القلوز بشكوكها قائلة (إما أنك رجل يبحث عن سدار ليخفى وراءه شيئاً آخر، وإلا فمفتوحة على الجحيز لكل من هب ودب أو أن تكون لدوك أموال قلزرة، ترغب فى غسلها لتخفى نشاطاً غير مشروع وأنا لا لاقه لى ولا جمل فى كلا الأمرين) .. فتقابل ذلك بحكة عالية واصفا إياها أنها خيالية ولذيذة خالص وصمت كلمة لذيذة

أنوثتها وبدأ الندم بدخلها لأنها لم تنجب لى مصفف الشعر قبل حضورها إليه فما كان يجب أن تقابلها بشعر مشوش.

الهم لقد حدث تقارب ورغبة متبادلة بين الاثنين فى التعرف ولغة إعجاب متبادل، لقد باتت مترددة حائرة (قلما شه فى شخصيته مفير، جذاب، يشدنى إليه، ولكن أليس كل النصابين والصورس واللقطة الذين تعروا قتل وسلب الناس بهدرة، ويطرق مشروعة ضاماً هم أيضاً مثيرون وجذابون؟! أليس للظرف والمناخية من أهم أصول اللعبة فى الأصل؟! لكن الحقيقة أيضا يجب أن يقال فهذا الرجل لديه شه يوجل الإنسان ويذل إلى تصديقه، عده درجة من التكاريزما، ربما للوسامة، ربما أسلوبه القويلى فى الكلام لم أن قدرته على الإقناع عالية، لذلك فقد أمكنت لأمره بسرعة وجملت لأرتلف اللومين ولم أأفاد، رغم ظنى بإمكانات عنادى العالية، وصلاية رأى دلها).

ولعل كل هذه المقدمات التمهيدية الطبوعية بتقاليبها وتصميمها القصدي فى الوقت نفسه، تدخلى فى جوهر وخصوصية وتوتر هذه العلاقة المعقدة المثيرة للتمثال بهبعدها الإنسانى، فرغم الهواجس والظنون والاسترابة التي تحملها (سوسن أبو الفضل) المحررة بمجلة (ليل ونهار) نحو (زاهر كريم) رجل الأعمال الغريب والمصر المسابقة الأكثر غرابة إلا أنها بدأت تتجذب إليه وتشعر رويداً رويداً بنمولوج من العلاقة بتجارز مجرد علاقة العمل الباردة، وإبل هذا يقربنا من عمق دلالة الرؤية الروائية هنا فى بعدها السياسى والاجتماعى فلسفى بكن تراض صلية الاستقطاب والأحكام الهالزة والأبيض والأسود فى فهم علاقات البشر .. وعبر تطلنا للنمولوج الدوائى سنتمترز وتطعم خلال تتابع المرافق دراسياً ورسم الشخصيات والحوارات والتأملات وتاريخ وإبعاد ومكونات شخصية (زاهر كريم)، نضل لرجل الأعمال

المصري الوطني له فتاعاته وتبريراته التي تمنعنا من رفضه ووضعه في حالة طيقة الرأسماليين الطليعيين والكمبرادور والسامسة الانفجاريين الذين ظهروا بعد ثمرات السبعينيات والثورة المضادة بقيادة السادات، بل هو سيكشف لنا عن معنى أكثر شمولاً لتراكم اللزاه غير المشروع لطبقة جديدة تعيش على نساء وعرق الشعب المصري للتغير وتسلته وتسلبه وتقمعه في النهاية.

إن الزرأية تنجح في أن تقدم بطلا إشكاليا تدير من خلاله وضعية التطور الرأسمالي في مصر في هذه الحقبة المصنفة من التسمولات حيث تراكم رأس المال والخصخصة وفوضى القوانين السوق.

إن (زاهر كريم) عاش معظم عمره في الخارج ومنذ طفولته المبكرة، فأبوه كان رجلاً ثرياً وهو ابنه الوحيد ثقريباً، لقد تعلم في الخارج وتزوج أجنبية، غير أنه يوماً بعد يوم اكتشف صناعته، فهو لا يعرف من يكون على وجه التحديد فهو لم يكن سيوسريا كزوجته التي طلقها ولم يكن إنجليزياً رغم تعلمه الطويل في إنجلترا كما لا يعرف كيف يكون مصرياً، وفي لحظة شعاعه كانت بالنسبة له نوعاً من الانتحار قرر العودة إلى مصر .. وتوفي والده فأباد أوصاله، لم يكن يعرف شيئاً عن مصر فألقى بنفسه في تجارب عديدة وغلط أنواراً ونماذج محددة غير أنه لم يتمكن من معرفة الناس هذا أبداً ولم يعرف كيف يدير حياتهم وعلاقاتهم وما هي أحلامهم وآمالهم، وكانهم كانوا جميعاً أطرافاً في مؤامرة سرية تستهدف أن يعرف الحقيقة أبداً، حقيقتهم التي يمكن أن تقود إلى حقيقته فهو يشعر أنه لا يفهم الناس وهم لا يفهمونه والشرى الهميد الذي يدفعهم إلى قبله بهم هو أنه ثرى .. للزاه هو جواز مروره الوحيد هذا، وهو يعتقد أن السابقة سوف تتيح له فرصة راحة للتعرف

على الناس، وربما حلت له مفاجئ شرفات التعامل معهم ورغم عدم لفتاتها بكل هذه المبررات إلا أن شيئاً مريراً وشعوراً غير محدد دفعها لمرسلة للامل معه.

وبدا العمل لقراءة نماذج من الرسائل التي استجابت إلى المسابقة وهذا تتبع لنا للكتابة قراءة والتعرف على عيانات من تفكير الناس ونماذج من اقتراحاتهم ومشروعاتهم تقدم أربعاً بالترتيب للبحث الشارع المصري في الظروف المعشوائية التي يمر بها المجتمع المصري في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وهذه عينة من تفكير الناس ومشروعاتهم:

١- اقتراح بإقامة تماثيل ضخمة للشهيد أئور السادات حفيد بناء الأهرام الذي صنع السباحة حقاً في مصر لأنه أدركه بنفاد بصورته لا سباحة دين سالم فلولاً لما عشنا حتى نرى بوبريز ينحن للرجولة في مقهى في عمان.

٢- خطاب من أسولى إسلامي منطرق بعد ديباجة من تهيول المجتمع وكلفه ودعارة المجلات والمزائد، يقترح إنشاء جمعية خيرية تخصص لفنان البليات مجاناً على أدنى أطواء مهرة ويقترح بعد لفنان أن تمنح كل فنان صغيرة غطاء جميل للرائى.

٣- خطاب من أبناء طريقة سيحى المعارف بالله البسبريسى، يقترح إقامة مولد له بملفون للجنة لعدم وجود تقود بصندوق للتدوير .. وهكذا تتوالى الخطابات كالطشة عن تدنى وصغرانية تفكير الناس وأحلامهم الشهوسة والشهوسة لحل مشكلات الواقع المصري مما يكلف عن أدنى مراحل سقوط المثل الجمعى..

وتدور المناقشة والتعليقات حول فرضى الخطابات.

يقول (زاهر كريم): إن هذه الخطابات لا تعكس بأي حال من الأحوال فكرة وجود هدف كبير مشترك على مستوى المجتمع ككل، لم تكن هناك فكرة تتعلق بمسقبل البلد، الوطن، للمجتمع، بمهارة أخرى ليس هناك مشروع.

وربما على اعتراضها على أن المسابقة لا شغل كل الناس لأن هناك عقولاً مفكرة لديها بالتأكد مشروع ما، لكنها من المستحيل أن تشارك في مسابقة تجريها مجلة من نوع داهل ونهاش.

يقول (زاهر كريم): المسابقة ما هي إلا عينة صغيرة تكشف عن مساحة أكبر من التسويع، ولكني سأسأله بدورى، أين هؤلاء الملايين من الناس الذين ظفروا موجودين تحت ظلاله الضوء يصنعون التاريخ؟ أين الذين كانوا في الماضي يهجرسون في الشوارع يتحدون البنادق والرصاص؟ أين أولئك الذين كانوا يؤثرون في صنع القرار؟ يهجرسون حكومات وزرارات ودولاً؟ هل يتعلمهم الطوفان؟ هل لمحتفوا فجأة؟ خريطة الأحدث وكأنتهم لم يكرروا أبداً؟

أما المشروع، أجل لدى مشروع، كنت دائما أطمح بأن استكمل ما بدأه جدى وأبى، أن تكون لنا صناعة مستقلة قادرة على المنافسة، وصنع الاقتصاد مستقلتين، لكني كلما ترغفت في دنيا الأعمال أكثر أشعر أن على يحدى، وأن قنمى تفوسان في عالم تفككه قوانين المسرة والصالة والارتباط بالغرب.. لا.. أصرف بصرامته إلى أين يسير مشروعي في النهاية.

ولم تمنعه عن الملايين التي باتت الآن الأغلبية السامعة؟ الأغلبية التي جرعت وهزمت إلى حد الانسحاق، بسبب فنون وشطارة السياسة الحديثة، وأساليب التهديد والوعيد بكل الأشكال والطرق؟ هل تقول له إن هذه الملايين ليست من كل إصلاح بعد

العشوائية وتفكك المجتمع .. في ليل ونهار

أن ظننت تفجع الشمن طولاً سفراً وسفراً
من دهماً ولم يبق لها إلا لئق الجراح ؟

وتصنفت قسمة لحظة التواصل بين
(سوسن) الصمرة و (زاهر كريم) المليونير
عندما ترفض ما أعدها إياها من مكافأة
سخية هي أخرج ما يكون إلهياً وتشرق الشفق
فتعطّر ويكي وتعترف قائلة (أه لو يصرف
زاهر كريم كم أحبه الآن أه لو يعلم كم أنا
راضية في أن أستمع في رؤيته وتنمية
علاقتي به بعيداً عن الظلم والعمل والسلة
.. أه لو يدرك أنه ولحي الخليفة في صحراء
حيوان الصفرة؟ وللشي الأمر بالأحضان
الدافئة والاعتراف بالحب والرغبة، والاتفاق
على أن يرسم لها صورة فهو راسم يفتن فن
الزوم، وعندما تعلق فريحة ومبهرة على
رسمه لها تقول (هذه أنا بالمثل رغم
خطورك الرفيعة، الثقة الغامضة والبهامة
كثيراً، لماذا لا تستمر في سكة الرسم ؟)

ويكترب منها معترفاً هذه حكاية طويّة،
وهل سرت في طريق واحد أبداً؟ أنا في
الحقيقة مسخ؛ كأن لم يكمل أبداً، لأنه ولد
في سياق خاطئ في الأساس، هل تعرفين
كيف جئت إلى الحياة؟ أي كان أبوه إقطاعياً
كبيراً، وكان محلاً جذا وفشلاً في الطنيم
فتنى معظم شبابه في أحضان نسوان
الكاباريات المشهورة في مصر
والرافعات، وعندما مات أبوه فجأة في بداية
الحرب العالمية الأولى وجد نفسه ورثاً غنياً
لم يدر ماذا يفعل بالثروة، فافتقر جدتي
تزيجه من قرية لها على أن يفتح بحيلته
ما يشاء، وهكذا جئت أنا دون أي تخطيط
مخلعا دخل لي إلى دنيا الأعمال دون أي
تخطيط، حيث دفعته أمه دفعا إلى إنشاء
مصنع نسوج بارك الله فيه وكان خيرة قروة
ضخمة أصمت عبر مجالات كثيرة منها سفن
الشنن التي أعمل بها الآن، لكن مستم هذه
الثروة راحت ووقت التألم .. إذن .. أنا مسخ
جاء إلى الحياة بالصدفعة، وأصبحت رجل

أصملاً بالصدفعة، ولم يكن لي طريق واضح
أبدأ في أي شيء في الحياة .

ويكتف دهب للتواصل بينهما فيعترف
لها اعترافاً هو مفتاح تصرفاته الغريبة
ودوافعه إلى هذا اللوع من المسابقة الغريبة
تقول : اسمي سأروح لك بسر، موضوع
للمسابقة كله، كان الهدف منه مسألة محددة
جداً، فقد حاولت أن أستفهمها كمرشد في
حل مشكلة شخصية تخصني جدا .

فما هي المشكلة الخاصة ؟ : يعترف أنه
اكتشف منذ فترة وبالصدفعة اللجنة أن والده
ظل متهرباً من الضرائب طوال فترة نشاطه
التجاري بمقدار مائة مليون جنيه.. إنه لصل
على مستوى رفيع جداً وكان يعتبره قبل ذلك
مثله الأعلى في الحياة لذلك فخطته أن يقدم
مائة مليون لأى مشروع يموّج فعلاً عن
مصلحة المجتمع ويعود عليه بالفائدة لكن
للكارثة الحقيقية هي ما ظنه مجتمعاً ليس
بمجتمع .. هذه هي المسألة لذلك فهو يائس
جداً ويشعر لا فائدة .

ونصل إلى اليوم الأخير من شهر ديسمبر
سنة ٢٠٠٥ : اليوم المتفق عليه للإعلان عن
نتيجة المسابقة وكان الاتفاق قد تم بين
المليونير والصمرة سوسن على اختيار رسالة
سارة وفرحة التي أثار التهميد على
المجلة والتي وجدوا فيها نوعاً من التهورج:
وفعلنا تم ما فاجأ الجميع بإعلان اسم الفائز
وكان اسمه إبراهيم حلفى عبد السلام
عن رسالته التي تطالب بإنشاء جمعية تهتم
بضحايا الزلازل والسيول، وهكذا تم تزوير
المسابقة والشيك قيمة المسابقة؛ فمضة تشابه
بين اسم صاحبي الرسالة، كذلك تم تغيير
أسماء رجال أعمال ممولين للمسابقة بدلا من
الممول الأصلي (زاهر كريم) ولم تجد
سوسن أمام هذا التزوير والتحايل إلا أن
تتصل بـ زاهر كريم وتخبره بما حدث..
فهي فتصيحة استندوا فيها الأساس إلى أنه

لا يرغب في الإفصاح عن نفسه كممول لهذه
المسابقة .

وأكثر من ذلك أن الفائز كان يمت صلة
قربانة لحسن عبدالفتاح رئيس القسم،
وتهرع ملهفة الصمرة سوسن لبيت زاهر
كريم لتشهد النهاية الدامية والفاجعة
والمفاجئة للقارئ حيث انتحار زاهر كريم
لدى تقديم أكبر أسئلة الرواية ولتقرأ جيدا
عبارات الرواية الأولى سوسن لطفا تقارب
الدلالة البعيدة الرمز لهذه النهاية الدامية من
جدلية ما خلفها من عشوائية وتفكك المجتمع
المصري وأسرار عالم رجال الأعمال وما يتم
من تراكم رأسمال طفيلي على النشاط
الاقتصادي المنمب في مجتمع الخصوصية
والأنفاق والتبعية لسندوق القذ النرلى ونقل
سوسن في ضناح مشكل وبالذلة والسلي
لجذب فترة توفقت عن الصراع والبكاء، أصبت
بدوخ من البؤس والغريب بينما كنت أأمل
عبيد المتفكرين وهما تصقان في الألفى،
بسرال ما، كان وجهه محتفظا بشمير ألم
غريب، هذا الوجه لن تفرق صورته عيني
ما حبيت!

«إذن .. فعلتها يا زاهر، قررت أن
تصعب ولهرب، تركتني في المأزق ومدني
وذهبت، تخليت عني في أشد لحظات
الحاجة إلىك، هل التفتيد الآن، هل عرفت
نفسك، وعرفت المجتمع والتناس؟» أغل أنك
كنت راغبا في الانصاف، إلى الموت في الغم
ولا شيء غير ذلك، يكتب بحزقة وأنا أأمل
الدم حين وجهه يقطر حصرة، كان منظر
الدم حين في حزنه مؤلما جدا، رحت
أنسحب ومرارة قاتلة تخفني، كنت أشعر أن
حلمنا كان قد بدأ يتفكك قد ضاع مني، كان
ما بيننا نواة مشروع؛ مشروع كان من الممكن
أن يكبر ويضم مصنع له شيد، ولكن أي
مشروع كان من الممكن أن ينجح مكل يا
زاهر كريم، ألم تقل لي يوما إنك ولدت
كالمسخ؛ تاروخك مشوه، ومضطرب فلا أت

تتسمى إلى هذا ولا أنت تتلصبي إلى هذا، رحت أفكر في ذلك وأنا أشاهد بيته، كان صوت مبه سيارة الإسراف يخرق أذنى ويحدث في خلجتي السؤال [

هذا السؤال - القضية - الذى يحدث في داخل عقل ووجدان للراوية الأولى (سوسن) المحررة في مجلة (ليل ونهار) ، يفجر سؤالنا النقدي عما تقدمه هذه الرواية الأدبية الإبداعية، أقول إبداعية لأنها تقدم سياقاً روياً مباشراً يتعامل مع وصعية المجتمع المصري وجدل تفاصيله الاجتماعية في آنية اللحظة التي نعيشها ونعاني أزماتها المعقدة المتداخلة.. والكاتبة تقبض برعى جدلي وروية سياسية نافذة على الوضعية الاقتصادية والإعلامية للمجتمع المصري الآن فمجلة (ليل ونهار) هي المجلة النموذج للانهيارات والسقوط الإعلامي الذي يعكس طيف أدران طفولية ونجوم للمجتمع الجديد يمارسون العريضة واللهو والسهر وعقد

حفلات الزفاف في فنادق خمس النجوم والسفه والإسراف هذه المجلات التي تفشل في تخليق القارئ المعادي وتشتب كل قدراته على النقد والرعى المفارق وتفرقه في كم من الضفافات والابتذال .. وهي تقدم نماذج فاضحة للنوعيات الصحفيين الاستهلاكيين المرتزقة وعملية صعودهم واستيلائهم على المنابر الإعلامية.

يقدر هذا النقد البصير للإعلام بإثارة ونقد الوضعية الاقتصادية المصرية وما يتم في قلبها من عمليات ابتزاز واستنزاف واستغلال وقهر وتسلط من مافيا خلف طبقات الكومبرادور والسماسرة والانفصاحيين والمستثمرين الأجانب والخصخصة وإعادة الهيكلة والذين يذهبون من المضارب ويمارسون استغلالاً عشوائياً لمصالح الشعب .

تناقض كل هذه الأدران الاقتصادية من منظور بطل إشكالي من رجال الأعمال رفض ممارسات ومعايير هذه الطبقة وترد

على سلوكياتها وأراد أن يكتشف طريقاً مخالفاً يتميز بالنبل والفاعلية بأن تصبح الرأسمالية المصرية منتجة وإوست طفيلية، فكان مصيره الانتحار كدلالة على الصير الفاجع للمستقبل الاقتصادي في مجتمعنا.

وأخيراً قد تكون هناك عدة ملاحظات عن قصيدة التصميم في هذه الرواية على حساب ما يطلبه النص الأدبي من تقاليد ولغة غور مباشرة تهمس دون أن تخبر.. تجسد بالصورة دون أن توضح بالخير البقيني.. فضلاً قد يثار عن آنية المشكلات الاجتماعية المطروحة وعدم تحريكها إلى ضرورة الاستمرارية التي تس البعد الإنساني.. ورغم ذلك يبقى لهذه الرواية أنها تؤكد حيوية إبداعنا الروائي الآن في جعل الرواية مرآة وقانون إنقاذ ودليل عمل للمشكلة الإنسانية بخلاف كم من الروايات غارق ومشارب في جذور الماضي وأدعاء للتصوف وطرح مشكلات الأنا الأنطولوجي المتمالي السحيط والمغترب. ■



تأويلات على متن

«فهارس البياض»

شعر السؤال الفلسفي

إدوار الخراط

ف «فهارس البياض، عنوان كتاب ماجد يوسف».

للمنازين مخطتها، أو يدين أن يكون لها منطق، وهو ما لا يحدث كثيراً هذه الأيام، إذ لرى المنازين الطويلة الغربية التي لا تهدف إلا إلى إيهار أو إغراب أو حذقة.

ولكن «فهارس البياض» في تقديري إشارة دالة ومقلقة بالسنلى وهو جزء عضوى من شعر الكتاب.

فهل ذلك لأن الشعر هذا يطمح إلى شمولية أو إحاطة بكل معاني الوجود - يا له من طموح! - أو على الأقل يلمح هذا السؤال الشامل المصميط؟

ذلك أن البياض يشغل في نهاية التحليل على كل الأنوار، والقاصدة العلمية أن للور فيه كل ألوان قوس قزح، الضوء أضلاع بياض، (ص ١٠٧)، وفي طوايا البياض تلافيف وتمازج ولطفة وتعاريف، أى أن فيه - فيما يبدو أنه فراغ أو عدم - كل فهارس الوجود، كل محطيات المعنى، كل للفهارس.

«يس التلافيف - فى الأتون - كانت بياض» (ص ١١).

فهل البياض عند هذا الشاعر هو عدم أو الفلاء الذى هو فى الآن نفسه كل الوجود، وكل المأى ما؟ وهل أن الشاعر عندما يبحث ما يسميه «عد البياض» يومى، على نحو ما، يجد نهائى الوجود هو أيضاً حد نهائى لعدم؟

ومن إيقاع ساحر رجم

للابتداع الفلسفى

أبيض بياض

أسود قوى،

(ص ٨٠ - ٨١)

على أن هذا الشعر يدور جانباً آخر هو جانب العلاقة بين البياض والكتاوبين والافتجار للورى - الذى له كان قد أرخص به حينما أشار إلى للتلافيف التي تستحيل بياضاً في لمنظر الأتون ويطلق النار فيه، فهل ذلك مما نوحى به قصيدة «بياض عين

الكتاوبين؟ إن صورة للثورة، أو للمفترق، أو عين العاصفة، أو قلب الدرامة، بما تحمل من دلالة عدم المتفجر، من الإحياءات التي ما تدى ترارد هذا الشعر، البياض هو عين الوجود كله، لكنه أيضاً عين للكتاوبين، كأنه نذير عدم بل هو ذات عدم

«وكانا كل شيء أبيض،

(ص ١١٦)

«واللوحه من ألوان قزح

فيها التجوم متوزعة مليون شعاع

فوق الجسد

(ص ٦٧)

ليس في اقتدران الوجود بالعدم غرابة، تلك قضية طالما تنازلها الفكر الفلسفى، والشعر الفلسفى ممّا، منذ البداية، ولعلها منتقل مطروحة بلا نهاية.

إن اقتدران الأستداد من أبرز سمات شعر ماجد يوسف، وهو على الأخص أوضح ما يكون من خصائص «فهارس البياض» بل هو للسهار العنصرى المعى بالجمادى الانصوى.

«طعم الرخام طاز، وطرى وناصع لازال» (ص ٩).

وهو قى الجانب العنصرى امتزاج اللون واللحن والصوت، تصافر أو اقتدران العين والشمس والأذن، «بين البياض والبرد في «اللين للنشاز» (ص ٢٧).

وفى الجانب المادى - أو التجريدى، بعد ذلك مباشرة، نجد الامتزاج بين موجردات ملموسة متجسدة وبين تجريد abstraction هو أدخل فى سياق البلاغة أو السمائيات.

«والريح يتكبر كل يوم

تسبح من الرمل المجاز

تكلما هو يبحث الموجد الصلب لقللم بذاته لكى يجرده على القصور من دلالات المجاز، ويعود به إلى جوهره المارى من كل محطى، كأنه يمزج - دابه طول الوقت - بين الوجود والعدم.

الشراد على هذه الحاسة الضدية ينص
بها الكتاب، بين الشباب والشيوخ، بين
الزور واللبل، بين الموت والعياء، ودائما دائما
بين الحقيقة والاحتمال.

«وانا قد الشباب .. طاعن ..
عجوز

وانت العجوز ملان شباب
النور متين طاعن ؟

متين اللبل يا .. جى ؟

وانت اللي مسجون فى الأتون
عشت فى زمانك

والا أنا اللي متت حى ؟
(ص ٣٨)
الدود بيرعى فى الكمال/
النقص،

(ص ٤٠)
واليد هو الملتكى،
(ص ١٩)

هو يمزج بين الماضي والمستقبل ويقلب
الترتيب الزمني، كسما يمزج بين الأول
والآخر، بين الواقعى والافتراضى، كما يمزج
بين الأبيض والأحمر، وبين الضحك وبين
البكاء، (ص ١٨)، وبين الداخل والخارج؛
ذلك كله متحقق مع محور السؤال الأولى
المائل دائما؛ هل الشئ هو ضده سما ؟ هل
الملاك هو المسخ ؟ (ص ١٨)

الأتى يوسبق أمسى
وانا بين جوف وبين بره
قد الأهرام والذرة
والذرة مجرة مهوله
فيها البدايات والغولة،
(ص ٤٨)

وانا ملتح الموت والحياة على
فرسها
(ص ٢٢).

وفى تلك القصيدة الجميلة «مهددة، التى
ترمى إلى صلة وثيقة بأشعار فولكلورية

مأثورة وقد سرى فيها الآن روح السؤال،
وهى تلح من عقريه شعبية أبدعت بروح
الندابة والمرح والفاخرى آيات من مثل
«باطلع الشجرة»، أو المقطوعة المشهورة:
«الدجار عازب سمار..» إلى آخره، نجد هنا
عند ماجد يوسف صورة باهرة:

«ويزاز القمر رخامى
بترؤة ليلى الطامى،

والطوى بهن مفتوحة
بيسط الكمج فى لوجه .. إلى
آخر الهدمة التى تلتهى، بلا نهاية
طما؛

واللوجة خطوطها عجيبة
راسمه لى نجة وديبه
والديبه إلى آخره إلى آخره
والآخر أوله آخره
(ص ٥١)

وفى هذا السياق تقف قصيدة «بهاض
عين الكابوس، على حدة.

هنا صور وصياغات تمزج بين الفرح
والدمار، بين اللشرة الشقية والندب؛ للذئب،
بين اللغوم والمصافى من جانب وبين
إيهامات ملائكية وسواد هالة كأنها شيطانية
من ناحية أخرى، رموز متراكبة وملغزة
وعصوية على التأويل، عن عمد أو عن إلهام
للشعر ؟ (وهل ثم فارق حقيقى بين التقصد
اللتى، والإلهام ؟) هنا صورة لمرس قطبي -
فيما يبدو - ولأنفجار كابوسى، هنا تلك
فقاعة من حذان وقدم بالمتضبط على قوس
الهلال ؟ هل المزج السيريالى بين الصور
والإيهامات هو لب الشعر فى مراحله قصيدة
لها تلمص على الشعر ؟ لعلنى بها قصيدة
وتحناظر فيها الخاص التراقى الآتى والعام
المفارق النفسى ؟ وهل للشعر هذا هو السلاذ
الأخير للوطن ؟ أم لاه، كما يقول الشاعر : «لا
مفر...».

سوف نرى أن الحس الوطنى يتحسم
للشعر هنا - كما ينبغي له أن يفعل فيما
أصوب - وأن ترائيم الاكحاز أو الانتماء للوطن
تعمل ما سوف نراه بعد قليل من حس يوشك

أن يكون عديدا، أو عديدا نهيلسيا، أو ما
أسماه حصا مقبريا هو أرواح وأصرح ما
يحنى عليه فى إهداء الكتاب.

«إلى أمى
اللى جابت من حشاها كتيل
وانا اللى شابل جتتى وماشى
«ماجد؛

وفى التنازع بين خصوية الميلاد وبين
الحياة التى هى موت هى، مصداق آخر
للحس المتضى للصهيمن عند هذا الشاعر
الكبير.

وابعد وانا أقرب مسا يمكن
للسؤال
على شفا جرف الملول،
(ص ٢٠)

رائطر ليمنا إلى دلالة العوان الملصعة
فى قصيدة «مقرب الآء» التى تستوحى
للونكلر كذلك ولكنها تصمد إلى مستوى
«أصغر» - مع أنها مازالت مرقصة
الإيقاع -.

تتكلم فى الآءة
وتكرا بالمقلوب
عذبة أوب
واضحك وبها
لشكك فى مرابه
باين فيها اتنين
بنى آدم بروحين
(ص ١٣٢)

وبمع أن الصورة فى المرأة لالدين، إلا
أنهما واحد ولكنه بروحين، إن الحاسة الضدية
هذا تبلغ حدما الأقصى لذى لا بد أن يكون
بدره هو مجرد ملاسة الحد الأدنى، أى
الوقوف على شط المعنى، على حدة الأول،
فى الوقت الذى فيه يضرب الشاعر فى
عياب غبار خضم السؤال.

تلك بعد انصهار الأمندان فى الخاصية
الثانية بل الصور الأساسى فى شعر ماجد
يوسف أى ذلك السؤال الفلسفى، سؤال
الحيرة، للوقوف فى المشرق، فى عين

تأويلات على متن «شهارس البياض»

الفلسفة، في المد بين التشظى والتفتت من ناحية وبين الانساق والاتحاد من ناحية.

يا هلا بك

يا هلا بك

يا لئي بابه ع البحور

(ص ١٣)

أو في سياق آخر، مختلف ومعتائل

«وف برزخ الغياب

ودهشة الانسحاب

بتفتتح بربان

سؤال من غير جواب،

(ص ١٠٨ و ١٠٩)

أتصور أن البيبان هنا مفترحة على البهرز بأكثر من معنى، الشاعر يطل هنا على أسراج الأسئلة للحلاطمة وعلى تزامم الصور والأفكار، بل هو يرمي بنفسه في اللم

«أنا اللئي مشهور ع السطوح بين الندالة والشرف

بين الجمال السرمدي ف تفت الصرايا والانتصار

(ص ٢١)

أو «وأنا في المهبط

«وف الخضم»

(ص ٣٦)

أو «على القمة انفجار بعثر شظايا الحرف

جمعى فى هيئة ربّ

بيتم إيقاع الكون،

ص ١١٣

ولملى سوف أعود إلى تفصيل نظر الشاعر إلى شعره، أو تأمل النص ذاته، كما هو الحال هنا، وإن كان الأمر في تصويري

وتجاوز مجرد النظر في نص الشعر إلى النظر في نص الكون، أو في سؤال الوجود.

«أنا اللئي حى بكل كلى

لو ائى أجزاء ميتة» (ص ١٤٧)

لم أستطع أن أفعل النص للسوداوى، أو المتجرى، أو للعمى، في هذا الكتاب، على الرغم من كل جهودي لفرض النظر عنه.

بعد الإهداء للقاص نجد على الفور تقريباً قصيدة - أو مقطوعة - اللعة، إذ لئى أحجبر للكتاب كله قصيدة واحدة - «اللعة، لئست مجرد صرخة غضب أو ألم، هي تذهب إلى أبعد بكثير، في تقديرى:

«النار لهب مشوح على جنون السرير

فى حل وهم الانتصار

يتتشمه طيوف المصور

والنور طوفان الجوع،

(ص ١٨)

وعلى الرغم من الشبقية للمحظلة تضاعف الشعر هنا - سوف أعود إليها - فإن للسوداوية تقف بالمرصاد عدد كل حنية شيق وكل انعطافة نشوة، وللقصيدة آتوية بل عارمة القوة، أضنى لو أقرها هذا كليا ولكنى سأكتفى ببعض شظايا الحرف، لعلها تكون تنغيما أو إيقاعا متسقاً تقدياً على حد صياغات الشاعر:

«وأنا اللئي مصهور ع الوند

رغم البشاعة

والضناعة

وبالقروح البطن الفظيمة

ويانولند

ملاك ومسخ،

(ص ١٨)

«والروح جردح شيطان رجب والتبر شاهد بالشواهد ع المشاهد كلها،

(ص ٢١)

واللئى النصارى فى الاتحاد قمة فشق

يكبر شعورى بالانكسار لحظة توحشنا القلب، (ص ٢٢)

اللعة صاحبة فى لؤل كاثف

واللعة كائمة ف النها

اللعة لعة فى الصعود والاختار ص ٢٣

لئست قصيدة أو مقطوعة اللعة وهذا هو اللئى تسرى فيها لغة السوداوية، بل العدمية، بل إن هذا النص العدمى المبعث يخامر الكتاب كله، حين أن نلقل مع تلك أنه، رقاء لحاسة الضدية اللئى عرفناها عند الشاعر، يظل مقترناً بعض من الانتصار والذروة بحب الحياة حتى إن كان ذلك كله مشتركاً فيه.

بين الدلفا ف دم الحجر

والأقنعة السود للكرم

والضخام مكياف الضجر

وخيال مآته يبتهر منه العرق

ف الملتقى

وأنا على الشفا

لازلت باحلم بالشفا

من حرق بصرى اللئى أئسرق

فى الملتقى

(ص ٢٨ و ٢٩)

... بين اللئى صادق لو صدق

ح ويكون كذب

والألى كذاب لو كذب ح
يكون صدق؟
فالمفترق

(ص ٣١)
أو فلتتأمل معاً ما يكاد يُشقى
على شوه القنوط من الشفا.
هل من حسب في اللحظة
دي؟ (ولمى كل لحظة مسا
حقيقة!)
هل من عدم؟

هل فيه مرارة ف السؤال؟
هل فيه أمر؟
النشط من قدامكو بان
(أى شط.. لمسن هناك من
مرسى ولا برد)
والبحر خان
والباب فتح على ألف بر
.. مغش مطر (ص ٥٦)

أما الحس المتبرى الذى أعرف أنه سرف
يزدهر بشراسة فى إحدى قصائد الشاعر
الأخيرة «حاشية شرح المشوية، المنشورة فى
عدد مارس من «الثقافة الجديدة»، فإننا نهد
- مع ذلك - بقوة فى لمسات مثل «طراح
الفرار نيدان

ف الجهات الأربعه،

(ص ٩٤)
أو «تخ العن بطن السؤال،
(ص ٨٨)
أو «بائع البوق فى العن لم
الفران من شق لثوب.
وانسج خسوط هذا الكنان أو
تندفن انظها: لا،

(ص ١٤٧)

أو «عن الهزيمة والانتصار
بترسخه طقوس العفن
والشحنة خوف
أخرس على قبر الحروف،
(ص ١٠٢)

وإلى هذا الحس العدمى أو المبنى يبلغ
مداه فى قول الشاعر:
عين الوجود فيها موت
وبلاءه،

(ص ١٢٢)
فهو هنا لا يكتفى بأن يقرن الوجود - أو
صليه وعيه وجهره - بالموت، كما كان لنا
أن نتوقع، بل يذهب إلى أبعد من هذا فى
تقديرى، إذ يقرن عين الوجود - أو ذكاته -
باللامعنى، وبالبلامة، أى بما هو - فى ظنى -
أندح ثقالا من الموت.

السمة الرابعة عدنى فى هذا الكتاب هى
ما يمكن أن أطلق عليه الملمسة للشبقية..
وإعلاء على العكس مما كانت فى أعمال
سابقة لماجد يوسف، شبقية منكورة، أو
منكورة، أو منكورة تزرع تحت وطأة ما
يشبه اليأس والمحبط.

«هذه الألقى على قوس ونهد
وشم الجراد على كل فخذ،
(ص ٧٧)

جسمى الوحيد
بيلى بدراعه العنيد
على خطوطى الأنثوية اللينة
والأنثى فى حالة فزع من
نفسها
تبعث نهودها عن أيديا
الأخطبوط
تهرب فى جسمى الملتحم

الشبقية هنا تلحم بالموت، أو الانكسار،
ذلك فى تصور قائم ومعرّوف ويكاد يكون
اقتربنا ضروريا، شبقية الحب - أو الشبق -
والموت؛ تكاد تكون من مقومات الحب أو
الشبق؛ نرى ذلك فى كل الأساطير وفى كل
ملاحم أو فواجع الحب للتراثيدى، حتى
لو كاد يكون صفاء البهجة للفألصة من كل
شائبة فى الحب - وفى الشبق - صفاء مخاتلا
وإلغاء، ويكاد يكون كل وجود فى شعرى أو
غيره يقتصر على هذا الصفاء المخاتل،
وجودا ويطيه الزيت أو السطحية.

فى قصيدة - أو مقطوعة -
عين الوجود:
ولبن الحمرات يتأوه على
التهدين
ويتأوه على دلتا المغاد السمر
....

وسويك دا الذى كان هنا ج
يلم الأرض فى السرة
يكورها شار فجة المذاق..
مزة (ص ١١٥)

وصحيح أن فى هذه القصيدة شيئا من
الشبق بالوطن - الأرض، وإحلالا لغيرها
الوإدى النصيب محل جغرافيا الجسد الوأدى،
وصحيح أن فيها أيضا ومحنًا لصوفية
مضمرة فى مثل قوله:

«وفجر الطين
بيوضح عن البذرة
ويكف عن التلمة
وعن حكمة بدن عاشق لروح
مضوق
(ص ١١٤)
ولكن الشبق - مع ذلك كله - يحق به
الفن، فموت..

تأويبات على متن «شهارس البياض»

والبلن يا ليل مشدودة يا عين زئ الطيلة	والبل جنى.. وجنيات ملاذى فحيح حيات
حلمات نافرة مسلات فى النبر	وخد معنى الثقة بالذات
قلوع ليلى لوافير قايرة	دخل خنى ولبد فيه وبات
ألفين عليها حارس بحورس وإيزيس	وفى اللتى اكتلب إلهات
من المسول والكوارث ومن شر الخيث	بنار فى صهرته فمات
لحد الليل ما يوصل ويفوض ع الجناوب	(ص ١٧٠)
والأرض المسودا تحسبل بالخصيب وبالشباب (ص من ١٧٤ ١٧٥)	سوف أشير إلى إيتاعية الشعر الخاصة؛ إلى هذه النغمة المرفوعة، فيما بعد، ولكن السؤال هنا - سؤال النقد أو سؤال الفقه، الذى لا أصرف له إجابة يقينية؛ هل تتسق هذه النغمة بكل مزجها وترقيعها للمزمع المتواتر، مع حرارة السؤال الفلسفى، أم ألها - بالضغط - تروق من وقعه القاسى وتفسد بموسيقاه بمبدأ من نقد الصورة أو لمج المصرة والمبوط؟
الأمرامات هى ذرة عقد هذا الكتاب، فهى قصيدة محورية تجمع خصائص شعر ماجد يوسف فى نوع من السفسطائية So- phistication بالمعنى الإغريقى الأصيل أى بنوع من المحقق والبراعة والقصى الدقيق الزهرى، فهى قصيدة تشتمل على دراما تاريخ الوطن كما ترمى إلى واقعه الزمان (ص من ٨٣ ٨٤)، وهى نقد من المرجع للموسيقى الكلاسيكى والشرقى على السواء، كما نقود من المرجع الأسطورى (ص ٩٣، ٩٤)، تتجسد فيها سمات شعر هذا الكتاب، كما أسلفت فى محاولة لاستيعابها، وهى على وجه التحديد: (١) انصهار الأنشدا؛ أى الخاصة للمنشدة (ص ٦٤)، (ص ٩٦)، (٢) للسؤال فى قلب الحيرة أو فى تقاطع الغسق (ص ٩٦)، (٣) للحس السودانى (ص ٩٢)، (٤) للشيقية المتخجرة للموردة مما (ص ٧٧)، (٥) وأضيف إليها الآن: نظر الشعر إلى ذاته، أو تأمل للنص فى مرآته.	ومع ذلك كله، فإن القصيدة الأخيرة فى الكتاب - كأنما هى الفانفار الختام فى الموسيقى الأورالية أو السيمفونية - ليست صاخبة وإنما متشكلة المصدر وحافلة بالفرح، تطلق الجماع للشوق لكى يتحدر ويطر ويصدق، هى تزلزلة للوطن تهزم السرداية - أخيرا - وتكسى عنها المدعية التى كانت قد أوشكت أن تفلح هذا الشعر بوطانها اللراذلة، الشيق بأرض الوطن هذا غير مكبل بل حليق.
لعمى مرميتى المسحبل سن القلم	بجدال قمح يتفتنر
قال - لما قال - من بحرهم أوزن خطايا السحر من رقص الفرع	وخصائل تفل بتتهاهى
كتب الخلود السردى لمعنى الوجع	خضرا الأدهاب
ومسك وجوده المبتدع، (ص ٦٨)	بخود عتاب
ولجأة بالشعر صار شعبى وصار ملك البشر جدا	وسيقان عبه
(ص ١٢٣)	الوش شباب
إن شعر ماجد يوسف شعر - بسياغته هو - شعر حق، بالبلدى، ولكه إذ هو شعر حر فإنه كله أوزان وميلودى (ص ١٢٤)	والصدور رهاب
«هل حلم مصعب لو أظعن التكين بفخجر كلمتى؟» (ص ١٤٨)	
نعم يا شاعرنا، حلم صعب ولكنه ليس عصيا على التحقيق، بل هو، لأنه صعب، من الضرورية القصوى بمكان أن يسعى الفنان ما وسعه الجهد والإلهام إلى أن يحققه، أن يقتل التكين، أو على الأقل يلطه:	
والشعر لو ملك السما مهما أن علا ومهما أن سما لازم له فى الأرض المقر (ص ٥٩)	

وأمره في بركة من دم
الحروف... (ص ١٤٩)

فلنصغ إلى سؤال الفن - بصياغة الفن
المعالجة - في ختام القصيدة الرائعة «سكة اللي
يرجح ما يرجعش» وبما انضحت الشجرة
وقطلت الحروف وألا الهزاة وهم مات
بالمعرفة؟

(سؤال أساسي في صياغة
مجففة)

مما يلحظ بنا إلى مصادرة تلحس
الصياغة الشعرية، وهل ثم إمكان للنظر في
الصياغة دون النظر في فحواها؟ (مسألة
لا تكاند لتنتهي أبدا من أمرها) مستحيل طبعا،
ولكن صفة النظر في العمل اللغوي، صفة
للتدق، نعم...

ماجد يوسف - كما أشرت - مولع، مثل
كثير منا، بموسيقى المصحول، أي بملك
التقنية الحروفية أو الإنسانية التي ما أخطرها
وما أعظم إغواءها في أن، للجناس الكامل أو
الناقص والتقنية والإيقاعية المرفقة كلها مما
يلغى به الكتاب - من أمثلتها:

في المشرق

....

بين التحدى لأفقي

وإثلا التردى في النغم.

(ص ٣٠)

أو يا هزوة الحرف الهليد

دا صوت تشيح وإثلا تشيد؟

(ص ٣٧)

في قصيدة «الزأر (يا لدلالة العوان؟)

لعب - بمعنى عزف - على مقامات حروف
الجيم والهاء والدون والفاء والسين والحين
والفاء والباء والكاف والهاء والفاء والزاي،
على التوالي... أكتفى بأن أقصر لمتعة على
حرفين أو أربعة منها:

يا جنة من جوهر جنان الجن
الصور حوامل في حياض
حرفين

والله نور نور ثوران الدن
والشمز مخمّر في خور خدين..

(ص ٤٣)

وبطبيعة الحال فإن لزوم ما لا يلزم
- هنا - أو معارضة الإيجاد اللغوي بمجرد الجرس
الموسيقى، من شأنه أيمنا أن يشق دلالات
خصيبة وشجحات للحرى قد لا يحتملها
النص السائر مستقيما على مسند (إذا صح
أصلا أن تم شيئا من هذا التليل).

هذا إلى أن التوزيع الطباعي للنص
الشاعر، في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه،
لا يدعي أن يغفل، فهو أقرب إلى تشكيل
كونكريتي، الكلمات والفقرات والأبيات لها
إيقاعية بصرية، ليس فقط إيقاعية سمعية
ونغمية، ثم اقتراح من الشاعر على قارئه -
لأنه هذا قارئ باصر وليس سامعا - بأن
تتوقف عينه هنا، أو أن تستطرد هناك، وفي
هذه الأحوال فإن البصر والسمع يتقاربان،
(فليس هذا من سمات هذا الشاعر؟) كما
تفكرن للامامة دين توزع أو تهبب بالفردات
الفصصى - بل العريقة في الفصصى، ومرة
أخرى يفيض للكتاب بهذا التوزيع لا أقول
بين الأصدقاء، بل لعله تزاوج بين الأنداد، أو
بين الأصهار، فليمت لغة أهل مصر وبين
لغة العرب العاربة متدين، بل هما قريتان،
وإن كان لهذا بحث طويل.

«ملوسون فراح اتسدوا في
خشب اللثة» ص ٦٦

وبين النظر إلى ذلك النص بشيء من
السفرية أو الداعية:

أمسك قلبي الهمام

يرتب في الكلام

ويسبك في الحروف،

(ص ١١٠)

وبين أن يجد الشاعر ملاذ في النص:
(في) الحرف الواحة،

(ص ١٣٠)

ثم عشق لغة في تهليناتها المتنوعة - أي
في مستوياتها ونغماتها المتفرقة:

انظر إلى مفردات مثل اجتياح، منرام،
قمة، في الضمن وغيرها كثير، في مثل:

«الوردة تحلت من ضرام
الوجد،

(ص ٣٩)

أو «والأنا في اجتياح شقي
المغيب،

(ص ٣٦)

«بين الإيمان والذيق،

(ص ٣٥)

«واللام لغة.. ولدد القصاص،

(ص ٧٠)

«حورية حوراء الطرف،

(ص ٧١)

«بيشد من حيل الوجع،

(ص ٧٠)

«والرقعة في قلب القحة،

(ص ٢٩)

وهكذا مما يكاد يحصى الإحصاء، في
الوقت نفسه الذي يقول فيه مفردات مبتدعة
أو حريقة المحدث في لغة أهل مصر مثل:

حتى اليوم الجوانية كسكت،

(ص ٨٢)

أو من مثل «رق الدفوف
بيشغله.. ويثقله من حال
لحال،

(ص ٩١).

تأويلات على متن «فهارس البياض»

«هل كان تراب

إيقاع لغة،

(ص ٦٤)

لا، بل هو تهر صراح .

أخبر ما يشير إليه من تقنيات الصياغة غير المصححة عند ماجد يوسف، تقنية تفصى بنا مباشرة إلى الهم الفلسفى العميق المورغل فى روح هذا الشاعر، أصلى بها تقنية للقطع والاستدراك والعودة إلى الأول، فى قصيدة الأقنوم فى مثل:

لا والغريب ..

إن العلامات كلها ..

... ..

أهدا ..

من الأول هناك

من أول الأقنوم فى ليله من بياض التجربة،

(ص ١٠)

هذه تقنية تتكرر باستمرار فى هذه القصيدة بالذات، ومثل كل التقنيات لا فصل ممكنا بينها وبين فمراها أو مضمرنها، بل أكثر من ذلك، إنها هى فموها الفلسفى.

ذلك أن قطع الصورة - أو الفكرة - والعودة إلى الأول... إلى أول الأقنوم، فى بياض الوجود، لا يمكن إلا أن يتكررا بما يحىء فكره بعد ذلك أكثر من مرة، أى إلى تصوير الكهف الأفلاطونى الذى نرى فيه ظللا هى موجودات هذا العالم منعكسة عن

الظل الأفلاطونية العليا القائمة - فى الأول - فى الأصل - وليس لعالم الأرضى إلا انعكاسا لها، هى ظلال ظواهر عرسية، أما الحقائق التى على اللقان - وعلى للفيلسوف أساسا - أن يسمى إليها فهى ماثلة فى الأول... هناك... تتفتح عليها البهيجان أمام ليج الأستلة فى بحر علمية

وإنما الذى مشدود ع الحبال وهم اليقين الذى انتحرق فى كهف من صنع الخيال لعبة خيال القول على حيط من ظلال كل البثا العالى المهيب - على هينتى .. (ص ١٤٤)

أنا والظلال والحلم والكهف المخيف،

(ص ١٤٦)

ليس هذا الكهف - فى تقديري - إلا الكهف الأفلاطونى الذى هو عالمنا هذا، وليس هناك، فى حاضرنا للراهن وليس فى الأول...

ولكن الشاعر ليس هو، بالمنصب، للفيلسوف، إنه لا يضع وليس من شأنه أن يضع نسقا فلسفيا محكما متساقا التركيب، ولكنه باعتباره فنانا إنما يسأل، وتتروح أسئلة بين الأسئاق والتضاي والتأملات الفلسفية.

ولذلك فإن هذا الشعر يتسارع بين للتصور الأفلاطونى للمحالى، وبين لتصاد الأضداد الذى يتكررا على نحو من الأنعام بالحوالية، واتحاد المادى بالروحي، ولانماج

المفارق بالإنسانى، وبين هذا وذلك من ناحية وبين تلك السودورية أو المحسنية أو روح التشاؤم ورقض الحياة، كما تجده فى معظم شعر المعصرى من ناحية أخرى، ولكن الشعر فى «فهارس البياض»، يلتخذ الاستمانة والسرف فى التبهجة بالحياة والعيب من نشواتها - كما تجده فى معظم شعر الغمام، وإن كانت مميزة «فهارس البياض»، وفصلها أنها تغامر حتى التورط فى الرمي بالنفس إلى عباب السؤال الفلسفى - مهما كان إيقاعها مرقصا أو مركبا - وذلك أيضا على خلاف مع رباعيات صلاح جاهين السلف العظيم الذى وقف فى آخر التحليل على شط السؤال دون أن يفوض حقاً فى لجه المضلطة، ولعل صيغة الرباعيات نفسها عن صلاح جاهين كانت قيذا وشرعاً يحد الفماره فى اليم الطامى.

ليس المنادى هنا تأكيد المحمى الفلسفى فى «فهارس البياض»، فهذا مما لا يحتاج إلى تأكيد، وإنما المنادى فى تقديري هو استكناه ملامح هذا المحمى، وتقصى تباراته التى قد تكون متضاربة، تلك مميزة للشعر خلافاً للفلسفة، والبحث عن جذور كاملة فيها ترفه وتضىء مقررنا على تليف.

الشعر فى «فهارس البياض»، وفى أعمال ماجد يوسف بحامة، قد بلغ - بلغة أهل مصدر - ذروة فكرية وموسيقية مما غير مسبوقة ترسخ لهذا الشعر مكانة لا تكران لها، بل نحن ندين لها بالعمران وبالأستلان، فى أندر النشوة الحققة بالشرع الحق. ■



في

الرؤية البليغة

المكان البؤرة - جبال - لعل اقتدران (جبال،
بالذكورة، يفسح عن توسيع دلالة الاسم،
فيشمل أيضاً، عدوانات ليس أماناً.

والمكان، أحد أهم سمات الحداثة الثالثة،
بهدما كان الزمان - بكل اشتقاقاته - هو السمة
الغالبية على قصيدة الحداثة اللغوية -
السيميائية. ولأن الأماكن تحمل التواريخ،
شواهد وأفعالا، فإنها مكنت نفسها من التوالد
للمستمر، حينما حاول الشاعر أن يعيد تركيبها
الذهني من خلال أفعالها..

كانت الأرض المنيعة

وكان نحيب الراجلين

فهبست أعضائى بين مدن شتى.

ولم تنفق عدوانات قصائد المكانية عند
ظاهرة التوليد الحداثي لها، أى يصبح المكان
هو الفاعل من خلال معمولاته التاريخية
والحداثية، وإنما حاول الشاعر أن يحمّل
بالمكان، واستمان بالتشبيه كى يوسع الدلالة،
ولأنه - أى الشاعر - حتماً ضائعاً، لم تسعه
المدن ولا الأسماء، ولم يقف عند دلالتها
المعلنة الهوية، بل تجاوز ذلك إلى إلقاء
الأزمة المتراكمة على هذه الأمكنة، كى
يصل بقصيدته إلى وحدة قاهرة، مفادها أن
كل ما سر من تواريخ لم يغير من قسوة
الأفعال المكانية ومن هويها.

.... لم تعد تهب هذا البحر

ولا هذه الأرض

يبدآن قروناً مرت بزواحفها

ونحن نيام.

توجد قصيدة الحداثة الجديدة - قصيدة
المكان - أنها قادرة على اهتمام كل الأزمنة؛
الثانية والجماعية، فهي مركبة حتى ولو
كانت متقطعة، ودرامية حتى لو كانت
غنائية، وهذه الميزة البدائية لها، أعطتها
طاقة الاحترام الاستعاري للأشياء وللناس
معاً، فهدأ إلى يستعير الطيور، أو الغيوم، أو
الغياض، يفد هذه الاستعارة إلى ميدانها
المكانية، فلا غربة إلا للروح حينما يحلق
طار على لا مكان، ولا جرح يذرف حينما
لا يكون له راء، ولا غضب يجسد عندما
لا يكون من لا يشعر به.. ليست صدمية
مكانية هذا الذى يفد الشاعر، فالدأ لأن
الأفعال ما عادت كافية لاستيعاب المأساة..

ياسين النضير

الكلثوث، وتقروها وتوجد لمة لتفادات،
وتقروها، وتقول إن البلدان المحيط شعراها
المحمزون. ومنذ قيام الدولة العربية -
الإسلامية، كانت حواضر الشام والعراق
ومصر، هي المركز، وبقيت الدول المحيطة،
دولا محيطة، تد بلسقها المركز، وتستغرف
منه طلعاته الجديدة، وإلى اليوم لا يزال هذا
العمق موجوداً، وقراءة أولى، نجد أن الشعر
العربي الحديث يتغذى بما يفرزه المحيط،
ويغتنى، يجارب، وكشوفات، وابتكارات؛
نذكر ما أسطه قصيدة: الفوقوى، وقاسم
حداد، ومحمد نئيس، وسيف الرحيمي،
لشعرية دول المركز وحداثاتها.

— ٧ —

فى ديوانه الجديد «جبال- نجد المناخ
الشعري المتدخل الفصاة... فطى مستوى
الفصاء الداخلي، توزعت قصائده بين
التقصير، والمقلات، والتراتيل، وهذه البنية
المكانية تفصح عن تركيبة شعرية متداخلة
الأساليب، لكن ما يجمع معظم القصائد، هو
عدواناتها المكانية، وهذا اشتقاق فطى من

— ٦ —

أبن لصنع قصيدة الشاعر سيف
الرحيمي فى خارطة الشعر العربي
الحديث؟ هل هي قصيدة تنتمى إلى حداثة
السيميائية حيث المزاجية بين السموت
والمعاصرة إحدى أهم سماتها للحدسية
المرتبطة بمشكلات اللغة الشعرية واللغة
الاجتماعية - المأسائية.. أم هي، قصيدة لما
بعد تلك المرحلة، حيث بدأت الأصابع
الشعرية تبحث عن أفق آخر للحداثة ينادى
بالشعري خسار الأيديولوجى، ويربط
الصورة أفعال قول، تركيبى تنظر من بديته
تأثيرات المكانية والحداثى المعلوم، أو هي
قصيدة «البلدان المحيط، تلك القصيدة التى
أشبهت بأدوار الشعر فى البلدان - المركز -
فتميزت بطاقتها للتعبيرية الجديدة، محاكية
لها، ومتجارية معها، مع نهوض لتقصايا
وبلى محلة ..

وفى قنابلسنا، أن قصيدة سيف
الرحيمي، هذا كله، دون أن تكون متجربة فى
بقعة منه، تقروها، لتجود صدى الحداثات

وذهبوا في الوحشة.

في المقبع السادس، تصحضر الأرملة:
أهل الكهف والناس العاديين.. والسوق هو
الساحة، وشمعة معزفة مجهولة تقود الجمع
إلى الاكتشاف. وفي منبج الحاضر، بالآلة
وأسمته، وبأبائه وكونكريته وتلفزته يتجول
أهل الكهف في محبة القرن العشرين، وشمعة
غريبة ومبارقة، وبأسلوب الشعر الندري،
يقربنا الشاعر إلى فاعلية التدخل بين
الدارين.

في المقطع التالي، وفرز الشاعر من بين
ثم الفيلسوف، صخرة، مدينة، وثمة من

— १ —

أما السحرة: فهم أولئك الشعراء الذين يتبحرون بما سوف يحدث، ويعلمون بما تدبوا. هؤلاء البشر السحرة أيضاً جاءوا بلغةاتهم قبل طلائع الجبال - السكان - من خلفنا فينباتنا لا حدود لها، فربما هذا استحقاق للتاريخ والأحداث، أما مروءة سوف يمر، ومن هذه الإعادة التركيبية يفرش الشاعر لنا خلق ويكون التاريخ.. وهذا ما فعلنا رأساً إلى استهلال القصيدة، الذي حمل الإبهام وسار به إلى كل مفاسل ومقاطع القصيدة.

في المقطع السابع، يعاد التكرار في الشكل الدور أيضاً، بعد أن اتسمت الحكاية، وأصبح لها مدى متدخل، فالأرض كون، تتدرج فيه الأشياء، وتكمد، كل شيء قابل لأن يولد، أو يموت، وليس من طرق تؤدي إلى نهاية، وفي لعبة غريبة، يحاول الشاعر أن يمزج الصور المتفرقة: الأرض مع السماء، البشر مع الحيوان، الجبال مع السهول... الأحلام مع اليقظة، الأرض مع أطباق النسيان، إنه في عصر الآلة، والوجه للذهلة، والأيام للغالي - كما يقول.

في المقطع الثامن، يخلق الشاعر محاوراته مع المجازين، إنه هنا بدأ يؤس حلمه على الأرض، ويشيد كيانه و «إن

محاور ملوك السطح، وإن تقتفى أثر الرعاة الذين لا تزال ظلالهم ماثلة في السقف. كأنما نزلوا للحظة غاسلين أيديهم في مياه الفجر، ميممين شطر القرى المجاورة»

في أبعاد المشهد يلوح كهف أفلاطون، ومذاته الأزل، وظلالنا التي بقيت مرسومة منذ قرون فوق تراب الجزيرة، وأعمدة الكرنك، وكثار بابل يطوك .. وفي العمق من هذه السيكولوجية يتدخل زمن: الأطباق الطالعة، والجمال في صحراء الروح والجمد والذاكرة، ولن تكون مقاطع القصيدة الأخرى، إلا نمرًا لسلطة الوعي بالأشياء وبالزمن، فالشاعر يعمق فيها الإحساس

بالمواطنة من خلال تذكير الصورة، وتجميع نواها المعرفية والتاريخية ..

ديوان: «جبال»، «سيف الرهبي»، خطوة في ترسيخ معالم شعرية الحدالة الثالثة، التي بدأت تفادى المركز لتستقر في البلدان الحولف، بعدما أصبحت هذه البلدان في موقع الاحتراف الثقافي، وبما تخلفت بلدان المركز «العراق - لبنان - سوريا - مصر» بسبب الأحداث الداخلية والدولية، وضغط إسرائيل.. نحن الآن في مطلع جديد لحدالة، بدأت ترسل علاماتها بوضوح، وبأسلوب يمزج بين مبررات الحدالين والمستقبل... لا تنمو الحدالة إلا في المنطقة التي جرى عليها التدمير سابقاً. ■





يحب أن يكمل تعليمه، فاختار دار العلوم،
وتنظم في الدراسة ولكنه لم يكملها بعد
سنتين، فقد أثر أن يعمل بالصحافة حين
اختره الشاعر كامل الشناوى للعمل معه
بجريدة الجمهورية، وكان اسمه قد ابتدأ في
السكان، ثم يضرب الزمن بيده فنفق،
يذهب الفيتوري إلى السودان بعد أن أفرج
من الجمهورية في عهد عبد الناصر فر
وعشرات من المحررين منهم طه حسين
وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن
الخميسي وغيرهم، وأسافر أنا بعد ذلك
بصبرات إلى العراق لأعمل بقسم اللغة العربية
بكلية آداب الجامعة المستنصرية ببغداد،
ويسافر فوزي المعتوق إلى أيرلندا يدرس
الأدب الشعبي، ويرجع بعد سنتين ليعمل في
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب،
ويظل فيه حتى يقرؤه الله، أما أنا والفيتوري
فظلنا خارج مصر لمدة طويلة.

كان الفيتوري شاعر أصيلاً، متحمكاً،
ساعده طاقته الشعرية التي تؤهلها حساسية
شديدة الحائر، أخذته في أوائل الخمسينيات
إلى ثورة نجيب محفوظ في ميدان الأوبرا
(الكانزلي)، فجلس صامتا لا يتكلم، والصبح
بصادقون أو يندأشرون أو يضحكون،
والفيتوري صامت في مكانه لا يدر عليه
أنه مستريح إلى هذه الجلسة. ويمرور الوقت،
وتوالى النشر لبدأ اسمه يلعب شاعرًا أحسن
قضية الأفارقة الزوج، فكان ديوانه الأول
(أهائي أفريقيا) الذي صب فيه مشاعره
المتدفقة بتسرة الإحساس بمقدرة اللون،
والفيتوري خفيف السمة، عريى اللامع،
فأبره سرباني من أصل لبني، ولكنه كان
يبلغ في الحديث عن قبح شكله إلى حد أنه
كتب قصيدة لشرا في مجلة (الأدب)
البيروتية في هذا المعنى، ولما كان اللون
يربطه بالأفارقة وإن لم يكن زنجياً منهم،
فقد نصّب من نفسه شاعراً مدافعا عن
قضيته، وكان شعره صادقا، مذهب للبرة،
محبوه المياعة، والشعر الذي يتناول هذه
القضايا العامة المتطوعة يجد صدى السريع في
نفوس الناس خاصة أن الحديث عن الزوج
كان حديثا عن الظلم ويوجب مقارنته،
والحرية المتعددة، والكرامة المسلوقة وهي
قضايا مهمة مستترة وتكر في مصر وكان
الأقمار الميعة، فقد كانت هي نفس قضايا
هذه البلاد في ظل استعمار باطل، من هنا

تحت الفييتوري

كمال نشأت

الفيتوري السبى للصغير الذي سأل عن
ديوان الشامي منذ سنوات. وجاء الفيتوري
إلى القاهرة بعد ذلك واتصل بي فمرفته
فوزي المعتوق، فكانا ثالثا لايفرق، نسهر
معا، ونشارك في الندوات الشعرية خاصة
ندوة للشاعر خالد الجرنوسي، وكانت هذه
الندوة أول المنابر التي أتيت لها أن نقرأ فيها
أشعارنا، وابتدأنا منذ ذلك الحين ننشر في
مجلات بيروت وكانت هناك (الأدب) ثم
صدرت (الأدب)، وكانت مصر قد خلت من
مجلة أدبية حتى أصدر يوسف المياعي
(الرمالة الجديدة)، وكنا إذا نشرنا فيها نضع
تحت أسم كل واحد منا جملة (من رابطة
النهر لثاخذ). كان بعض أسعدقائدنا من
الشعراء العرب يظنون أن الرابطة لها مكان
وأعضاء خاصة شعراء العراق، وكانت
القولونين الهدايا تتعاقب وصولا إلى عنواني
فكانا نقرؤهما كما نقرأ غيرها ونناقش، تلقف
وتختلف، وتكتب إلى أسعدقائدنا أن الرابطة
لوس لها مكان إلا مقهى (إيزافتش) وأميانا
مقهى (على بابا) والاثنتان يقان في ميدان
الإسماعيلية، للحرير الآن. وكان الفيتوري

قامات أكثر ذلك اليوم الوحيد في
أواخر الأربعينيات حينما كنت
طالباً بكلية آداب الإسكندرية، وكان لي زميل
يمتلك أبوه مكتبة.. كنا جالسين حينما رأينا
صبيا لا يتجاوز عمره الخامسة عشرة، وليس
جلها أبواً نظيفاً، وطافية مثله، كان أسمر
الوجه أقرب إلى النحافة.. قال في ثوبه
تتمل روح كبرياء طفولي: عندهم ديوان أبوي
القاسم الشامي؟

نظرت متحمجا لهذا السبى الذي يسأل
عن ديوان شعر وقت له: لوس للشامي
ديوان، فشمعه ملفق في المجلات خاصة
مجلة أبولو.. وما إن سمع كلامي حتى
استدار ومشى دون أن يلبس بكلمة.. ويجاب
لي بعد تخبرني أن أصمل بالتدريس وأن
أكبر الإسكندرية في عطلة صيف عام
١٩٥٠ أو عام ١٩٥١ فلت أكثر بالتدريس
وأذهب لأزور جيراننا وكان ليهم صعاد الذي
كانت له ميول فنية.. جالسا معنا.. أخبرني
أن زميلا له شاعرًا يسمعه إسكندرية النوى
يود أن يتراني، وكان هذا الزميل محمداً

كان لاختيار بعض هذا الشعر الرافض،
والمستحج، والشاعر، ليدرس في المدارس
المصرية، ولعلنا نحس بكل عناصر الشاعرية
الفنورية مناجبة في الأبيات الآتية:
أفريقيا.. أفريقيا استيقظي

استيقظي من حلمك الأسود
قد طامعتا... ألم تسامى
ألم تسلى قدم المسيد
صريانة الماضي، بلا عزة
تنسوج الأتى... ولا سود
جوعانة تضغ أباهما

كحارس المقبرة المسعد

أفريقيا.. أفريقيا استيقظي
استيقظي من ذاك القابعه
أكل ما عنده أن تصدري
كواهل الرقيق يا ضائعة
أكل ما عنده أن ترقدي
خامنة.. خائنة... خاضعة
أكل ما عنده أن تلغى

أحذية المستعمر اللامعة
ولعل الفارق بين الشاعر الأفريقي
(سنجور) وبين الفيتوري في التعبير عن
قضية الزوج، يرجع إلى لونية الفيتوري،
وهذه طبع سنجور الذي يعترف بقرة
الرجل الأبيض، ويؤي له لأنه يمشي في
غابات الأسمنت، أنانيا، قاسيا، لا يمدرك
بحق الغير، فهو بعد زيارة لنويويورك دامت
أسابيع يقول في شاعرية عذبة:

(أسبوعان بلا أنهار، ولا حقول،
وكل الظهور التي تنطق في الهواء
تسقط بالرعب متناثرة على الأسطح
المستوية. لا ابتسامة الطفل ناضرة،
ويده تتحرك فترسم تلوها في يدى، لا
صدر أم حنون، بل سيغان من
القاتلون... سيغان وصدور... عرق
ولا رائحة، ولا كلمة عطف، لأنه
ليس ثمة شفاء، بل قلوب صناعية
اشترت بالعملة الصعبة...).

ولكن نويويورك، الفيتوري لا تلتزم فيه إلا
لزعة الهياج نظراً لميأساتها فنراه يقول:

نويويورك يا غابة الموت
ملعونة حيث كنت
هذه الذي لطخته يداك
جيتك أنت

وللفيتوري قدرة على التجسيد، إنه
يحول المجرى إلى محسوس يلمس بالعين،
ومن خلال المجاز يشكل صوراً فنية جديدة،
وفي لحظات الغضب تكثر لغته، وهذا نراه
كالمساحر الألفي الذي يتمتع بلغة سرورية
تسرى في عظامك بإيقاعها السريع
للضباب، لهذا هذا تسمع منه مثل هذه
المزوجة:

يا لو موما
في قلبي أنت
البطل الأسود ذو القدمين
العاريين

الراكضين على نهر الكونغو
كانت ترضخ خلفهما أشجار
الغابات

كانت تتهدج لهما أنفاس الظلمات
كانت أمواج الكونغو
توقظ في الركض
كان اللارس ذو الرهبة
ذو الصوت الغصبي
عينا عالقتان على نجمة
كانت أصوات المظطهدين
تجلجل في روح الأرض

وإذا كان الشعراء الأفارقة الزوج الذين
تشرنا في حزن الغابات يفتقدون راحة
خضرة الأشجار، ويستجرون صرهم منها،
لأنها رمز الوطن أو هي الوطن، وإذا كان
(سنجور) يستذكر أسبوعين قضاهما في
نويويورك غابة الأسمنت والشوارع المسفلنة
بعيداً عن الغابة الأفريقية التي تمثل البكارة،
والبراءة، والقطرة الصافية، وإذا كان سوزار
يقول ممحداً على عناصر الطبيعة الأفريقية
(أرد أن أتكم كالعصفاء، وأحدث كالنهر،

وأطلق كالإعصار، كما أرد أن أصبح لسان
الشجرة)، فإن محمداً الفيتوري يحسن
مظاهر الأفارقة الزوج، وإن لم يفس الغابة،
فقد ولد في الإسكندرية، ولم يتركها ليقيم
بالقاهرة إلا في سن العشرين ولكنه عاش
نوعية إحساسهم، وشاركهم همهم الإنساني
ومجالي عيشهم:

يا منى تأكلت حوافر الخيول
والزراف يستريح في السهول
رائع هذا الدجى الأخضر
رائع صفاء الظلمة الجميل
رائعة راحة الضباب والشجر
رائحة الجبال والمطر
رائحة السماء والنجوم

يفرد الفيتوري بثلاث خصائص
توزعت شعره هي:

١ - القدرة على الظلم والدعوة إلى الحرية
وكرامة الإنسان.

٢ - روح التصوف التي تنفريها من والده
وهو من كبار متصوفي الإسكندرية.

٣ - مرحلة الاضطراب من العالم بكل ما
فيه وبالأشياء المحيطة به، على أنه في أية
مرحلة من هذه المراحل لم يكن إلا نفسه،
ففي الخمسينيات وأوائل الستينيات كان
الشعراء واقعين تحت تأثير البوذا، والغريب
أثنى والفيتوري والرحيم قولى العقول لم
نأبه بتعاليم البوذا التي نفخنا حرقها عدد
كبير من الشعراء أولها (العادل الموضعي)
الذي يؤدي إلى مصيبة الانفصال الميت،
فكان على الشاعر أن يبحث - مثل البوذا -
عن معادله في الأساطير وأغلبها أساطير
البرونان القديمة، فإذا بقراء ذلك الزمن لا
يجهون بأفكارهم إلى ديوان أو مجلة أدبية
إلا ويصطدمون بأسماء أبطال هذه الأساطير
(سوزيف - أوشيس - بثلوني -
بروموشوس - هولوس - إلخ) وكان
سوزيف القاسم للشعراء الأعظم بين كل
الشعراء الذين اضطهدوه أكثر من اضطهاد
آلهة!

هنا سأل وإن كنا قد أشرنا إلى الإجابة
في سطر سابقة: هل ساير الفيتوري هذه
(الهوجة)؟

لا... لقد ظل في قلعه الحصينة لا يشهره هذه الميل الليلية ذات الاحتمال والصناعة، والتي حدثت ملامح واحدة لكل الشعراء، وكان أغلب هؤلاء يستخدمون اسم البطل الأسطوري بطلاقة مألوفة بهمجس القصيدة دون أن تلمز دلالة الاسم كجزء تابع من ديناميكية نمو القصيدة الفني عبر معمارها كاملاء، لقد كان همه أكبر من استخدام الميل الليلية المستوردة (انتقل الشعراء بعد ذلك إلى مرحلة جديدة، فاستخدموا أسماء الأبطال العرب وأسماهم الشعراء التراثيين وأسماء بعض أبطال القصص الشعبية والفخرية فأصبحوا أقرب إلى نفوس القراء الذين كان أغلبهم لا يعرفون الأسطورة اليونانية وأبطالها، فظل الشعر فترة - كشعر إليوت - لا تفهم إلا الصوفة العظيمة (١).

كان هم الفيلسوف أكبر من انغماسات المتأخرين بالهوية والعصرين وراء خطوه، كان همه محاربة الاستعمار، والعبرية، والدموية إلى التحرر والحرية بكرامة وحقوق الإنسان، ابتدأت ثورة الفيلسوف على استجد الزلزال، ووضعهم المصحف، ولهم أول شاعر عربي حديث بعد الأرمينييات يكرس ديوانه بكاد يكون مقتصر على مشاكل الأفريقيين، وأمدحت ثورته بالجمعية إلى وضع العرب العذرى، وسلوكياتهم حين يتكلمون بعضهم في المؤتمرات والقطارات، وهم في أصمق قلوبهم يفرجون خيفة من أشغالهم!

فكان سطوة، وعشابه وتقريعه، وكان صوته صارخاً صادراً من شاعر تكويه هموم قومه، يتحسس مشاعرهم، ويعرف همومهم في الوقت الذي كان فيه شعراء سوزيف يصعدون رموساً بصغريته وخيبته الأثرية!

إنه الشاعر الذي لا يرضى بهوان أمته، يجرعه تشرنوبلها، وتقلل روحه غيبوبتها في عصر التقدم والبطانة، ولذلك كان يصرخ من وجدانه:

وتسأل العرب الأقحاح عن وطن
فتضلل معانهم وإن كثروا
وتلمس الموت في أرواحهم فإذا
مسست أجسادهم مستكثراً نفروا
وتسأل العصر هل كانوا؟ وهل
عرفت

وجوههم في بحار الرمل واحتضروا
ويصرخ ثائبة:

ثم تكن أمة مثلاً زعموا
فلماذا إذن صعدتنا النجوم
وأظلم في روحنا العصر

وها هو ذا يعلن التزامه، لأنه صوت أمته، وصوت عصره من خلال معانيه مرموم وشبه وأقلامه شأن الشعراء الأسلاء، وها هو ذا يدين شعراء (الغناس وتلمجور اللغة) في قولة صريحة تسمم كثير من المبادئ المعقومة (لأن طواحين الشعر العربي الحديث، المخلقة بالأضلاع، والمكببة الزوايا، والمثوية الأحجام، والفارغة سوف لا تكف عن الجمجمة والدوزان، وسوف يخذل أن تكرر ذات النماذج المعيشية والانتهزمية، وذات التجارب الشككية، وذات الصور والألفاظ والتراكيب، ما لم ترضى بالمعرفة، وتتمركز بالتحاول المصيق، رؤيا وقدرات الشاعر العربي المعاصر، ذلك الذي أصبح لشدة هزاله شاهد إثبات على أن ثمة جريمة ماء، وما لم يدرك هذا (الذي المجهول) أن لا خلاص بمزمل عن خلاص أمته من التخلف، وأن لا قضية له خارج قضاياء ولقمة ومجتمعه، وأن كليهما مدعوان لحضور الاحتفال التاريخي، بانتصار حرية الفكر، وهزيمة للتقهر، ورد اعتبار كرامة الإنسان (٢).

لقد انتشرت لعبة لفظية جديدة يريد أصحابها أن تحدث إيقاعاً جديداً وهي أن يتحدث الشاعر عن ألفاظ تشدرك كلها في

احتمالها على حرف واحد يتكرر في كل لفظة، ويحاول للشاعر بعد ذلك أن يصنع منها جملاً، فيألق ما استطاع التلقيق، وهي صلية تقا نجح فيها واحد من شعراء الحداثة، لأنها لا تقوم إلا على الصلعة والالتصاع والإيقاع النشاز من حيث يريدهون الإيقاع الناجح، ولهاذا نرى مثلاً لذلك في أبيات المذرة التالية للشاعر محمد أبو دومة...

(يا .. يا ليل الليل الموحى
الغفوري لمعانا، والمغزول المدول
المتجدول من مطلع جعد الفرعا،
متدول أساسينا، والمتهدب تهدابا حتى
وهن القلب الطواف من الشطواف
فصاف وكل .. فثلل .. علل .. ما
علل...)

وهكذا نرى الشاعر قد شغل نفسه بركام من ألفاظ تشدرك في حرف واحد، وهو يحاول عبرها تنفيذ إيقاع لا يقدم إلا صلعة لفظية مقيقة، ولكن مهما كانت قدرة الشاعر - أي شاعر يلعب هذه اللعبة الصبيانية - فإنها في آخر أمرها لوست إلا زخرفة إيقاعية فاشلة، وهي في الوقت نفسه تشل عن استيعاب التجربة الإنسانية الحية التي هي جوهر الشعر الحق.

وللفيلسوف مشاركة في هذا الانهيار، جاءت في شطر بيت فحسب، ألمعها اللقطة والحدس الصادقان، وهي تقضم هذه اللعبة الصبيانية لأنها انسريت من روحه الصبيانية فجمادت في موقعها دون مشقة أو افتعال، فضلا من أنها موجودة في ديوانه الأول (أغاني أفريقيا) الصادر في مصر عام (١٩٥٥)، وهو وقت لم تكن هذه اللعبة قد عرفت فيه، إذ إن شعراء الحداثة الذين تدرها كان أكبرهم سناً لم يولد بعد، أو ولد وليس البطلون القصور، وهذا هو بيت الفيلسوف الذي يطلب فيه أفريقيا، أن صليته الشهيرة (البحث الأفريقي):

أفريقيا .. أفريقيا استيقظي استيقظي من ذاتك القابعة أكل ما عندك أن ترغدي خاملة .. خائرة .. خاضعة

وهكذا اشتركت ثلاثة ألفاظ متجانسة في حرف واحد هو حرف (الفاء)، ولكن البون بعيد بعد الشمس عن الأرض بينها وبين قول أبو دومة: (يا بابل.. الليل المرحى المفرق لعمانا والمزق المجدول المجدول إلخ..). ويسا بالطنع لعمد مقارنة بين أبودومة والفيتوري، ولكننا نتخذ من أبيات أبو دومة مثلا لظاهرة تفتت مستقلة بالافتعال المقيت، والعم البهرج.

إن الفيتوري لم يعتمد الإتيان بها، ولكنها في غمرة إبداعه ترائت على سن قلمه دون تعمد (خاملة - خائلة - خاضعة) عن طريق المدس المصادق الذي كان وراء قول امرئ القيس في بيت معلقته المشهور وصفا لسرعة الجواد:

مكر، مكر، مقليل، مذهب، مكا
كجلوه صفر حظه السيل من عل
فكررت (الميم) كما تكررت (الفاء)، وكان التكرار في العالين غير متعمد كما يفعل شاعر الحديثة، إنها القامنة الفطرية الصادقة التي هذبها تشرب النماذج الشعرية الرافدية لدى الشعراء، وسعفة كوميائية الإيقاع الأصل في اللغة القومية، وهي وحدها موهبة خاصة لا تتوافر إلا في القليل من الشعراء حتى من لا يعتمدون اللعبة الصيبانية، والمعروف أن الإيقاع الأصل في القصيدة ليس حلية، وإنما هو أداة من أدوات التعبير.

فلما كانت (الميم) عند امرئ القيس، كانت (الفاء) عند الفيتوري، وابن جني يقول إن الألفاظ التي تشترك في حرف، تشترك كذلك في أداء معنى عام تدور حوله، وقد تشرب مثلا لأصوات حروف (الجم

والباء والراء) فهي مهما وقعت وأخذت مكانا في اللفظة من ناحية الترتيب، فهي معبرة عن القوة والقرّة، إنه يقول تحليل على رأيه:
(جبرت العظم واللقير إذا قويتهما والجبروت القوة والجبر الأخذ بالقوة، وأشدت ورجل مهرب إذا مارس الأمور فاشتدت فكيمته، ومده الجراب لأنه يحفظ ما فيه الشيء إذا حفظ قوى وأشدت، ثم منه الأجر من البجرة وهو القوى ومده البرج لقوته ومداغته، والبرج هو نقاء بياض العين وصفاء سوادها مما يكسبها قرّة، ومده رجب الرجل إذا عظمت وقوت أمره، ومده شهر رجب لحظيهم إياه عن القتال فيه، ومده الرجة وهو ما تستند إليه النخلة لتدعيمها وتكونها...)

واختيار الفيتوري لهذه الألفاظ المشتركة في حرف (الفاء)، ثم بقوة المدس المصادق كما سميت الإشارة.. لا يصلح التعمد في هذه جليها كما يضل شاعر الحديثة، وقد أكد الفيتوري مداه باستعماله هذه الألفاظ الثلاثة، ومصدقا لذلك نقول إننا لو رحنا نجمع ألفاظا بذلك بحرف الفاء لوجدنا أن أغلبها يشترك في معنى ما من معاني المنصف والخدوع والفساد والخسارة، ولنت واحد هذه المعاني في الألفاظ الأتية:

(خنع - خضع - ختل - خرج - خبت - خدر - خرس - خمر - خرب - خمل - خجل - ختل - خرف.. إلخ..). أما التعمد في هذه اللعبة الصيبانية، فيؤدي إلى سماجة إيقاع وافتحال ظاهرين، ولا أدري كيف لم يدرك ثوب الروائي الكبير إدوار الخراط ذلك في محاولاته التي قلعت سياق بعض رواياته كقوله في إحدىها حيث كرر في كل لفظة حرف (السين):

(مدان حلك الأسلاك المتعمدة تسرب سمادوه، تستجيش سلاح المطرة المسنون على نمرة قلوب المستديرة بين صماليح الاستمرار للسلسة.. إلخ..). وواضح بما

يقطع كل شك أن ليس هناك من يستطيع أن يجري قلمه حراً في مثل كتابة هذه اللعبة، ولا من يحفظ دين الرجوع إلى القاموس هذه الألفاظ المستدركة في حرف السين، إن إيقاع الحرف الواحد في اللفظة السابقة لابد أن كاتبه رجع إلى القاموس، أو ظل بعد كتابة اللفظة يبتش في ذاكرته عن اللفظة التالية مدة زمنية قد تطول وقد تقصر.. وهي عملية كما قرى قائمة على الافتعال والكتب الشعوري والتعب للناسب، ولذلك نكاد نغم فيها عرق كاتبها كبيراً - كشارع أو ككاتب - أو صغيراً.

لقد استعان الفيتوري بحاسة إيقاعية مركبة لمواطنه البظنة المشددة كالنوت، أنه إيقاع يؤكد معرفة شاعر بكميائية إيقاع لفته القومية، فإذا به امتداد لأجل إيقاعات هذه اللغة عبر نوازلها الشعرية للشامخ، فالتت فن تجد في شعره ركائكة أو صناعية أو لفسا مقطوعاً، وإن حدث فهو نادر لا يمتد به، وهو منذ شعره الباكر يستلن بهذه القصيدة... انتشر إلى قوله عام 1900 في قصيدته (البيت الأفرقي):

أفريقيا

أفريقيا... استيقظي

استيقظي من ذاتك المعظمة

كم دارت الأرض حوالك

كم دارت شمس الفلك المضربة

وشيد الناقم ما همة

وحكر العابد ما عظمة

وأنت لآلت عما أنت

كالجمجمة الملقاة..

كالجمجمة...

واعجباً ألم تلمجر غسرينك

سفراتهم

يا أمه...!

أما الصورة الشعرية عنده فليست صورة تقليدية تفرضها الحواس المفترية، ولكنها تصل إلى ما هو أبعد، لأنها يلتقي الخيال الخالق الذي يكون واقعاً جديداً لاتراه العين، ولكن تراه النفس الحساسة، وأنت تلمسها في قوله:

لملائكة تتماثل غاشمة في مראياي

ذائبة في شموع التراثيل

مائدة من ينسج روعي

وئى أفق من طيور اللقالق

ينصب أهراسه البربرية حولى

إذا دخل الليل فى الليل

يلبسى قمرًا ميتا

إنها براعة القدرة على تخفيض المجرى، ونهشيد المستوى، وخلق عالم جديد صغير مأخوذ من جزئيات العالم الواقعي الذي تمسكه، وهي قدرة يضارعه فيها العقل والحواس والحس والاشعور والخيال والتركيبة النفسية الإبداعية للشاعر، فهو لا يستطيع أن يتأمل شئاً دون أن يسبق عليه حياة داخلية من رواء الخاصة. من هذا كان (الوصف) - إذا استعمنا المصطلح القديم - كما كان معروفاً لدى القدماء خاصة وصف

الطبيعة، صورة فوتوغرافية للواقع المشاهد، وهو ما لا نجد إلا قليلاً في شعر الفيلسوف، والشاعر الكهجر يحاول دائماً التجميع بين المتناقضات، من هنا يكون للصراع الذي يخلق الشعر العظيم، والنتيجة هي أنه يتجاوز الموجود في سبيل ما ينبغي أن يوجد في منطق الخلق الشعري، ولما كانت النفوس الشعرية الكبيرة مستخرجة في تكوينها الإبداعي، كانت الطلزجة الإبداعية، وجدة الرؤية الشعرية أول ما يلتفت النظر في شعر الشاعر الكبير.

وفي شعر الفيلسوف الصوفي (وكثير من الشعر الصوفي يمتاز بغموض رموز) تتميز صوره الشعرية الصوفية بطابع تكليفي، ولكنه يظل شافياً كالشفافية البيضاء للرقية، ولذلك كان أسرع تأثيراً في النفس من (الشعر الصوفي) الحدائي الذي لم يبق شاعر لم يكتب فيه بعد أن رأى أدونيس يصطلحه بينما التصوف استحدث شخصي خاص واتجاه معين يجد تهاوياً عند بعض الناس لا ثلاثة أجيال متخلفة من شعراء العداة أصبحوا كلهم من المتصوفة!

ولذلك نسمع أو نقرأ الفيلسوف في شعره للصوفي فتجد سماء جديدة، عمقا، واتساعا، وأصالة، حتى إنك لتقف أمام قوله المذهل الفريد خاشعا:

ويحي وأنا ألتطم

نحوك يا مولاي

أجسد أحزاني

أجود فيك

هل أنت أنا ؟

.....

في حضرة من أهوى

عبثت بي الأشواق

حدقت بلا وجه

ورقصت بلا ساق

ولحمت برياياتي

وطولى الأفاق

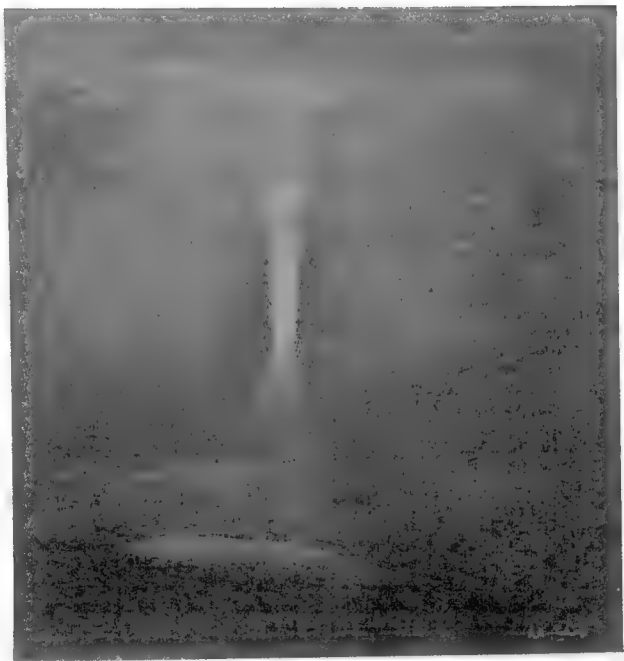
عشقى ببنى عشقى

وفنائى استغراق

بملوكك .. لكنى

سلطان العشاق

إن الفيلسوف يجد الفكر والشعر معاً، ويوحدهما للتعبير عما لا يجد شأن كبار الشعراء المتصورين، إنه طائر يحلق مع سربه، يطير بجناحين كل طائر في السرب، ولكن طيراته يخالف كل طيراتهم مهارة ودقة. ■



القيمة والواقع والمنتخب في «مريم النور»

مياد زكريا يوسف

كما سبق أن قلت، فإننا أمام نوعين من الشخصيات يمثل كل منهما جوهرًا خاصًا؛ فمريم النور: (مريم النور - دوراً - للجنة - الأب - البيت) هم الممثلون لقيمة الجمال وجوهره، بمسيرة الشخصية ومحملاته الخيرية والأخلاقية المتعددة.. كما نرى أن: (راما - كمال - أم راما - بيتي) هم الممثلون لقيمة التبع والشر. وفي المستوى الأعلى فإن شخصية «مريم النور» هي الشخصية الجامعة للشخصيات المشابهة لها درامياً مثل «دورا»، كما نعتري شخصية «راما» على شخصية «بيتي» وبذلك تصبح «مريم النور» وحدها في مواجهة (راما - كمال) حيث إنهما يبدوان في رؤيتهما كما لو كانا شخصاً واحداً، وكل شخصية من هذه الشخصيات تمثل تاريخاً ذاتياً حافلاً يضيء بالصورة الأخيرة التي تتصرف على أرضيتها.. حيث يمثل التاريخ الذاتي للشخصية شكلاً للمصار التي ينفذ السلك والإحساس أيضاً في اتجاه محدد قسراً.

وقد لجأت الكاتبة في القطاع الأكبر من السرد الروائي إلى استعادة هذه التاريخ باعتبارها البرازيل للقيمة المكونة لمواقع الشخصية واستراتيجية فطها.

تقدم الكاتبة شخصية «مريم النور» التي تعمل قيمة الجمال بطريقتها وذلك من خلال سرد الكاتبة لقصة ولادة «مريم النور» في سياق رومانتيكي، كونها تحتاج حالة مثالية من العشق... زادت من ذلك بتضمين القيمة الجمالية لمآلاتها باكتشاف هذا النقاء من خلال رؤية الآخر له، وبالتحديد في أكثر الشخصيات خلجاً من هذا النقاء وهما شخصيتا (راما - كمال)؛ فتكشف رؤية الشخصيتين لـ «مريم النور» تدريجياً، حيث في البداية لا تستمتع أي من الشخصيتين باكتشاف سر الانجذاب تجاهها، ثم تكشف المتوقعة بمرور الوقت بتجلى فكرة الكراهية لهذا التناقض القيمي الذي يؤكد التبع في داخلهما. أما «مريم النور» نفسها فهي على العكس ليست مدركة على مستوى الوعي الاجتماعي بطبيعتها ما تضمه من نقاء، ولكنها على الرغم من ذلك تضل هذا الإدراك في المستويات اللاشعورية في أعماقها، مما يؤدي إلى اتخاذ أفعالها طابعاً عاشقياً غير مشبوك بواقع المجتمع وتجاهلها لاختلافها عن الآخر.. وبهذا فإن

طول الرواية بدون سمات زمانية أو مكانية محددة، مما يعطي الفرصة للحادثة أن تتخذ البطولية المطلقة، وتصبح لمواجهة بين للشخص هو مواجهة وصراع بين لغوس خالصة أو لغوس جوهرية.

وتحاول الكاتبة هذا أن تختصر أطراف للصراعات البشرية المختلفة في طرفين اثنين فقط يختصران في تكوينهما الطابع الإنساني كافة.

المواجهة والصراع إذن بين طرفي الانسانية القومية الخالدة: الجمال والتبع. ويستطيع كل طرف من أطراف هذه الثنائية أن يتضمن في داخله الخصائص والصفات التي تدرج في إطاره.

وليتما لهذه فإن شخص الرواية بدورها تنقسم إلى موجودات تجسم هذه الثنائية نفسها، ولأن الصراع في جوهره صراع بين قيمتين - تمثلان مركب الوجود الإنساني - فإن متن الرواية لا يحتوي إلا على عدد قليل من الحوادث.

في روايتها السابقة «كانت المدن ملوثة»، فحدثت الروائية رجاء نعمة محاولاتها في إنتاج شخصيات روائية محاصرة. وكان واضحاً أن الشخصية الرئيسية في هذه الرواية محاصرة في المكان بفعل الحرب، بل إنها جعلت الملجأ - بما يحمل من مثير مكافئ - إطاراً يبرز جو الحصار والضيق الذي تحيطه الشخصية؛ بحيث يصبح ذلك الإحساس بالحصار هو الإحساس الطنبوي بالحياة لفطرية، وتصبح الحياة خارج الملجأ - خارج الحصار - معادلة للفتق والدمية.

وفي روايتها الجديدة «مريم النور»، تحاول رجاء نعمة أن تقدم هذا الحصار في شكل آخر لا يتعلق بطبيعة المكان وإنما يتعلق بالطابع النفسي لشخصها.. بل إن الحرب التي كانت السبب الرئيسي لإنتاج جوالص في الرواية السابقة؛ تغيب في هذه الرواية ليصبح النص أكثر استقلالية وانفتاحاً على الإنسان. ولذلك فإن الشخصيات تتحرك في

قيمة الجمال غير مدركة لوجود قيمة القبح، أما القبح فهو مندرج للجمال، حيث إن الجمال هو القيمة الإيجابية الطبيعية، أما القبح - وهو المكتسب أو المستفاد إلى الطبيعة الإنسانية الخفيرة - فهو خارجي عنها، وبالتالي فإنه دائم التلق تجاه الجمال ومحاصر له.

غير أن القبح والجمال متشابهان في كونهما إحساساً وقبلاً محدداً تجاه الآخر، والاتصال بين القيمتين يتم بمجردهم وقروح حادثة من الخلط مباشرة... فـ «مريم اللور» لم يحدث لها انقلاب قيمي عندما قتل أبوها ولكن عندما اختلط منها الرجل للذي أحبته بطريق الغفلة.

أما «راما» فهي الشخصية الممورية الغالبة، وهي المدركة وقوة لقيمتها السلبية التي تصنعها منذ ولادتها؛ مدعومة بإحساسها برفض العالم لها مستملاً في موقف أسوأ منها، وأزمتها كلها نابعة من هذا الموقف الذي اتخذته منها أسوأ... وإدراكها لقبورها الخارجي أصبح طامعاً والتسحب على تكوينها الداخلي. ومن حيث إدراكها أن التسحب لا مكان له في العالم الحقيقي في ذلك ذوات الآخرين، فإنها تعزل تزييف دور لها... وهي أيضاً محاصرة بتاريخ ومواقف مثل كلها هزائم مرجحة لإحساسها بقيمة وجودها، ورغبتها في تعديل هذا القبح الخارجي والدخالي القابع فيها تحتل إلى رغبة في الانتقام من قيمة العالم مختلفة في «مريم اللور»، ولكأنه في هذا تعبير القبح نقصاً لا يمكن إكماله حقيقة... لذا فإن القبح هنا لدى «راما» يفهم مبرراً نفسياً - حيلة - للموقف العدائي الذي تتخذه تجاه العالم.

أما «كمال» وهو الذي يحمل صورة «راما» نفسها فإنه يحمل القبح باعتباره احتمالية تحققت بالفعل؛ فهو لم يكن مهولاً بحكم تاريخه الأول - قبل حادثة حبه الناضل - أن يكون ممتلكاً لخاصية هذا القبح الغنيث، ولكن القبح لديه جاء اختياراً؛ بعكس «راما» التي فرض عليها القبح فرضاً حتى قبل أن تسي ذاتها باعتبارها وجوداً قيمياً.

وهذا يجعلنا نختم الصراع بين «راما» و«مريم اللور» فقط على اعتبار أنهما حاملتان لكافة التكوينين جوهرياً بالطبيعة.

واستكمالاً لتكوين الصراع بين طرفي للفتاة، فإن التاريخ الذاتي لكل من «مريم اللور» و«راما» هو تاريخ واحد ومتطابق في هيكله العمودي غير أنه ممكن تماماً في محتوياته... ويوضح هذا من مشهد ميلاد كل منهما: احتفال قسسي بقدم «مريم اللور» وكآبة وإحباط لدى ميلاد «راما». أياً من الطرفين كل منهما بقصة حب فاشلة حيث أحبت «مريم اللور» ابن عمها «فراش» الذي تركها حرساً منه على نكالاتها، وفي اللذة المصرية نفسها أحبت «راما» فتى غادرها كرهاً في قبحها. وفي حالة الحب اللاتيني أحبت «مريم اللور» بهام، الذي تركته لعدم إدراكه لكونها جمالها، وأحبت «راما» رجلاً قام بضررها بسبب إدراكه لقوة قبحها. وفي السلوك الصام لللاتينين؛ فإن «مريم اللور» تتصرف بتلقائية وفطرية ويصرح مبهر، أما «راما» فإنها تتصرف بتصلع وغموض مبهر أياً من.

وهكذا تبرز الكاتبة التقارب الشديد في المولودات والتاريخ التي أنتجت النماذج التي ظهرت عليها شخصياتها.

وكي تؤكد رجاء نعمة على جوهر فكرة ثلاثية الصراع، فإنها تفتش حادثة واحدة، وهي ذهاب «مريم اللور» و«كمال» لشاهدة فيلم (إيروس) - لم تبدأ في طرح تصورات كل شخصية منهما لهذا الفيلم، وهذا يتجلى للتناقض الواضح في رؤية شخصيتين لشهد واحد، في حين أن من المفترض أنهما في حالة حب أي في حالة توحدها - «كمال» توما لقيمه التاريخي يصور أن «مريم اللور» قد استلقت عنه وارتحت لإيروس بشخصية بطل الفيلم. أما «مريم اللور» فإنها أسقطت صورة التوحده على «كمال» فريتها مستبدلة أي للفيلم به؛ ففريته «كمال» هي حيلة نفسية لتحرير رغبته الداخلية المنفية في التخلص من «مريم اللور». أما هي فإنها اتخذت هذه الصورة لكي تزداد اقتراباً منه، والتوحده به على المستوى العنصري أيضاً إضافة إلى المستوى الروحي.

ويدعم تلك الرؤية أيضاً موقف كل منهما وتأثرهما المتبادلين من مشهد الفتى والقناة اللذين كانا وجدالان للحب خفية في أثناء الغارة العربية.

أما شخصية «دورا» فإنها تختصر إلى حد بعيد البداية والنهاية حيث استلكتها لقيمة الجمال ثم حوشت لتكساة لهد الجمال بسبب أن فتاة أخرى أخذت منها حبيبها ثم اكتشفت بعد ذلك القدرة على استرداد لقيمتها، بل إنها في النهاية مثل تدعيماً نفسياً لإعادة القيمة الجمالية التي أفقدتها «مريم اللور» من جراء انتقامها من «راما» وهو الدور نفسه الذي قامت به «مريم اللور» في بداية تمرداتها - «دورا» - ويبدو الشاب بينهما واضحاً في تصورات وتخييلات كل منهما بعد حادثة تقديمها المتشابهة أيضاً.

وكي تكمض الرؤية أكثر، فسوف أوجز الخطوط الدرامية للرواية سريعاً؛ تتعرف «مريم اللور» بـ «دورا» العريضة النفسية في محاولة لتدعيمها... وفي أثناء ذلك تظهر «راما» التي تشار من اهتمام «مريم اللور» بشخصية «دورا» وتحاول أن تقترب منها، تعود «مريم اللور» إلى لبنان لكي تشهد محاكمة قاتل أبيها، وهناك يلتقي بكمال الذي يبدو مرتكباً قاع الجمال ويعتقد في نفسه أنه يحب «مريم اللور» وهي أيضاً تبه، لكنه لا يلتزم أي يتكشف أنه يكرهها لأنها تشعره دائماً بقمح. وفي الوقت نفسه أيضاً تكشف «راما» أنها تكره «مريم اللور» لأنها تؤكد بوجودها دائماً على القبح الذي تصفه «كمال» أن في الداخل والخارج، فيحاول «كمال» أن يتخلص من «مريم اللور» حيث يزداد لديه إحساسه بكرهيتها أثناء مشاهدة الفيلم الإيروسي، ويتدخل «راما» بمصارلة هدم «مريم اللور» نفسها فتستولي على كمال، وهو من جانبها يستجيب لها رغبة في الفرار. وتحدث الانتكاسة لـ «مريم اللور» فتعبر الانتكاس وتقتل وتنتقل إلى باريس فتلقى هناك بـ «فراش» ابن عمها فيقتنعها بفكرة الانتقام من «راما» بمساعدته، عن طريق إيهام «راما» بأنه يحبها - بعد أن تخلى عنها «كمال» - كما يصعب بعد ذلك من حبها لكي تتعلم. ويحدث ذلك كله في حين تظهر «دورا» أخيراً لكي تزيل القبح الطارئ على شخصية «مريم اللور».

من خلال هذا السرد السريع للأحداث الرئيسية في الرواية سوف نتكشف أن الرواية رغم أنها جاءت في ثمانية صفحة تقريباً إلا أنها لم تتحولا على عدد قليل جداً من

الأحداث، حيث إن الكتابة كانت محببة إلى حد كبير بما يأتي بعد الحدث من تأثيرات على الشخصيات. هذا بالإضافة إلى انكائها إلى حد كبير على تقصى التاريخ المسبق لظهور الشخصيات في زمن أحداث الرواية.

اكتسبت الكتابة عدداً من الأحداث الضرورية لكي تشكل منها العوالم النفسية لشخصياتها. ومثالاً لهذا فإن «راما» تعددت نفسها بثلاث حوادث هي حادثة ميلادها، وحادثة الضرب الذي تعرضت له، وحادثة التقاتلها بذاكر. الاسم المستعار لـ «فرايس» - ومريم اللور أيضاً تعددت نفسها بحادثة ميلادها وحادثة مقتل أبيها وحادثة التقاتلها بكامل وفشلها معه. أما كمال فإنه قد تعدد فقط بصلاته العاشقة مع «ديانا»، وكذلك «دورا» فإن حادثة فقدان حبيبها هي العادة السمرورية في حضورها للنفس درامياً داخل الرواية.

تشابه كل هذه الأحداث في كونها تمثل حصاراً للفشل في استكمال العلاقات بين أبطال الرواية، وبالإضافة إلى هذا الحسد القليل من الأحداث والعدد القليل جداً من الدوافع، فإن الزمن التريسي للرواية هو محاولة الكتابة تحليل شخصياتها وموافق كل شخصية بعد كل حادثة تقع، حيث قامت بمحاولة تقصى أسماء الحدث داخل أعماق الشخصية محاولة إثبات التفوق الذي يطرأ على باطن ونفس شخصياتها كأسماء لهذا الحدث.. بل إن حدثاً واحداً مثل مقتل والد «مريم اللور» تظل تتردد أسمداً طيلة زمن الرواية. كذلك فإن موقف «أم راسا» من

ابنتها عدد ولادتها وظل أيضاً محدداً لمواقفها وإنتهجت فعلها طيلة حضورها الدرامي.

وقد امتد هذا الاهتمام بالمعالجة النفسية للحدث الدرامي إلى الإيفال في التحليل النفسي، حيث تقوم الرواية بالأساس على ثنائية أخرى هي ثنائية الواقع والمخيال متجلياً في السورولوجيات الداخلية التي تقوم بها الشخصية عقب كل حادثة.

وقد استطلعت الكتابة أن تجعل الحدث المخيول بديلاً عن الحدث الواقعي، حيث تقوم للشخصية بإعادة تصور الحدث وتربيته نفسياً وفقاً لأحياهاها ووفقاً لطبيعة تكريبها، حيث تمثل الطبيعة النفسية للذات حصاراً وحاجزاً يمنع رؤية الأشياء على ما هي عليه.

ثم «مريم اللور» أعادت مشاهدة الفيلم في ذاتها عن طريق إعادة التوحد بالمشهد فتصبح هي وكمال بدولين للفن والفن في للفيلم.. أما كمال وعلى الطريقة نفسها، فإنه تخيل أن عملية التوحد قد تمت بالفعل بين مريم اللور وبين فنّي الفيلم.. وكذلك «دورا» التي قامت بعملية إعادة إنتاج عندما دعت «ديتي» إلى منزلها ووضعت لها المسكنة مقترية أسمائها لجداً بحدما «دورا» في الإحساس بأن طيف «ديتي» يلاحقها ويحاصرها ثم تخيلها لـ «ديتي» في صورة مشوهة مسطرة الهذ، باعتبار التخيل بديلاً عن عجز القيام بفعل حقيقي.. وهي نفسها للتخيلات التي تراءت لـ «مريم اللور» عندما كانت تخيل رؤية (كمال وراسا) في كل مكان تدعب إليه.

ويبلغ ذروة استبدال الواقع بالمخيال في نهاية الرواية عندما تخيل «مريم اللور» تفاصيل ما سحدث لـ «راما» عندما يغادرها نادر.. أو «فرايس».. وتكتفي الكتابة بذكر هذه التخيلات على أنها حدثت بالفعل كما تصورتها «مريم اللور» وتتمثل نهايتها.

وبعيداً عن ذلك، وعودة إلى قصة الصراع بين طرفي الثنائية - القبح والجمال - فإن أجور الكتابة إلى تكرار المواقف بصيغ مختلفة لكنها في النهاية تشابه هيكلية لابد أن يلغى إلى تأطير تركيزها على فكرة الصراع الذاتي.. كذلك هي تلتزم بعد ذلك إمكانية عودة الجمال إلى طبيعته رغم ما قد يشوبه من تلوث، بعكس التسبب الذي لا يجب أن يدورل ويصبح مخفداً هيئة جميلة، لأن هذا دائماً سوف يكون على أنقاض ما هو جميل بالفعل، فلنك تحرد «مريم اللور» وتخلص مما علق بروحها من إثم بفعل الانتقام، كان يجب أن تبقى «راما» قبيحة.

إن هذا الطرح القريب الذي يغتلف كثيراً من الدعاوى الأخرى التي تحاول أن تجعل ما هو قبح بصورة تخلو من إدراك الأبعاد النفسية لهذه القيم لم يأت من فراغ؛ من حيث إن رجاء تعمدة قدمت للواقع النفسي كاملاً بحيث يتحمل عليها أن تصدق غير ذلك.. فهي مخدرة أنها تتعامل مع أشخاص وقيم أرضية أولاً، وأخيراً، ولا تتعامل مع شخص لبرية أو قيم ميتافيزيقية تتفصل عن إمكانيات وطاقت الفعل الإنساني المحدث. ■

الإيقاعات والروايات

المقدمة

١٢٤ مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر، ترجمة، بدر توفيق.

١٢٥ يوم سعيد من أيام أغسطس، تيسس وليامر - ترجمة، شوقي فهميم.

الشعر

١٢٦ قبل شتاءات باردة، عبدالمعزم رمضان. ١٢٧ السحابة التي في المرأة،

جمال القصاص ١٢٨ نورس، حسن فتح الباب. ١٢٩ قرب ضوء هارب، محمود

سيم. ١٣٠ النهر ياعمز، احمد زرزور. ١٣١ في العشق طائد ثوب، السماح

عبدالله. ١٣٢ الهواء، إبراهيم اليوسف. ١٣٣ إجمارح، محمد الحسيني.

١٣٤ شتوية، مجدى الجابري. ١٣٥ نوحه كروكية لتكمية العنات الثوب،

عماد فؤاد. ١٣٦ ثوبه أشياء، نجلها بفخر على جدراننا الصلبة، نجاة على.

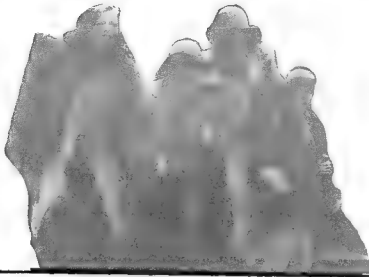
القصة

١٣٧ سأمذكركم عن هروب الملك، فؤاد قنديل. ١٣٨ أغسطس الصغير، عاطف

سليمان. ١٣٩ أجمل طورة رأتها، ابتهاج سالم. ١٤٠ نعم، القرايب، خالد إسماعيل.

١٤١ السيرة الذاتية لثابت من الحمير، ناجى الشكرى. ١٤٢ داخل صندوق محكم،

احمد غريب. ١٤٣ إسرا.. إسرا.. يا إسرا... اشرف الخمابيسى.



مختارات من الشعر الأمريكي المعاصر

ترجمة: بدر توفيق

بدأت نشر قصائدها منذ عام ١٩٥٧، ومصدر ديوانها
الأول عام ١٩٦٠.

رحيل إليزابيث

أنت الآن ترقدين في عث موتك الحقيقي، بعيداً عن أثر
أصابعي العصبية

حيث لامست رأسك المتحرك،

والضغنون القديمة في بشرتك،

وتنفس ركتيك الذي انحسر في نظرتك الأخيرة

إلى وجهي، وهو بفأرجح فوق المصنح الإنساني،

حيثما صرخت، دعوني أرحل دعوني أرحل.

*

أنت الآن ترقدين في صندوق موتك النهائي،

لولا تكررني أنت، لولا تكررني أنت بالتأكيد

لقلت إنهم جمدوا وجنتيها،

فهذه اليد التي تبدو كأنها صنعت من الصلصال

أن سيكستون [١٩٢٨ - ١٩٧٤]

ANN SEXTON

ولدت في نيوتون NEWTON عام ١٩٢٨ بولاية
ماساشوسيتس، درست في كلية جارفالد، تخرجت وأنجبت
ابنتين،

انتهت عام ١٩٧٤.

قالت عن الشعر إنه ينبغي أن يكون صادماً للمشاعر،
وجارحاً في أحوال كثيرة، وقالت إن هناك بعض الأسطر
السبئية في بعض قصائدها الممتازة، وإن هذه الأسطر
السبئية تجعل القصيدة في حالة أجمل من المعتاد.

تتجذر قصائدها عن عمد في كينونتها النسوية، وتعتبر
عن حبها وأطفالها وولديها وأزمانها النفسية، بطريقة
مادية جسمدية مكثفة، وفي التصنيف الأدبي تعتبر أن
سيكستون من «مدرسة الاعتراف» التي تتشعور قصائدها
حول الذات وأحوالها ومحيطها.

وهذا القناع الذى يشبه وجه إيزابث

ليست أشياء حقيقية،

فمن دخل الكفن الماتات

ومن نسيح هذا السرور غير الإنسانى،

سمعت صوتا يصرخ، دعونى أرحل دعونى أرحل.

- ٢ -

لقد أعطونى رمانك وعظام هيكلك،

كان يخشخش كنبات جاف فى زهرة من الزرق المموى،

بخشخش كالأحجار فى فرن مقدس،

لقد انتظرتك فى كاتدرائية الرقى والتماويذ

وانتظرتك فى بلد الأحياء،

وكنت لا أزال أستم الوعاء وهو يئن إلى صدرى،

■

حين سمعت شيئا يصبح، دعونى أرحل دعونى أرحل.

عندئذ نثرت بقايا عظام هيكلك

وسمعت نفسى أصرخ بسبب نظرتك،

وروجه الذى يشبه التفاحة،

وهيلة ذراعيك

التي تشبه مريم وهى تحضن المسيح،

ورائحة شهر أغسطس

التي تفوح من بشرتك،

ثم فرزت يا إيزابث، يا إيزابث،

ملايسك وأشياءك الحبيبة

التي ظلت لديك، حتى رحلت عنا إلى الأبد..

الإحـاض

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد

■

فعلما يتخفن فم التربة،

وكل برعم يهب خارجا من غلافه الممقود،

غيرت حذائى، واتجهت بسيارتي إلى الجنوب.

■

تجاوزت الجبال الزرقاء،

حيث تمتد روابى بيسيلفانيا بلا لنتها

مكتسية شعرها الأخضر، كأنها قط مرسوم،

*

طرقها هابطة كالرصيف الرمادى البالى،

حيث تنشق الأرض، فى الواقع، بطريقة شيعمانية،

ويتدفق للفحم من تجويف أسود،

*

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد.

*

للحشائش كثيفة وقوية كالنبات المعمر،

وأنا أتناول متى سحرث الأرض،

وأتناول كيف يواصل الحياة شيء هـش

*

هناك فى بيسيلفانيا، قابلت رجلا متديلا،

لم يكن روميلشتتسكين(١) إطلاقا، إطلاقا..

لكنه امتلك الكمال الذى يحقق الحب.

■

عندما رجعت للشمال، تباعدت السماء

كأنها نافذة عالية لا تطل على شيء،

وكان الطريق مستويا كلوح من الصفيح.

*

لقد مات،

ذلك الشخص الذى كان لابد أن يولد.

*

نعم، أيها المرأة، إن مطلقا كهذا

سوىدى إلى خسارة بلا موت. وإلا فقلوبى يا جبانة

ماذا كنت تقصدين ... هذا الطفل الذى أنزفه.

عـوز

إنى أخاف الإبر التى أحقن بها

إنى متعبة من الملامات المطاطية وأنباب اللوام

متعبة من الوجود التي لا أعرفها
وأعتقد الآن أن الموت قد ابتدأ

■

إن الموت يبدأ كما لو كان حلما
ملينا بالأهداف والمقاصد ومضغكات أختي

■

نحن الآن في صبانا، وما نحن نمشي ما
نقطف زهرا من شجر البراري.

ونحن في طريقنا إلى «دامسكوتا»

صاحت قائلة : أه يا موزان،

لقد وسخت ثوبك الجديد.

إنها ذكريات حلوة المناق

تفيض بها نفسي

لكنها حلوة ككبيبة يتواصل تذكراها

ونحن في طريقنا إلى دامسكوتا.

■

ماذا أنت فاعلة معي ؟ دعيلي وحدي

ألا ترين أنني أحم ؟

إن الإنسان في الحلم لا يكون في اللامنين أبدا.

مارك ستراند [١٩٣٤]

MARK STRAND

تمتلي قصائد مارك ستراند بلرابية رهبية كالظم؛ فليها استرخاء
كامل للإرادة كما يحدث في الأحلام، حين تصوير القرائين التي تحكم
حياتها في البقعة لا وجود لها، هلند تحدث أحرب الأشياء دون أن
تشر ديمقنا.

□ التمدت في قصائد ستراند بعاني شابا من الشقاق نفسي،
واضطراب في حيلة الذات واغترابها، فهو يقول في إحدى قصائده :

«النفس لم تعد تنتمي لي، فهي تائهة،

في ظل شخص غريب، وفي الآن،

تتلبس الشخص الغريب، وتقرود خارج المكان،

□ وفي قصيدة «الشهر» المتخيل حدث قعلا، تجد الشاعرة الذي
أصبح رجلا ناضجا، يتحد في حياته مع الذات في طفراتها،

كما يحاول أن يتدرج لنفسه من ذاته في كل من ماضيها
وحاضرها؛

«الآن، عندما أرث على التلويح»

«تصير الفتاة في السابعة، وعندما أنام»

«يجمع شعره حول وجه المولف فوق الفخدة»

«وحيلنا أبحث أجد كدمية. إنه ما تبقى من حياتي»

□ ولد مارك ستراند من أبوين أمريكيين في ١١ أبريل ١٩٣٤ في
ديلمس إدوارد أولاند بكتدا؛ حصل على ليسانس آداب، وابجاسان
لقول جميلة، وكفى حاما في إيطاليا بمتحة من هيئة لفرابرات،
وحصل عام ١٩٦٢ على ماجستير آداب، وعمل مدرسا في جامعة
«أيووا» وفي عام ١٩٦٥ ذهب إلى ريو دي جانيرو حيث عمل مدرسا
في جامعة البرازيل، ثم عاد للتدريس في عدد من الجامعات
الأمريكية، وبهذا عام ١٩٨٠ وهو يعمل أستاذ زائرا بجامعة يوتا Utah.
وقد أصدر عددا من المختارات المترجمة من الآداب الأوروبية،
والمتكسكية، والكتاب الأمريكيين الجنوبيين، من بينها ترجمته لكتاب
«أرق البومة» لفرانز كافكا، وآخر إصداراته عام ١٩٨٣ كتاب «عن
الآن» التي تتكلم في شمس تسعة من الرسامين الأمريكيين. صدرت له
«قصائد مختارة من ديوانه القصص الأولى عام ١٩٨٠، وحصل على
هذه جوائز أدبية من بينها جائزة روكفلر Rockefeller (الهيئة
القيمة للفنون والآداب) وجائزة جوجنهايم. Guggenheim.

رسالة (إلى ريتشارد هوارد)

Letter For Richard Howard

الرجال يجرون عبر الحقل

الأقلام تسقط من جيوبهم

الذات السالكين في الخارج سوف يلتقطونها

إنها إحدى الوسائل التي تكتب بها الرسائل

■

كيف تسقط الأشياء للأخزين!

النفس لم تعد تنتمي لي، فهي تائهة

في ظل شخص غريب، وفي الآن

تتلبس الشخص الغريب، وتقرود الآن بعيدا.

■

إنها الظهيرة، وأنا أكتب إليك

حياة شخص ما جاءت بين يدي

الشمس تصفي اللون الأبيض على البنايات

إنها كل ما لدى، أعطيها كلها لك. إنها لك.

الزواج The Marriage

الزواج شيء من قلوبين متضادين

مماخرة ببطل.

■

Eating Poetry **التهام الشعر**

حبر يسيل من زوايا فمي

أليس هناك سعادة مثل سعادتي

لقد كنت ألتهم الشعر

*

أمنية المكتبة لا تصدق ما تراه

عينها حزيتان

تسير واضعة يديها في رداها

*

القصاصد ذهبت

الضوء متعفن

الكلاب عند سلال الطابق السفلي تصعد الآن

*

مقل عيونها تدور،

سيفاتها الشقراء تتوهج كالفرشاة.

أمنية المكتبة المسكونة بدأت تترك الأرض بجنونها
وتبكي.

إنها لا تفهم

فعلما أركع على ركبتى وألصق يدها،

تصرخ.

أنا رجل جديد

أزمر فيها وألعب

أفهم صاخداً بالفرح في ظلام الكتب

مارج بيرسي [٩٣٦]

Marge Piercy

□ السخط والغضب الشديد هما الطعنان الأصيلان
اللذان نكنا مارج بيرسي قصائدها، وأقاما لها مكانة مميزة في
الشعر. فالحركة المناهضة للحرب الأمريكية فيتنام وغيرها
كانت جوهر قصائدها الأولى، كما أنها في الوقت نفسه
تخوض الوقت حريا تدور في أعماقها دائما من أجل النساء،
فهى تكره الأسلوب الذى يسيطر به الرجل على المرأة، سواء
كان بالقوة البدنية، أو بالسيادة الذهنية.

فحياة للنساء كما تقول في إحدى قصائدها «صبيحت
كالأكانا الرخوصة، وهى لا ترى العالم كأنه راد من الدمع»

هى تدور فى الهواء المميق

هو يمشى فى السحاب

*

هى تعد نفسها

تنشر شعرها،

تعمل عينيها،

تبصم.

الشمس تدفئ أسنانها،

طرف لسانها يبللهم.

*

هو يمسح الخبار بالفرشاة عن بذلته

يضبط رطله عنقه فى وضع مستقيم

يدخن

سوف يلتقيان قريبا

الريح تحملهما إلى التقارب

إنهما يلوحان

أقرب فأقرب

يتحلقان

*

هى تهوى سريضا

هو يخلع سرواله

يتزوجان

ويكون لهما طفل

*

الريح تحملهما بعيدا

فى اتجاهات مختلفة

الريح قوية، يفكر

وهو يضبط رباط عنقه فى وضع مستقيم

*

هى تقول، أحب هذه الريح

وهى تلبس ثوبها

*

الريح تنفص

الريح هى كل شئ فيما بينهم.

لكنها تراه كواد من شغرات الحلاقة، فقصاصد بيرسى نحال
بحرص غاصب كيف تمت صياغة وإخراج أحبولة تعرق
الذكور، فهي ترفض سريرة العالم التي أقامها للرجال، وهي
تصور الحب بشكله الراقص، وبالشكل الذي ينبغي أن يكون،
وتقول «إن ما نستعمله لابد أن نعيد صياغته».

□ ولدت مارج بيرسى في أسرة من الطبقة العاملة، في
٣١ مارس ١٩٣٦، بمدينة ديترويت Detroit، وحصلت على
ليسانس أدب من جامعة ميشيغان Michigan، وماجستير
من جامعة نورث ويسترن Northwestern، مارست
وظائف متعددة في التعليم، أصدرت إحدى عشرة مجموعة
شعرية، إلى جانب ثمانى روايات، وكتابتها يضم مقالاتها
ومقالاتها الأدبية.

دعنا نلتقي عند النهر

Let us Gather At The River

أنا المرأة التي تجلس عند النهر

نهر من الدموع

نهر من ماء البالوعات

نهر من أقوياس قرح

أجلس عند النهر وأحسى الجثث

التي تعبر طافية من الحروب منذ التوار.

أجلس عند النهر وأرقب الماء

وهو يضامل، والشيطان وهي تبرز كاللثة المتقرحة

أرقب الماء وهو يتحول من الأخضر إلى البني الكريه.

أجلس عند النهر وأصطاد من أجلك

أريد أن أحسه حتى يصير نظيفاً

أريد أن أحوّله إلى فراشة

تتمايل نضونة من زهرة الأوركيد إلى الوردة.

أريد أن أحوّلها إلى كريمة

وأريدها أن تحول نفسها إلى إنسان.



أوه، أعلق عينيك بإحكام وادفع بقوة،

وأطلق الآن كل شيء مماً.

يمكننا أن نفل هذا إن حاولنا،

ركز وضعم للذراعين وادفع.

يمكنك أن تسود عالمك إذا أردت.

إنها بيضة أروكائية لونها أزرق مع أخضر

مقفوفة في غشاء رقيق من السحب
لا تدعهم يطهونها ويلتهمونها.

البيضة للزوردية الخضراء بلون الأجمة

التي وضعنها عناق لكن المقرصة

يبحث لي فوسك التي بليت من موضوعاتك المتعبة،

خول تحريك التي نمت

بغال حريك البائسة الدائنة العظام

أنا المرأة الجالسة عند النهر

أرمم الفورات القديمة وأرقمها لتصبح جديدة

الآن يتحول الدهر من البني الكريه إلى دم يقيق

كذراع تردى زياً.

نظف كزند خشبي متلكن،

على ارتفاع بعيد جداً تصعب فيه الرؤية،

تبدو قاذفات التنازل المنضمة،

كالسازات الطويلة المنقبة لعبة «البارلينج»،

تخط شريطاً فوقاً، والمعلقة الميدانية الأوتوماتيكية

تضىء في الأعلى مثل نجم الحروب،

في لعبة الكرة والديبايس.

أنا المرأة العجوز الجالسة عند النهر أوبخ الجثث.

أريد أن أحرق في النهر وأرى القاع

وأمضاً كشعر نظيف،

أريد أن أحيأ بعد اكتمال عطائي

وأغنى أغنيات الماء،

أغنيات في مدبح النهر البني الأخضر

وهو يتدفق نظيفاً خلال العالم الأخضر الأزرق.

موازية الأنسى على جانيس

Burying Blues For Janis

اجتاحني صوّكٌ دائماً، على الورق الحساس تماماً، في
منازة ذات القلب العظيم من لزوة الذئبة،

التي سيطرت على كتمن نحاسي مهول بكل أطواره،

حتى تمكنت، جزئياً، من الإفلات.

ما الذي أستطيعه سوى أن أحفني بك في أحلامي؟

صوّكٌ يحكّ المنظم المليء بالنضاج حكاً شديداً مباشراً،
يضعج ذلك الاهتياج الوافر من الماسوشية التي نغم فيها.

تلك المرأة ولدت لعماني، عرّمت بظلم وخدعت،

لقد درّينا وفقا لذلك البيت المرتفع الحرارة بالألم المكتمل.

نحن لا نشعر، إلى هذا الحد، بكوننا، ولا بشخصيتنا،

مثلما يحدث عندما نمشي في الحضيض بكل أحزان الليل،

عندما لا يكون هناك رجل ما، ومن الأفضل أن يكون قد

رحل،

يصبح احتياجا يتنضم بصير بالونا من الغاز،

ويسطع فينا كل تفكيرنا ومشاعرنا وأملنا.

آه من الأحزان الأنثوية التي طال اجتراحها،

وانسحقت عصارها تحت الأقدام:

لقد ارتجت هناك بوجهك المتورم قليلا،

وشريك الملبد مطاير بقرة تجعه بارزا للأمام،

عصفاً من الجحيم الذي اتخذ وقوده من الحياة بأكملها.

لقد جمعت كل ما أتقنت أدائه أمي التي تغطي وتغطي،

كانها نبع من العصاه المسكر لسلالة فترانية من الرجال،

لقد وجدت الألم المحتضن في الصدر كأنه طفل،

لقد وجدت شجرة الصمغ الجميلة المتوردة في سبيلها،

امرأة أعطت ظهرها للعالم، بلا حدود، بلا أمل، وهي

مرهقة،

تقدم وجهها رائعا لممارسة الحب.

تلك الرغبة في أن تتعلق على خطاب اللحم وأن تدعوها

الحب،

تلك الحاجة إلى الحب مثل الخواء الصارخ في الروح،

ذلك هو المخدر الذي يشدنا ويجربنا بطريقة مهلكة إلى

الخصيض،

كطبقة الهيرين للريقة الباردة التي جمّدت دمك.

براهلي ستراهان [١٩٣٧]

Bradley Strahan

ولد في مدينة بوسطن عام ١٩٣٧.

تخرج من جامعة نيويورك ١٩٥٩.

حصل على ماجستير ١٩٦٣.

يقم في واشنطن منذ عام ١٩٦٤.

له مجموعتان من القصائد :

١ - أغنيات حب في عصر القلق ١٩٨١،

أعيد طبعها مع مزيد من القصائد ١٩٨٩ .

٢ - الرجل للعصا ١٩٨٢، وصدرت طبعها

الثانية ١٩٨٨ .

نشر كثيرا من قصائده وقرجماته في المختارات والدوريات، وألقى محاضرات عن الشعر في جامعة جورج تاون الأمريكية، وتوّدجن في أسانبا، وأيسلا في السويد، وفي ملتديات أدبية بلاكسبورج والألرويغ.

حصل على الجائزة الأولى للشعر من ولاية فرجينيا.

مساحات خاوية

Empty Places

في النهاية، نحن جميعا علماء آثار قديمة

نغمص حطام الحياة

لنشر على قطع من آنية فخارية

منقوشة بلغة غريبة

خطاب من صديق متروك على مخضدة للرحلات

قصيدة مكتوبة على ظهر قائمة الطعام

رسم لفاتة لا تستطيع أن تتذكر اسمها

صورة مصفوفة لعنب غريب

نحن نواصل الكفاح مع الأشياء المتروكة

منذ الحيرة في أيام الطفولة، محاولين أن نملأ الفراغات

التي تركتها الشاهة المبتسمة غائبة عن الوجه،

الدموع التي تجمدت على خدود بلا عيون،

الأصابع الغائبة عن يد ممدودة إلى أقصاها.

لكننا على نحو ما، لا نستطيع أن نملأ المساحات الخاوية،

ويدخل الظلام زاحفا.

عوالم تموت

Dying Worlds

في هذه الليلة التي تمدد بعدا كالفضاء،

كنت نجمة لم يلمع نورها إلا قليلا

كالنجم النجم المتعاطف على عيني مجهنتين،

أوردة من النار، في عدم الصحراء

الآلة أصبحت ومضة مفقودة خلف شبكة عيني.

عيناى وقد أسحبنا زلختين

من وهج العرالم التي لا تموت،

لا تسطيعان المرور على وجهك.

شعلة بيضاء الزرقة تتعاقب في احتياج

ضوء مسحور مشوم يتدافع كالسول في الظلام

أجبح في فراغات بلا شمس،

بباب بلا هواء حيث لا شيء يثير.

تشطر للشقوق العجافة الجلد حتى العظام

لقد اختفت الندارة بأكملها،

سيحتجب السطر لملايين السنين

قصيدة بها سطر من جيمس رايت

Poem With A line From James Wright

«صنعت حياتي عبثاً،

أحاول الإبحار

البحر المعادي

بقائتي

خمس عشر عاماً من العراصف

كل منها أسوأ مما سبق؛

«صنعت حياتي عبثاً،

أكدح ثمانى ساعات

في غبار الورق

أخشى

أن يتبدل مقصدي في النهاية

إلى جهة غير معلومة

صنعت حياتي عبثاً،

في أحلام تحلق

كالطيور المنزوعة

متماسكاً

بالأرواح، أصحو

فأرى نفسي وحيداً

«صنعت حياتي عبثاً،

وضع أجوف

غرفة فارغة

لقد جئت

متأخرة جداً لكي تملأ مكاناً

لم أعرف عن وجوده شيئاً أبداً.

كيت - Kat

يا امرأة

لماذا تتركين هذه الأشياء هنا

كأنها آثار من لحمك

جوارب في الحمام

لإشارب باللزنيين الأحمر والأبيض

مطوي بعناية فوق رف.

يمكنني اقتفاء خطواتك عبر الحجرات

فرشاة أسنانك على الحوض

ملاسلك الجينز على أرنسية غرفة النوم.

طمعك وزلجلك

عممة ناعمة بيضاء

نتنظر لكي توقظني

كالقطعة التي تموء لقم

خلا وجهه من التعبير.

على نهر موزل (٢)

On The Mosel

الليل، في مدينة على النهر

يتلاحق مرور القطارات

الرابعة صباحاً، مستيقظ أنا

أفتح النافذة

لصوت السيارات العابرة.

نجم وحيد يمكن رؤيته

من النافذة الضيقة

أفكر فيك

«في خطابك، كتابة تشبه عينيكي

في زرقته، وفي جمالها

أستدير وأنظر مرة أخرى إلى الفضاء

الفجر الكاذب

يسبغ باللون الرمادي

حواف السماء الألمانية

هناك قطٌ يعبر في اتجاه النهر
ريما يكون باحثاً عن حبيبته
أسرع أيها القط .
إني أسمع همس العجلات
لا تترك حبيبتك وحيدة

دايان جلاتسي (١٩٤١ -)

ولدت في كانساس عام ١٩٤١، أبوها من الهندو الحمر من قبيلة شيروكي؛ سكان أمريكا الأصليين؛ هاجر من أجل العمل إلى مدينة كانساس في ولاية ميسوري، حيث درست دايان جلاتسي في جامعتها، وتخرجت عام ١٩٦٤، ثم تزوجت في العام نفسه، وأنجبت طفليْن، ثم طلقت عام ١٩٨٣.

حصلت على ماجستير من جامعة أيوا عام ١٩٨٨، وتعمل حالياً أستاذة للأدب الإنجليزي في كلية ماكالمستر. حصلت على جوائز أدبية عن إبداعها في الشعر والرواية، ومن بين إصداراتها :

عمر واحد في حلم ١٩٨٦ (شعر)

قرآن ١٩٨٨ (شعر)

امراة حديدية ١٩٨٠ (شعر)

وقد فاز ديوان «امراة حديدية» بجائزة «كابريكورن» عام ١٩٩٠، ويقول الناقد مارفن بل عن دايان جلاتسي في هذا الديوان الذي يضم ٥٨ قصيدة : «إنها تتميز بالبصيرة النافذة في مشاهداتها، وإنها كاتبة وقطة تسيطر على لغتها». أما القصيدة، التي تحمل هذا العنوان، فقد استلهمت الشاعرة من تمثال امرأة من الحديد شاهدته في معرض للفنون التشكيلية، كما استلهمت الاسم للمؤنث «تونتأ»، من «تونتو» وهو اسم طفل هندي كان يقوم بدور البطل في مسلسل للأطفال شاهدته الشاعرة في طفولتها، وكان تونتو يؤدي دور الطفل الطيب الشجاع المحبوب.

امراة حديدية - Iron Woman

أعرف أنني جلت من مكان مختلف

قصّة مزقها مقص

قد أجد قطعة من الصدا في الصباح

أو شكلا في حقل خلال شبرة

قد أسمع لغة مكسورة

كان امرأة تحدثتها

تعمل على طائر على رأسها

قطع طويلة من الحديد لمعونة لتسجها الصوفي الأبيض
تلبس قناع بعوضة
غصين مقوس للأنف .
أسنانها مخيطة مما بخيوط بيضاء متلاصقة
اسمع صوتها المنديل
من على الطائر فوق رأسها .

لقد عاشت ذات يوم في كومة من الأطراف والأغصان المتساقطة

منقولة في عربة إلى الحقل لتحرق عقب عاصلة للجنة .

يزتفع صوتها في قافلة من الدخان

ويختلط بصوتي في الهواء .

الأمر يستغرق هدية كي تتحدث مع هذين الصوتين

ملهما يستغرق هدية لكي تمشي على قدمين اثنتين

تذهب كل واحدة منهما في طريق آخر .

تونتأ - Tonta

ها أنت الآن

تتظنرين داخل نفسك

وتشعرين بجبل

يلبس الآخر

حياتك كلها

أرض مفصلة

عن نفسها

بقايا شهر

من العزلة

لكن بعد الألم

هدية من الدخان

وصال

يجعل للمرج المسطح ينحني

وفي مكان ما بعيدا

في خاتمة السطاف

قد تعرفين شيئا

للذاكرة

التي تحبها

للرغبة في أن تكوني الأولى

فى الممشى
لكنك تقبلين
باقة الورود البسيطة
عارفة أنك مهدين
طريقاً
ليس للأجبال
لكه يبدأ الآن فقط
مدينتنا من روحك

فتاة هندية أضرتها الشعائر

Indian Girl Bored With Ceremonies

إنها تقرأ فى الشمس،
ركبتاها مضمومتان إلى صدرها،
بيلما للرجال يلعبون ستيكبول،
وضربون السمكة الخشبية على عامود،
يقطع صغيرة من الصخر.
تبار غير مزلى يتحرك أمام عينيها،
كانها ترقب السمك.
مزارع السلام،
صلوات ورقص.
يطلع القمر فى قطبه،
هيهات لا سبيل.
تلقى كتابها،
فى النار السحرية،

صوت أجش كالنباح من زنود الشجر المشتعلة،
يحدث شرراً لشخص مضطرب على الأرض المقدسة.
تأجج النار يشبه حركة الأرانب.

الكلمات التى دخلت رأسها،
مازلت تسبح أمام عينيها حينما تنام.
طوال الليل تعلم،
حتى تصيقط،
متشبلة بقطعة صغيرة من الصخر فى يدها.

هندي كفيف

Blind Indian

فمه المشتعل
يطلق بالرؤى
يلسق بالسقف الصدا
فى الشتاء تلج أرجوانية تنهمر
نافذة خضراء نائكة من سقف مائل
قمة مبعدة
حيث ينبت دخان المدخن
وردة سوانه

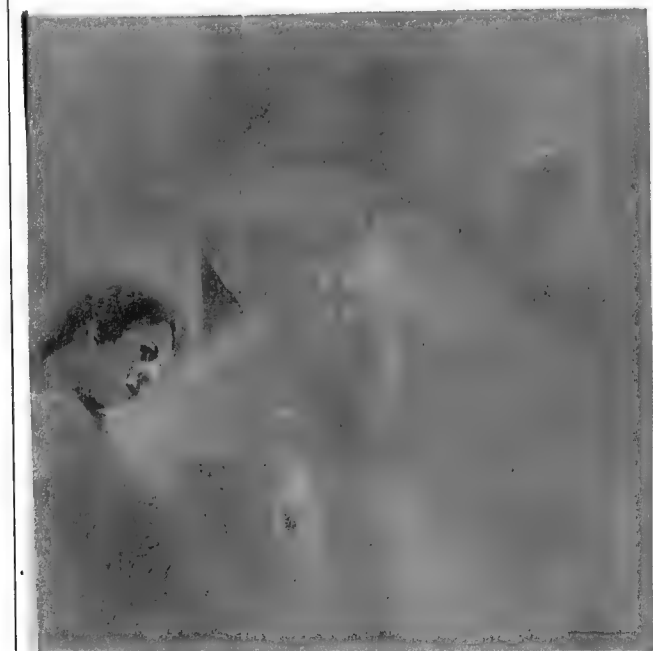
المواش

(١) روميلشتيلتسكين Rumpelstilzkin

بطل إحدى القصص فى الفولكلور الألماني، وهو قزم علم
أبنة الخباز كيف تحول القش إلى ذهب، حتى أصبحت زوجة
للملك، وقد ابتدع شخصية روميلشتيلتسكين الكاتبان الألمانيان
الشقيقان :

يا كوب جريم (١٧٨٥ - ١٨٦٣) وفيلهم جريم (١٧٨٦ -
١٨٥٩) اللذان اشتهرا بأعمالهما فى الفولكلور وفقه اللغة،
واشتهرا فى إنجلترا بقصصهم الخيالية للأطفال التى ترجمت
إلى الإنجليزية عام ١٨٢٣.

(٢) Mosel نهر فى ألمانيا الغربية ينبع من فرنسا ويلكم
مع نهر الراين عند مدينة كولنز، طوله ٣٢٠ ميلاً.





يوم سعيد من أيام أغسطس تسلسل وليامز

ترجمة شوقي فهديم

ولد تومس وليامز (توماس لانوين وليامز) في كولومبياس بالميسيسي عام 1911 وهاجس حياته الأولى هناك وفي سانت لويس تلقى تعليمه الجامعي في جامعة الميسيسي ولكنه كان يطمح لأسباب مالية، ثم نال أخيراً شهادته الجامعية من جامعة ألبا.

بدأ ككاتب في نشر الشعر وهو حدث صغير أثناء اشتغاله بأعمال مختلفة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قصود من مسرحياته في التلفزيون والسينما والباليه - ومنها على سبيل المثال «عربة اسمها الرغبة» (التي فازت بجائزة بولتز، وجائزة نقاد الدراما) و«سيف وداخن» و«ليلة السحلية» و«قطعة فوق رب من الصفيح الساخن» (التي فازت أيضاً بجائزة بولتز وجائزة نقاد الدراما).

فبدأ ليوم يدرج من الكدر على الإفطار في الحقيقة بدأ بخطأ قبل الإفطار حين دسّت هورني رأسها في الحجرة المضيئة التي تستخدمها للسنودين كغرفة نوم لهذا الشهر وللشهر التالي، وقد زعقت هورني فيها «يوم سعيد، العاشر من أغسطس ! ثم سميت رأسها وأغلقت الباب بشدة فألقت نوم السنودين الذي كان في أحسن الأحوال نوما خفيفاً وعسراً والذي لم يكن، في بعض الأحوال يعد نوما بالمرّة.

كانت المشكلة أن هورني، بعد تسامح طويل بين السنودين، قد أخذت لنفسها حجرة النوم الرئيسية المكيفة للهواء لشهرى أغسطس وبمجرد على أن تأخذها للسنودين باقي شهور السنة. ظاهرياً قد يبدو هذا الترتيب أكثر من عادل بالنسبة للسنودين. فقد تم هذا الاتفاق سلمياً بين السنودين حين استأجرتا الشقة منذ عشر سنوات، ولكن الأمور التي تنفق عليها سلمياً منذ سنوات سمحت قد تصبح بمرور الزمن مثار متيق لأحد الطرفين، وهكذا فإن للسنودين وهي تمديد النظر في هذا الاتفاق بدأت تفكر في أن هورني بت ليويوريك مولدا ونشأة، لاد كانت تعرف أنها سوف تصنع بتكيف الهواء خلال أيام الصيف شديدة الحرارة. ولكن، والحق يقال، لو أن السنودين شعنت ذكورتها، فإن هورني قد صرحت بأن أغسطس هو أكثر الشهور حرارة في منهاتن وأن سيمبر يميل إلى البرودة وأنها، هورني، قد تكترت للسنودين بأن لديها (لدى السنودين) المقر الصيفي لأهمها في شادر وجاد، وتسطيع أن تزورها وقتما تشاء وتكرتها هورني أيضاً أنها لوست مطالبة بأن تصيغف مبكراً في الصيف أو في أي فصل، حيث إنها تعمل لمسائها، مهما قل هذا العمل أو كثر، كمستشارة في علم الأنساب، متخصصة في هذا المجال، بينما هي، هورني، مضطرة للالتزام بمواعيد مكتب محددة.

خلال هذا التفكير، كانت السنودين قد نهضت وذهبت إلى الحمام وكانت الآن على وشك الظهور وقد اكتمى وجهها وبقار يندر والبشر وهي تدخل إلى غرفة المعيشة في نهاية شقتها لتبدي من الحجر الأسود بالدرج الخامس في الشارع الواحد والسكنين الشرقي،

كانت السنودين تعرف أنها تبدو على ما يرام بعد أن نظرت في المرأة. لم تكن سدرات وأرأسه العمر، تقرب منها غلصة هذا الصيف ولكنها كانت تدهمها بعنف مظما زعقت هورني فيها في العاشر من أغسطس.

«ما هو هذا العاشر من أغسطس ؟ هكذا وجهت سؤالها إلى هورني بلهجة مخادعة عن صمد وهي تدلف إلى غرفة المعيشة لتناول القهوة.

شمكت هورني شمكة خافرة وقالت: «العاشر من أغسطس هو العاشر من أغسطس».

«إن ليس هناك سبب على الإطلاق يدعوك لإيقاظي في مثل هذه الساعة ؟»

«لقد أيقظتك مبكراً لأن دكتور شوابير قد غجر موعد جلسته اليوم إلى الساعة الخامسة لكي يلاحظ حالته الذهنية في الصباح».

«حسن، إنه لن يلاحظ حالتي هذا الصباح بعد ثلاث ليال متواصل من الأرق».

«ألا تتعدين أنه يجب أن يلاحظ ككتاب الصباح لديك ؟»

«إن أكتتاب الصباح عندي يرجع فقط إلى الأرق المستورد وليس إلى أي من المشاكل التي أبحثها مع شوابير، وليست على استعداد لأن أدفع له دولاراً واحداً لكي أجلس على تلك الأريكة وأنا منهكة أشد الإتهام وأعظم له بضع كلمات».

«ربما تقصدين على التسلط بعض الملاحظات وأنت على الكعبة. وأنت تعرفين بأن السنودين أنني مقتنعة شاماً بأن تلكه وتورثك الذي إزداد سوءاً هذا الصيف هورد فعل لا شعوري للإهانات الفرديّة. إنك من مورايد برج العمل بأعز زنتي، ومورايد برج العمل، وخاصة عدد ارتفاع برج الجدوى لا يتكلم الاستفادة إلا من بولج».

أعنى أنه بالنسبة لمورايد برج العمل قليل أهمهم سرى بولج أولاً شيء».

أحسنت السنودين بالعصب يغلي في صدرها ولكنها فكرت أنه من الأوفق وهي منهكة بهذا الشكل، أن تكيده، لذلك حوت الموضوع إلى الجبغاء «لوريتا»، وقد لاحظت أن لوريتا ليست بداخل القصر».

يوم سعيد من أيام أغسطس

«أين صنعت لوريثا؟»

سألت وحدة كما لو أنها خشيت أن تكون صديقتها قد قطعت رأس الطائر وألقت به في سلة المهملات.

ردت هورني بسرعة.

«لوريثا تقوم بجولاتها.»

«لا أظن أنك يجب على لوريثا أن تقوم بجولاتها حتى تذهبى إلى مكتبك، خاصة وأنت تتمرّكين في الشقة بسرعة في الصباح ومن المحتمل أن تصحبها تحت قدميك.»

«إني أتحرّك بسرعة ولكنى لست عمياء يا عزيزتى، وحتى أى حال فإن لوريثا قد ذهبت لدش في قصرها الصيفى.»

كان قصر لوريثا قصرا فسيحا وأيقا وضع لها في الشرفة الصغيرة، وكانت جالسة فيه.

قالت للفتى حزن:

«يومًا ما سيكتشف هذا الطائر أنه يستطيع الفرار حيثك الدراع والورثا!»

«إنك مفعمة بالذبولات الفجعة هذا الصباح. أراهن أن دكتور شوابير المصور سوف يربح أشياء جديدة.»

كانت المرأتان ترششان القهوة في هذه اللحظة، جبا إلى جيب على الكبة السفلى بالساتان في مواجهة التلفزيون والشرقة.

كان مشهدا سارا وأنت ترى من الشرفة قدرا هائلا من نباتات الزينة أكثر مما تراه عادة في مهبان خارج المتجر. كان التلفزيون مضاء. وكان أحد الممثلين عن الصحة العامة يتحدث عن ازدياد الإصابات بمرض شال الأطفال في نيسويرك هذا الصيف.

قالت هورني:

«مضى تذهيب لتأخذنى حقة شال الأطفال؟»

فأعلنت للفتى أنها قررت عدم أخذ حقن شال الأطفال هذا الصيف.

«هل أنت مجرّنة؟»

«لا. ولكنى فوق الأربعين فمضب.»

«ومعلقة ذلك؟»

«إلى خارج منطقة الخطر.»

«هذه نظرية خطيرة. قال الرجل إنه ليس هناك من معددة لشال الأطفال هذه الأيام.»

«هورنى، إذا كنت تأخذون أى حقن أو أدواص في حياتك فسيب غاية في الغرابة ليس لأهلك مرضية من المرض أو للقاء، ولكن لأن لديك رغبة لا شعورية في الموت وتضرب ناهاما بالذنب فتحاولين باستمرار إقناع نفسك بأنه تغلبين كل ممكن للحلأ على صحتك وإطالة حياتك.»

كانتا تتحدثان بهونه، ولكن دون أن تتبادلا النظر أثناء الحديث، وهذا لم يكن علامة طيبة للبرع المعاصر من أغسطين ولا لازدهار الصداقة.

ردت هورني:

«دم هذا سبب غريب حقًا .. غريب جدًا لماذا تكون لدى الرغبة في الموت ؟؟»

أصبح صوتها خفيًا ومزمنًا.

«مساهم أس، يا هورنى، ظهرت، أنت إلى المدينة من الشرفة وقتل ديا إلهي بالعدد الهائل من شراذم القبور، وألها من مدينة الموتى تسطح بالأضواء أكبر شراذم للقبور في أكبر مدينة للموتى، لقد ذكرت هذه الملاحظة للدكتور شوابير وأخبرته أنها أصابتنى بالرعب، فقال لى «إنك تمشين، إنك تقصين حياتك مع فتاة مريضة للتأية .. أن ترى هنسة عظيمة في مدينة عظيمة وتسمى هذا شراذم قبور في مدينة الموتى.»

قبحا عرض من أمراض اضطراب عقلى عميق، أصمق من اضطرابك، ورغم طمى بمدى تقديره لهذه الصداقة إلا أن على أن أحذر من تمرير نفسك باستمرار لهذه الدرجة من العدمية والرغبة في الموت مع ما يذبله من مجهود للخروج من الظل. أستطيع أن أشجك على الاستمرار في هذه العلاقة بخرط واحد هو أن تأتى هذه المريضة لتطلى العلاج النفسى أيضا. لكنى أشك في أنها سوف تفعل ذلك، حيث إنها لا ترغب في

المسعود، إنها تريد التحرك في الاتجاه المعاند. وقال: وهذا يضمن تمامًا ما قلته لى عن اختيارها لأصدقائها الحاليين.»

خيم الصمت عليهما لحظات إلى أن قالت هورنى:

«هل تعتقدين أنى عقبة في تحليلك النفسى ؟ لأنت إذا كنت تعتقدين ذلك فأنى أريد أن أؤكد لك أن العقبة سوف تزول لنسها بكل سرور.»

قالت للفتى:

«إن شوابير مهم أساسا بدائرة أصدكالك للجدد لأنه يعتقد أنهم مدمرون بطبيعتهم.»

«حسن. إنه لم يقابلهم وأظن أنه ملتهى الرقاقة أن يحكم شخص على جماعة من الناس من شخصيات مختلفة دون اتصال شخصى مباشر. بالطبع ليس لدى فكرة عن القصص التى زودت بها دكتور شوابير عن أصدكالكى»

قالت للفتى بلهجة تنذر بالشر.

«فى التحليل النفسى العميق يجب ألا تكتبى أى شيء.»

«ولكن هذا لا يعنى أن مانتكتبه هو صادق والمشرورة، أليس كذلك؟ من الواضح أنه لم تكونى تعلمين ما تقولين حين ذكرت لى أنك تعلمين حاجتى لذكارة أصدكالك قتلين طالما لست مقبولة لدى أصدكالك أنت.»

أجابت للفتى بأف:

«ليس لدى دائرة أصدكالك إلا إذا كنت تصدين شلة الزلاء القدامى من خربى كلية «سانت لورين» الذين تذاونت معهم اللشاء منذ شهر، وإذرا ما أصدوهم هنا للشاء والبريد، وهى مناسبات أصدوك إليها دائما، بل وأج على دصرتك ولكنك لا تصغرين، اللهم فيما عدا مرة واحدة.»

«آه تم، لقد قلت أنت منذ أيام إنك لا تحبين أى خطأ فى أن يكون لكل منا أصدقاؤه الخصوميين. بل إنك قلت إن هذا أكثر صحة لكلينا من الناحية السيكلوجية. لقد قلت، لو حاولت التذكر، إن هذا يخلف للصوت بينما حين يكون لكل منا دأرتها الاجتماعية الصغيرة، ولما كانت دائرتى كريمة لديك، فليس بوسى إلا أن أقول لك.»

تقرانين في ماذا ؟

إنك لم تقابلهم ، لقد تصبصت لأشراكك كالقنفذ وبانت مشاعر العداء في وجهك في المرة الوحيدة التي شرفتهم فيها بحضورك ، المرة الوحيدة التي قابلتهم فيها بدلا من هرويك إلى شلة خريجي سانت لورنس .

رآن الصمت مرة أخرى على الحوار الدائر بينهما . وتحدثت كلاما وارثفت بعض القهوة ولم تتبدلا النظرات ، وارتمش الهواه الدافئ فيما بينهما . حتى البقاء لريتنا ، بدأ أنها أحست بالأزمة المزمنة فكانت تصدر أصواتا مكتومة وقلبا من الأصوات الموسيقية من قصرها الصيفي ، كما لو كانت تريد أن تشر السلام بين المستدين المتحسين .

قالت هورلي مسألقة المديث بينهما :

- تقرانين إن لدى رغبة في الموت ، أمثلك تضمنين الحذاء في القدم الخطأ يا عزيزتي .

إلى أتجه نحو توسيع وإثراء علاقتي بالحياة ، أما أنت فيسيطر عليك موت أمك الطبي ، كما لو أنك تصمدبها عليه . إنك تكهرين ماضيه ، دائرة الهيجوز القرويين ، من أسدقائي لأن لديهم حيوية ثقافية ولأنهم مقبولون على الحياة كمرتين أنفسهم لكي يحسروا ، هنا وهنا ، وهذا . (وأصمت رأسها وصدرها أسفل بطنها مع كل كلمة هنا ،)

أوه ، وكل هذه الصورة المتتوعة سوف تتلجر الليلة هنا مرة أخرى ، أليس كذلك يا هورلي ؟

- إن الجو الاجتماعي سيكون أكثر حياة مما سوف تجدينه في «شادرجلاد» ، ولكن الشيء الوحيد الذي يقل حياة عن أمك هو الجو الاجتماعي في شلة أسدقائك الصنائب خريجي سانت لورنس ، إلفستون ، لماذا لا تأتين الليلة معنا ، بدلا من الذهاب إلى أمك ، تأتين بروح مخفلة عن تلك التي جئت بها من قبل . أتعني أن تكثري رقيقة ، طوبعية ، صديقة بدلا من أن تتسحق للهو بالكراتية والشكر وحينئذ سوف يفهموك أكثر قليلا وأنت سوف تفهمين مدى الشغف والإثارة التي أحس بها في اتصالتي بهجامة لديها بعض الحيوية الثقافية .

- هل تريدان القول بأن خروجي سانت لورنس فاقو الحيوية وأغبياء ؟

لم تكن أفكر في خريجي لورنس إنني لا أعني شيئا بالنسبة لهم كما إنهم لا يعنون شيئا بالنسبة لي .

على أي حال (واصلت هورلي حديثها مستجمعة قوتها) أخص أنه أمر مخيف ومضحك أن نتباهي بشيء داصر ونجمل منه أمرا جديلا ، أعني الاتكاح والتخرج في معهد الادعاء والأفالة هذا ..!

- حسن ، يا هورلي ، إذا كان لا بد أن تعزفي الحقيقة ، فإن بعض اللصونات أصابهن الاضطراب بسبب اللالا كرويا التي لديك .

- لا .. ماذا ؟

- لا لا كرويا هي الاصطلاح للسكاتري للارغبة القبرية لاستخدام لغة تصمص المستمعين ، ذرن مراعاة للجو المناسب .

- إذا كنت قد صدمت السدوات . وقالت هورلي عند هذه الجملة التي لم تكملها لأن حركتها كانت عنيفة حتى إنها سكبت بعض القهوة على غطاء الكتبة الساتان . صاحت هورلي بروحبة حين حدث ذلك ، وقد أمثلت بصيحتها تلك مخزنا من التوترات التي تراكمت خلال هذه البداية السوداء لليوم العاشر من أغسطس ، وإفطلقت كالرصاصة صوب المبلط لتحمض خرقه مبللة ، ثم اندفعت إلى الكتبة لتصح بقمة القهوة .

قالت إلفستون في لهجة أسي :

- الآن فهمت لماذا هلكت قطعة الأثاث هذه . إنك تدعين هذا الغطاء الساتان ، الذي صنع من رداء جدتي ، بخرقة مبللة كلما سكبت شيئا عليه ، وهو ما تفعلينه بانتظام غريب بسبب كراميتك ...

- مبدئيا ، نعم !

هكذا قالت هورلي وقد سمعت فقط أول كلمة من اتهام إلفستون وأبكت :

- لم أمر عليه بصد ذلك ، بالمعنى السحري .

- ما هو «المعنى السحري»

أجابت هورلي بنظرات خاطفة وأنفاس متلاحقة بفيل التوتر والانفجار «المعنى السحري» هو مختلف معجزة يطن عنه جرلي كارسون في برنامج «استعراض الليلة» في التلفزيون .

قالت إلفستون :

أرى أنك مجتونة حسن سوف أرسل هذه الكتبة لتغطي بقماف في لون القهوة طبعا ليس لدى ما أفضل لحماية حاجياتي من الصميدى والأواني الزجاجية من الفوضى والدمار التي تهددها هذه الليلة ! إن تعظم الخذف الوجود واليابس فلا بد الذي أمثلك هو ثمن صديق يدفع لتجديدك الثقافي خلال الشهور القلائل الباقية ، إذا كانت ستة شهور قليلة ! لا أستطيع أن أرى المستقبل ، ولكن لم يكن هذا المكان مجزرا في

- لماذا لا تصنعين خزفك اللعين وبفيلاندك اللعين في المخزن ، من يريد أو يحنك إلى أشياكك الليلة ...

قالت إلفستون وفي صوتها نغمة تحذير :

- هورلي .

فأجابت هورلي بمقاطع لفظية داصرة اعتادت استخدامها في كلامها في الفترة الأخيرة .

- يا إلهي ، وإلفستون ، ولكني أصي ذلك قرأنا نقسم شقة صغيرة حيث تعتل الأثاث القمصنة لأشركم معظم المكان ، الأثاث القمصنة مثل خزانة الزنود وكريستال وفستيك وعليها شعار أمك ، كل شيء بعض أمك أو أم أمك موجود هنا حتى إنني أحس كمن يحس أرضا بغير بحق في خريجة أسركم ، وآه وإلهي من رؤسوك الكتب ! تصورني ارتباكيا حين يقوم أساندة الأدب والنسفة بنقص الكتب الموجودة فوق هذه الأرفف ولا يرون غير هذه الكومة من كتب علم الأنساب وسيظنون أنني أنا التي أخفرتها للقراءة : «أبرز عائلات الجنوب» ، المجلد الأول ، «أبرز عائلات الجنوب» ، المجلد الثاني ، كتب من الدرع ترتفع حتى السقف وتقل حتى سجادك الأوسن رافيا رافيا .

- هورلي ، أعتقد أنك تعرفين أنني مستشارة «محترفة في علم الأنساب ويجب أن يكون لدى مراجعي وأن أحمل في هذه الفترة !

- هل من ، كنت أظن أنك حفظتها في عقلك طوال هذا الوقت ! من هو «المحافظ» دنویدی ، الطرقي التائه وأى قبيلة سلخت رأس الأتمة إلفستون ، ومن هي عائلة

يوم سعيد من أيام أغسطس

- هورني ! ليس هناك مايشين في تاريخ
الأسر للعرقه !

- حسن ، إن تاريخ أسرتك يا للفنستون ،
وشعارات أسرتك قد جعلوا هذه الشقة مكانا
يعتذر النفاق عنه ولا أستطيع الميخ فيه !
إني ذاهبة للمحجز في فندق شيلزى لملطة
لهاية الأسبوع وسوف ترافين فيما بعد أين
لكنني لتسوية حساباتنا رديف تعريض لي عن
نصف الإيجار الذي دفعته في هذا الحرم
القدس حرم الفنستون !

خبطت هورني باب غرفة النوم الكبيرة
وحين أصاغت للفنستون السمع سمعت
رفيقها المعجبة تهرلك في الغرفة وهي جد
مشغولة . كان لمة حركة دالبة عدة دقائق أو
نحو ذلك وفيل أن تتركها هورني محررتها ،
قامت للفنستون عن الكلبة وذهبت إلى غرفة
النوم الكبيرة لتستطلع الأسر ، اكتشفت
الفنستون أن هورني قد جمعت بعض
الماجبات في حقيبة جلدية وكسرت السمسة
التي تقفها ، وارتكت أدوات التلوينات خارج
الحقيبة ، حتى فرشاء الأسنان ، وهكذا تأكدت
الفنستون أن هذه الحقيبة ليست إلا واحدة من
حركات هورني الطوفولية .

في ظهر يوم الماشر من أغسطس اتصلت
الفنستون بتليفونيا بقسم الأبحاث في السمجة
القمية لتسجل الأحداث الاجتماعية حيث
تعمل هورني وجاءت هورني على السماعة .
كان الصرنا ملغمون بالغمز وخائفين
حتى إن كلا منهما كانت تطلب من الأخرى
أن تكرر بعض الكلمات التي قبلت في
المحادثة التليفونية بينهما . كانت المحادثة
رقيقة ومهذبة كان الموضوع الوحيد الذي
أثار الخلاف بينهما في هذه المحادثة
موضوع حقن شلل الأطفال . قالت للفنستون
يعازريتي إذا كان هذا الموضوع بريعه
فسرف أذهب لأخذ حقنة شلل الأطفال ، ران

سمعت قصور وبدأ للتأثير في صوت هورني
وهي ترد على رفيقها .

- تعريقن يعازريتي الرعب الذي أحسه
تجاه شلل الأطفال منذ أن هاجم ابن صمي
الفس الذي مازال أسير الرقة الحديدية ، ولا
تظهر إلا رأسه ، مثل رأس ميت ، يعازريتي ،
وعيداه الزرقارون آه وبالإلهي حين أنظر فيهما
وهو يحارل أن يمسس لي ، آه وبالإلهي من تلك
الظنرة !

عند هذه النقطة بدلت كل منهما في
البكاء وجاهدت كل منهما لكي تغمم بكلمة
«دعاه» ..

ولكن في الساعة الرابعة من ظهر ذلك
اليوم الحار من أغسطس كان شمة تفيوير
مفاجئ في مزاج الفنستون . ولما كانت على
موعد مع محلها للشمي فقد روت له بدقة
عجوبة تفاصيل المحادثة التي دارت مع
هورني في الصباح .

سألها المحلل بحزن .. متى تتعطين ..
حين ينتهي الأمر ؟

لهض من كرسيه خلف الكلبة التي
تمددت فرقاها للفنستون مسكة يديها متدبل
كلكن لتسبح أنلها ، كاد يدهي الجلسة بعد
خمس وعشرين دقيقة فقط ، وبذلك يكرن قد
غش الفنستون وسرق نصف ما دفعته للجلسة .

بحركة تكبير الفيوظ فتح الباب للفنستون
لكي تخرج . خرجت إلى الشارع وهي تكبي
في هذا التقيظ . قالت لنفسها «لا شيء ، لا شيء»
كانت تحي أنه ليس لديها شيء تقفه ولكنها
حين ذهبت إلى البيت شكلتها روح عذرائية
دخلت حجرة النوم الكبيرة وجمعت باقي
حاجيات هورني بدقة شديدة ، وبسرعة شديدة
وضعت الربطات الأربع عند باب الغرفة ثم
ذهبت إلى غرفتها وملأت حقيبة بالماجبات
التي تازم عطلة نهاية الأسبوع ، ثم ذهبت إلى
محطة جراند سنترال لحاخذ التفتار إلى
لشادوجلاذ حيث قررت البقاء هناك حتى
تتخذ هورني الخطوة الأساسية وتخلي للشقة
بلامشاكل .

حين وصلت للفنستون إلى أمها وجنتها
تعالتي مرة أخرى من أزمة الربو ومعها
المرمرضة . لم تستطع أن تروى أي شيء
تواجهها فيما عدا ذلك التفكير المخجل عن

وصية أمها الأخيرة . هل تنهب الأملاك كلها
إلى الأخت المتزوجة وأطفالها الثلاثة أم تحدل
ماما وتتركه أن للفنستون هي التي تستحق
فعل الدعم المالي في السنوات القادمة أم هل
تذهب هذه الأملاك (أره يا إلهي) إلى كنيسة
المعرفة ، وشباطها التيشيري في نيويورك ،
وهي محل اهتمام ماما في سنواتها الأخيرة .
كانت الفنستون تعاني من هذا الهم الكبير ،
وحين غقت أزمة ماما وخرجت من السرير
وبدأت تتحدث عن عقيدة كنيسة المعرفة مرة
أخرى ، استراحت الفنستون وقالت لأما فجأة
إنه من الأحسن لها ، أي للفنستون ، أن تعود
إلى نيويورك حيث إنها تركت الشقة دون أن
مخير غقت أزمة ماما وخرجت من السرير
تخبر هورني ، وهو أمر لا يصح أن تقفه مع
فناة عصبية مثل هورني .

قالت الأم شاكبة :

أنا لأفهم هذه الأمور التي لا تنتهي مع
هورني ، هورني ، بحق الشيطان سامي
هورني ؟ لا أسمع منك شيئا سوى هورني
طيلة عشر سنوات ، أين لهورني هذه اسم
مسيحية لتاذلي به ، أره يا إلهي ، لمة شيء
غريب فيها ، طالما فكرت في ذلك . ماذا
يعني ذلك ؟ لا أدري ماذا أفعل !

- أره ماما ، ليس هناك ما تحبيلينه . إننا
امرأتان غير متزوجتين ، حاملتان ، ونحاطب
بعصدا باسم الأسرة . هذا تقليد بين النساء
العائلات في مانهاتن ، هذا كل شيء
ياأمي...

- أره ... لا أعرف ...

وسددت الأم نظرة إلى الفنستون ولكنها
حولت الكلام عن موضوع هورني وطلبت
من المرمرضة مساعدتها للجلوس على
«التسرية» .

ثم دخلت الأم أزمة ربو أخرى خطيرة
وأصبحت الآن على وشك الفرج منها بعد
الإسعافات وقدمت لها الفنستون سدوتل
جبهة ما كانت قد أعنته لشاء .

ثم تحصنت الأم أكثر واطمأنت حين
سرف الطبيب المرمرضة .

«لا بد أن الطبيب يرى الذي حدثت» .

قالت الفنستون : نعم يا ماما كان وجهه
أزرق حين دخلت إلى هنا والآن يعود إلى
لونه الطبيعي .
- أزرق ؟

- نعم يا ماما ، أرجواي . إنها حالة
يسمونها سيانوس .
- أوه يا إلهي ، ما ذا تصنعها ؟

ولما لاحظت الفلستون أن استخدام هذه
المصطلحات الطبية يتعب الأم مرة أخرى
أخذت تغير الموضوع وتحدث عن الربوب
الذي ترتديه أمها ، وأن لون وجهها قد تحسن
وتكرت ماما أنها أهدت إليها هذا الربوب مع
زوجين من الجوارب المشغولة وغطاء صرف
مشغول لزجاجة الماء الساخن بمناسبة عيد
ميلاد ماما الخامس والعاشر .

بعد فترة صمت قصيرة لم تستطع
الفلستون أن تكتم الكلام الذي يدور في
رأسها فقلت لها إن أهدتها الأخرى ،
المنزوجة فويلت تهاملت ماما عيد ميلادها
(الأم) ، وكذلك الأطفال (تجاهلوا هذا المولد) ،
تفاري ، وكلم ، وأبرووس ..

ولكن ماما لم تكن متعبه فقد بدأ مفعل
السكن ويظهر الآن وبدأ صرخها يرتفع ويهبط
بهدهر مما ذكر الفلستون بصحبة المحيط في
أعقاب إصعاص استراي عثيف .

«فريب أن تظل تقايوم مسير بلاك»
هكذا قالت الفلستون لنفسها (ومستريلاك
- أي السيد الأسود - هو الاسم الخاص الذي
تطلقه الفلستون على حامد الأرواح) .

- لاسي ، هل جاء المصامي لزيارة
ماما ؟

كانت مديرية البيت المحجور قد أصدت
بعض الشراب من الأرواح الساخن لالفلستون
وأعطتها مواعيد قطارات الصباح إلى
منهاتن .

أحسست الفلستون ، وهي تحسني
الشراب بثقة في مديرية البيت المحجور التي
توافق ماما . لقد ظنت في بعض الأوقات أن
لدى لاسي نوايا خفية للبناء بعد ماما بهذا
تتال حصنًا من أملاك ماما ، بيد أنه الآن ،
هذه الليلة ، بات واضحا لالفلستون أن المديرية
المحجور تسمه الحظ وأن تصيل لثرى وفاة ماما
- إنها مصابة بداء الربر أيضا ، وكذلك بالتغاب
المفاصل الروماتيزمي مع ترسبات الكالسيوم
على العمود الفقاري حتى إنها تصير متحنية ،
الحق أن حالتها المرضية صدمت الفلستون
إذا إنها أسرا من حالة ماما رغم أنها ، لاسي ،
ما زالت تعمل وتحرك بأمراسها ، متشبثة

هذا التثبث الحيواني بالوجود ، وهو مالم تكن
الفلستون تحترمه لاني ماما ولا في المديرية
المحجور - لا تستطيع أن تصمد إلى الأبد
وهكذا مهست الفلستون بصوت نصف
مموع .

تساءلت للمديرية :

- ما ذا يا آنسة ؟

قالت إن ماما ما زالت تسيطر عليها
كنيسة الصعرة رغم أن هذه الكنيسة لم تفرج
من نيوزلاند حيث تأسست قبل ستة من
خلاص ماما حين زارت أوكلاند مع بابا بعد
فشل في التهرؤن إثر نزع اسمه من سجل
رجال الأعمال لثقلته عن النفع عام ١٩١٢ .

- ما ذا ؟

- تاكسي ! لطبي ! تاكسي !

- أوه ..

- نعم ، لقد قررت ألا أنتظر قطار الصباح
إلى منهاتن بل الصودة الآن في تاكسي
سيكون مكافئا ولكنه ...

لم تكمل الجملة التي لو اكتملتها حول
قرارها بأن تفاجئ هورني وسط هزبتها مع
أصحابها من (جامعة نيويورك) وكانت تفكر
بالتأت في الملاحظة التي سترجعها لأستاذ
للغسة ذي للوحة .

سوف تصاله ، لأسباب شخصية بحة ، هل
أنت من أنصار تدمير المرأة ؟

مرت ابتسامة بطولية على وجهها وهي
تهبط السلم إلى المقاصة الأرضية في المقر
الصيفي لماما .

هم م م م ..

أصمت بالازدياح لهذه اللغدة البارعة
حين نست دولارا ورقسي في يد لا سي
المروقة وهي تغادر البيت .
كان للتاكسي أمام البيت .

وحين قال لها (السائق) ، إن الأجرة إلى
منهاتن ستكون حوالي ثمانين دولارا ،
طردت الفلستون السائق بغضب ، ولكنها
استدعته مرة أخرى بصوت كالرعد قبل أن
يجه إلى الطريق الرئيسي ..

فقد فكرت الفلستون أن ثمانين دولارا أقل
من نصف تكاليف جسيمن عدد تكسور
شواير وكانت تشك كثيرا أن يبعثها الصغير
في منهاتن سيظهر إلى الأبد من الأمور

التيطالنية للزعجة التي يقوم بها أستاذ
هورني كما أن ...

«نم ، ستخور هورني في وجهي كطلن
شقي ، ولكننا سنرى ،

حين دلف الفلستون إلى الشقة في
الشارع الحادي والستين في منهاتن ،
وجهت بمشهد يغتلف ماما عما توقعته
طوال الطريق ، لم يكن ثمة أي عريضة ، ولا
أي علامة على الفوضى في مؤسسة هورني
- الفلستون .

هورني ؟ أين هي ؟ أه ، هذا !

كانت هورني نائمة وهي جالسة على
الكنبة . كانت تواجه الصندوق الأبله
(التليفزيون) وكان لا يزال مضاه جبي بعد
التنهاء «استعراض الليلة» بل و أفلام آخر
السهرة ، لم تكن الشاشة سوى حفلة بلهاء من
الضوء بها نقط سرباء ، وكانت أشبه بفيلم
سالب لعاصفة ثلجية في منطقة مهجورة
مصحوبا بصوت زئير خافت ، لماذا يا إلهي
تعب هذه الشاشة المليئة بالثعورية وإلا
شعورية التي دارت في رأس الفلستون طوال
رحلة العودة بالتاكسي ؟ .. بايسوع . تأملت
الفلستون جسد هورني المشعل المتكح وهي
نائمة على الكنبة . كان غليظ هورني
الحفاة مغلظا بمصميتها . وأمامها ، على
مائدة الكوكبيل الصغيرة ، نصف زجاجة من
الويسكي ، «جاك دانييل» بلاك لابل ، وكأس
واحدة . من الواضح أن هورني قد سكوت
لتمام أمام هذا الصندوق الأبله وحيدة تماما ،
تماما ..

كانت الفلستون أمام لغز .

راجعت جهار تسجيل المكالمات
التليفونية بحثا عن الرسائل التي وردت لها
ولهورني أيضا .

كانت الرسالة الوحيدة التي تلقنها
(الفلستون) من أحد خريجي كلية سانت
لورنس يعترض عن موعد غداء . وكانت
الرسالة الوحيدة لهورني أكثر إثارة . كانت
تقول ، في إيجاز صمد الفلستون كضي مهين
: «آسف ، لا يوجد عمل ، ساندو كويشو .
(كان الاسم لذلك الرجل أستاذ الفلسفة ذي
للحبة من رفاق هورني) .

أحسست الفلستون بالعاطف مع هذه
الفئة المتخيلة المهومة للقاء على الكنبة ،

يوم سميد من أيام أغسطس

أجست بالتحاطف يتمثل إلى قلبها دافئا،
هاندا، مثل تأثير الذبيذ. اطفأت جهاز
التليفزيون، هذا الفيلم السالب للعاصفة الثلجية
التيالية في منطقة نائية، فخر للظلام الحجرة
ورن السمست، فيها هذا شهيق هورلى
وهممتها وأحياناً صوت الهدهاء اللائم، التي
لا تزال في قصرها الصيفى فى الشرفة.

قالت للفستون آء، لقد مر من العاشر من
أغسطس، هذا شئ ...

ثم فطت شيئا غريبا، شيئا سوف ترتبك
حين تتذكره، وسوف تخبر به شرايبر يوم
الاثنين أملا فى التنبصر بمعناه العميق الذى
لا بد أن يحمله. لقد جئت على ركبتها أمام
الكنبة وضغطت برق بخدمها على ركبة
هورلى البارزة وأحاطت بذراعها ساقى
هورلى الحبيبتين. فى هذا الوضع رأيت
الشهد الجانبى للمدينة يزحف نحو الصباح
بنفور غير مفهوم يا إلهى لقد أسابت هورلى
بتحليتها على هذه الأبنية المجردة للضخمة
التي تلتشر على طول المدينة وعرضها ،

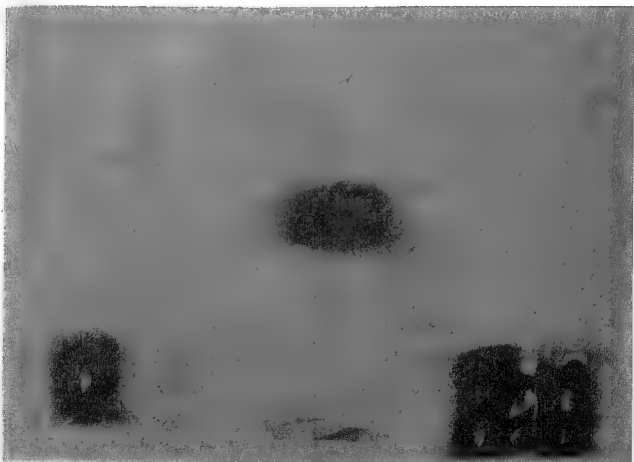
كانت فعلا أشبه بمجموعة من شواهد القبور
المظلمة فى مدينة للموتى.

كان ضوء الصباح غير مبال بالمدينة،
وكان يزحف داخلها وحولها محملا بأكراهية
غير مفهومة. كانت المدينة، وكان الصباح،
بمائق كل منهما الآخر كما لو أنهما مؤجران
لأداء مشهد تمثيلى عن الحب الدافئ، ولكنه
بغض لكليهما.

همست للفستون إلى ركبة هورلى
بصوت كله مواساة:

«يوم سميد، الحادى عشر من أغسطس،
وبعد غد، لاء، غدا، يوم الاثنين، سوف تبدأ
فى أخذ حقن شلل الأطفال رغم غزاعها
الطفرلى من وخز الإبرة.»





قبل شتاءات باردة

عبد المنعم رمضان

سأدخل الغرفة

سوف أحمس بالسقف والجدران

أفتح الشباك كي يظل البحر في مكانه

وكي يظل الساحل البعيد

والبيوت

والأشجار

في مكانها

تفصل بين جلد الماء والسماء

قارب مستوحش يمر قرب فجوة

والتركواز غارق في نفسه

في نفسه

كأنه مسافر للتو

أر كأنه عجيبة أعدها الله ولم تزل ساخنة

أجهز الكرسي

ظهره للحائط الذي يواجه الشباك

ليس يصلح الكرسي

أستجده

أجلس فوق الأرض

في المكان نفسه الذي أصدته من قبل

للكرسي

كان خشب الأرضية اللامع

كان الحائط الذي يسندني

وكانت العنان

أرختهما

أرضيت كل حاجتي إلى سوى

خير أنني سمعت صوت الباب

قلت: إنه تدافع الهواء نحو البحر

إنه احتباسه

سمعت بعده احتكاك نعلين خفيفين

يكاد يشبه الفحيح

قلت: ربما هما حذاؤا الأبيض

بعدها بست خطوات

بسع خطوات

ظننت أن الشرفة التي أمام البحر

الشعر

أصبحت ملونة

هل كان لابد وأن أظل هكذا

سأفتح العيدين

سوف أكفي

هل كان لابد وأن أظل هكذا

رأيت فيما قد يرى للذاتكم

دابة

تغير فوق جسدي

لقلت: إنني أعرفها

إحدى دواب الوقت

خلفها رأيت بهجة نفر

قلت: إنني أعرفها

وخلفها رأيته

كأنني مستوحشٌ يجلس فوق رأسه

أمامه

عجيزة

تظنها آخر حدٍّ من حدود الجوع

تحتها ساقان تشرعان في اقتطافٍ لذتیهما

وتمرحان

كان خشب الأرضية اللامع

كان الحائط الذي يستندني

وكانت العيان

كنت أنترى ألا أضيق

كنت أنترى أن أسأل الله الذي يسبقني

وإن ألومه:

وارب ماذا

هل إذا صنعتني من طينة

وهل إذا ملأته بالحفر

انسدلت فوق غيمتي

تركنتني أصل في الطريق

أحصى دمي

حتى إذا أرضيت كل حاجتي إلى سواي

جلتني بشرقة

أمامها الساحل والبحر

وخلفها الفستان والساقان والعجيزة التي

سألته كأنني خصمان: ما علامتك؟

علامتي وارب أني

أمشي وراء هذا الجسد المسموح أن أشمه

أخذ منه لقمة الإفطار في الإفطار

لقمة العشاء في العشاء

أكتفي به

سألته كأننا خصمان: ما علامتك؟

علامتي هي الذي تزيده مني ولا أريده

سألته كأننا خصمان: ما؟

علامتي هي الخضوع،

سوف أدخل الغرفة

سوف أفتح للشباك كي يظل الساحل البعيد

والبيوت

والأعجاز

في مكانها

تفصل بيت الله عن بيوت شعبه

تفصل بين الله عن

أمرائي أن أنزل النعمة

أن أقودها

وإن أدس طرفها

لكي يكون في التجويف بين الأرضي

والهذاء الأبيض الخفيف

كي يكون قرب الشرفة التي أمام البحر

كانت الساقان تشرعان

كانت اليد التي تعدل الشعر

ثم أن تعدل للفناء

كان ذلك التماس فوق جسمها

وكان لونه

لكذلك احتملتني

وقلت لي:

لا بد أن تكون خارج المشهد

ثم بعدها انصرفت. ■





لوحة للفنان : مدير كتمان

الإبداع الفني استثمار قومي مستقبلي

مصطفى الرزاز

التنمية البشرية وما يترتب عليها من تحضر واستنارة وازدهار ومرونة وملاقاة وأصاله.

إن الاستثمار القومي في الأنشطة الإبداعية يساعد على توليد مهنيين وباعة وأصحاب قرار وخبراء في مختلف المجالات وتسلحون بتلك الصفات المهمة فيمارسون مسؤولياتهم بصورة أفضل سواء كانوا من هرة الفن أو محبيه أو لم يكونوا كذلك.

كما أن رعاية الفنانين الطليعيين الذين يعانون من صعوبة للتواصل مع الجماهير لغرض أعمالهم ذات الطابع التجريبي - لمسؤولية قومية مهمة حتى لا تفرغهم مسؤوليات تفرير الميث من ناحية، أو يجذرا أنفسهم مدفوعين إلى التنازل عن طموحهم الإبداعي لصالح الاقتراب من آليات السوق

مخفية من الوعي والفخيرة، ونوعية غير متأهبة لفتح آفاق الحوار.

ومن ناحية أخرى، فإن النشاط الإبداعي يمثل استثماراً قيمياً له أهميته من حيث خلق مناخ للإبداع والحوار الإبداعي بين الناس بغض النظر عن اهتماماتهم بالنسبة من عدمه... فالتشعوب التي تطوّر بقيمة الإبداع والمبدعين، وتعي جيداً قيمة ذلك في التكوين الإنساني لثقافة المواطن، وانعكاساته على شخصيته وإنتاجه في أي مجال - شعوب طموحة تتقدم وتخطط لمستقبل حضاري لا يعرف التراكيل والغمول.

ذلك يوضح أهمية الاستثمار القومي للنشاط الإبداعي للفنانين في جميع المجالات فهو ليس استثماراً نوعياً - كما يظن البعض - بل هو استثمار قومي يمس كل قطاعات

فالنشاط الإبداعي للفنانين استثمار قومي من النوع الثقيل، بمعنى أن عائدته فيما وراء المنتج الفني، فالرسم والمصور واللحاحات والشاعر والموسيقي والأديب ينتج أعمالاً مبتكرة تأخذ وقتاً طويلاً ليقتبلها الجمهور... مروراً بالمحبوب والرفض حتى يتأهب الذوق العام والثقافة المتطورة لتقبل هذه الثمرات المتجددة، ومن ثم يصبح على الفنانين مواصلة إيقاعهم التجريدي المتواصل ويصبح على الجماهير متابعتهم وتكيف أنفسهم للمصالحة مع هذا الجديد.

لذلك فإن أعمال الفنانين الطليعيين تخاطب الجماهير على مستويات من الثقيل مختلفة، نوعية متخصصة تتعامل على مستوى الذوق والتفقد والحوار المتكافئ مع الفنان، وهناك نوعية تتعامل بمستويات



لوحة للفنان : فوزي سويدي

الدفع الديناميكي للشباب الثقافي للمجس
الأعلى للثقافة .

وبين ثنائي السبعينيات وثنائي التسعينيات
هناك ولا شك علامات مميّزة ولكنها لم
تستطع أن تتسم منظومة تتفاعل فيها العوامل
السياسية للمشروع، ومنهم روحية القلبي
لشاعرة، ويوسف الشاروني: إذ ركّز
التفرغ كمشروع وصارت سمعته أنه بمثابة
نشاط إيلواري خيري لأفراد من فنانين وكتاب
وباحثين لا يربطهم هدف ولا فلسفة ولا

وقد ولد مشروع التفرغ مثله مثل عديد
من المشاريع الثقافية المملوكة - عملاقاً ثم
خمدت طاقته وهزلت قيمته إلى أن عارض
رعايته شخصان رئيسيان عكفا على بعده
وشحبه بطاقة جديدة تواكب المتغيرات
المحيطة على الساحة الثقافية المصرية
للمعاصرة هما فاروق حسني وزير الثقافة
للمعاصرة، والدكتور جابر عصفور رجل
الثقافة والفكر والمحرك لأنشطة للتدوير في

الراهنه من ناحية أخرى، ويكون في ذلك
خسارة كبيرة في البداية المستقبلية للأمة .

جيلان من رعاة الإبداع

يرتبط مشروع التفرغ في أذهان الفنانين
التشكيليين بشخصيتين رئيسيتين هما الدكتور
ثروت عكاشة الوزير للتدوير للثورة بوليو،
والفيلسوف العلامة المعلم النقاد حامد سعيد
الذي كان أول مدير للتفرغ منذ نشأته
عام ١٩٦٠ .



تمت للفنان : وقائي رفعت



الفنان : محيي الدين حسين أمام أحد أعماله الحديثة

وعايدة عبد الكريم وهذالت كمال وأطباء ومسلقين منظوعي المشارب والاهتمامات، وكانت هناك نقاشات أخرى حول أعمال المنفرغين الإبداعية في مرسومهم أو في قصر المانسترلي على رأس جزيرة الروضة في الصالات ذات الطابع الطماني وفي الشرفة المطلة على منظر فريد من اللقاء فرعيّ النيل عند مدخل المعادى - عالم مشع - متناهي - ومناخ إلهاعي حق.

وامتد صروح الجماعة إلى رحلات في جنوب الوادي الأقصر وأسوان والراحات للوقوف على السلامح الأبدية وعلى اللقاء البيلة الطبيعية بالبيئة المصنوعة وعلى العرف والأزياء والزخارف والطرز المعمارية وكان للوية إيان تأهبها للفرق موقع محوري في اهتمامات المجموعة وعبر البحار طوفت المجموعة في رحلات ثقافية وغنية في أوروبا لتفقد المتاحف والآثار ويعرض أعمالهم من أن لأخر من الأحداث المهمة في تاريخ المنفرغ بدوره في انتشال المراهب المقموعة

المواقف السائدة والاجتماعية التي تميزت طريقهم وتعد من إنتاجهم الإلهاعي، وفق برنامج حافل أعده حامد سعيد شمل لقاءات دورية للمواقع والصروح للتراثية المصرية القديمة - القبطية الإسلامية بصورة دورية متروصلة وكانت اللقاءات المهمة تشتمل الفنانين بالوعي والثقافة والخيال وتدريبهم على التأمل للجمال والندافة النشطة والمخزان المعنى من وراء معيار القيمة، وجذور الثقافة الفنية المصرية وعلاقة الفن بالحياة - المجتمع والمقيدة والتروافع التصويرية والتشقية والإبداعية والتحوليات الأسلوبية في السياق التاريخي للشخصية المصرية.

وكانت حلقات الدرس والنظمذ على يد المعلم حامد سعيد في المواقع التراثية، مضياقة يلتقي فيها مع المنفرغين الفنانين ومحيي للفنون فامتدت أشعتها لوتور في دوائر أوسع من فنانين ولجباء مهمين أمثال يحيى حقي ومفكرين أمثال بدر الدين أبو غازي وأساذة تون كعبد الغنى الشال

سياسة ولا طموح فصار لوقت قريب برنامجا شكليا لا تجنى الدربة منه إلا الأرقام الإحصائية التي تزين بصورة شكلية التقارير السنوية لوزارة الثقافة.

وفي سنوات الازدهار الأولى تألق الفنانون جاذبية سرى وتصبه حلهم ورمسيس يونان وفؤاد كامل وعبد الوهاب مرسى وإنجي أفلاطون ومصطفى أحمد ريوسف رأفت رياتب صادق ومحمد جريس وأدم حنين وأحمد عبد الوهاب ركمال خليفة ومحيي الدين حسين وناجي كامل وعبد الحميد الدواخلي وعبد الفتاح عيد ومحمود موسى ومحمد مبرى ورفعت أحمد ونبل الحسيني ومحيي الدين طاهر وجمال محمود وعبد البديع عبدالحى.

في تلك الأونة قدمت منظومة المنفرغ فرصا حقيقية لرعاية مراب، ويمكن فنانين معازرين من الإنتاج والإبداع بعيدا عن



لوحة للفنان عصمت دلوشاني

جورج البهجوري:

فنان تمكن من الصمود أمام تيارات الرسم التجاري والكاركاتيري والتكليفات والنوران مع تروس الطباعة الطاغية التي لا تهدأ أو لا تتوقف.

تلك التيارات التي جرفت عشرات الفنانين الموهوبين خارج نطاق الإبداع التشكيلي المطلق والمنزه عن أية قواعده تعد من حريته. إن تمتع جورج البهجوري بمساحة واسعة من الثقافة وقدرته المبهجة على الحفاظ على طفرته، أدت إلى أن يكتب بعداً إنسانياً في أعماله، فقد عبر عن أطفال الحواشي وسببية الورش والناس المتعادين غير أنه قد أسقط عليهم غلالات شائعة من وجوه وأطراف الأقنعات القبطية ووجوه القديم وشخوص تسيج القبطاني بأثرائها الأرضية، المشبعة بالكمبود الحديد والكروم والأبيض اللبسمي، ويعطى البهجوري أولويات عراطفه وطاقتة الإبداعية للإبداع التصويري بينما يوزي ما تسيب في تجميته. الكليكاتير. في أولات الأداء الألي أو ما شابه، ومدد عدة سنوات يكتب البهجوري برسمه بباريس على خروض تجربة أكاديمية بها معظم إن لم يكن جميع فنانى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين وفي إعادة رسم لوحات الأساتذة القدامى من عصر النهضة حتى التأثيرية وما بعدها، وفي

متميزاً في مستواه، ولكن الوقت لم يتسع حتى يكلم جمهور الفن ويتقاده وأساتذته وتلاميذه على إبداعات المتفرجين التي عرمت أيام محدودة في قاعة الهلندر بدار الأوبرا... وهذا هو المعرض الثاني للمتفرجين بعد أن وصل النظام إلى كامل صحته وتجاوز رواسب مرحلة الركود فجاء يضم أعمال ٢٥ فناناً في مجالات التصوير واللحم والجفر الجرافيكى والنقد الفنى من بينهم علامات بارزة في الحركة الفنية المصرية كنور كنعان وجورج البهجوري ومحبى الدين حسين ومحمود عبدالله وهوى هيكل ووفائى رفعت، إلى جانب فنانين مرموقين أمثال عصمت داووداشي وأسماويل عبدالله ومصطفى عبدالوهاب وجمال عبيد الناصر أبو البريد وطارقى التومى ورايلىين عشم الله وأحمد شبحا وسناء موسى وتاجى تادرس وهشام نوار ومجموعة أخرى من الفنانين.

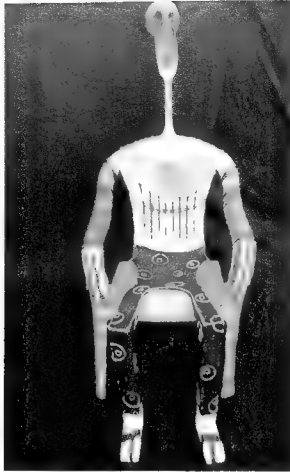
ونظراً للعدد الكبير لفنانين المتفرجين - ٢٤ فناناً وفنانة، فقد رأيت أن أختار ستة من الفنانين الراسخين من بينهم وأجرى محاولة للدخول في أعماق شخصياتهم ومواقفهم وإدعاهم لأطلع القارئ على شريحة من هذا الاستثمار المدهش لمشروع المتفرج فاخترت جورج البهجوري ومنير كنعان، ومحبى الدين حسين، ووفائى رفعت، وهوى هيكل ومحمود عبدالله.

ما يسوقه لويس معرض حول معاناة رمسيس يونان وتمرضه للتشرد إلى أن تباين على منحة فرصة التفرغ - للترجمة - مما أتاح له أماناً استقراً مكفً من أن يهدد أفضل ما أبدعه من لوحات رائعة.

وقد واصل نظام التفرغ رعاية عدد من المبدعين وأعطاه فرصة لأعداد ولكن دون تلك الروح النافقة لحامد سعيد والرعاية والمتابعة الشخصية للثروت عكاشة، فأصبح مجرد فرصة لأعداد معيدة أغلبهم غير مبدعين. أصرت المشروع شريحة حوله إلى مشروع (عالة) أكثر من كونه مشروعاً دافعاً ومحرراً، كما غيبت للتواكبية البيروقراطية على الإعلان عن المنح الجديدة، أو عن المعاصرين على التفرغ يبقى المشروع وراء غلالة غامضة حالت دون تجديد المشروع بالمناسبات الوثابة، مما أدى إلى عزوف الجادين والمتمسكين عن الاقتراب من دائرته.

وفي عام ١٩٩٤ بدأ المجلس الأعلى للثقافة في حملته التطهيرية لفلول البيروقراطية والتواكبية إلى تسليط الضوء على المشروع القومى الذى تهالك، ولم إعداد خطة ولاحة جديدة تنص بالواقعية والطموح والموضوعية.

وفي صيف ١٩٩٥ أقدم المعرض الأول للمتفرجين وفقاً للنظام الجديد، وكان معرضاً



لوحة للفنان : جمال حداد ناصر أبو الزيد

وبسلوكه الدافع لهذا العمل يصبح ساحرا يروض للمشاهدات ليصلح هارمونية ذات مذاق خاص تلبيح بحرارة ودفء للشاعر وعشق الرعي والخبرة في آن واحد. وقد حصل الفنان الكبير على جائزة للدولة التقديرية أثناء كتابة هذا المقال، فله منا أخلص التهنئي.

محبي الدين حسين

عملاق آخر لعت لنفسه مساراً حمل مشقته وريخ لنفسه موقفاً رادياً في فن أو قل - كما يحب هو - في تقنية الخزف ليثبت فيها عراطله وأحاسيسه وأضماره في مجساته ومسطحاته التي يعالجها بتقنيات الغامات الغفل والسقيلة، العارية والمولدة والمختزلة ويقسيها بالنار والدخن، آثار محبي حسين إعجاب الحركة الفنية في مصر ببحثه في فن الإناء في السدينيات، والسيميديات، ثم فجر قصداً فكرياً، مبدئية تتحق بالفوارق الملتفة بين الفن الجميل والتطبيقي، وبين الخزف كمادة وسيط تجريبي مظه مثل الأحبار

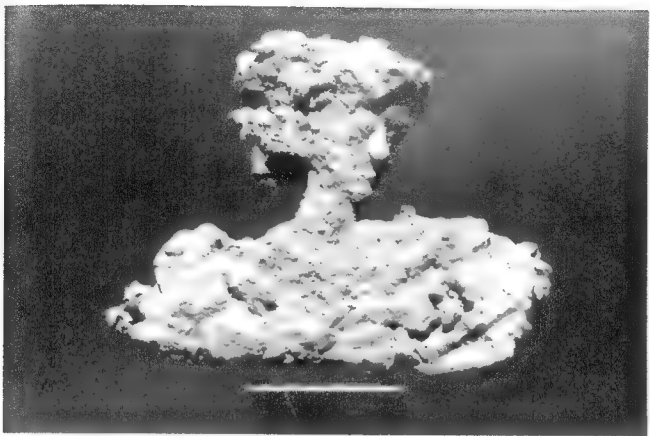
عمل تركيبات جنوبية فرضوية عضوية تصخر من كل جميل ومتقن وذو معنى، إلى أن بلور تكويناته الكلاجية التي يغكلها من قصاصات الورق المقطوعة والمنزوعة والممزقة تغطط بقبع سائلة من لون غلوط، كأنها هي أقطار حمضية أو من القار السام ولوث المصافات ذات الألوان الزاهية الصافية والعلاقات المتطورة عليها بدقة واحكام جرافيكى.

أعمال منير كنعان الحديثة تتطوى على سر لايسر غوره إلا ذو عين ذاقبة ووعي لافذ - ألا وهو أن في الفرضوى الظاهرة والتلقائية البادية تكمن قوة مختاطسية لامة وطاردة في آن واحد وهي تكون صورة خفية من كماليسو سكوب، توارى خلف تلك المصافات، باد ومحجب في آن واحد، وهو بذلك يوظف طابقتين تعاند إحداها الأخرى، ويرويضهما لصالح تكويناته المتسامية؛ طاقة التنظيم الرياضية مركزية الطرد والم، وطاقة الفطرة والحركة الانتحارية، بعمله هذا

الوقت نفسه كان البهجورى يبحث تهرية موازية فقد ملأ الجدار الأكبر بمزسم باريس بقطع من الورق المصنوع على شكل وجوه قبطية الطابع متشرذمة الصدود والحواف ملونة بطاقة عاطفية غامرة، يعبرنها الشاحسة المشقاة إلى السلام والندعة. وما هو ذا البهجورى يقدم في معرض الفنانين المتفرغين خلاصة تهرية عام من التفرغ للإبداع للفنى ممحمه إياها وزارة الثقافة المصرية.

منير كنعان :

فنان له موقع مركزي في حركة التمرد التشكيلي فقد اخترق مرعبات الجمال ولصة الفنان ومائلة التهموز وتخلّى عن مهاراته كرسام قدير أغرق بها صفحات آخر ساعة في زمن عراققتها وزهوها، وانخرط في جماعات للتفجير الثقافي المصدام مع زميس يونان وفؤاد كامل والتلمسانى وجورج حنين وأبر خليل لطفي، ولعب بالأسلاك ونفائيات الخامات والفرايبيل في



بحث للفنان : تلحي فرود تادرس

المصريين فأصبح الجناح المصري في الدورة الثانية طلبها أدهش المشاركين من الدول المختلفة برقعة مستواه، وبذلك يكسنا القول بأن بيثالي الخزف قد أثمر مفهوماً قديماً للفن الخزف أخفقت كليات الفنون المختصة في وضع أسسه، وقد أسهم هذا الجهد في وضع إبداعات الخزافين المصريين على خريطة هذا الفن في العالم.

وفي هذا العرض يقدم الفنان محبى الدين حسين خلاصة تجارب متواصلة منذ بداية التسعينيات ترمى إلى استلهاهم الطبيعة الصافية وكذلك الحياة متداخلة في نتائج تجربته في النحت وفي الإناء في آن واحد، كما يمرض عملاً فنياً هيكلياً مركباً من عقرات للقطع. في هذا المعرض تطل النزعة التعبيرية والسجوة من أعماله ذات الطابع العموي الإنساني.

عنونى هيكل :

فنان كرس حياته للفن نحاتاً ورساماً عميق الثقافة، وعمدة أتباعه للقاءه لسنوت عديدة عاش عديداً من الأدباء والشعراء عن

وسيط أو طريقة أداء وإنما كل ذلك مجرد مركبات لحمل أفكار وأحلام ورؤى الفنان.

وما إن مرت سنوات قليلة حتى توج محبى الدين حسين حركته التذوقية بأن أسس تديناً دولياً للخزف المعاصر في مصر، ومع الدجاج السالح - غير المسبوق للتدينى الرئيد فقد شهد إنفلاس عديد من المرتبطة أسماؤهم بالخزف في مصر وفي أكاديمياتها للتطبيقية أمام المنزه المبههر الذى كشف كلور من قصور الفهم والتصوير وفي الدورة الدولية المصاحبة للتدينى الأول، المقولات الساخنة تطرح نفسها، ما هو الخزف؟ وهذا ليس خزف، إنه فن تشكيلي، وهل يجوز أن يخرج الخزف عن إطار الإناء؟ والأشياء الوظيفية؟ - جوف للتدينى كل هذه التساؤلات المصاحبة للمقيدة أمام قوته وصلابة مؤسسه وقويميره محبى الدين حسين - كان للتدينى المصري في هذه المناسبة متواضعا أمام المشاركات المالية باستثناءات فائدة ولكن شرارة المواجهة في هذا التدينى، الذى ما لبث أن تحول لتجابه إلى «بيثالي»، أملتت عدنان العمريه للفنانين

والأنوان والمجانين والتدائن والمعدن والأحجار، وبين الخزف كمنتج نهائى في حد ذاته كما هو شائع بالخطأ، وترجمة لهذه القضايا الفلسفية على المستوى الإبداعي، تألق محبى الدين حسين في فن - البلاطة - المنحوتة البارزة الفائرة المبرزة، ذات الملامس المدققة والتقلبية، البلاطة كوحدة تكرارية، والبلاطة كجزئية في تكوين فريد، جذابات مذهلة ذات عناصر نرائية مصفاة ومحررة زخرفية، وتجورية وفق مقتضيات التصميم والمكان الذى يحتويه العمل وفي معرض أقيم بصالة إختائون بجمع للفنون خصصه لهذه التجربة في أوج نمجها التعبيرية والتشكيلي، وفي الدورة المصاحبة للمعرض، اجتمعت المناقشات الطليعية مع المصاحفة التى ناقشت أهمية ومشروعية الأولويات، مثل: هل من حق الخزف أن يكون فناً؟ رسماً؟ ملوفاً؟ تمييزاً؟ نحاتاً؟ إلخ... خرج المحافظون وقد قرى في أذهانهم أن محبى الدين حسين قد خان حرفه - الخزف - وانحاز إلى الفن والفنانين على حساب الخزف والخزافين، بينما أبده وبحماس نقر قليل يؤمن بأن الفن وحده لا تفصله خامة أو



نحت للفنان : جورج البهري القبة حية .. تكفي مية

عريقة وجدران متهاكمة تقوينا كالكذريات
موحية، الضوء يدخل في هزم مركزة تحول
المجرة إلى ما يشبه المسرح الميتافيزيقي،
بمركز الضوء قدريا على قطعة من النحت أو
بعض الأدرات التي يطرق بها أزاميله وهي
مصسوفة كالأواني للترفية، أو على ذراع
الفنان وجزء من وجهه وجزء من كتفه
للنحت التي يتعامل معها موقفة بأداة للربط
على مضغدة العمل، أو على شظايا يقايا
الأخشاب والأواني المبعثرة في أرضية
الحجرة .. جو موح حقا كملاجى المرافين .

محمود عبدالله :

شخصية أخرى متميزة ذات تكوين
سيكولوجي وتقاليف فريد .

الفنان محمود عبدالله يتحدث
كشخصية مسرحية حتى حين يحدث أبناءه
وأقرب أصدقائه، لغته مثالية محسوسة، غزير
القرارة، مدقق كالعالم الطبيعي رأسه محشو
بالانطباعات والتصورات لتدارات الجرافيك
وقادتها فهو بذلك باحث .. محبلى، وهو
كالجهاز البقيق - ملقزم محافظ بروتوكولى

تفشم - تلبور داخل رأسه ثم تخرج نفسها
في كتل وعروق ويؤوز وفروع وشرايح
الأخشاب .

علاقته بالأخشاب لمريدة فهو يربها
بطريقته ويصبر عليها حتى تلتظ عصاريتها
وتتطهر من عوامل التلصص فيوشد عودها
وتتف فصيص متألعة لترجمة أحلامه بعدها
بصورة شبه قطعية ويضعها أمامه بعد شام
تأملها لشهور وربما لسنوات بتفرسها ويصلط
عليها أشعة تفكيره قبل أن يقترب منها
بأزاميله ومبارده ومقاطعه، وحيداً يرى
فكرته تتراكب وتتوازي مع قطعة ما - بشرح
في أعمال أدراثة لإزالة الشوائب واستيقاظه
للجوهر - ومن ثم تأني منحوتاته للأشبية بما
هو غير متوقع تلتوى العروق وتتصانفر وتطل
من فححات كاملة في أصل الكتلة، ترواق
عصوى بين الفخل والمهذب، استيعاب
إنساني للطاقة العنوية والتقنين البدائي لتمر
كلمة النخب، مع إسقاط للفكرة المستجدة التي
يحياها . إن قضاء بعض دقائق في أتليه
الفنان وإقائي رفقت - المعتمدة التي يدخلها
الضوء من نافذة كبيرة تطل على عمائر

كذب، وقصفوا الحرار الساخن الغامض ،
الغامض والفوضوى في مرسىه المزدحم
بالكتب وبأعداد ثمانية من مجلات الستينيات
المجلة والثقافة، الفكر المعاصر، الهلال،
والجدران مغطاة برسوم محكمة بدرجات
القيم الرصاص والكتل والخطايا وعينات
للحاشيات شأاً أرضية المكان، جو غامض
ولكن دافئ وموح، أعماله تستوحى جوده
وشخصيه وديكزل ويصادق أهل دنقل
ويؤازره في مرصه البائس حتى يسلمه للقر،
ويصادق مجيد طويها وعشرات آخرين من
الشعركين والصلامين والحاتقين والباليامين
واللياصين، وهو هو ذاته بوهيمي في أحد
جوانبه بروتوكولياً في جانبه الآخر .. أماله
وكبير فرصه محبلة يعيش بالكاد ليومه غير
عابى باللذ ولذا فإن التفريغ في قلبه الجديد
بعد حمل إنقاذ له .. يعرض جانباً من حلمه
مشروعات لتجميل المدن الجديدة، بذوراً
بنتها ولا يعرف من رمته يرعاهم لتكتم .

وقائى رفعت :

إنسان حالم معالم صامت في الأغلب
تأملاته لا تحتاج إلى مخططات أو مسودات،



نحت بوليسر للفنان : هشام نوار ١٩٩٧

ولكن هذا الجهاز به سلك عندما يهتز يفصل عبيد الله تماماً عن العالم ويحسوه عن التزاماته بصورة تدمر إلى الضوف وتهدد الثقة. تلك المكونات الشخصية تمكن تلقائياً في مسيرته الإبداعية، فهو أحياناً كالمرحله في لمسة للزلاء لعمل مشترك كداسيس جماعة التجريبين مع مصطفى عهد المعطى، وأحياناً يغيب لسنوات طويلة عن الساحة حتى يكاد ينساه أقرب أصدقائه لومحيط في «أوريينو» يعمل ويعلم ولا يعمل ولا يعلم. ويعود كالثالذ الذي وجد نواره، شوق وحلين وتذكرات ورماع تتواصل وتقطع. يدرس هنا ثم ينقطع ويدرس هناك ثم يفصل، ينكفي على حملة محمولة بين الأحماض والأحبار والتقنوية وما شابه وألواح الزنك والباب والورق السدى والعصافى الكبيرة ودورات الهواء للتطيف والتجفيف وصيرير ماكينة الطبع وما تتطلبه من حركة دوار بكامل الذراعين، ونظرة المستقر لحصن النجدة، تجانس التحجير والدرجات الطيفية، حدة الخطوط والشبكات ومطابقة المستنسخات وحمل المشكلات التي تحول دين ذلك لحظياً، وأحياناً أخرى يكرر محمود

عبدالله وقته ليله ونهاره في عمل طباشي ثقافي تجارى الطابع ككتالوج ومطبوعات افتتاح دار الأوبرا الجديدة أو بهدائي القاهرة الدولي الأول، أو مهرجان القومى للمسرح، أو لخدمة شركات الإعلان تجارية وتسويقية بحنة، وأحياناً أخرى يكتب على عمل لرحلات تصويرية ذات تصميم جرافيكى محكم به أشباح من المروغية المريية - لا تقرأ ولا ملامح لها - مصورة مطروعة إلى بذله للتكريرى الخاص بمجموعات ألوان فريدة ومفاجئة مثل بحثاً عميقاً في علاقات غير مسؤولة من المجموعات اللونية ذات الدرجات الجورية إلى جانب حركة تدافع العناصر في اتجاهات متدفقة على سطح اللوحة.

إن التجارب الإبداعية لكل من عصمت داوودستاشي واسماعيل عبد الله ومصطفى عبيد الوهاب وجمال عبدالناصر وأبو النزيد، طارق الكومى، إقبالين عشم الله، أحمد شحبا، سناء موسى، ناجي تادروس، وهشام نوار ونقية مجموعة المتفرخين بالتمايز للعرض

لكل منهم في اتخاذه وسيط وأسلوب ومنهج تفكير يعكس خبراته الفنية ومكوناته الشخصية والثقافية يمكن أن تكون مجالاً لدراسات محققة واسعة يضيق بها مقام هذا البحث، وذلك بوضع مستوى الثروة القومية، ودوعية الاستثمار الثقافي في منح أولئك المبدعين مدحة التشجيع للإبداع الفنى التشكيلي، وبالنظر إلى ثراء الفروع والأصالة والجدية والعمق في هذا المعرض السدوى للفنانين المتفرخين وفقاً للنظام الجديد الطموح الذي وضعه المجلس الأعلى للثقافة، مما يؤكد موروثية للتجربة ومنهجيتها المتجددة.

إن هذا المعرض معرض مهم يقع في نهاية موسم لاهث نابض بالنشاط، وتبشير موسم جديد للبهجة التشكيلية المتحفرة بأجيالها المبدعين والمعارض والدعوات وورش العمل والمقتنيات، التي تجد في مجمع الفنون بالزمالك صدراً رحباً لمعايناتها، هذه فرصة نادرة لزوار المعرض من محبى الفنون لمشاهدة مخفارات متتفحة براسطة الفنانين المتفرخين أنفسهم، من بين محصول إبداعى لعام كامل. ■

السحابة التي في المرأة

جمال القصاص

بكل الطرق
حاولت أنتكاره
أو استعاضته

كنت آخر الطلاب في حصة الحساب
قال لي المدرس:
قلبك لا يقبل القسمة على اثنين.

مشيت..

لم يكن خوفي
ولا الغرائب الغرساء
ولا الإشارات التي تشبه النكات.

خطوة.. هنا
أو خطوة.. هناك

كل الحسابات بلا ثمن
لكنني - دائماً - أعرد

إلى نفس النكطة
في نفس الكراس!

*

سيأتون..

معظمهم بأشرطة حلق جديدة
وأحذية لماعة.
وبعضهم لم تكتب لحبته الشعرية بعد.
ومعهم من شاع في سن البلوغ.

سيطولون الأنظر كثيراً

في رقائق الإطاري
وشفاه الملحلب اللعجي

ويلكون فينا

عن سنائر النص

وأفردة الحداثة.

وكالعامة..

سويصجون:

جميل

مدهش

كلُّ شيءٍ على ما يرام .

وفي آخر الأول

وحذله ..

تفرقن في شَهْدِ الملكة !

*

المصافير التي تنام

في أطراف القميص

وهي تقبلي على عجل

أفنت لي بالسِرِّ.

لم تكن نَزَقْتُ

لم يكن لي مقارها حبيبات الندى

أو أهواء القلى

كانت تَمُتُّ أنفاسها

من شطايا منحكك !

*

بلا خوف

ساعتاد وحشيك

وعلى الذي يَبِيعُ خلفي كلُّ صباح .

بلا خوف

سأطارِدُ عطرِكِ المجرسى

دون أن يهف ريقى

أو أسقط في الحفرة نفسها !

*

للمسكة التي تدبيلها في الإناء

إن تهكّر للعلاقة

لنقط .. أخرجيها

سوف لتصعُ كلوب

أرحق ريقية

أو قوس ماء .

أخرجيها .. إذن :

لأنك أدركت بلست الطعم .

*

نفس الرغبة

منطل تروخنا إلى الأبد

ولا أحد يمكن أن يكون أنا

لا أحد يمكن أن يكون أنت .

ليس ثمة نهاية محددة

لنقط .. منطل لراقب

وللتنظر :

صرخة يمكن احتمالها

*

الدرجة الصفر في الكتابة

تصفر في ملح الطلوس

لم يمت المؤلف..

وليس من موروّات الخطاب

أن أقول: أحبك..

فلها الكلّيون قلبى

بصيفٍ عديدة..

ثم إنها عقدةٌ كلاسيكيةٌ.

هكذا لو تناولنا المشاء.. الآن

لو وخرنا بهذه الإبر الصيفية صباراً لشرقة

هكذا لو خرجنا من ألفة اللفة

إلى

ألفه

الفضل!

■

أخيراً..

حظي السُريرُ بجرعةٍ من النوم

أخيراً..

الكاسيتُ يعملُ بهمةً جديدةً.

تمهّل..

سامعُ وسادةٍ أخرى

وأثبت أوتاد الخيمة

تد.. هل..

شارين الصباح أرهقت ركبتي

والورقُ يذُر..

كم ملقّةٌ من السِّل تكفى؟

* هل ثمة ملقّةٌ للصِّل؟

*

كنتَ تمرّقى فى فمك

خاصةً وأنتَ ترلّعى لأعلى البرج

هكذا

هكذا

هـ

كـ

ذا

شعرك يمتدّ على ركبتي

وجسده شرك.

* هل ثمة شركٌ فى الحب؟

*

للشرقة ترقى فى عريها البحرى

للمسافة بين قلبك وحجرة الدُرم

هى نفس المسافة..

بين الرأس وبين الجسد.

صَحْحَكْ..

دائمًا تنكرنى برؤاس الساعة القديمة

سامعٌ قفلاً على فمك

وأنسى المفاح - كالمادة -

تحت لسانك.

* هل ثمة طبيمة صامخة ؟!

*

أستدير من أمي مكبات السكر..

طَلَبَ العواديتِ

ومراجل الدمع.

بينكما شيء لا يرى

لكلتي أكاد أنعمسه

كلما انطفأ عود القناب!

*

الخلقة محايدة

والجسد مقل بصفاته

والثلث جامد في مائه

والبردة مرتبكة في دسائس الظل

لا مبرر لتعشير النهدين

كل هذه الأعماق الرهمية خارج العفنية.

محنة..

أنتِ صبيبة جدا

والحصى يصبح رفيقا

كلما داسته قدم عارية!

*

قدح من الوجعة وثلاثة أرغفة

هل تكفى الرحلة

هل يسلح الشاعر..

تري..

في أو صبح تستحم البحيرة؟

* هل ثمة بحيرة تستحم ؟!

*

الكراسي جذوع امرأة

تكلو في حلق الإيقاع

ومرائي الأبيض والأسود تريكلي

لا أحب رالمحتك

وهي تنزلق عبر كل هذه الأسلاك

لأنها - ببساطة شديدة - تنسى

أن الحرية مرض..

يسبب الاستشفاء منه!

*

طائر الفخار..

يتسم في لياقة غير مسبوقه

المفتاح مطبأ في كريمة الملابس

ربما في الدولاب

تحت السجادة

فوق رف البهار.

المفتاح كان ها.. هنا!

بهذه..

تعمسى صدرك.

الشعر

من أي نافذة يتراقب الغوط، السفائح نرأسه السر، لا أستطيع حمل هذا الهرام في جسدي، لا أستطيع حمل نفسي، سيرتد إلهنا القناع، كيف نخفي ملاحمنا، كيف نجبر، شجر للناس يروق على قم الأعداء، وبشعر فوق جسدنا، هل نسمخ، إلى أي أكلوبة تنضم ويطعننا، أحمس السلاسل بلطف، لا نتقدمي بارتعاشات الطقوس، في أطراف الجزيرة ساكنون وحيداً، يمكنني تشم بشرتك، لا تبتدئ، لن يطول الكهنة الطقوس، بعد دقيقة ستصمت الترابيس، ستغلي للأنام، ليس في السجد سوى زهد المجرى ووشاح الخراب، كيف أجلس في التبر وحدي، كيف أملك من الجهات كلها، لن أقول من أسبرج أو شهر، من هام أو بضع عام، أهلق عبيدك، هل مازلت قادراً على الموت، هل أسمع شيئاً أبعد من ندى صرلك، لا أصدق شكارى الفلاح للصبح، أشك في تماريف الصدى، في مشائل الجمال، في مخاض الحديقة.

فدح من الجبة وثلاثة أرغفة.

هل بدلت الرحلة، هل بدى هنا، سأفترض أنني قد وجدت، لا تلغى في عظامك، لا تنكس السجى، المسبح النائم في شطوك، ارتعاش الفغار، مسافط الثرى.. من أي نافذة يتراقب الغوط، تحت من أهاني الرعاة، من ٣١ جزيرة العرب، من مطربة الحنان، لا حصارير في حلب الدماء، متى يلغ الرسام من حافة الفراغ، من ذاكرة للقاتل النشوان، من لهب السجزة؟

أشمر بالقد.

لكن هذه المرة، ساكن على ألم استمداد، ويخول إلى ألك هنا، تبحر بالسفائح كمدنك، لسمتك راحة الخبز، هل ستمطر، أصابعك تكاد ترتجف، السحابة التي في الرعاة، هل من لنار أقدامك في السمر، لم من شهقك تحت شجرة الماء، سوف يهمن القميص، سوف تشعل الغوط، لظن أن يحاكى، هل ضروري كل هذا الطراب، لم يكن لبروخس حرية حمراء، ولا لبرقالة السجدة نبت تحت إبط الطائفة، انظريني هناك، حيث لا أحد ينام في الإسكندرية، انظريني حيث الحب في، يقين الحظ، أو في سرطان الشرفة، أو مجرد رغبة تحت الأشجار، أو صرخة لا حدود لها.

أشمر بالقد

أشمر بالقد.

سكون ملاكاً أن نقس المسافة

بين الحديقة وبين السري

هل أسدك الترويح

لا أعرف معنى محدك للظرف

ولا كيف يزهر اللهاث.

الوطن ليس من صنع

لكلهم كتبه... هكذا

في شهادة السيلاد

رباع الماديات لم يدلي على الفخ.

شعبي.. شعبي، من هذا سوف تتضح الخريطة، لا ملأتم، جسدك وحده يمسد، أنا العاشق لم أر نقاحة في الطبق ولا إسبرين، لم تتسع خفاير الصلصال، دولار النص لا تصنع السماء، كل الرموز حين تتحرك تضيء، سوف لا أنتهى من منغيرة اللدائن، خسرت سياق السلاحف، شعوبى تحجل تحت قدمي، المساعدة درج أخبى فيه ضحكك، مرة لم يجد الفأر حيلة فابتكر المصيدة، كذلك فعل القواد، لا أريد مزيداً من السذاب، هل أحكى حكاية الحطاب، لست وأتكا من لحشة الشيفون، من لدولة التركوازي، فى ساحة الشرف لم تهب العاصفة، الأعلام كانت ترفرف بخجل مريب، لم يكن فى الأكوام سوى حليب الرماد.. تحطرت مرثيى للعشب، اعذريني: ولدت هكذا، أجهل حكمة المثلث الدالري، ما أفصح الأسماك وهى تقشعير فى أصابع الجليد، ما أفصح اللقمة حين لا شر بشبابيك الطفولة، أحكم لـ «براوير الأتشي، لـ «الحائية، لـ «الغبار، لـ «ذاكرة الوعل»، أحكم لى، للمرق الذى ينثع من بحّة المدبقة، للحرير الذى يقطر من شرر اللجام، هل مر البستاني، هل تمنجت اللمرة، لم أندع عليه، لم أستجلك، هكذا تعلمت الغناء، هكذا أرتشفك...

الآن هل ثمة رابعة أخرى، لم يمحض أحد، وحدها قابضة فى الزكن، وحدها تفرغ المشرد، وحدها تزمجر، وحدها تعرف ثامة الجلاذ...

بعيداً عن كل هذا الزكام، بعيداً عن معامل المصحات.. فى جسدنا.. فى جسدنا.

لن نملطها فوق الرق، أو فى عياشة الخبز، فهل ستجدنا فرصة أخيرة، هل ستكرنا، هل سبتكر شفاهاً أخرى للقبول؟

أشعر بالقد

أشعر بالقد. ■

• من ديوان يصدر قريباً للشاعر

نورس

حسن فتح الباب

(كما انتفض الصفور بالله القطار)

فجأة ينتفض

ربما يرتدى معطف الموج ملحا أجاجا

بعده يختدى بحره الملح عذبا فراتا

فجأة كالغراشة محتضنا غيمة

لم تكن شرفة في الأفق

إنها سيدة الملهى

هام في برقة الفرى

يجتلى وحده الشهب

يجتلى وحده آية الجور والشفق

فجأة ينتفض

باحثا عن مصير قرير

تحنه حافة المفق

لوفه ذكريات غرام قصير

وحده يحترق؟

أم تراه الغرق

فى عباب الجموع التى لا تمام؟

فجأة وقع اللورس المستهام

بالندى والردى

القرار الأخير

وانتفض

(كما انتفض الصفور بالله القطار)

ما الذى تشهى

أيها اللورس المشرب

لعناق الأبد؟

قبضة من زبد؟

حزمة من لهب؟

يا عصي اللومع

ليس غير الشموع

جمرة فى المنوع

أغنيات المشاء الأخير

ويقاربا وطن

فانتطق

فى خضم اللومع

ولحترق

فى سديم اللجوم

علها تكتبس

جذرة من روائك التي
دمها راعف لا يجف
فخصىء للغيوم
ويطأ الصباح الجديد
في عيون للشجن
لورسا مقعما بأغاني الفدا
واللدى والردى
أن أن تطلق
من رماد الشتات

أن أن تحرق

بجراح الحناء

أيها النورين المشراب

لعناق الأبد

كي يحين الفد المستحيل

ويكون المصور الجميل

[كما انتفض المصور بالله القطر] ■

الطلع مقيس من أبي صفر الهذلي أمد شعراء الصبر الأمل في بيته
المأثور:

ولم يسمروني لذكر الله مرة

كما انتفض المصور بالله القطر



قرب ضوء هارب

محمود نسيب

أنا وأنتِ

صنوه خليف من نهاري عابر

ينسلُ عبر البابِ

قطعة رابعة تفوسان معا في المقعدِ الجلديِّ امرأةً على لارف

جريدة على الكرسيِّ

شرفة قريبة، وشارع أخير

لا غير خففة الممارجِ اللثائيِّ

وشهقة الحواسِ النافذة

وغبشة صنولية تموه الأعضاء

بيدما يد نشوى تدوس في الظلامِ المحدثيِّ

باحدة عن مظافة

* هل نمتِ ؟

٧ -

* كيف وقد تفاوتِ حديثي

وجاريتِ غمر الطيورِ

أمور في التدفقِ إلى شهوة امرأة

.....

.....

أنا وأنتِ

نهاية سريحة لأشهر الصيفِ

ونسبان مغاجي

وغيمة على نافذة خلفية

صنوه وامرأة

وظل امرأة على السرير. ■

النهر ، يا عمر ...

أحمد زرزور

دون أن تكحرف على أسمرها الرُّوحى
وهو يُقاتل «البورنو»^(٤)

وابتسامات الرؤساء؟

أم أصابع النهر التى تتفرط

بين نهود قوارب

«تُشعل» حاملقتها

على أرصفة

«نسر»

«زمر»؟

يا لطا

«فاصل رسول»^(٥) - أيضاً - لم يع الأسطورة

الأسطورة ما بين «سود درويش»

وكتاكيت الملاهى

الملاهى التى تملأ بكاتم الصوت أثناء الاغتيال

الاعتصاب الذى تدشقه البلطجة الملوثة

للمؤسسات

طُيَّان

تتفرط نهود القوارب الشراعية

بين أصابع نهر

يصدق خرافته

- هل تُعال عن ذلك ثقافة ملكة الجمال؟

أم «صالح عبد الحى»

وهو يُسل قيَّاده

لمزاج

«الميكروباس»؟

«الطُيَّان» يتبرأون من «مجمع الهموم»^(٦) الذى

يعلن عن سحوره الرافض

ويؤكدون أن الحق

«على أبى الهول» الذى لم يصن جنيته

من رمادية

الأنف

- هل يلام فى ذلك «بؤاع اللواتم»^(٧)؟

أم «ريما»^(٨) التى ولقت/

جَدَام

هل كان مقدراً للعرق للصغير
أن يكره ذات قمر قامري
شكواه يَفَك الخط بصعوبة؟
أين للحرث القصيدة الأولى / ولم
تقرأ - بعد -

«السنوي»؟

وماذا فعل صاحبها،
واللهمة تدروشت في مقام «القباقيب»؟
هل يرتدى الآن حجاباً
ضد الطرطشات؟
أم يواصل للجنة الجمالية كتابةً

في
القلب؟
هل أصبح دمه - ذات صرية حلم -

إلى بياض السمكة الهاربة؟
وهل سادل فضائه الفيروزي..

عن

امرأة

السجّاز

هل فكر مرة في سر الحجاز، وماذا تخرب كبروناته

بين

شجار

المؤسسات التي تترك الفراشات الهادئة لحكومات

الظل

حكومات الظل التي تفكر في الصفقات الهولالية

على إيقاع

الأنين

الأنين الذي لا يكف عن حفر أزهار اللثة

اللثة التي لا تطرف جفن ميغولوبجيا

تولى معدتها

شطر

دم

قاسد

دم قاسد تزوج عصافير تكلم الطيران

الطيران الذي تكحل بادن فرناس

ولم

يبارح

أرملته..

ضوضاء

- لماذا تتصّف صلوات الاستغناء

هل لأن الملائكة أبلغوا بطحانهم

مفعول

الشيوخ؟

الأزواج؟

أين اختفى حزنه الطلحي/ ولم

يقراً - بعد -

«طرق الحمامة»؟

وماذا فعل بشعبه،

وصف الدبابير على

حاله؟

أم لأن الشيوخ توجسوا بإسراف

من

نهر الشريعة؟

.. لماذا تصدب الغابات

هل لأن الحق على

شاعر

يستذكر حجارته

أمام الصحراء؟

أم لأن الحق على

شاعر

لا يخلق خرافته

وراء النقاد؟ ■

● إشارات

١ - أرميف القلاع المصري الزمان في حقبة الانفتاح والتجديد. للباحث محمد أبو مكتوم.

٢ - إشارة إلى الشريط للسيغماني الفيدرلي «بهاج الفوائد» إخراج يوسف شاهين.

٣ - إشارة إلى بطة الشريط المسكور.

٤ - إشارة إلى شرائط الجنس الشهيرة وكذا أفلام العنف والجريمة.

٥ - كاتب كروبي حربي/ هكذا كان يسمى للنص/ انشغل في ١٣/٧/١٩٨٩ بالنص/ رابح صديق مجلة «العراق».

فى العشق .. قصائد ثلاث

السَّامِعُ عَبْدُ اللَّهِ

حواف الهواء

للرَّاءة التى أتت إلى حجرته فى الليل
بعضت ملازمة السرير
ورسمته عاريا على زجاج النافذة
كان البخار أيضا
وكان جسمها العارى له روائح الضلائل الدخانية
شدته من دموعه
كأنه يعرد مرة أخرى إلى بداية الخطى
كأنه يشبه أشجار القرى
يطلع مبلولا ومضغرا
ورفعته حتى كاد يمس الأشياء من حوافها
كأنه يلقى ذرية لجأة، ويملا القلب اليوم بارتجافة اللقا
كأنه يلم وجدهم فى راحته وهو فى طَوَرِ
كأنه ينثره على نساء الذرى
وسيجته بالفتاح عريها وشعرها الطويل
وتركته ذاهلا فى قلق الذكرى
... ..
يبتدىء الشفيل قوله المرأ
ينظر للخلالق المعادة

لحدش

عامان للقلب .. اليتم
بمدهما
يخون الوقت صدقته ويبتدىء الهواء صغيره
قد تكبر السيدة الصغرى وتعلمها ملامحها سمات للصبيين
أكون أنا هنا
ويكون هذا الدرب مأخوذاً إلى نقيض يضيئ
وبعض حوالجى برد يصيد خطاى من خلل الطريق
ولم نبره تهباح عرى للقلب لحدش ما يتقى من غبار
الأرياء
يحدث - ربما - أن يأتي العشاق، يختصمون فى أهوالهم،
ويقول واحداهم : أنا نبت السؤال المستريب، تقول عاشقة: هو
الحدش للمقيم بدلى
فانفض إذن يا أيها القلب اليتم،
غبار ما اعتركه أقدام المشوقين الحيارى،
وابتدىء شجوا يلقى بهزلك العالى،
وسيج ما استطعت تصيده فى عكروب الأرياء

يصطفى رجلاً بكامله من الحرب
ويعزبه تماماً من رصاص القصف
ويهش الرمل عن أكتافه
وينقى جرحه من آفة الذنوب ليبتدئ الخصام
واحداً،
مكتمل الصهد،
خريفى الخطي
حار الكلام،
منالما فى حزنه الأبدى لا يلوى على شيء،
وليس يرد من قدامه أحداً،
ويعرف دربه
وكانه
جرب أن يمشى به فى،
هبة العشرين عام. ■

كأله ساخط على يديه وهما تجريان الطين مرة أخرى
يسير هادئاً منكسراً
يكره أن تبصره الأشياء هكذا
فيستحيض عن دموعه بفرحة الصوفى حين يمسى أعزلاً
فى رجشة الليل المريض،
لا يرد دمه لدمه ويحتاج الأرى
يشمه كأن به روائح المدائن الدخانية
كأنه يشبه أشجار القرى

*

زى العاشق

ما الذى يفعله العاشق لما يبلغ العشرين عام؟
يتها الأرض لاعتلى ثم غلام
خالف من وردة الروح ومن غسل الغرام
يوقظ الذكرى برمتها، ويمسحها السلام

ف

الهمزوات

إبراهيم اليوسف

لا دم، كي أبكى مجزرة
لا شاهدة لأرؤو إلى قبر
لو كلام هنا أسند الجسد، لو جاش
لو أفتح فمي، وأقول...
صليولن نمضى إلا قليلا
شفيحنا الزايق فى خوفه الموجز
وغادرنا هيئة لا نلتهمى
رتبوا الرائحة قريبي، ولذلولوا...
سوف أدعُ هذا الحودى
طيلة سراب
سوف أدلُ أنساق الحلم على تخوم التحية
وأعود...
مفرداً، وأباعت الإبروان
أعيد الصمى فى الزهل السيد
ثم أسكت الحواشى فى نرقرة
مفرد، ولا أنفرد
لو أفتح فمي، وأقول:

لو قرية تجلج مما لنا من هواه
لو حجل خجل
لو مثمنة يرفعها هذا السفر المحايد
لو للمرجأ دائماً يأتى
لو أم لا تطفو فى منحنى ولد
برهة من دمي، ويجلو المرء الغريب
لأعيد الجهة إلى الأصبع مرهقة كعين
لأعيدنى، وأفك الوثائق
هذا المنهك... صوتى
هذا النامض نشيدى
هذا أنا...
لا وشيك إلا المدخل
لا دم، ولنا خاره جرزى تماكب الأنحاء
انخلوا!
أعيدنى، انخلوا...
للدرد عتدى طقوس، ولا أتعب
للدرد ثم هذا

للدود حصافة لا تليق بأسرته
للدود وطن
للدود... هذه الفصاحة
وأنا لا ظلُّ لي، أودب للخصار
مفرد وأعلق الأحزان
لو أريك الرصاص بالحكمة
لو أخرج
عريان من ديق
أرجى حصرم الشهوة
استطرد إلى الصحف العتيقة
نادياً: ها أنا، ها الحواة، والكذبة
الساسية
ها امرأة، فارسها إلى الريقة
خلفه صكره الأثير
خلفه... قبلات
خلفه.. هي.. امرأة مزيرة
أبليت حكمته في حقيبه الكتفية
واهناً تكلره، وتخون العليب
إذ الخناجر تكب الوجع الشديد
أسمازها في قارعة الروح... حافية
لا أنا باحث الأزيز في الشهوة
ولا الصدر حزم الهواء
ها أنا، لا دم كي أتحدث عن دمع
لا امرأة، كي أتحدث على

لو أفتح فمي وأقول... ١١
لو أشير ما ارتقت هامة هناك
لو الكلام نول النمع
لو اللمع نجل العريل
لو العريل ابن الوطن
لنرى السيرة تغفر الدهر في.. ماله
تأخذ بنا من الطيف اللذيذ
لو آتى.. آه.. يا أصدقاه...!
لو آتى يا ماه...!
لو آتى يا جودي!
لو هذا الشمال قليلاً يحضن المروء
يداري الشكل في بريقه البارد
ويأتى
لو عويل أعرف، لو نشيد تعرفون
أومات لا بد من إله
بيتنا نارنا في الكلام
وانتحت الطواويس في أوار
تودى رماذها في مهبط الرسالة
لو أفتح هذا الدم
لو أعطر الماء، وأكتفى
بادناً بالذي يغيث
ريما صحنكة تحمل هذا الشديد
ريما مائدة تؤثر زردشتها
ريما للذي يؤدب الحبر ويخرج...!

لم تكن قد أكلنا تمراً

فرشنا الوجوه في اطراد المعذنة

نلبيء إلى نشيد يجاور بورقنا

ربطنا أباطرة لنا في الخواهي

يتطفون سدره السيوف

برقاب من الديانة

تشغلهم إيماءة الحور، والخدم الفكهين

لو أفتح فمي، وأقول ..

ما أرجأنا اللغة قيد غفوة

وللمناحة ضاربة شهداءها

سلمنا الفأرة المصطب للحولة

لو أريكم

كم صمنا عن نكحة

سرابها تلبد... ونحن

عندها صرخنا لا بد من إله

لا بد منكم

لا بد منا

لا بد من يوم كي نكي أطفالنا

ارتد اللعج يأكل تواريقه، ثم يغرب

في الركاب

لا بد من وطن كي نوازي ظلالنا

لا بد منكم كي تنفخوا في الطين

أكيدون لو قاحت حكمة

بأناملها

رويدنا... رويدنا نعم فوما لنا

نبلو صحبة العديد بعض ثقوب؛

تمكثُ خشباً في طاعة الدهاليز

مشورته الشخصوس

العبية ... التعب

للنقر المخبأ في المتابض

كأخوة تليدين نقسم الفتوى

ثم يحرس كل هوامه وهواه

.. هذا لنا

.. هذا لكم

هذه امرأة تعرفها منامي، يتيقا

والمدن، إياها... المدن

تمخض الكتاب عند أسمائها رسماها

هذه الدار.. لو رأيتم.. 11 لم تكن الأديار ترطن حطمتها

أولئك نحن في موعظة للجنان، نحن

رعاف الليل، أخيريون، بأطوار الظل

تأتي المدن كي نعرف أشكالها هذا، ويثور

نأتي أوليين، لو أفتح فمي...!

لو أفتح فمي

فأنتي كيما تسرد المرأة غيمة

غيمة

ولسند الشاهق في غيظه الملكي

لم تكن إلا هكنا، ونأتى .. / أولون

نأتى

نأتى

ونأتى... ■

امبارج

محمد الحسيني

ضيوف

طريزة سفره، وجمعت الأحباب

المكتبي، جنب فراد حداد

بدأنا مداولت ماذا يكون

وجاهون بيخبط ع الباب

مرحب عمى

تليفونك مغبور

زرياب قاعد ريلعب ع العود

وبترقس

سامية جمال

طأيت ع الناس فى الشارع

ولدهت:

وطرا الصوت، عندى ضيوف

ودخلت

ملقتش ولا واحد منهم

راحوا فين؟

أتارينى كنت بارص فى مكتبنى

والشارع كان عز النوم

شبيه

مش قادر أنسى

فى ميدان الأوبرا لما أخذنى البياض من يدي

ودخلنا محل قماش

ورانى نفسى

نفس ملامح وشى، وطولى وعرضى

أنا واقف

وده قاعد ع الكرسي

مدينا إيدينا وسلمنا

منطقش ولا كلمة

وخرجت مشيت فى الشارع

من يومها بادور على نفس اللحظة

يمكن تكبدل أرواحنا

نرجع زى ماكننا

واحد كان بيعدى بالصدفة

على واحد قاعد فى ميدان الأوبرا

رف

أوهنه، من دم ولحم
أوهنه، بتاريخ ومشاعر
ع الريف اللي في وشك
أنا شابل عمر استكن
ولدين لقصيدة
وحروف بنهاجر
قاعد ع المكتب بكرة
في تاريخه بيذاكر
بيطلى في صوته، ببهاى ويشاور:
ع الحيلة
برواز فيه صوره لشخصى
ريمكن نتقابل.

نخبة

بارجع للبيت
وأحط المفتاح في الباب

ما يلقش أضرب جرس الباب

مايرنش
أفتح إيدى
بصوابى الخمسة
أخبط ع الباب
ولا باسمع صوت
إيه اللي حصل لى
أنا دايما باغلط فى الأرقام
باغلط في العناوين
ودة عادى
غير إنى فرجعت بصوت البراد بيقوللى:
- بابا، ده عيد ميلادى
ومتكشاش الليلة ترجع بدرى
وإنا كنت ساعتها جره الباب مش بره. ■

ش ت وية

مجدى الجابري

بعد نَصِّ الليل ..

على سطح بيت فـ أبو زعبل .

قاعدين ست شباب ، عاملين دائرية ، حاصرين فيها ،

بأجور وعدة شاي وسجاير وجهاز تسجيل ،

بيسجل بهذر ..

نكتهم وتريقتهم وقصايدهم وغناهم بأصراحتهم الوحشة ،

حنة من سيد درويش والشايخ إمام وفيروز ومرسيل خليفة

وفيه حدٌ غريب ..

مش مكتبهين لوجوده ،

حدٌ نحيف جداً .. فـ رجله الشمال زَكَّه خفيفه ، طول القعدة عمَّال يتحدجل بين الغنا والمنحك وريحت
العرق للشتوى وصوت شفت الشاي وطريقة الصوابيع ، ويضحك بصوت مكتوم م الشباب اللي بيتحدَّوه
بالشاي والشعر والتدخين والغناء والمنحك وجهاز التسجيل .

.....

ولما عيدالفتاح شهاب سمع صوت نقر عصفرورته على قَرَّاز شباك المترو ، اتاخذ ودخل حصن حبيبته
ونام .

بص له النحيف جداً وضحك . قيان بقه اللي ما فيهبوش ولا سَه .

دار التسجيل بمعدل أسرع .

نط الأعرج وسطينا ومَدَّ مخالبه خطف عبدالفتاح وطار ، وساب مكانه بقعة دم على أسفلت شارع فى
مدينة غريبة ، مَدِينا عيوننا هناك .. ورا العريية اللي يتاخذ تار الشايخ العريى من المدرس المصرى اللي رفض
ينجَح ابنه البليد فى الامتحان .. لكن سيناه ورجعنا تكمل تسجيل القعدة .

ضحك خالد عبدالمنعم وهو نائم على الطرف.. تحت اللحاف المكممور تحتيه العميال.. وكتم رجليه وهو يبحل يائه جه عليه الدور ونائم فعلا في النعس، غمزته بكوعى عثمان يشاركنا الضحك على النكتة اللي قالها إبراهيم عبدالفتاح، قام قاعد ضحك ويأنا وراح نافس رأسه في حجره. وسرح في المهرة أم سبع ريجلين ذهب.. وإلّفه اللي هنتعمل له وهو خارج من الكون، اشتركنا معاه في الزفة، وزعنا علينا الأودار.. ووصلناه.. ورجعنا جنب التسجيل نحتمي باللي فاضل فينا وجينا، ضحك الأعرج، فانتناظنا، بصينا لبعض وصوت عالي ومع بعض غلينا لحن السيّاس.

عمر نجم اللي ما كانش بيحب شعرى كان طيب جداً لما قلت قصيدة، طبطب على ضهرى وقاللى كلنى أول مرّة باسمعك.. ضحكك وبصيت في الأرض، فقام يحصنى.. وقعت منه الشنطة الخيش وانتمرت الكتب والأفلام والسندريتشات والقصايد وطيت ألم معاه، وإذا بالشخص الحيف جداً عمال يتخن يتخن.. لحد ما بقى حيط لحم بيلى وبينه، بصيت لإبراهيم وعصام العراقي اللي كان أغلب الوقت مشغول بواجبات المضيافة وسألتهم: إيه اللي بيحصل ده؟ حد فاهم حاجه؟ وإذا بحيط اللحم بيحول شعله نار خلطت عمر نجم من وسطينا، وسابتنا احدا الثلاثة يتنص لبعض برعب وإيدينا مكليشة في التسجيل الدابير يسجل أدان الفجر وأصوات الناس اللي رايعه تصلّى أو رايعه الشغل، كان واضح بين الأصوات صوت الأعرج وهو بيضحك.. فسكتنا التسجيل، ولمينا اللي فاضل منا، وقررنا.. بعد ما ننزل ما تجتمعش تانى في مكان واحد. ■

١٩٩٦



لوحة كروكية لتكسية العنابات الثلاث

«إلى عزلة السعادة الصيفية.. التي تريتُ
فينا على مهل...»
إلى تكسية: عبد المنعم قطب حميدة،

عماد شؤاد

(١) «تفصيل للنصف العلوي»

بالضبط؛
بعد أربعة وسبعين عاماً، وعشرة شهور، واثنين وعشرين ليلة
من بنائها؛
تهدمت تكسية العناب القديمة،
تهدمت بهدم، حين حط مالك الحزين من فوق جميزة عجز على عش اليمام.
أوحين مر سرب ثقيل من طيور الجنة فوقها،
ولم يرم على مصاطبها السلام.
تهدمت... وأول ما سقط كان فرع قديم، لشجرة مجهولة السلالة،
فرع.. طرّع من طرفه القليل الذي نخره السوس بشدة، وسقط - بالضبط -
على بعد سنتيمتر واحد من رأس ملق للنائلة الوحيد.
والنقل، لم يصبه الرعب، فقط... بكى بشدة من نخاعه...
لما وجد مجموعة من أسراب الغراميات تخرج من طرفه السوي،
الغراميات.. التي غطّاها الطحالب حتى نهايتها،
والتي أنتجت نسلًا كبيرانيًا فريداً، عاش أسطوره المعايير - تماماً -
جن باقي خلق الله،
أسراب الغراميات مرت من أمامه، دون التفاتة رحمة ليكأله،
مرت وهي تهش فوضوية الذكريات التي عشت تحت جلد الشيف،
وهي تشد من عودها المرهف، كي لا تسقطها أجيال العزلة فوق بكاء الطفل،
فينفوط الطحالب متحولاً لفراشات جديدة من الشق،
تطير - مرة أخرى - نحو قلوب... لم تذق الهوى بعد!

(٢) «تفصيل للنصف السفلى»

بالضبط؛ كانت العنابت ثلاث شجرات فقط،
 اتخذها النمل.. سكناً - تلقائية - للشغل،
 والعاملون.. لمسامرات الميتين الجدِّ،
 واللصوص.. للاختباء عن عيون الله،
 الشجرات الثلاث ظللن على بعد سبعة وعشرين عاماً من رغبتهن في شربة ماء أخيرة.
 وظلن - طول العام - يمتحن القطوف، دون موسم للراحة،
 حتى ارتبكت عنبات القرية... واعتقدن أن في الأمر شيئاً من السحر السخيف.
 الشجرات اللواتي صادقن - على مدى عمرهن للكمال - خمسة أجيالٍ من العائلة،
 دون أن يمسحن عرق أصابعهن من طرف العاقيد،
 ودون أن يفرطن - مرة - في الشكوى لله من أمثلة الفضوليين،
 بالفعل.. كن يزعجن لما تنشر يد امرأة هدم الفانبيين،
 على حبلٍ مربوط في أعوادهن الملفوفة،
 أو لما يستمن - مصادفةً - لاثنتين من فجارى القرية ويهرسهما نورج الجلس الثليل،
 الشجرات الثلاث... كن يسترحن في الليل فقط؛
 فيفرطن متفاليهن المخبأة - بعناية - عن أعين الآخرين،
 ويخرجن الصرايا العتيقة من عبهن... ليؤكدن لبعضهن - كل ليلة -
 أن جمالهن المسحور.. لم يطله سوى قليل جداً من ذبول الطبيعة الخفيف.
 وأن وحدتهن سوف يجدها مادمين يراقبن العالم يعين معايدة،
 ثم يبدأن - بعدها - في ممارسة سرهن القديم:
 يطوفن - بخفة الجنيات - بين الدور،
 يجمعن دموع العذارى فوق أوراق اللب
 ويحكنها - سراً - في القنوط...
 ثم يزعمن لعنابت القرية الأخريات...
 أنهن: طبيحات جداً...
 و - الحمد لله -
 ليس هناك ما يدعو للقلق!

(٣) «تفصيل أخير للجزء الأوسط».

ما بين الجهات...
هناك - دائماً - بوصلة خائبة،
وسهم مزاح.
فرشة الألوان أسقطت بقعا من الندوة
تستعيد كغوف العابرين في الدماغ.
والصوت الذي لا يبدن على نهدي امرأة مُحْتَمَة...
هو صوت ميت.. في الخراب.

.. هل تلاحظون: نحن الغرياء المجانين...
مازلنا نحبُّ المجاز قليلا...!؟-

ثم إن هناك أسرابا من التراميات قد هدَّما التعب،
.. أه... التعب...-

فاستظلت بظلال شجيرات من العنب المسحور،
وكان عرش الله

يفاضل ما بين علامتين:

- أين أروح...؟

- اللهم..

- لا تهرمنا...

عذراوات جُددًا ■

٢٢ سبتمبر ١٩٩٦

ثلاثة أشياء نسجلها - بفخر - على جدراننا الصديقة

نجاسة على

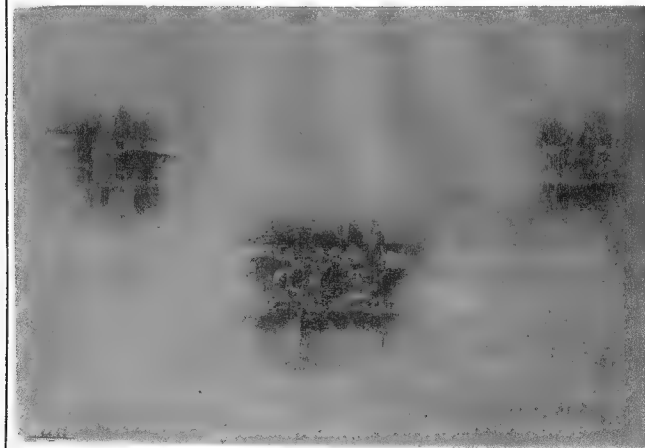
ولا شيء يهم
لا شيء يهم الآن بالتأكيد
أرحين نستيقظ في الصباح
بوجود مصفرة
فاشلين في أن نؤزل خيبتنا
فنشبه بغاوتنا كل أصدقائنا
الطيبين
الذين نقاطهم
.....
لسنا فوسرين تماما - كما نعتقد -
حين نلتكأ
ساعة
قبل أن نطرق الأبواب
ثم نبطئ قليلا...
في الدخول
- مكتورين -
- خجلانين -

نحتاج لأن نموت
مبكرا
هذا
العام
دون أن نبرد
هروبنا
إلى
للشوارع
في وقت متأخر
إن نكون في حاجة إذن
لأن نخاصم ...
كل هذه الأنوار التي تطفأ
قبل العاشرة
- أصابعنا التي نمتلها الأنيميا
بشكل قاصح
- البرودة التي تسكن حوائطنا
نيابة عنا

الشعر

بشافية
ربما يجلسن عليها مرة
لن تخصصهم.....
المبادين التي يحرونها
بلا أشباح
تؤرقهم كل ليلة
أقتامنا التي يجهدنا لنا
المجانين
في الشوارع
- غيابنا لفترة طويلة
- الغيوم التي يستطونها
على دوالرنا
حين يوزعون ملامحنا
على الأدرج
ثم يخطون في عد أشباهنا،
أولئك الذين تمبرا. ■

ولا شيء يهم الآن بالتأكيد
وهم لن يسمعوننا
هؤلاء الذين استراحوا في عزلتهم
دون أن تبنت ملابسهم
ولا عروقهم التي حملت دماءً
شبيهة بدمائنا
لن نتجرأ عليهم يوماً
فقط اليهم
أن يداومونا في العيد مرة
بزيارة
فنخبرهم عن القصبان التي
نمشي عليها
باستقامة
- طغولتنا التي تفضحنا عندهم
حينما نراهم
مقاعدهم التي نرتبها لهم



سأحدثكم عن هروب الملك(*)

شـيـخـيـاـد قـنـدـيـل

قا لم يلق أحد على النصار المتحدية من شجر الفصيلة الحجر أو حمصة.. إلا ناظر المدرسة الذي وجه الدعوة للاجتماع في بيته.. جاء بعض الرجال في السر ليتدبروا الأمر.. بدأ صفر الوجه.. ومن كان يفر الصبح من قبل لم يمس أحد به عند دخوله، ومن كان يغفر ويغيبه لم يخلق بحرف، ومن كان يتقهقه بسبب رولا سبب، لم يسمع أحد ضحكاته السجلة.. لم تنفرج الشفاه، ولم تظهر الأسنان، ولم تهرم الشرايب لأنها كانت منكسة.. لم يسمع غور صوت التلنس الذي كان أشبه بمشرفة الاحضار.

مرت القهوة فجزعها الجميع في عجلة. مضى نحو نصف ساعة دون أن يمتلك أشجعهم القدرة على اقتراح الجلسة بكلمة لتجمعها كلمات تشير ولو من بعيد إلى الموضع.

كان طبيعياً مهما طال الوقت الحائر أن يبدأ ناظر المدرسة.. كانت بداية تكة من رجل مطلع..

وجه اللوم لمن لم يحضر وعلى رأسهم الصمد وشيخ البلد، وهذا يعني أن الحاضرين يميزون بالشجاعة.. بداية نفع الناس بعض الشيء.. ثم قال:

(ه) نحل من رواية سمعته لكاتب تصدر قريباً.

- يخلو إلى يا جماعة أن هذا راء أصاب ناساً، فكل النساء حسب علمي حوامل.

أكثر البض أن يكون كذلك كل النساء.. أطربهم أمتج قائلًا:

- إلا أمي.

وقال سائق الأجرة:

- زوجتي الحمد لله سليمة، لكن.. لكن.

وقال ذو الشعر الأحمر:

- لأخف أصرى كلها أصابها الراء ما هذا بنت أختي التي تقيم في المزرعة معظم الوقت.

وهذا قال الحلاق:

- علينا إذن أن نعرف الأسباب ونبحث عن الحل.

من جديد وقع الجميع في آبار الصمت المألحة، إلى أن اندفع السمين ذواكرش.

لم يكن أحد يتحذر أن يتكلم أو يبعد بشيء في جلسة من هذا النوع.. قال باضطراب تصاحب نبذة صوته رعشة، ربما سببها الزهية:

- لازم يعرف الصغير قبل الكبير أن بلدنا و.. و.. لساننا جمعين ش.. ش.. شريفت، ومهما كا.. كان الصيب، و.. فهو خارج عن

إراء.. إراء.. إراءتھن. وإذا واحد شكك في واحدة، سيشا.. سيشا.. سيثكك فيهن جميعاً.

قال عذر الشمس: عندك حق.. مصيبة وحطت على البلد كلها.. لم ينج منها فرد.

كان شيخ المسجد جالساً يسبح ويستغفر ولا يعلق ومثله كان الصنير والرجل الذي ينظر كخبراً إلى ساعته، أما ذو الأنف الكبير المستدير فقد قال:

- يجب أن نتكلم بصراحة.

قال الناظر:

- ولماذا لاجتماع إذن، إننا في أشد الحاجة إلى الصراحة.. اجتمعنا حتى لا نخفي رموسنا في الزمائل.

استعاد ذو الأنف الخيط وقال:

- كلام كثير يملأ البلد، ملفسه: إن ذلك «رشران» وراء هذه الحوادث قال السمين ذو الكرش:

- هذا ما سمعته.

اعترض الصنير:

- كلام غير مقبول.

قال الأطول:

- وهل حجمه هو المقبول!!

عاد الصنير إلى ممارسته:

وخرجوا من عنده أقل غضباً عن ذي قبل،
وأكثر إيماناً بالله وبالقتناء والقتل.

بعد أسبوع فوجئ رجال القرية بدعوة حاجلة، من الممعة المحضرة طرفه مساء نفس اليوم. لما حضرتها طلب إليهم ضرورة مناقشة الموضوع المهم الذي سبق وحدثوه فيه.. ظلوا قسداً يروح ويحيى. أبلفهم أنه اكتشف بالأمس فقط أن نساء بيجته جميعاً حوامل ولابد من التصرّف.. لابد أن تبلغ الحكومة ومديرية الأمن ووزارة الصحة والوزير المحافظ ومساعدة السكرتير العام. تبادل الجميع اللطرات، واكتفوا بالقتل:

- الأمر أمره يا عمدة.. أنت كبير البلد.
وهو لا يزال واقسداً.. يروح ويحيى
ويصرب كفا بكف.. قال:

- أقصد أكم موافقون على أي إجراء
أأخذ، وتقومونني للاتصال بكل الجهات
المحيية.

والق الجميع وتسلل إلى نفوسهم ربما
للمرة الأولى إحساس بأن جزءاً من الحب
سوف يرفع عن صدورهم.. لكن الضرب
قال:

- وماذا نفعل في بلدنا يا حضرة العمدة؟
شرب الممعة قبضة بده اليمنى في
راحة بده اليسرى وقال:
- هذه هي المشكلة.

قال صدر اللشمن: المشكلة إن مرعد
الإجهاض فالت.

قال الممعة بعد لحظة صمت: ليس هناك
من حل إلا أن يتولى كل أب رعاية حفيده
من ابتغته غير المتزوجة.. كل فرد بشئ منه،
ما دلم يؤمن أنه أمر الله، ويخطب الشيخ
«التلاوي» والشيخ «برهام» في مساجد القرية
مؤكدين أن بلدنا شريفات وأن ما حدث يشبه

قال السمين: ليس له مصلحة.

استمر الحديث ويبادل أطرافه الرجال بلا
نتيجة، وظل يسبح ويستفقر دون أن يعلق.
ولفت ذلك كتهاب الناظر فسأل الشيخ:

- ما رأيك يا شيخ؟

عبث الشيخ في ذهنه، ويتهد لم رفع
رأسه ونظر لحظة إلى الثلاثي، عندئذ دخل
اللفي وقال:

- الممعة موجود.

قال حضرة الناظر على الفور: ما رأيكم
يا جماعة؟

رد الجميع في صوت واحد: نذهب إليه
الآن.

بهت الممعة عندما سمع أن للرجل
بالخارج.. عرضوا عليه الموضوع بكافة
جوانبه ويصفاً مما قاله، في بيت
«التشيد»، طلبوا رأيه، هز الممعة ذيل
الحمان التي لا تغيب عن بده وقال:

- أولاً.. نحن مؤمنون.

قالوا جميعاً:

- ونعم بالله.

استشعر أنه بدأ بداية موقفه متمحيم
جميعاً في قبضته، فاستطرد:

- أرى على الأقل ليس بين أيدينا ما يحثه
أو يشور إلى أنه هو الجاني لا داعي
للتنازع، لا تصدقوا لنا هوجة بلا داع..
كفرتنا حمن السمعة، ولا مبرر للاجتماعات
والهيجان، وعلى لو فرضنا أنه كذلك.. ماذا
سنفعل له؟.. سنقتله.. نقتله.. ويصدها..
الحاصل الآن أن النساء حملت وكله بأمر الله
في الأول وفي الآخر.

صدم من هنا تعلق ومن هناك مثله..
لكن الجميع تقريباً اقتنع بكلام الممعة،

- أنا غير مقتنع.

قال صدر اللشمن:

- كان يجب أن يحضر الممعة.. المسألة
تخص القرية كلها.. وهو كبيرها.

قال الناظر:

- أحمد أبو سلامة، دخل عنده وخرج
قال إنه غير موجود.

قال الحلاق بمصم:

- هو ديك «غرغان» ولازم يموت.

قال الأصعب بهوده:

- لازم يموت.. لكن للمصوبة تحيط بنا
الآن.. فما العمل؟

برز الألف من وراء السمين ذي
الكرفي وقال:

- هل تصور أن يوافق الممعة على ذلك؟
هو صاحب مصلحة في وجوده.. الأوزة التي
تبيض له بيضاً من ذهب.

- والعمل؟

- لابد أن نعرض عليه المشكلة.. ممكن
يكون عنده حل نأذي الناظر وإداه الكوبر:

- بطريقته وفي السر اعرف لنا.. الممعة
في دوراه أم لا، لنطلق للفي.

سادت فترة صمت.. قطعها سائق
الأجرة:

- لماذا لم يحضر شيخ للبلد.. لقد رأيت
في الصباح.

الأطول: الأترواف السبب؟

سائق الأجرة: لا.

ابسم الضرب إتهامه خيث وقال:

- لأنه غير ممتاز.. زوجته الأولى عاقر،
والثانية حامل من الأصل وسلد خلال أيام.

الطاعون.. شيء في الجو.. نقله الهوام.

قال الأخنف: أنا قلت هذا يا عمدة.

قال للعمدة: والله براوة عليك يا وله.. ومن رأيي أن يبدأ البلد في وضع زيتها مع دقوتها.. يعني عقد اتفاقيات لتزويج هؤلاء البنات من شبان البلد.. وكلنا أهل.. بالناسبة أنا عندي ثلاث بنات.

كبح الشيخ فصمت الجميع اعتقاداً أنه سيقول شيئاً.. كبح ثانية فصمتوا، وبالفعل بدأ يلعب ريقه ويحركه إسانه استخدماً للكلام كما يفعل دائماً.. وكان قد ظل طوال الاجتماعين السابقين صامداً.. قال:

.. لا أستطيع أن أقول ذلك على المنبر ولا أعلن الشيخ بهرام، سيقول شيئاً من هذا.

اتدفع الرجل الذي ينظر كشيء في ساعده: لازم نقولوا.. إن بلدنا شريفات.. لازم وليده ذو الشعر الأحمر صارخاً في الشيخ.. تدخل العمدة وقال:

.. واحدة واحدة يا جماعة.. قل لنا يا شيخ «حامد» هل أنت تشك في أحد؟

ظل الشيخ صامداً، فقال للعمدة:

.. انظر يا مولانا إننا سوف ندخل إلى فقرة لا تبقى ولا نذر، وأنت عندما تقول ما أطلب منك قوله.. أقصد الذي نطلبه جميعاً منك.. إما تحقن الدماء وتحافظ على الوحدة الوطنية وتجنب البلد مشاكل كبيرة.

كان الناظر قد لاذ بالصمت طويلاً، وإما رأى حالة الشيخ وسمعه البركاني قال:

.. أنا من رأيي أن يظل الموضوع بعيداً عن المساجد.

قال ذو الشعر الأحمر: على الأقل دعوا لنا الله يفرجنا من هذه المصيبة التي لا كانت على الباب ولا على الخاطر.

وهذا قال الشيخ:

.. لكي تخرجوا من المصيبة ارجعوا إلى الله.. بالكثير من الصلاة والصداقات وفعل الخيرات والدعاء، وأن يهتم الأغني بالفقير، ويقام الموائد للجميع أيام الجمعة.. هذه هي القرينات إلى الله.. لعل وعسى وفرج الله قريب.. «يا أيها الذين آمنوا لا تفلطوا من رحمة الله»..

توقف الجميع فجأة بعد أن اقتحم القاعة خفيراً يزعم:

.. الحق يا حضرة للعمدة.. «حسن» الطخ.

.. «حسن» من يا خفيرو للثوم؟

.. «حسن» للرشودي.

.. من الذي قتله؟

.. لم تلحقه.

.. هرب يا؟

ساد الهرج لما بلغت الحاضرين ولولة النساء تتألف الجميع نحو باب الخروج.

صفق العمدة بيديه. جامته زوجته تضي على مهل وتلقى أمامه فرقتي حذائه. قالت:

.. ابن الرشودي كان على علاقة به «نجوى» ابنة «راغب بك».

لمم العمدة أطراف حياوته وهو وضع قدميه في الحذاء، وقال:

.. تقنياً يسكرتك.

لحقت به كلماتها قبل أن يختفي ذيله عن عينيها:

.. أنت لا تعرف شيئاً مما يجري حولك يا عمدة.

واصلت البطون للتقدم للأمام، محنت تكبر وكبير، وعندما دلت من تمام شهرها السابح شرعت النسوة يشكين من ضربات

البطون والآلام في الظهور، بدأت في التراجع والتأخر، وزاد الألم تدريجياً مع تضخم النفل الترابض في الرحم، ثم تدخل تدريجياً مرحلة الصراخ.

انفجحت الأبواب وجرت الميصال في الشوارع تنادي «القابلة»، وأختها وتنادي أي سيدة كبيدة في السن، لعلها تساعد ولو بالرائي.

لم يستجب مدير مديرية الصحة لطلب عمدة القرية أن يبنى مستشفى ولادة طوارئ على شكل مخيم يتسع لمائتي حامل توشك كل مهن أن تضع وليدها. تحدث إلى المحافظ واستعان عليه بأعضاء مجلسي الشعب والشورى والحزب الوطني بلا فائدة.

أخيراً قرروا إرسال بعثة من عشرين طبيباً متخصصاً في أمراض النساء ومثلهم من الممرضات وبعدة أطقم توليد لإنجاز المهمة على أرض القرية وفي بيوت أصحابها.

خصص العمدة للأطباء داراً من دوره، واستقبل شيخ البلد الممرضات في دار أخيه الصراف.

عرف الصعفيون الخبر، فقدموا بآلات التصوير وأجهزة التسجيل ولحكت بهم الإذاعات ومراسل وكالات الأنباء العالمية والفتريات التلفزيونية لرصد الحدث العالمي الكبير.. مئات النساء على وشك الولادة في وقت واحد تقريباً.

استعد الأطباء والممرضات للحاق بأي حالة يدخل أهلها أنها توشك على الوضع، وسرعان ما تنال الصراخ وتراثت الدعوات وأصرع الأطباء ما بين النداء.. كل طبيب معه ممرضة. يقوم بالتحصن ويبحث الحالة ويأمر بتجهيز ما يريد من فرش نظيفة وماء ساخن وإضاءة كافية وملابس نظيفة وقطن وصابون..

وطفها السيارة . التفتحت أنفاسها أخيراً بعد نجاح السحارة المبكرة للهروب . تركت القرية ورجالها الذين أجمعوا أمرهم على إلقاء الضرر بأنفسهم الوجود . كان السائق والركاب يجرون عن دهشتهم لمنظر الديك .. لم تحرم أي اهتمام .. هذا قتها .. وشكت أن تلقم الرائد ثديها وتفكر في المكان الذي سوف يسعها والديك .. ردت على نفسها بسرعة .. أي مكان .. اللهم أي أن أفرط فيه أبداً وإن أسمع بأفعواله .. لم يعد لي غيره .. يجب ألا يعرف أحد من أهل القرية مكاننا ، فهم في الأغلب لن يتركوه .

لحظات واعتزت العربة بقوة . رفعت رأسها قليلاً وكانت تتابع بين العين والعين ظل الديك على الأرض وهو مرتبط بظل السيارة المندفعة إلى اليمين . كانت الشمس قبل الغروب مازالت تسقط على كل شيء .. صرخت في هذه اللحظة وخلفت لديها من فم الطفل وهي ترى الديك يطير بعيداً ..

صرخت في السائق كي يوقف . وضعت الطفل على مقعدها . صرخت فيه ثانية وبسرة . توقف .. أسرعت تجري في إثر الديك .. تصرخ وتناديه :

.. أرجع يا ملك .. أرجع يا روح محبات .. عد إلى يا روح محبات ، ماض في سبيله الملك ، تفرق بقرة ويحبه شرقاً فوق الحقائق والمقول نحو عالم آخر وقرى أخرى .. وظلت محبات تصرخ بينما الملك يبتعد ويبتعد .. يتحامل ويتحامل حتى لا تكاد تبهو منه غير حركة أجنحته حتى تلاشي في الأفق البعيد .

ظلت تجري وزمامه وتسقط في يده وطنين وتصعد بهجرات صغيرة .. تنادي : .. أرجع يا روح محبات .. يا روح محبات ..

بأمره إلا بعد أسبوع والصدفة .. هدد العمدة بأنه ينظر فقط رؤية المراديد ، ولم تأكد أنها تمت إلى الديك بأدنى شبهة لقطه فوراً وإن يمنعه أحد من ذلك ..

لما رأت المواليد للزور . فتش الأهل فيها . كان من اليسير إدراكه علاقته بالديك .. لويس إلا التقليل منها يشبه أسنانهم ، والتكثير منها يشبه واد محبات ، وهناك من له لوزتان تحت فكه ، ومن يوده ثلاثة أصابع أو أربعة ، ومثلها في قدمه .. الجميع اتصلت لأرضهم بطونهم بفشاء جلدى عريض كالأجحة لا يتقصه إلا الرئش ، ومنهم من بهجده شعر أصفر وأسود وأبيض .

تجمع الرجال بعد أن أيقروا بأن القاع ولحد وحود ومحدد ، احتشدوا أمام دوار العمدة ، كل منهم يحمل عصا غليظة . كانت إحدى بناته قد ولدت والتمس ملامح الديك فوجدته بقوة .. نزل للعمدة جافراً .. كان يحمل بيده مظلماً يحمطون .. عصا غليظة ، حازماً على أن يضرب بها الضرية الأولى ليدفن عملية الضرب الكبرى .

علقت محبات بها عزم عليه الرجال . أسرعت إلى دارها . قالت للديك : إن أهل القرية يأثمون بك وقد صمموا على قتلهم ، فيها بذأ لهرب ، خلعت كيوس نقرها وتسلقت السور اللخلى للثنا . سبقها الملك إلى التزلق في الجانب الآخر ليعلمها عندما تترقى السور . رفعت وتذلت فهبطت .. ركضاً قدر طاقة محبات التي حملت وليندا للتقليل .. قطعا العزل حتى بلغا الطريق السريع . كانت السيارات تدور في اندفاع مجنون لا تلتفت إلى عابر .

أشارت إلى سيارة ميكروباس ، لم تأبه بها أية سيارة عدة دقائق ، ثم وقفت واحدة .. قبلها فخذ الديك فوق سقف الميكروباس كانت حائرة كيف يتسنى له الركوب ، دخلت

القرية خفية نعل .. يحدث فيها كل شيء في الدنيا في وقت وأحد التكل يجري ويحدث ويعدس الله ويحمل أشياء . يطبخ ويأكل ويشرب وينادي ويصهر ويغام ويقع من طولته .. يموت .. يفسا .. يولد .. يمرض .. يذرف .. يصرخ .. يبيكي .. يضحك .. وفرح .. يدهش .. يضرب كفاً بكف .. يلطم خديه . يغشى عليه . يحمده الله .. يتبادل الجميع الأشياء .. تصرع السيارات إلى البندر لتحصن التكريرات لتتقل بين الأمهات والأسماء .. قرية بكاملها تلد حتى الرجال .. يخرج البعض تفرقاً كان يخفيها لوقت حاجته .. ويبيع البعض شيئاً مما يملكه ، يشتري على عجل وبأى سعر ما يلزم للحفاظ على حياة الولادة والمواليد .. كل النساء العوامل ينمن على الأسرة والأقربان التي غشلتها للبطالين والأملاجات وكل الرجال والعامل يمتدنون على الأرض ، وقوى أقدام اللذين والسباح وفوق الأسطح ، ولا يسأل أحد عن أحد ، ولا يسأل عن طعام أي شخص يأكل من أي مكان .. البهوت الميسورة أعدت الصواني وأخرجتها أمام الدور . حملتها على المصاطب ليأكل من يريد . بعض الأطباء ساعد في توليد بقر وجاموس وميزر تصادف ويضام مع البشر .

كل المواليد تقريباً لم تبقى في الأرحام غير سبعة أشهر . القرية كلها تلد خلال أسبوعين فقط .

سود الصحفيون مكات الصحفات بالأخبار ويوسف الرقائع والطرائف والمراوات . أنص اللحظات وأنصها .. أعمال الخاصة . الأسماء المقترحة .. إحصائيات مختلفة ..

كانت هناك سبع حالات ولادة في بيت العمدة وحده . عده أقدام الديك أطول مدة تركت بذاته يخفونه ولم يعرف العمدة

مصنت تجرى وتتخبط وتنادى.. تخوض
فى المياه وتجتاز للحقول وتدوس على تراب
أرجلته دموع فجيعتها. ■

تجريت قدماها وتمزقت ملابسها وهى
تجى ولا تدرك بأنه ابعد أو أخففى، ولا
تقر بمجزها أو بعد المسافة بينهما.. وثقى أنه
لو واصلت النداء والسمى خله سوف تلتق به
وتستعيده.

تقع وتلهض وتصلطم باللاس والشجر
والحجارة وتتعثر ثم تقوم وعينها على
الأفق الهميد الذى ابتلع وجهها وغاب فيه
الملك.

ف

أغسطس الصفيير

عاطف سليمان

كان يتلقى سؤال الاختيار من جديد، يتسمع: «محمد»، فيم يستنقع بذلك؟، ويكاد يسمع صوتاً، هو صوته بعد كل حساب، يتقرر: في هذا، ويخشا «محمد»، ما كان يريده من مشغولات اليوم، وخطرة خطرة يلجأ عمله، في ذات كسل الهراء، بالذهن المشغول بالصفاء، وبالقلب الزاوي، وطمأن أنه لم يكن يهيم نفسه مشغولاً في لحظة الانكسار؛ لتفتتها، إلا أن التكمية التي توصلت هبة المنقذ تدخله في تلك اللحظة وتدبني نظراته. ويتم «محمد» عمله، ويكون أن ينتهي زملاؤه أيضاً من أعمالهم، فيندمون إلى جلسته، غير مهالين بكتل الهراء لأنهم لم يتصرفوا، ولم يتصرفوا أبداً في التحولات المنصوبة فيها، كان «محمد» لا يذهب إلى ذلك، ولكنه كان شعر، أكثر من أي شيء آخر، بأنهم إنما يتصرفون فيه، ويحبى الرئيس، ملتصقاً بصفيهم، ويتقرب منهم بخطوات حثيئة حتى يصيروا جميعاً محل نظراته الهاسية قيديهم:

.. أيها الغافلون، مساء الخير.

فيهالان، صباحكمين:

.. تمام، تمام، مساء الخير.

يتصايحرون هكذا، وكأنما يهددون أنفسهم، لأن الرئيس سيخفص في الحال لأعمالهم كعادته، ويخبرها، ولكنه سرود، غير عابى يتردى الإيقاع: تمام، تمام، حتى قبل أن يبدد يده إلى أي شيء، سرودها بلا إقطاع تقريباً، على مدى عشرين دقيقة

بمحيط علم بما يتعين عليهم تخليصه من أشغال، موزاً للجمع فرصة الاختيار، وكان دائماً ما يبدأ به مستطعاً:

.. «محمد» أقيم متنع بذلك؟

ولمّا كذلك يمد «محمد» لاجتباب المشغولات التي تروقه، محبباً رؤيتها مبددة بين أذى الزملاء، ودون أن يلحظ الصيغة التكوينية التي يصدر بها رده كل مرة، يتكلم، مغلفاً نفسه أيضاً:

.. أضعها فيما سيقتي لها.

ويختار الآخرون، ورويدا رويدا يندمجون في أعمالهم، ويحز «محمد» المهمة التي لم يتحس لها أحد إذ تكون في الغالب ملة وجالبة للأخطاء، دون أن يستنص اعترافاً بأنه يستمرئ نيل الورقة كل مرة. ثم يكن له أن يندمج، كالأخرين، لكن ليس قبل أن يفتح لإحساس ضروري وشامل بالعز أن يدركه، ليهيئ طوال الوقت في حضرة هراجه يستنقذ عمله بنفسه من أخطاء خاطئة، بلا معنى وبلا نفع. وقت يمتنى، وضرورة الانتهاء من عمله قبل الآخرين تدريج به وتنتهي لها سطوة اللناء عليه، وهكذا يفر «محمد» ساعة، يمتنعها متكاملاً على كرسى عتيق أمام الورشة، في حين يوالى تدخين سجاثره، ويتلصص على حرصه في أن يحتويه حيز رؤية الزملاء الأربعة، لاهياً عن إدراكه بأنه إنما يمتنع بذلك حراستهم له في تلك الأصائل، حيث

ق أيام. كان يُوقظ فيها مع كل فجر، لينتفض قلم القسم، ويخرج إلى شرفة البيت، فينظر بلوحة بيضاء، يشدا إلى حاملها، ويبقى منتظراً دقائق قليلة تغافل أمه فيها لنعاسها، وتند على باب الشرفة الزجاجي بالملقعة الصغيرة، لتضع له كوب الشاي بالعليب الساخن، ثم تتركه مع ورقته البيضاء الملطخة بصور تلك أن تتجلى في كتل الهواء أمامه ثم لا تتجلى لأصابعه التي لا تزد إلا بعد ساعات ثلاث لتصرفها، وتعيدا ملفوفة، وتتركها بدراخ إلى هذا أو ذلك الحائط، ثم يرجع ليجد الشاي بالعليب قد برد، وختمته قشرة رخوة غير محبوبة، فيكتسلها بأصبعه، ويمس شرابه، صاحب إياه من بين أسنانه المفلوكة ببطء واستغراق ودون أن يرفع الكوب عن فمه، ملجأ عبر الوسيلة لغاضبه عن الهباء الذي حدث، عذلاً يكون عليه أيضاً أن يتجاوز عن تصببه في البرص، أي يكون عليه أن يمتل إلى سريره بعدما يعيد تعميته، لينام نصف ساعة يتاح له بعدها أن يصحو، وأن يخال اليوم من صباح آخر. وكان يهيم من تلقاء نفسه، مخنفاً بلمع اللين السكر في فمه إلا أنه بعد عشرين دقيقة من هذه اللحظة، وعلى مدى صيف كامل، كان يشاهد في الطريق، في منتهي أناته، قاصدا ورشة النجارة.

كان يعمل مع آخرين، أربعة نخارين ورئيس، والرئيس هو الذي يوزع عليهم الأعمال يومياً، أو هو بالآخرى من

بناظر خلائها أفعال اليوم، أما «محمد» فسيكون عندئذ كما كان، جالساً، يتأهب للانصراف، لا يكاد يظن أن أحدًا لن يستطيع لمس أفعاله أو استعراضها، وأنه، وهو الذي دسها في الهواء، صائر إلى عمام عليها يمد وقت لن يطول، متعزياً بأنّها - بثمة وسيلة - نسفت وطويت، له، باسمه، في رحابات الكون، الحافظة، الصارمة. ويؤاخذ الرئيس، من وسط أخشابه، ليوأله بفنول:

- هذه القطعة، من عملك اليوم. أنيس كذلك؟

- إلى حد ما..

- يعني..؟

- أعني أنني صانعها إلى حد ما!

أتراك نظرت إليها كثيرًا، كثيرًا جدًا؟

- لم أكن أنظر إليها.

- تعرف! تبدو وكأنها جزء من تكريرات شخص... ويريقه «محمد» محتامًا لثلا يقصر، ويظهره بأمانة:

- صدقني، ليست إلا أكثر سوءًا مما تظن!

ويصرف «محمد» مع زملائه، بينما يوافيه طعم الضاي بالحليب، ويقصه.

الأبدان الفضة كانت عددًا ترشدهم، وتفتح لهم عيولهم على مسامات صيف ناعم أزرق تتساب فيما لا يشبه إلا القربين السحري للهار والليل، وكانت نظرة الملقذ تستعد من عينيّه، فيمس في مقدوره كذلك أن يلتقهما على صيف له نفس اللامعات المبرجة لأول صوب تنوّه بشر الأرض، دون أن يمس في مقدور شيء أن يبله عما إذا كان قد شوقه هذا الكمال الباذخ المتصرر فيما كان من حياته أو فيما سيكون، غير أنه في تلك اللحظات المفعمة بخصب وخصب كانت الدعوة تشوشه، وتحطه، وتضرب روجه، ليحسن أن إنما يقاد إلى ما ينبغي عليه أن يتحدا، ويتكسبه.

كان «محمد» يتوارى من صيفه لأنه تظير، مرة، من خطط الجمال السمومة، المتلاعبة. وفي الصيف التالي كانت لوجهه الليضاء بوضاه، لم تكل غير غبار سة، توالى توليد حرمانها من صورة عسيرة لوجه «عائشة» و«محمد»، الذي استلغ في كئل الهواء كل الهيات التي لشتها من وجه «عائشة»، لم يحصد خطًا من إهدامها على لوجهه، وكانت لا تستقر له، في النهايات، غير صورة وجه رفيق لا يؤمن من دورة «عائشة». في الشتاء، أهداه «محمد» مركبًا بحريًا صغيرًا، لعبة، صمها من خشب وحرير، فقالت له وهي تسترّها على فخذها إنها فآل سيئ، ولكنها وعدته بهدية؛ دمية بالحجم الطبيعي لمرسة تقي وتدابيع وتفتح وتخاصم وأسرار أخرى لم تبح بها «عائشة»، بنت العشرين التي وعدت. وفي الشتاء كان على «محمد» أن يتناسى أنه يدرّب نهايات للصيف الذي سيحل لأن «عائشة» اشترحت أن تولفها حركات المركبة عديمًا لهيب عليها نسات أغسطس حتى تقدم هديتها.

كان كهولت «عائشة» قد حيا لـ «محمد» أن يخلق فيها مرة، وأن يبال لسانها ورضاها كما كانت عائشة، تحوطه بنظرات مدومة، مبرورة، طويلة، ثم كئبت شيئًا على باطن فكها، بتوتر، وكزيت له يدها وقالت:

- إسألني سؤالي.

فقال «محمد» لها، وله:

- أنتا مبروعة من جمالك. جمال «عائشة»، الذي هو لنا ومستطق دولك. أنت محرومة من أن تتألى نفسك..

الآن تفكرين، حقيقة، في هذا؟

طوقته «عائشة»، بلحومة وخفوت، وتذوقت فيه، روضًا به. وشرينه.

هذه هي اللخاطرة، التي ترجب فقط أن يلفها أحد لا لتحتفها «عائشة» وحسب، بل وتفتح لها كياناتها في التو لتدخل وتسرى

في الماشات التي كالتها، منذ أولها وحتى اللحظة التي ستسحب فيها لسانها من فم «محمد» لتقول له بالصوت الهلّ السمار من «باردة»:

- أول إنسان أحبه.

وتنقر على دماغه بسبابتها، وتكمل بذات اللبرات التي كان يرد «محمد» بها على سؤال الاختيار من رئيس الورشة:

- دع هذا يستريح، قليلًا.

و«محمد» لا يرغب أن يتراجها لورًا لور، ولا يريد منها أن تقول حبها له، يريد شيئًا من المحبة، ويود لو أنه يسكت، فلا يسكت:

- «عائشة». لا أعرف كيف أرم صورة لك. إنني أنسى ملامحك.

وهو يفهم أنه لا يلسي ملامحها وإنما يمزج أن يطرحها فتعصيه، ويؤمنان. فتستيد «عائشة» مرارتها:

- «محمد»، من أنا؟ صف «عائشة» يا «محمد»!

فبما يهدء وفي أحد صباحات مارس انتظرت «عائشة» لأكثر من خمس دقائق لتعبد إليه خاتمه، ولتؤدى له عبارات: أنا أخاف مني عليك.. إلخ، وينبى أسدقاء.. إلخ، و«محمد» الذي تراه له هذا المشهد الصباحي بحافظه رقتما أعلنت «عائشة» الانتظار حتى تقرر نسام أغسطس شيئًا بشأنها، مظما تراه له شخصه وهو يرمي الخاتم المررد تحت جزمته ويهرسه، كان يرد في مارس ببذلة فاتحة:

- تكون أسدقاء.

في أغسطس لم يبد متروقًا أن تختبر المركبة الصغيرة، ولكن فكر «محمد» بها، وتمنى لو أن تختبرها «عائشة»، وهو معها، اللحظة واحدة، محفدًا في حصنه من ألغام الائتام بجها من جديد، ومسايرًا إلى أنامل بأن أغسطس الذي انتشر طويلًا، سيعد

لا تقصر المكالمات، ومسلماً بأنه لو لم تُباعت
العبة لحاز لها ذراعين إغريقين شامخين.
وفي ليلة، وبينما هو مكتفى على موسوعة
مصوّرة عن كل المصور، يلتش فيها عن
ذراعى «بلوى»، بحث له لعبته مستبعدة،
رأى على نحو ما، وإن لنفسه، للحظة،
وكأنه تأمل لأن يرجو رجاءه، لأن لمس،
تحديداً، ذراعى «ولد».

ببيع حبات نمش على وجنتيها، كانت
«وادة» تبسم له، فى عيديه، برناعة وعذرية،
وهى تضمه إليها بقرة مدفئة، وتهمس:

.. لا أستطيع احتضانك بما يكفى!

وكان - هو - يضمها إلى قلبه بامتنان،
مستشعر خجلته من ذراعيه، أنساً بذراعيها،
وغير مصعوم من الاكتئاب إلى أن جسدهما
كان يتلقى، فى رحمة، قبساً من لسانم يوم
أخير من أغسطس. ■

هنا، تحصلون على إحصاءة للوجه.. نلتح للتم
تقريباً لتؤكد النظرة.. أما الأثران، فإن يحوّرنا
سوى الثور الأول. بدأ يسوركا وغير ملت أن
يبدل، محمد، مكانه فيدرك وجه المعلمة
ويطالعه، ولم يكن ليقتل. ومن مكانه، حيث
وجهها سبيل محجوباً بشعرها وبحركات
الطفلة، كان «محمد» يلعب مع صوته،
ويضمن اللامح والاسم لها، التلمبة التى
نحيت، فى اللور، من أساسها، عندما نوديت
الفقاة للتليفون.

قبل انقضاء عشرين ساعة، وفى جلسته
الأسبوعية أمام الورشة لم يفتش «محمد»
لتعديل اختيار مشغوليته، ولم يتابع كعادته
أغسطس الذى كان يمضى، منصرفاً إلى
التفكير فى ذراعيها الشاهقين القصورتين
مثل ذراعى ولده للذراع اليسرى البعيدة
المسكة بساعة للتليفون، للذراع اليمنى التى

انتظاره بكل التضاريف المركبة للديم. لم
يكن «محمد» حينئذ يملك أن يرى «عائشة»،
ولكنه كان يملك صورة مدى العمر ما لم
يرف نذرهما ويدعا المركبة للديم لم يكن
محمد حينئذ يملك أن يرى عائشة ولكنه كان
يملك صورة وحيدة لها، فى ذيل إحدى
صفحات مجلة أطفال قديمة رخيصة، فقسمها
«محمد»، وصمغها، وصمغها على ورقة
كرتون لتقريبها، فأفمدها للصمغ ووطبها
ومسها، وبعد انقضاء الظهيرة فى محاولة
مخلصة، عاجزة، لإنقاذ الصورة واستعادتها،
تداولها «محمد» بين إصبعين وأسطحها
ببساطة فى مطلقه سجاله، وهو يدرك على
سبيل اليقين أنه ما أراد هذه البساطة
لحركته، وأن «عائشة» استردت نفسها منه
تماماً تماماً. كما لو. أن. شيئاً. لم يكن.

كانت الفقاة ترسم، بالأحرى كانت تلم
طفلة مبادئ الرسم، وترشددها: أدبرى خطاً

أجمل صورة رأتها

ليل الشتاء طويل

الجمال سالم

ق

أزاحت الغطاء، تفرقت واضعة
يدما على خدما.

الإيقاع المنتظم للعبه يرقعها. الغرفة
منبوقة، الملابس مكدمة على ظهر السرير
والكراسي.

أوراق مبعثرة فوق وتحت المكتب،
الضوء يسقط بشدة على الحائط المواجه
لسريرها، فتهرق عينا، عهد الناصر، وتتسع
أبصاره.

أجمل صورة رأتها له، مع أنها اعتادت
على الكثير من صوره المطبوعة والمعلقة في
الشوارع والميادين والمدارس والجامعات
والكشاكيل والمسلات والمستشفيات،
«عبدالناصر»، «عبد الناصر» في كل مكان،
«عبد الناصر» حتى التلفس، هكذا كان وكانت
نراه في الطفولة والصبا.

حدثته: عاجبك الحال؟

.....

«تضحك وتبسم للسماء؟ صرخت آخر
الأخبار، صاحب البيت عازز يرفع الإيجار،
كان يستجري يمل ده وأنت موجود؟»

.....

روح يا شيخ، منك لله، خليتنا خلم،
وتحلم، وبلوت مش عسارقين وأسا من
رجلينا.

تأملت جبهته العريضة وعينيه الصليتين
للنافتين.

أرذفت:

«ومع ذلك، أنت جميل ولا يهمك، كله
بيمدى».

«أنت بتكلم نفسك؟»

رأته مائلا فوق رأسها.

خبطت على صدرها:

«يا سائر، يارب، لنت هنا من امتي؟؟»

قفز على السرير، مازحها:

«قولى - لى - الأول، هو مين دا الى
جميل، يا جميل أنت، يا حلو».

أزاحت عنها:

«بس أخشى».

لفت النال على كتفها:

«إيه اللي مصحكك لحد دلوقت؟»

خفض صوته:

«للقآن».

نظرت إلى وجهه مليا، متأملة ملامحه
المتفرعة، أخذ من أبيه الراحل طوله وسمرته
ومن جده حاجبيه المعقودين ومنها عينيها
السوداوين المستحورتين ومن خاله الشعر
الكثيف، جميل هو، لكنه حزين، هكذا استشر
قلبها، لكنها تنتظر أن يفاتحها كعادته.

وضع وجهه بين كتفيه:

«مش صارف يا أمى أخنار، أسافر
وأسيك لوبدك ولا استلى وأخد ملائم».

منذ زمان غير بعيد، وهي تنتظر هذه
اللحظة وتخافها، لكنها اعتادت كما هي
عادتها على قبول أشياء لا مفر منها.

تجوتت ببصرها في الصبرة، لاحظت
اتساع دوائر التشع في الزوايا العالية وتآكل
حوايف الكلام الذى أهدته إياها أمس ليلة
زفافها.

تأملت للظن إلى صورة «عبد الناصر»،
أوشك الفجر على البزوغ، استدارت

بوجهها نحو عينيه المظلمتين:

«أنت عاوز إيه؟»

أخذ نفسا قويا:

«بصراحة من غير زعل؟»

ردت مترقية:

«من غير زعل».

«أسافر، لكن مش حا غيب عنك كثير،
سنة أو لتنين، مش أكثر».

نفس الكلام سمعته من أخوها وأسرف
فى الفيصاب سبرات طويلة حتى ملت
عدما.

القصة

دنا منها:

- قلتي إيه؟؟

خفصت صوتها:

- اللي تشوفه.

صاح بنفاد صبر:

- يعني مرافقة؟

هزت رأسها إلى أسفل.

لمعت عيناها، قفزت عن القرائن صائحاً:

- أما الحق أنام - لى - ساعة عشان الحق

النهار من أوله.

توقفت فجأة:

- آه، أصوت.

طبع قبلة مريحة على رأسها:

- تصبح على خير يا جميل.

الدم يخالفها والشتاء ليله ثقيل، يردمه
ينفذ في عظامها الواهنة، فردت جسمها،
شدت البطانية حتى صدرها، اختلست نظرة
إلى «عبد الناصر»، رأته ينظر إلى السماء،
غطت وجهها متممة:

- كله بيعدى. ■



لحم «القبور ايب»

فالد إسماعيل

(١)

قا أشم رائحته .. وأرى وجهه الأسمر اللبكي، كلما جلست إلى «مائدة الزحمن، في «رمضان، بشارع «شامبلون»، قامته القصيرة .. هذاه المتهاكك، «شرابه، المتكور حول كاحليه - سكاكين في بطنى - وهو يحمل طبق الفريخ فيه صحن المرق والموخسية وقطع اللحم، في طريقه إلى «المضدة الكبيرة، كلما كانت «جنازة».

أشم رائحته وأصالحه - عمى أبو حسنية - هو وإلغار يحملون مقاطف «الصبخ، من «حروش، «بهائنا، إلى أسفل جدار بيت «إلياس».

أخجل منه كلما كانت في جيبي ١٠ جنيهات، صميجة، وكلما قال لى «عبد العاطى، الصاعى:

« صباح الخير يا باشا .. تأمرنى يا باشا.

لعبت مع «حسنية، ابنته - لبة «الصيجة، التى صنعتها من تراب «مجاز، اللببت على هبة مستطيل؛ قالت لى إنها سيجة «عيال مصر، وأبوها علمها سرها .. كانت على الجدار صورة قفلة بوضاء مكشوفة للزراعين تشبه الشيخ «عبد الوهاب، صاحب «الطامون، فى قبلى البلدة، وصورة «فواكه وخضراوات، منزوعة من كتاب «الشاهدات المصورة، الذى درسته فى أروى ابتدائى.

(٢)

قبل أن يمر «أبو المجد الفخامى، بتعاجه، ويألع «الحسن، وقيل أن تخرج «رحمه، و«روزا، ولدنا بنات «إلياس، إلى غيظ «المعاهدة - بهرى البلاد - أكون أنا وأخى «عبد الزحمن، قد جمعنا بلح «نخل الأرض، وأكلنا «الحلب البنانى، من بالغ اصعاد السرور من «جنيته أحمد رشوان، كل صباح ..

ثم أنجب إلى بيت «أبو حسنية، تكون هناك «فوقية، وأختها «روحية، فنبدا مشوار «السجة، حتى يؤذن خالى «عطوفى، لصلاة الظهر، ثم تصنع «فوقية - لكبرنا - «زيارات» من «عبدان «البرسيم، ... تقترح «حسنية، لعبة «خضن القرية، ... تصنع زجاجة طوية فيها ماء كاللبن وبعض «كباب البوص ثم تصب «الشحبة، ونحن وراءها نغنى:

« خضن القرية خضن

طلع زبد .. خضن ..

أذكرهن لبة «العليات، فتلم «فوقية، تشر جبايتها وتهمس ..

« آه .. بالراحة يا دكتور لحسن الراد يموت

تزع «حسنية - يدى - يعلف - لتلم هى ..

دخل «أبو حسنية، قرأنا، أنفسها يقدمه، ثم ألغى بأشوانا خارج البيت وهو يلن أبامنا

وأمهاتنا .. فجريت ناحية «الجامع، واختبأت فى «دورة المياه ..

(٣)

اتفقنا على أن نلعب فى بيت جدى «عبد التفار، المهجور، وانضمت إلينا «عايدة، وفى اليوم التالى دعتنى لدخول غرفة مقام الشيخ «بهرى، - الذى مات جدى «عبد التفار، قبل إنمام قبئها - تيجى نلعبوا عروسة وعريس؟

ثم خلعت «الباس القماش، واستدارت ..

دقائق مضطربة، ثم انطلق صياح الأولاد:

« هـ يـ هـ

صحن ملوچه

ع السلطوچه

أفطر باللى صائم

فروضت «سروالى، فى جيبي وخرجت ..

«لم يكن فى الشارع غير «أبو حسنية، يدخن سيجارة .. «كلب «إلياس، يقول على حائط بيت جدى «عبد التفار،

(٤)

« أنسرغنا «العيب، الأول فى الشراى، وسرى دفء فى أجسادنا، وحكت «حسنية،

(٨)

.. قالت «أميرة» بعد أن تمتمت وشريت
النشأ إنها ترغب في إرسال خطاب إلى
«عبد السلام» أخوها المقيم في «عين شمس»
للخيرية... فأحضرت الورقة والقلم وكتبت..

بسم الله الرحمن الرحيم
.. وبه نستعين -

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
النبى الأمى سيدنا محمد عليه وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد:

أخى الغالى عبد السلام: أهدى إليك
سلاماً لم يعد إلى السماء لصار قفراً مثيراً
يثير للناس حبايتهم ولز هبط إلى الأرض
لصار شجرة فروعها الشجرة والوراء..

أخى عبد السلام:

أشاق إليك كما يشاق الطفل إلى الدواء،
والزراع إلى الماء والجندي إلى أرض الوطن
والطفل إلى ثدى أمه وبعد:

تهدى إليك أحفك «أميرة» كثير السلام،
وإلى لست «أم ياسر» و«ياسر» و«حنان» وكل
من وسأل عنها كباراً وصغاراً له منها كثير
السلام.. وبعد:

نحرفك يا «أبو ياسر» إنك زى ما انت
عارف بتبليت بالجيزة وألحيا بديرى، ورينا ما
يعوزك لصف مخلوق، وقعدة البيوت من
بالساهر، عشان كدة يا أخويا نعرفك إنه «أبو»
صابر: قالت تانى سنة ولم نعرف ليه طريق
مطرح برية ريته ما كان سافر ولا طلع من
بيتنا أبداً و«صابر» يا عيني بان عليه اليوم
بديرى، ورويتك للدكتور كثير، وانت عارف
إنه أخشك لا معاهها «حاق» ولا «كرنان»،
وصلحت ما خليفتى، حتى الفروج بعته
والأرقب والعز وعيالها عشان كدة يا «أبو ياسر»،
أنا ما أيش غيرك وقاصداك في ٥٠ جنيه،

الخالف، و«عبد الحمى» على سيرة «شركة ذل»،
و«السويس» والكاتب الإنجليزي، وأسفار للحلم
و«جمال عبد الناصر» والخير بتاع زمان،
والكيمارى الذى جمل «الحوشة ماسخة».. قطع
الطريق جدى «عبد الخالق»..

- راعى يا «عبد الله» البت بت المقدس
اللى هجت مع ولد «عبد الحكيم ملطى»؟

- آى وأعيها.. لونها مدة كالم سنة..

- متى قالوا نهاريها لدهسا «البايبر»،
ولقيوها بحرى «أسويط» ومش عارف أيه؟

«يفتح جدى عبد الله فمه بصفص ابصامة
وعينين مغمضتين»

- لها حكاية «أبو حسنية» عاملة زوها
بالضبط..

قال جدى «عبد الحمى» بعدة:

- كلام ما راكيشى على بعضه.. يعنى
إيه قرلة ساب الترحيلة ويهج في الراوى 1؟

رد جدى «عبد الله»:

- يطم بيه ريتا.. بزيادة شوقنا لنا قصة
غور دى.. «أبو حسنية» كان يقول لجميع «يا
عم» وكان جدى «عبد الحمى» يعتمد عليه في
طحن «القمح» وإرسال جاموسه إلى عجل
التعشيش «بشطاء» وما قصد «أبو حسنية» في
خدمة إلا أذاها من طوب خاطر..

(٧)

.. وأنا عائد من «غريب البلد» رأيت
«شهينة» «الحنيوية» التى تضرب الترمل
وتوشق الزرع وتخرج الدود من العيون
والآذان.. جالسة على عتبة «أبو حسنية»
وحولها عيال و«حريم» و«أميرة» عاصبة
رأسها بشال أسود..

وفى المساء عسرت من «أمى» أن
«شهينة» قد أخبرها الترمل بأن «أبو حسنية» لن
يعود..

التي تصاورنى حكاية البنت الحلوة التى
خطفها «القول» من حبيبها وجمل إخوتها
السبعة «عجل بقر» فقلت من الله أن يجملها
حمامة فصارت تمط على ظهور إخوتها
وتصبرهم، حتى مات «القول» فى معركة
ففسد سمه، وعادت الفتاة إلى حبيبها
وعادت المحول السبعة إلى هيئة للرجال
بإرادة الله..

وفى آخر النهار رأيت «أبو حسنية» وكبس
«شوال» القطن، وجدى يصيب له «النشأ» وهو
يداعبه:

- اشرب يا «أبو حسنية».. الله يرحم
أبوك..

وجدتى تقول:

- يا «أبو حسنية» دا الترحوم أبوك كان
عاقب، ولولا الترحوم كان زناك مزاحق..،
قاعد على زرعك ومطبخك..

(٥)

صرخة «أميرة»، جعلت أمى تهزى لحو
للشباك، وأنا وراها.. توافد على بيتها
«اعتماد» و«سماء» و«بدات إلياس».. فقلت
أمى:

- أميرة جاها للرجوع.. مسكينة، عاملة
عصيلة «كحت» ريتا بنتها الطفلة..

«لم يشهد «أبو حسنية» لحظة ميلاد
«صابر»، كان في ترحيله «الزراعات» مع مائة
رجل على رأسهم «الزيس» «خليفة»، ولولا خطأ
«أميرة» فى حساب مدة العمل واستعمال
الزيس «خليفة» ما تركبها وحدها.. وكان
للشيخ «الزير» يقرأ الآن.. ختمه.. فخرها «أبو»
حسنية، لرقامت بالسلامة..

(٦)

أفك الآن أمام «بوابة» بيتنا للزراعية
للجامع.. وشمس الشتاء جمع أجدادى «عبد

ومنع الأطباء الزيارات عنها ولما ماتت قامت «جمعية العاملين بالكتاب والسنة» بأسبوط بشراء الكفن وإخراج الجثة من ثلاثة المستشفى وجاد بها شباب ملتحمون بسيارة ذات ليلة - فدفنوها ونحن في غاية الخجل .

(١١)

.. في حالة تشبه «الجزارة» عشنا الأيام التالية لزواج «حسنية» فحين لم نقر لها ليلة فرح واشترطنا على «فرج الله العبد» أن يكون ابنه «خير» على ابنتنا «حسنية» بحيثنا نحن ملحقنا «نحاشا» للخرج وكلام الناس .

«حسنية» أمها مائت بالسكة، فزوج «أبو حسنية» من «أميرة» التي كانت معترضة على زواج «حسنية» من عبد فلم تحضر إجراءات الزواج... .

(١٢)

«أميرة» في منزل «دور العمد» تكي، و«صابر» يصرخ من حذاب «الخيزانة» التي تلهب قحميه وأنا خارج - كالفار المبلبل - أتسحب، بعد أن رجوت العمد أن يفعله فثمتنى... .

.. ما دام عامل فيها راجل... روح هات له نار ابوه... .

«بعض الحكايات سرت في البلد كلها تقول إن «أبو حسنية» مات في معركة بين وبين شاب غني من «الخارجة» وإن المائة رجل تذكرت له كذلك الرئيس «خليفة» وحكايات أخرى تقول إن «أبو حسنية» علق امرأة أخته من «الزحجلة» وعاش معها في قرية اسمها «القصر» مشهورة بجبال نسايتها.. كان «صابر» قد تسبب في سقوط «أحمد» ابن العمد من أعلى سور «البيستان» فكسرت ذراعه وشهد عليه اثنان من عيال الحلب هنا «سيد أبو ذريح» وصنلى ابن «بنيه»... .

الشهر ده انتزقت فـا جمعية دفعت القرشين اللي معاها وبعدين رينا افكرنا أنا و«أم ياسر» بشوية عيا وسامحيلي يا «أم صابر» ويا ريت كان معاها وبنتي يا «أم صابر» أختي وليكي متى الكفف ده زاد والكفف الثاني مسيه. ولسمي لي على «صابر» ورينا يظمن قلبك ويفرجك بيه» .

قرأت الخطاب بصوت مسموع قائمات «أميرة» وسيل شتائم ودموعها كالنهر..

روح يا عبد السلام يا ولد أمي وأوبريا روح

شالله تقطك عريه

شالله دراعك ما يذفن معاك

شالله يشرحك حكيم

شالله تشعت عليهم

ولتي يا مسلو به يا قحبه

شالله تجيكي شرعية دم تثل دراعك... .

«عبد السلام» قبل أن يموت في «عين شمس» عاش سنوات تكفل خلالها «أبو حسنية» بكل نفقاته من أكل ونحاشا و«هدوم» لأن أباه المرحوم «حسين» طوق علق «أبو حسنية» بعهد اللزم بداه عليه بأن يصون لحمه ولحم أولاده من بعده وتل «أبو حسنية» وثيا حتى اختار «عبد السلام» الإقامة والزواج في القاهرة.. .

(١٣)

«فرقة» تعيش الآن مع «أميرة» بحيثنا عن جو البيت الذي يذكرها بالوحدة والفرقة بعد وفاة أختها «روحية» في مستشفى «المبرة» بأسبوط... .

«عندما داهم المرض الخبيث جسد «روحية» نلقها «رافقت سلمان» الذي يحمل ترخيص حلاق ورقة عن لييه - إلى «المبرة»

تبعها في أقرب فرصة مع أي حد جاي من مصر... رينا يخلف عليك بالحلل ويعرض عليك عرض الصابرين ويديم عليك عافيتك وينور لك عينك ويكفيك شر الماروق ويولد الحرام ويت الحرام ويجعل ليك ما عليك .

ملحوظة:

ولتي يا «أبو ياسر» ابتي قول لست «أم ياسر» تبع لي الطرحة اللي قالت لي عليها يوم ما كانت في البلد وما تتساق لياحين أنا ما قادرش لروح هنا ولا هنا من غير طرحة وما معايش غير ما دنشة الشقة .

«والسلام ختام وليس بيننا ختام» .

أخذك أم صابر

وكاتبه يحيى يهذلك السلام

تحرير في ١٩٧٢ / ٤ / ٥ .

(١٤)

أطلقنا الحريق الذي شب في «بومر» على سطح بيت «أبو حسنية» وقام جدتي «عبد الله» بصقع «أميرة» لأنها اتهمت أخته - جدتي «هدومة» - بإشغال النار في البومر، وبعد أيام عرفنا أن «حمدان» ابن المرحوم «بخت المصكري» غريب من الشرقية كان يعمل في النقطة والندب ليقوم بدور «العمد» غلب اغتيال العمد في «١٩٦٥» وأصعبه بلدا لعاش ومات فيها بعد أن أنجب حمدان، قد أشعل النار في قطة صغيرة اندست في البومر فاشعل... . وحدثت مصالحة بين «أميرة» و«أم حمدان» التي دفعت «جنيهين» ثمن البومر الذي احترق، وفي اليوم نفسه تقلت «أميرة» خطابا من «عبد السلام».. .

«أخذنا الثانية «أم صابر» إحنا كويسين والطرحة إلى طلبجها هتوصلك في أقرب فرصة أما القلوس فأنا غصين على وسامحيني ما قدرتش تدبرهم عشان أنا

(١٣)

«عايدة، طلقها «مهران» ابن عمها «ازم» ولم تجذب منه، تقضى أيامها في الوحدة الصمعية، مع الكاتب «وهو من أوسخ عائلة في مشعل» ولا يفوتها «سوق» حيث تصاجع رجالاً يأثرون من بلادهم خصيصاً لزيارة بيت «المعلمة صفاء» ويمرر السمرات صارت

«عايدة» أشهر امرأة في البيت، وأنها شروط - تشترطها في من يرضيها - من بينها ألا يكون مخفناً أو فلاحاً يرتدى الجلابيب البادية. «عايدة» عليها ديون كثيرة لبالع السمك وأبو شيف «للجزائر وجمال» بالبحر القماش و«نعم» الفزارجي، و«اعتماد» تقول عنها إنها تستقبل شباباً في بيتها «بعد نص الليل».

وكما جلست مع أصدقائي في «غرب البلد» سارحتي بمضهم بملاقته مع «عايدة».. «عايدة» بنت أخت «أبو حسنية» وكانت في حبانها مشهورة «بالمشى البطال» مع رجال من بلدنا والبلاد المجاورة وظلت روحها «مضطقة» أربعة أيام ثم فاض السر الإلهي فكانت فرحة ما بعدها فرحة في قلب «أبو حسنية».



السيرة الذاتية لثلاثة من الحميمين

نابج الشكري

فعل سحري يتضاعف في حمية الوطن
ذاتها.

العفاء على العفاء.. وللحم على اللحم..
حتى حُكِّى إليها في لحظة من اللحظات أنه لم
يعد هناك. ويفعل عفران الاحتكاك. إلا لو
الحمرة وحدها.

ثم تكمازج الشفاء مع تأناة وهممة بين
المكتومة والمسموعة، تقودنا لملاحقة السماء
وكاننا نشهدا - وعن قرب - على أمل
المزوجة الشفاهية. وفيما بدأ المشهد بنساق
محموم، كتبت للبانة في القفر للهواء، مما
جعلني التظاهرة الأولى بروح السبق.

في انقضاء المودة.. وعند الاقتراب من
التراب، تطايرت ذراته الهوائية المتلاحقة
بإصرار مما حدا بصاحب أبوك لأن يعلن
غيظه.. مستذكر فعل الإنقاء. يا الله يا واسع
العدل، كيف يتجرأ هذا المدعى للقتل والكمال
على فعل الفصل ويعلن أن ما هو حلال عليه
حرام علينا؟!

ثم كتبت يا جعشى - قالت أمي - ثمرة
هذه الجرار.. والاندلاء المشهود.

يتعثر الثاني لبده سيرته، محركا أذنيه
لفرض ما علق منها من ذرات ترابية ظاهرة:

- فعل السيرة الذاتية ذاتها قد تمكك، لقد
أطروني ثداء لا نظير له، حتى إن صاحبي

يوما صار المالم بأجمعه لا يساوي شيئا
أمامنا، لم تعد ترى منه غيرنا. لكن ثمة شيئا
يقف قبالهنا، عرفه أبوك منذ أول وفاة، قد
تقول حاجز الرهبة القاطن في التفتش
الصدري، قد تقول حبلى للربط أو للتأديب،
كما يسميه الإنسان الذي يفاخر كذا بأن
تسميته هذه تصل بإنسانيته وعلمه
للمخلوقات الأخرى (هذا بدلت امتزازات
الأذان في دلالة على الإجماع بمصادقية
تسبب المغامرة). لا هذا ولا ذلك، إنه (تهدئة
عميقة تجهز لأن يرفع رأسه لمتصف قبة
السماء ثانية). الورد حيث الأرض مترابطة
في فصل الشد والضعف. الأرض، أي والله
الأرض، لا أحد يمكنه تصديق ذلك، ككشاف
أبيك للأشياء منذ بدليتها سبب له نقصا
ملاحقة لاعتقادهم بأن ذلك يخرجهم عن
طور بهالسمية المندودة. لا أحد على
الإطلاق يرغب في أن تكون خارجين عما
رسموه لنا منذ الأزل، ولو من باب التثؤن
وامرة واحدة!! أبوك - تقول أمي - استطاع
ويفضل الله ويفضل نعله المشيت بصلافة
مناهية أن يجود لمبة القلع. ومن لمظلتها
كنت أنت تكملة لنسخة مكررة ستورالي بفعل
الرض، والافتلاع. وتبلغ اللحظة المحيمية
ذروتها حين يكون أول تهاوس وتلاسن بيننا
وعلى غير المائدة ظل يطارحنى - تقول أمي -
الاحتكاك الجانبى، وكان الحرارة المستفيدة

ق
ثلاثة تلتقى عند بركة من برك
مدخل زوارة السبخى الرطب
المصبوح بطونيات متعنية، بدت وكأنها يقع
متناثرة في رأس رجل متوسط العمر. ثلاثة،
يجمع بينهما الهوام على وجهها كفيما ألق.
يستأنز أول الواصلين في سرد سيرته،
مطوحا نظيره في ألق شاسع بين علب
فارغة منكبسة بمال مكتسب من تواجد
حقول صورية لا تهجد ترميد الأيام القادمة
بقدسها المتفرج في أهلب الأحيان، وبين
زرقه سماء يعتقد أنها نصف الدنيا:

- حدثتني أمي بألنى أقرب واحد شيئا
بأبى، الذى استطاعت أن تعرف عليه يوم
أن جوى به ولا يفصلها عنها سوى حاجز
نرابى ملهى بالثنين الشوكى. وقد كان لقوة
الرائحة.. وقوة الرغبة الخفية الكامنة فيه، أثر
في جملة يطور ويتقلع إمبراطورية المنع من
جذورها في بادرة هي الأولى من نوعها في
تاريخ الحميم.

ويقدر ما كان ذلك مبعث جبرو أبوك،
فإنه في الوقت عينه مدعاة لسرور صاحبه
لاعتقاده بأن الهوام اللين الشوكى سيوفر
عليه تكلفة الغذاء. التقت نظرتنا - تقول أمي -
الثامة لأول مرة عند سقوط آخر طوبة في
جدار المنع.

يصبى إلى أبى أكثر مما يصبى إلى أمى..
فكان لداؤه المتكرر، الطعمم الحسان؟
وزيادة فى المبالغة كان يتسامل أحياناً..
أعدتم السرج الفضى؟!!

كنت مدخلا للغاية حتى إننى لم أعرف
الذرية... ولا الأكلات الوضيعة إلا نادراً.. إلى
أن جاء يوم أنكر فيه نسبى إلى أبى وتتأسى
بين عشية وضحاها ما كان يكره من مدح
وثاء.

.. الجعل ابن الصبح، يتجرأ على فرس
كالغزال؟!

صيفة واحدة، ويدس طور متقطع قلبها
صاحبى، فكانت وحدها كخيلة بالانقلاب
والجبرم.. وبالتالى انهيار سبل المصى
والهراوات على امتدادى.. كنت أفس فى كل
واحدة أنها أشد وطأة من سابقتها.. وكلما
هبطت واحدة على جزء عظمى، أحسست
برعدة قوية تشبه الرعدة المتكررة بفعل
شدية تيار كهربائى..

ورجذتكى ألعب بقدمنى فى الهواء، أنثرها
زارعاً غصينى، أحسست بحافزى الأيمن
يفوص فى شىء ما، بدا لى وكأنه قطعة
إسفنجية رخوة، ثم بانهايار كتلة متجمعة
تتأثرت أجزاؤها بالبهضاء المصبوغة بلون
أحمر.. تهاوت المصى للقائمة من كل حدب
وصوب..

تلمت تطويحاتى للذرية المتعاقبة فى
تصارع لى... تنهائى لى صوت جشج عن
قرب منادى بشىء ما.. أحت أهدم متبرأ لا
فى انكلاء قديمى اليملى، جمعت آخر ما تبقى
لى من جهد، فككت به قيدي، ثم أطلقت
ساقى للريح.

.. طاخ.. طاخ.. طاخ..

درى الصمت فى فضامات المكان..

«بين لأنه والريح».

سمعت انهمك بوضوح.. أبقت أن اليد
المرتدة لن تقوى على فعل شىء ما فى يوم
ما.

غراب يحلق على ارتفاع منخفض،
وكانه يمارس لعبة الصنت، اشتمذ العمار
الأول من قبح السطر.. زفر فى الهواء
بصوت ممموع، تتأثرت ذرات خياشومه
المائية.. طائر، غرنوق البصر، يمدون
استدارة أو لفتاء، رقبته الممدودة بإصرار
تشير بصرامته وجديده فى فعل الطيران.

.. أقسم لكم بخطرلى للنادرة، وخصلى
للموصوم بها ظلماً وعدواناً، أننى ما همت
على وجهى إلا لإحساسى بالهروج، فى سجن
حديقة الحيوان.

ملتت جميع الوجوه الكالحة.. المتبرمة..
للباحة عن انتفاخ الجيوب والكروش.. فطرت
جميع الأسوار عاليها واطولها، قطعت جميع
للمسافات قصيرها وطولها، بحثاً عن نهز
أنفج فيه على الصمان الأليس.. ذاتى
الأخرى الكامنة فى عمق البهايمة.

بصمت آخر للمتحدثين، تطلق بومة
قريبة نحيباً مخفلاً بهم لا يحد، كبحلى
للمرورى الثلاثة ببطء للفرجة على لمسها
بالبركة الملحية المستديرة. ■

داخل صندوق مدكم

أحمد غريب

(٤)

هل تتخيل أن أقصى درجات الصغارة هي أن تعيش حياة عادية؟ الحياة العادية أكبر رهان يمكن أن يصالح، ومصدر الخطورة في الرهان هو حجمه: إنه العمر كله تقريباً. أنت هنا لم تختار كرسي اللعب بل مشدود إليه دون حق الانسحاب، بل حتى الهزيمة لا تتوفر بشكلها السريع، إنها مجرد الاستمرار في اللعب دون نجاح معين، يحدد مراسفاته آخرون غيرك، المسألة كلها ليمت بديك، فقط عليك أن تلعب كم نقطة سجلتها وعليك أن تستمر الصغارة هذا مائة في المائة، وليس هناك أي تخطيط. هل يمكن أن تخطط للخطوة الأخيرة، الموت، أو لتقوم على الأقل؟ أنا شخصياً أنظر إليه على أنه لحظة مضت يمكن أن تذكرها بملادين الطرق التي تشعر بك بثره الحياة، الموت مجرد ذكرى سبقت لك، لكن إذا سمحت كلمة شخصياً التي قلتها بهدف التمتع ربما أترجع عن الإجابة والسؤال ممأ، وكشخص جبان يحاول أن يدعم إمكانياته ليقود صفة الخوف قررت أن أحب أكثر من امرأة، لن فوران سألني بكل اللذة ويسلمني إلى لحظة الموت، عندئذ يتمامى الصاحب بذك وبين المرأة، أليس الموت هو لحظة الاتصال بين الحياة الفانية والأبد؟

(١)

ق جبان هناك أكبر من صوت يتحدث، ولم أكن أرى وجه أحد بدقة، كانوا جميعاً يتحدثون، ولم يكن هناك علامة على نيتهم أن يبتكروا.

ابتسمت، هكذا خيل إلى أن الهامسين على جانبي الأيسر يرغبون في ابتسامتي ثم وقلت بعد فترة وقت إنني جئت ماشياً، ومرفقاً، ويجب أن أعود حتى أصغر منكراً. وأجمروا على أنني سأعود في سيارة مع أهدم، ويجب أن أجلس دون قلق.

تلقبت نظراتها ثانية بارتباك مجرد أن جئت، وأجمعت من عينيها أنها تفحصت جسدي جيداً قبل تلك اللحظة، كانت ابتسامتها تقيماً نهائياً لما أمك، ولم أكن أعرف ماذا يجب أن أفعل، ولم أجد فرصة لأن أفهم ارتباكاً وأهاليه، كان لدى ذية في أن أتخطى شيئاً ما وذية في أن أنسحب، ولم أرجع بظهوري لأستند على الكرسي فقد شدتني للمحدث ثانية.

(٢)

من هذه الزاوية المفترجة، حيث يبدو في المقدمة مباراة للنس الطاولة، كنت أراها تتخذ الكرة بأنفها فتمبر الشبكة القصيرة بالعرض، ولا يبدو لي إلا ألف اللاعبين الآخر

وقعه. كان الباب خلفها حيث كانت بالخارج ترتدى زى للنس الصلبي ويبدو بعض أجزاء الملعب، تنفذ بالكرة إلى من لا أراه، وجولتها القصيرة ترتفع فتظهر مؤخرتها.

الملعب للكبير يتماجد مع الصورة التي بها الطاولة وكان على أن أسر بسرعة، لكنني خفت أن أقصد اللعب، فإلمبارتان على أقدامهما.

(٣)

كانت تسألني عما أقوم به في صلي، وتبني للذقة. وجدت مرفقي يستند على مسند الكرسي، وجسدي يوحى بتعظيم واستحالة بينما أمكني من عدم حبي لوظفتي، وعن الملل، وللحظة قبلت المرأة، وسمعت قدمها تلمس الأرض بينما تسوي حرف الجيوب، ولم أكن أنطقها هكذا وإنما «جبية»، وكنت أتجه نفس الكلام بحثاً عن نهاية لهجة نسيت بدلتها وأنا أتابع عودة ساقها الموضوعة على الأخرى لتلاصق الأرض، وأسوي التماثلين. ووجدت الكلمة لكن مصيبتنا «منجبت» بدما على فخذي لتقاطعي، وكانت تلمس بطني ويدها، ثم وقفت ووجهها ناحيتي وانحنت تسألني «هل تشعر بمتكافيه؟» وعيداهما تفوسمان في داخلي بينما تلاصق كفتي براحه بدما، وبعد أن هزئت رأسي استدارت إليها قائلة: «متكافيه برده هه»، وذهبت.

(٥)

أوليتها تظهر لأشاهد أهداف المباراة التي جرت ظهر اليوم، وأصحت للفتان إلى الطاوله، وأخذت سيجارة، فقالت: «أنت مثل تحب الكيك؟»، ولم أرد. فسألت: «هو مين اللي كسب؟»، فسقلت اسم الفريق وجمعت واضعاً ساقي على ساق، وأصفت: «أن الحكم لم يكن عادلاً، وقامت مضيقنا لثالث مرة عندما سمعت بكاء الطفل بالداخل، وعندما أحسرتة كدائد خرجنا إلى البلكونة لأن التدخين سيضايق الولد» وأخذت أشرب للسكافيه، وقالت: «أنت مش عايز تتكلم؟»، ونظرت إلى الداخل ووجدتهم مشغولين بالطفل، وتوقعت أن تسألني مضيقنا عن أحوال خطيبتي عندما ندخل إليهم، وقلت: «إنني تحدثت مشاهدة الشروق من البلكونة ولا أدخلها في هذا الوقت أبدًا». «حسب السهر قوى كده، ولا بصحي بدرى؟»، وقلت إنني سأمنى بعد دقائق، وأضافت أنها متوصلني في طريقها وأنها لا تحب السرقة لكن التاكسيات خطر بالليل، وقررت أن أجيب عن السؤال بأن خطيبتي بشير ومشغولة قليلاً، وخلصنا لكنها أخبرتني أنها قابت خطيبتي منذ يومين، وسألتني متى ستزوج؟ وقلت ربما يسهل، ونسيت أن أسأل على الباقيين فعدت لأسألهم، وكنت مبتهماً من المرجح، وكانوا يمحنونني وهم يملون.

(٦)

لمحت ورقة مخبذة على الباب، ووقفت أنظر إلى ما فيها، لكنها أخذتها ولبستها بين يديها، وشعرت أنني أأتمر على نفسي وأن ذلك مرفق. أصأت مصباح اللفرقة الرئيسي

وتركت بقية البيت في الظلام، لكنها أصامت الصباح الجانبي وأغلقت الرئيسي، وراودني إحساس بعدم الأهمية، وقلت إنني جائع، وسألتني «هل تريد أن تأكل فعلاً؟»، ولم يكن هناك صوت إلا في أنفسي، ولاحتلت أنها أقصر مني عندما خلعت حذاءها، وغمدت أنها لا ترتدي كورلين، وقررت في أسماء أصحابي الذين كبحوا الورقة، وقالت إنهم ينظرونني في مقهى أندلسية وسألتني «هل ستذهب إليهم؟»، ولم أرد وإنما جلست على السرير لم تحدث، فقالت «في غرفتك ثلاث مرآيات» ثم نظرت إلى المكتب وتغير وجهها عندما رأت صور المجلات الموضوعة تحت زجاج المكتب، ووضعت يدها على مقبض اللراج الأول، ولم تفصح. فقلت جملة من رؤية كنت أقروها «إنك في مكان جاء فيه المستقبل ونحب»، فقالت «أنت لا تبدو لي غامضاً كما تخبئه ولم أرد، وتفكرت جملة أخرى وردتها بيني وبين نفسي «غامض جداً، ومتطابق جداً في الهواء» دون شيء يستقر عليه أو يحط رحله. إذا أردت أن تراه أغلق عينيك سوف تخطر لك أفكار، وسوف تتخلص من عقده، وسوف تظهر لك روى رائعة».

(٧)

جلست على المكتب فوق للصور وضعت يديها بجوار فخذيها لتخطي بقية الصور التي لم تخفف ثمتها، ودفعت على لوح للزجاج لأنها متفكة، ويبدو أنها فهمت قلتي طبقاً للصور فقالت «الحى أبقي من البيت» ونظرت إلى غرفتي وكلتها تنظر إلى أنقاض فسقت لنا ليس عددي شعور مند

المقابر ولم أكرهها أبداً. «وجلس على كرسي المكتب أمامها، فمدت ساقها على كسائي واستندت على يديها إلى الخلف، وأصفت وأنا أرفع الحقيبة إنني كنت أنعب إلى المقابر صباح الجمعة من كل أسبوع وأقرأ الصورة بعشرة صاع، ودفعت رأسي ضاماً، حتى هبطت على وتركت المكتب، وارتعت لأن الزجاج لم ينكسر، ومدت يدها وفتحت ال F. M. فوجدت فريق ميثرف يخي «أفعل كل شيء من أجل الحب، لكني لا أريد ذلك» فقالت «أنت حيران داخل صندوق مثقل، وأعطت للرايدي، وكانت أنفاسي تتلاقي لكني وضعت شريط كاسيت لموسيقى هائلة، وقلت بدون ذلك سيسعد الديران، ولم أكمل الجملة تقريباً لأنها مزقت قميصي أو البهلول، وضربتها كثيراً، وكانت ممتعة إلى درجة لم أتخيلها حتى إنني تذكرت جملة شهيرة في فيلم غريزة أساسية، وقلتها لها وكانت ترددي ملابسها بكل ولم ترد علي، ثم جلست بين رجلتي وقالت إن حبرتي جميلة، وسألتني متى سيعود أظني من السفر؟ وقلت في الصيف، فقالت إننا في يونيو الآن فمتى يكون الصيف؟ فقلت في يوليو بعد أن تكفي الامتحانات. وقامت لتجلس على الكرسي لكنك تظهرها حتى كادت تسقط لكني أمسكتها قبل الأرض بقول، فقالت إنني لن أصبرها بهذا الإحساس لو كنت في بيتها، وسألتني «متى أخذت بلاك مني؟»، فقلت عندما أخبرني صديق لي أنه حبلك، ولم أكل لها اسمه رغم أنها طليت، ولم تجبني عن نفس السؤال متى أخذت بلاك مني؟، ولم أكن مهتماً بالسؤال لكنها طرحتة أمامي، وقلت عندما أتصل بها غداً ستجدني في مرصد إجاباتها. ■

إسرا .. إسرا .. يا إسرا

أشرف الشماعيسى

فقال لآبد البهائم جالعة قالت شعبة وضروها منتخفة ومملوءة باللين لكنها لا تدرك فقال أين ماذا هناك؟ قالت مائية وهي تشرب إلى حجرة المسافرين المرأة إسرا قدمها قدم نحن قسمهم الحاج وقال في سره زوجي الدميمة مختاطلة من إسرا الجميلة وانفتحت من قدوس للأزاعة فأما حاداً وخرج وهو يسير على حافة الخرساء (المرء) كان يندفن بالتمساح إسرا إسرا يا إسرا. وبخلت زوجة الحاج غرفة المسافرين لتوقظ إسرا، الثالثة فأصابها دهشة وأصابها رعشة كانت جدران الحجرة ذات اللون السماوي قد تفتت بهتق كثيرة سوداء وصفراء وخضراء وزرقاء ورمادية وسقفها الأبيض صار أسود جداً وتأكدت في سريرة «مائية» أن قدم «إسرا» قدم نحن وإن قدمها قدم سريرة لكنها تكنت سابقتها في لحم روك «إسرا» الدامع وقالت «الصباح» وتوتت «إسرا» قبل أن تمسحل واعتدلت وفركت عينيها وقالت «صباح جميل» و «مائية» وضعت أمام «إسرا» صينية عليها طعام وقالت «ماذا حدث لجدران الحجرة؟» «إسرا» هفت بضيق «جبن شديد الطوحة يكون إسطرابي؟» وتساوت «أين اللين يا أخت؟» «مائية» وقالت «بهانما هذا الصباح بخيلة» وقطبت «إسرا» جبيلها فزاد الكلب الضخم وهو رايش في حظيرة المرواشي وقالت إسرا أين الحاج يا أخت؟ كان الحاج «مجاهد» في العقول يضرب أرضها بفأسه الحادة وهو يندفن «إسرا» «إسرا» «إسرا» و «مائية» قالت «يا إسرا الصباح رالع

وعلى إحدى الدككة» شددت «إسرا» بلا حياء أمام الصاج «مجاهد» الذي ارتبك، وخرج الأثنى الفجرية قالت «أماذا يا حاج مجاهد تأخرت في فتح بوابة بيتك لي؟» فقال «صغير الرياح الماصفة صم أذنّي» واتجه الحاج إلى إحدى «الدككة» وجلس وقال «قرلى لي يا إسرا» لماذا تسيرين وحيدة هكذا في أنصاف الليالي؟ «إسرا» رفعت لفتها إلى الأيمن فتدحرج ذول ثوبها الناعم إلى خصرها فكشف لحمها قالت «أنا لا أسير وحيدة» أنا معي كلبى. النجوم تطردنى دلكاً لأتني لا أمكك بوكاء» و «ماع» كلامها وتلننن صريرها «ناس اللجوج يقولون عني إنني رقة لأتني غازية» والحاج «مجاهد» بهرت نضاعة ركبها العاري. ونمعه فار. ورفقه جرى. وقام واتجه إلى «الدككة» المتعددة فوقها. وقعد بجانب صدرها الذي «يشخل» وقال «غازية غازية» المهم ذلك جميلة جداً يا إسرا. ووضع كف يده على رقبته ونزل برأسه إلى رأسها وتهدت «إسرا» تهديد الغوازي وفي الصباح صاصات الصابون وطلعت شمدا الدافئة من خلف سن جبل الشروق وأثارت عالماً بسور الذهب و «مائية» أخذت «ماجور» فخارياً ودخلت به حظيرة المرواشي وكان هناك كلب «إسرا» الضخم ووضعت «مائية» المايجور تحت منروج اللقير ووضعت تحت منروج اللجاموس وعندما خرجت من الحظيرة كانت خارجة مذهولة ولا حظ الحاج فحولها فقال لها «يا بنت مالك؟» قالت «المعروض لا تدرك اللين»

فاجأت «الغازية» ودخلت نهمدا. دخلته في ليلة عاصفة. دخلته في منتصف الليلة العاصفة. النخيل كانت ترتج. والسماء مغبرة وصوت الريح مرصفاً. و «الغازية» دخلت نهمدا في منتصف الليلة العاصفة ومعها كلب ضخم في حجم ثور شاب. ووقفت أمام بيت الحاج «مجاهد» وضمت قبضة يدها وضربت بها خضب (البوابة). ولم يفتح أمد. وطلعت كذيراً حتى فتحت البوابة أخيراً. ونظر الحاج «مجاهد» إلى الطائر فوجده امرأة واقفة تطير الريح شعراً. وكان سبيلها إنسية أم جدية؟ عندما قالت «عابرة» سبيل أضنتها العواصف تلذ ببيتك». فقال وهو يفسح لها الطريق إلى الداخل «لذت ببيت لا يرد اللاكذ» ادخل لي يا امرأة». ودخلت «الغازية» وبودما كان يعلق البوابة اندفع الكلب الضخم ودفع البوابة ودخل وأرتاح «مجاهد» من ضخامة الكلب لكنه هم بطرده إلا أن «الغازية» قالت بصوت مكسور «هو الآخر عابر سبيل أضنته العواصف يؤد ببيتك» فقال الحاج متحذراً «همم» ومن الحجرة التي في منتهى البهوت طلعت «مائية» زوجة الحاج وعلى وجهها دمة مملوكة بالنمسا. واقترعت من «الغازية» وقالت لها «أفلا أملا وسهلاً» وقالت لها من أنت يا أخت؟ و «الغازية» شغلها لمسلت على صدرها وقالت «أنا واحدة اسمها إسرا» فقال الحاج وهو يشير إلى حجرة المسافرين «أفلا بك يا إسرا» انحنى يا مائية وهزى لإسرا لقمة. تلعللي يا إسرا

والشمس دافئة ولا عواصف يملكك بعد الإطمار أن تغادري البيت وتمكني طريقه التي كنت تسيرين فيها ليلاً لكن إسرأ ذهبت أنا متعبة أنا ألقى البقاء هنا لبعض الوقت ، ومالية، انزعجت وقالت في سرها ،شورور عظموة ستصيب البيت لو بقت هذه المرأة، وقالت لإسرأ لكن يا إسرأ نحن لا نملك لك طعاماً بهاندا لا ندر لئلا نهرقوا! اعتقد أنها لن تبيت زرعاً فقلت إسرأ أنا لا أحتاج طعاماً أنا أحتاج راحة جسدى و «مالية» انزعجت وقالت في سرها بالتأكد تشفق هذه الجدران ويصف البيت برزقت في وجه إسرأ لكني لا أريد ملك البقاء في بيتي أريد ملك أن تذهبى اذهبي اذهبي وهولت خارجة من المحجرة و «إسرأ» عيناها لامعتاً وأخرجها رويداً براثاً وزمجرت وفي حظيرة المواشي زمجر الكلب الضخم وقفز على بوابة المطيرة وهشمها وأطلق نوح «مالية» التي كانت تهزول لدعوة غرقتها التي في منتهى البيت. و «مالية» ركبها الدرع فحبرت بكل سرعتها تدخل الحجرة وتطلق عليها بابها ودخلت غرفتها فجعل لكنها لم تستطع غلق الباب الذي دفعه الكلب وانقض عليها كانت شمدا راقفة فوق من جبل للشرق وكانت مفترية والمناج «مجاهد» في حقله للقرين من البيت يندلن «إسرأ» إسرأ. يا إسرأ لكه هذه المرأة لم يكمل دندلته إذإنه سمع صوت زمجرة عاتية وصوت صراخ زوجته المرعوبة وألقى أفاس وجري كالعاصفة نحو بوجه وهجت من طريقه طور «أبو القتردان» للبيضاء و «العصافير» و «البنادق» إلى السماء واخترق الحاج بوجه كانت ضروءاه الدرع تكتب من المحجرة التي في منتهى البيت المحجرة التي ينام فيها مع «مالية» ويضع الحمام الذي أحب بدام أعضاضه لتست مسريرها طوي الأرجل. ولندفع نحو بابها وعندما فحه رأى الكلب الضخم يأكل زوجته ولتجبه الكلب المسعور على صوت فتح الباب فاستدار نحو الفاتح وللحاج «مجاهد» خاف على نفسه فأغلق الباب كان الحاج يلهث ويعداه

استلذت بكوعها الأيمن على حلق البوابة وقبعت بأصابعها اليسرى على خصرها أنا هنا في بيتي والشيخ «عمران» قال «أهه»!! . وراحد من الناس علا صوته «انكشف الضارب يا خلق كلب إسرأ أكل مالية إسرأ سرفت بيت مجاهد وأرتفعت أصوات الناس إسرأ قتلت مالية وسرفت البيت والشيخ «عمران» هجم على «إسرأ» ليجذبها خارج البوابة و «إسرأ» زمجرت وإجمرت عيناها والكلب الضخم زمجر وقفز فوق الشيخ «عمران» وقبض بأسدانه على رقبته الحذيفة فتفجرت منها للدماء والناس هجموا على الكلب ليخلصوا «عمران» مده لكته استدار وزرع في القفز عليهم فلجروا من أسامه إلى العقول والكلب نهى جسد الشيخ «عمران» وهرجهره إلى مصرف لسماء امام أمام البيت وألقاه فيه و «إسرأ» واقفة تقهقه بهجنون والكلب جاء ورضن تحت قدميها ولحق للدماء العائقة يصدره ومخالبه والناس فرروا إلى طرقات النجم فندروا إلى البيوت وفرروا إلى دور العمدة وقالوا له «إسرأ الساحرة معها كلب مسعور يأكل الناس وهي تسرق بيوهم و «العمدة» بهت وأغمم وقال «أارب من أين جاءت لنا إسرأ الساحرة!!» وقال «فولروا لي يا ناس ما العمل؟ رجماء؟ قال فرحاً كلب إسرأ القاتل تقتله كلابنا زرع أمرا كل كلاب البلد واطلقوا على كلب إسرأ لتقتل للناس جمعت كلابها في ساحة «الربها» أسفل شجرة «الكافور» المالية. كانت كلاب كثيرة ومختلفة الأثوان والأحجام سردها ويهشاه و «رطام» و «فدية» و «رمادية» و «حمر» أرمنية و «بلدية» و «هيجية» و «هيجية» ضباع و «هيجية» كلاب كلاب كثيرة كلاب كثيرة آلاف الكلاب كلاب كثيرة حتى إنها جلست على «الكلك» التي يجلس عليها الناس رجاء للعمدة إلى الساحة ونظر إلى الكلاب وقال للناس «سوقواهم إلى بيتي مجاهد واقتلوا كلب إسرأ» سورا على بركة الله وسار الناس أمام الكلاب وخلفها مفجرين صحابات غبار كثيفة حتى وصلوا إلى مشارف الحقل الواسع الذي

ثروهان إلى السموات والأراضين وباب حجرته التي يقبض على «أكرة» و «مالية» بالدخل تنخبط في الحواطل ونمها يطير في الهواء كالرناذ فيلون طيور الحمام التي كانت ترغرف مهدجة في سماء المحجرة والكلب ينكت أطفاله في لحمها ويهشاه و «مجاهد» جرى نحو آلات الزراعة وقبض على بلطة تقبلة وعندما فتح الباب مرة أخرى أغلقه بسرعة لما رأى الكلب مرة أخرى يستدير إليه. وهذه المرة الحصفت بذمته صورة زوجته الممزقة والمضغطة بالدماء والهامة شاماً وقلبه في هذه اللحظة ناج. وفتح «مجاهد» فمه وصوى «يا وللد الكلب يأكل زوجتي» وجرى خارجاً من البيت وهو يصوى «يا واحد الكلب يأكل مالية» واخترق الحقل «يا واحد الكلب يأكل مالية زوجتي» والناس تركوا الأعمال التي في أيديهم ونظروا إليه كالت حيون الناس وإسمة بالندمة و «شيخ البلد» الرئيس «عمران» أسكاه «مجاهد» الصارخ في الطرقات من هبه وزرع فيه «ما الحكاية يا مجاهد يا أهي!!» و «مجاهد» ثق «جلايت» وصرخ «الحكاية!!» . وانترع عماضته من رأسه وألقاه على الأرض «الحكاية!!» . وشد شعر رأسه الأبيض وصوى «يا واحد الكلب يأكل زوجتي» والناس جروا إلى بيت الحاج «مجاهد» وأسأم البوابة المغلقة كان كلب «إسرأ» مقعوا له هجبة يلحق بلسانه الطويل الدماء استتافرة على صدره وزراعية وعندما هم الناس بدخول البيت زمجر الكلب زمجرة مثل الرعد الهادر وقبضت البوابة وطلعت «إسرأ» الغازية على الناس والشخايل تصلصل على صدرها وقال شيخ البلد الرئيس «عمران» «من أتت يا حزمه!!؟!!» فدرت عليه وصوتها يموس «أنا وأحدة أسما إسرأ» فزرق شيخ البلد «يا إسرأ كلامك يموس وشخايل صدره تصلصل ويدخل البيت امرأة مقبولة وخارجه كلب ضخم قاتل!!» قالت «الكلب الضخم كاي لا ألقاه يضبط لفضتي ويغرق لفرجي» والشيخ «عمران» اندفك «كذلك!!» قولى لي يا إسرأ ماذا تفطين هنا!! و «إسرأ»

الهواء العاتى وتخبطت بجفون وفى البيوت
القلقلانة كان الرجال يسبون أحده الطلوعى
واللباط وأسنان السناجل وأخونا «قدوم» مر على
كل بيوت النجع وأخذ منها كل البهائم
جاموس ويقر وجمال ونجاش وبعير حتى
التقط لم يتركها حتى الكلاب التى ما زالت
الدماء تنز منها أخذها وجمع كل الحويوانات
خارج النجع ناحية الشرق الغربى وأخونا
«نقم» وقف فى الساحة الضيقة التى أمام
مسجد نجعا ووضع على جانبيه فمه راحتى
يديه وأطلق صياحا مثل عواء الذئب ولم يمر
وقت طويل حتى كانت أسراب الطيور تملأ
السما المعتمة وتحط على حوائط البيوت
وتعلق بأى بروز لقد كان شكل منقطة المسجد
البارزة فى السماء مذهلا وهى مظنة غامق
بأجساد الطيور وكانت أجهشتها تترنح
لمواجهه صف الريح مئات الآلاف من
الأجنحة تضرب الهواء فندحت صوتا مهيأ
وخلال هذا كانت الطيور تفرع ومهداه
المتعرج مع الهواء يرتد مثل نبض قلب مارد
جلس على سن جبل الشروب وصوت
«مجاهد العزيز يلقى بعيدا» يا واحد، الكلب
ياكل زوجتى، وكانت قوارب صغيرة تمهر
البحر من سفينة البوحدة إلى سفن نجعا
مملوءة بالبشر ومظفانو وقت عليها أعداد لا
تصى من ناسا الذين يسكنون للبحر
الأخرى وكان أخونا «عاطى» واقفا بينهم
ويقول بصوت عال «يا ناس إسرائ سرت بيت
مجاهد يا ناس كلب إسرائ أكل مائة زوجة يا
ناس كلب إسرائ غلب آلاف الكلاب لكن كلب
قارون نهش قطعة من ذيله وجاء الصباح
وخرجت شمسا من خلف سن جبل الشرق
مثل برتقالة منقطة مبهجة وبذا الزحف،
جيش الناس والبهائم يشي حشوها
الأرض بينما أسراب الطيور تظلل وآلاف
الأشعة اللامعة تنرق وهى تتلألأ من الأدهة
«مسودة» إلى زرقعة سماننا ويسطر بيت
«مجاهد» تدر من بعيد تكلو . تكلو . ويتضح
لنا البيت كله ويتضح لنا كلب «إسرائ» رابضا
أمام بوابة المنفعة . ■

الكلب وإلهاجة المومس إسرائ بنت الهالجة
قاعدان على وجه الدنيا!! وفى الليل كانت
الريح شديدة وأشباح الدخول ممل ثم تتكسب
ممل ثم تتكسب وتتصريح وصوت الساج
«مجاهد» يمزج مع الريح نائما يا ولاد
الكلب يأكل زوجتى مائة، ويمزج مع الريح
مخربا إسرائ . إسرائ . يا إسرائ ونحن فى بيوتنا
بكينا وحريما ولويت وأطفالنا نظروا لإينا
باندهاش وخوف ومر الليل كثيرا وفى الصباح
طلعت شمس الصباح شمس صفراء صفراء
مثل وجوهنا الصفراء لم تلم مثلا وخالفة من
كلب «إسرائ» مثلا وكنا سنخرج للحقول عندما
علا صوت المدة من ساحة «الرهبة» يا خلق
تعالوا يا خلق تجمعوا فى الرهبة وتجمعوا فى
«الرهبة» وجلسا على «الدك» الكبيرة
الموضوعة تحت شجرة «الكافور» العالية وقال
المدة «أنا سأقول كلاما كبيرا» وقال «إسرائ»
رويدا رويدا سمعت كل بيوتنا وكلها سيأكلنا
ويأكل حريما وهوالدا، وارتفعت الشمس فوق
سن جبل الشرق ونورها ألباهت سقط على
وجه المدة المتعق «يا ناس إسرائ نجعلها
صعدتنا تتحكم فى نجعا لكنها تترك لنا بيوتنا
وكلهيا لا يأكلنا هذا هو اللع للبقاء» وقام
المدة وقال أنا ذاهب لأتنازل لها من
الممرية وقبل أن يخطو خطوة واحدة ارتفع
صوت «قارون» وهو يتقدم نصر «الرهبة»
مهولا «كلبي يا ناس نهش قطعة لحم من
كلب إسرائ» كلبي اليوم عاد وفى جسده مائة
جرح وفى فمه قطعة لحم من كلب إسرائ
وصمت المدة «قارون» وهو يزعق يا سلام
يا قارون كلك يا قارون أعطانا الأمل يا
إخواننا كلب إسرائ قابل للتمزيق لن نتنازل عن
المسودة وسقطت إسرائ وكلهيا واختلطت
أصوات الناس الزاغة «الله أكبر الله أكبر الله أكبر
الله أكبر وما إن وصعت الشمس قمحها على سن
جبل الغربى حتى أمر المدة بدق طبول
الحرب واستمر القدر حتى ظهر شمس
الشرق كان قرع الطبول يرح صمت الليل
ولم تلم الدخول ولا الزروع ولهاجت أصصا
الريح فعمصت وطبور البرارى طارت فى

يوسطه بيت «مجاهد» وهناك صاح الناس
فى الكلاب اللامعة «هوهو» يشك يشك عليه
عليه كانوا يهيجون الكلاب لتلحق نحو كلب
«إسرائ» الرابض أمام البوابة وانطلقت فعلا
انطلقت مثل سهام ألمعية وفى لحظات
اشدحت مع كلب «إسرائ» وعلا صوت اللباج
الغاضب وعلا صوت اللباج الخائف وتراب
الأرض هاج وطار إلى السماء وطارت كذلك
أجسام كلاب وسقطت فى المصروف وطارت
أجسام كلاب وسقطت فى الحقول وطارت
كلاب وسقطت على سقف بيت «مجاهد»
وفى ساحته وكتب «إسرائ» يرعد ويهجر
وصياحه لولا ذرهيف يقطع للرقاب ويمزق
الأجساد وكتب النجع رغم الهول كانت
شجاعة لقد تكاثرت على جسد كلب «إسرائ»
وأصبلت فيه مخالبها لكن مخالبها لم تستطع
مجرد جرحه كان شره غزيرا فأحما وجده
مثل صناعل حديد أما كلب «قارون» الضامر
فإنه هجم على ذيل كلب «إسرائ» وأجس
بأنياه وجرى منه فاقطع منه قطعة
منقطة وجرى بها وهو يشبك فى دمايه وزاد
هواج الكلب الضخم فقتل مئات الكلاب غير
ما جرح منها والباقي هرب وناس النجع
تفوسم انكسرت وراقبهم قصرت وجاهم
إحسان بأن «إسرائ» وكلهيا لن يمرزا ما حدث
بسهولة بأنهم الضحايا الجدد وثامرا الليل فى
كاهرس طويل وصعدوا قبل الفجر عدة مرات
على صوت الساج «مجاهد» الهائم فى
طرقات النجع وفى الحقول وبين قبور
«الجبانة» غرب نجعا يا واحد الكلب يأكل
مائة زوجتى وكان أيضا يندن «إسرائ»
يا إسرائ ودموعة تنهمر مثل فيض دافق وقال
أخونا «شهد إن الساج «مجاهد» جن وقال
«أكثر الله خيره من مديا إخوانا يتحمل
نصف الذى أصابه»! ورفض «بهاك» ولد
شيخ البند الربيع «معدان» أن يصب سراقدا
لطفى الغراء فى أبيه الذى أكله كلب «إسرائ»
وقال «أنصب وجدة أبى مقلقة فى مصروف
مياه متحلل تأكلها الأسماك ولا أستطيع
إخراجها ونفنها!! أنصب يا ناس والكلب ابن

الانتشارات والتوزيعات

١٩٤٣ مازق المسرح العربي بين نوستالجيا الفكر وجمود الإبداع، وفا. كمالو. أوبرا الحسن البطري، مجدى فرج. مخطوطة شعرية لمحمد فريد أبو حديد، بيل فرج. بين الجنون والبهجة، عبد الحكيم العلامى. التيار عالم فيرنر هيرتسوج، محمد فايد.

الإشارات والتنبهات

التاكيد ولحموا إضاءاتهم الأولى.. وبإثباتهم الأولى.. وغيرهم جلدهم الأولى..

المقصود السياسية في هذه المرحلة، هي جيش شعبي مهمته قمع الطبول وإشغال المواطنين في حارات الوطن العربي من طنجة إلى حضرموت..

وليفلتها أن تفلح كل نشرات الأعيان التلغرافية المنقولة عن «الواشنطن بوست»، و«جورناليم بوست»، وأن يستبدل بها قصيدة لعمر بن كاثيم، أو طريقة بن العبد، وأعترة ابن شداد.. فهي برغم قدمها، واختلاف خطابها اللغوي والشكافي تظل مسكونة بالهائج القومي والكليبي، وتسارى كل هذه التلقايات الشعرية الحديثة، التي تتكلم على أربابها منذ سنوات، دون أن تفكر دائرة التلقايات في البداية بإرسال سياراتها، نجما ورميها في مكان آخر(٢)

من خلال هذا التمس يتضح رفض الشاعر لكل المتغيرات، وبلاسن القارئ ومع الحنين إلى زمن مضى، وبأس بالإمكان أن يهده.

لاشك أن هذه اللزعة تتشاور مع عديد من الأفكار التي شكلت الفكر العربي وبلغته نحو صراع جامدة الحصرت معها العقلانية، لذلك قدن حاجة إلى نوع من تعجير الواقع كشفا للزيف والتضليل والأيدولوجيا السلفية التي ترسخ سطوة الهيمنة القبلية بفرض الأفكار الشافهة وتكرسها من خلال التكرار والإعاج عليها، أو عن طريق البريق الساحر الذي يذلل البشر إلى التحليل بعيدا عن واقعهم تجنبا للفرص إلى زوايا التردد على الواقع لتصبح المحصلة النهائية هي أن الظلم والظهر وعدم المساواة هي قدر محتوم وقاهرة طبيعية في وجود الإنسان، الذي يهب عليه أن يبقى أسير قويدة ولا يحاول التدخل بإرادته لتغيير الأوضاع القائمة، أو لا كان التدخل في دوائر التكرار والبريق والصيحات.. وبذلك يتنازل الإنسان طواعية ويكامل إرادته عن وعيه ويضع في برائث التفكير.

ولما كان الحصار الفكر العقلاني على المسئور الاجتماعي والإبداعى يشير بوضوح إلى أصعاق الذات العربية الراقضة للمنظور الجدلي - فإن هذه الأثرية تتضح من البرق الأحادية لشكلات الوجود، وبخاضها المجتمع

وتعاش الزمان والمكان والإنسان في إطار ثقافة بلا مركز، ثقافة الصدى وبأس الصوت.

وإذا كان المسرح هو التحدي، وهو الصيغة البديعة للساند والسكان، حيث العالم الذي صنعه وإرادتنا، والوجود المتحدر من الصدفة والعشوائية - لذلك تأتي هذه الدراسة في إطار التفسير العلمى لأليات نوستالجيا الفكر، وجمود الإبداع العربي على مستوى النص والإخراج والأداء - وموصلا إلى رؤية نقدية قد تلمس المجال لإبداع مسرحى عربى بلا صوامت ولا تناقضات.

مفهوم النوستالجيا

- النوستالجيا (NOSTALGIA) هي ترق وحنين غير سوى للماضى، ينتج عن عدم قدرة الذات على التكيف مع المستجدات والمتغيرات، وبالتالي عدم القدرة على الاندماج الاجتماعي الذي يسفر الإحساس بالاعتراق. ويصله صامة فإن هذه النزعة توجد في كل خطاب يستند إلى مفاهيم الرجوع، العودة، الابهات، للتوحيش بشيء مكتمل، أو شبهه مكتمل، ولو كان مكتملا، وبالتالى إلى ما كان وأعادته إلى المقعدة حيث يجب أن يكون(١).

وإذا كان الإبداع لا يتم في الفراغ، فإن هذا المنظور يتسلل إلى وجدان المبدع فودعه إلى الفوضى في أصعاق ذاته وهزلها من محيطها، وإلى الحاضر والمستقبل باسم الماضى المجهول - الذى ليس بالضرورية أن يكون كذلك حين يفرض التحليل الموضوعى، ولاشك أن المتغيرات لن تتوقف عن الحدوث لمجرد رفضها واعتزالها، والماضى المجهول لن يعود.. لكن يبقى الحنين إلى علم حتى يهد فوات الأوان. وحتى تتعرف عمليا على أبعاد هذه النزعة نتوقف أمام مقالة الشاعر تزار قباني، بعنوان «القصيدة السياسية وريفة للدفاع» .. يقول:

تحاول القصيدة السياسية العربية أن تتكلم غشا المذرية العربية من الإغتراق، وأن تملأ الفراغ القومى الرهيب الذى يحاصرها، وتكون بدولا للقوى السياسية والمسكرية التي استكملت من المعركة.. وانسحبت من جبهة المواجهة... في هذا الزمن الذى خلغ فيه الثوار بذلاتهم

المسرح

مأزق المسرح العربى بين نوستالجيا الفكر وجـود الإبداع

كما كان المناخ الثقافى العام في والسعدا المسرحى هو مناخ منع وتصرير، حيث سلطة (اللا) هي الأكثر حضورا في أفق الفكر والإبداع، لذلك يتجه المسرح العربى نحو تكريس الأيدولوجيا السائدة التي تؤكد عبثية العمل الإنسانى، ويطلق هاجرا من الانطلاق بعيدا عن ذوى اليقين التهانى، حيث العقيدة دائما لها وجه واحد.

فكر متجه يمكن أصعاق الواقع العربى.. فهو، تسلط رضوخ، قمع، رؤى غيبية، سلفية، استلابات واختلالات، كبت، وتزمت، وخوف وعروب ولاشك أن هذه الأفكار المدمرة قد دخلت في إطار الثابت والمطلق، لتعصف بالوجود العربى، وتزاد الفجوات، وتشد العزلة فتصبح النتيجة هي لغة أحادية تعمل ثنائية الانشطار الفصلى، وإزدواجية المطلق والنسبى.. لكن، دون حوار. لذلك يأتي الإبداع المسرحى العربى عبقيا.. مستغلا للذاكرة والوجدان.. لغة شعائرية، مزيجية بالصوامت والتناقضات، بلمل خيائنه الدائمة للفكر الرعب، وللمناجات المجدبة، والجسدية، لتصبح في النهاية أمام كتابات مثقلة بالإسقاطات والاستعارات والكنايات. فلى مسرحنا العربى

الإشارات والتنبيهات

على أظفاري، بعيداً عن الخلفلة التي يحدثها
العرض المسرحي، (٤)

وكما يقول «بيتر بروك» - في كتابه -
(المساحة الشارضة) (في معظم النظم
السياسية، وحتى عندما تكون الكلمة حرة،
والصورة حرة - تبقى غشية المسرح أكثر وسيط
وحتى بحدوثه - فغيريتها تعرف الحكومات ما
للحدث التي من كبرية خطيرة)

ولاشك أن (الكهرمان) التي يقصدها بروك
هي تلك الاحتكاك الاجتماعي متعدد المستويات
بين أطراف قد لا يحدث أن تجتمع أبداً إلا في
حالات استثنائية مثل الثورة، أو المظاهرات
الاجتماعية الفظة التي تتخلف بها البشرية في
جهاشها نموذجاً لأيام وحدتها والتناهي. فقد
(يحدث أحياناً أن يتحول المسرح إلى مساحة
محمية، فهاكم فيها المجهوع، أو يتدرب جنائياً
على محاكمة فردية - ليست سيكولوجية أو
أخلاقية أبداً - مع أنها تعني بذلك وإنما هي
محاكمة سياسية بالدرجة الأولى، حيث تُعنى
عنى منطق الجدول والخوار من ناحية، وتُسمى
إلى الصلاحيات من ناحية أخرى... صحيح أن
الامر يبدو لعملية إيهامية إلا أنه يستمد خطورته
من هذا الاندراج الأخير (التمية - الإيهام) -
فالمثل يتحول إلى نشاط يفترض الصدق، أو
يحاول قرضه) (٥).

على مستوى جمود الإبداع المسرحي،
والرائع اللاوعي للتعبير شكلاً ومضموناً وأداءً
- وكما يرى «فرانز شاسان» فإن (جورج أبيض
قد دافع عن الدور اللبيل والسامى للمسرح،
وعلمنا بمقدمة من فن التمثيل - لكه خلق في
الوقت نفسه كمية من التقلبات والتعاليب
الجامدة أدت - على الرغم من لزامة القصد -
إلى توحيد الفن المسرحي من جوهريه
الديقراطي، فقد ظل تأثير التراث عصباً
ومستمراً على الأجيال المتعاقبة من الممثلين
المصريين، الذين أثروا بدورهم على الواقع
المسرحي العربي، فتبلورت القرائب الأدائية
الصوتية ولحيت دورها في جمود ومبات الرؤية
المسرحية (للتفصيل) (٦)

إن هذا الشبث يرتبط على المستوى
الواعي بدور السلطة الرقابية في تثقيب وهي
الجماهير بأغرامهم في دوائر الزيف والهزل،
والتأثيرات دورية الصانع فيها حتى يضع الجدول
اللعلي المتوجع في موجات الإثارة والجنس

التي تعاضى من خلال الذات، ليجري الحوار
من منظور واحد، يعرض الظاهرة ويقدم
حولها، بلا جدل أو إدراك للعلاقة بين التاريخ
والزمان والمكان - إنه واقع شديد القسامة
يسهل فيه التحالف على المتهورين، فيصيحوا
وسبوا ملائمتاً لتأصيل الاستكانة والغرابة
والجهل.

جدل الفن والواقع

تشير الدراسات السوسيولوجية للمسرح
إلى أن آليات التسلط والتعسّر والريشوس
والاستكانة والارتداد والصلفية - تعمد في
أصاقي الإبداع العربي فقتدعه بعيداً عن
موجات الحياة الفائرة بهولن الثورة، والطم
والمستقبل والمثل والتموض، وتجعله مبتوراً،
مصرّفاً من ملائمة الجمرات النارية التي
تصرد في الأصاقي. وهكذا يمر الإبداع في
دوره متوارياً خلف المنطق الأخلاقي الصايد،
وموازياً للأيديولوجيا الصائفة ومكرهاً لها. ويبدو
أن فلسفة الفكر المصري، والنظريات التي
أحاطت بنشأة المسرح في ذلك الواقع الرافض
للجدل - يبدو أنها نبتت تحت قاعاً في توجيه
الإبداع المسرحي نحو السكون والجمود. فليد
المسرح العربي لم يكن شراً أو طبعياً، ولم
يكن كئيبة مباشرة لتجاجة إلى التعمير
الديقراطي العلني وإنما كان عبارة عن
استجابة فردية لإغواء القريب يتسهول من
ظروف التبعة الشاملة التي تعشها مجتمعاتنا،
وسا هو موجود الآن من فن شكول ومناجج
تدريج للتمثيل - ليس في الغالب، سوى إرث
خامس مختلف يعتد بنسبه إلى الرواد من جهة
- مثل جورج أبيض، والريحاني، والكسار -
ومن تلقوا (الموريفلون، الفرنسي في قباله
المصري (الفراتكو آراب) ثم استقلوا إنكلترا
بشبهات أصناف التمثيل الهولي، والتأثيرات التي
ومن جهة أخرى فهو يمتد إلى ظلال الصور
الشعبيه للأداء من جديد واضع المصاعب (٧)

ولما كانت فلسفة الفكر العربي تحول إلى
أنه في البدن كانت الكلمة ما كانت الحركة -
فإن هذه الخلفية توضح الأسباب التي جعلت
المسرح في حالة تعارض مع السلطة
القائسة.. فالمرح، فحق، فامد على تفكيكه
آليات الواقع وإعادة صياغتها وفقاً لما يجب
أن يكون «أما الكلمة» - التمس - فبرغم تناقضها
مع السلطة أيضاً - إلا أنها معارضة مستأنسة

والضخكات الجوفاء، ويصبح المسرح المطلوب
جماهيرياً من نوع من العزل على أوتار
الفردية بعيداً عن بجميعة الفخالة التي
تعارض، وتجادل وتطرح التساؤلات وتطلب
الإجابات المغائرة وهكذا تظل قوى الهيمنة،
وأليات الساد وامتدودهم والدوران اللاتواني
في ألقى (السالون، واللويس، والروبي
الأبوية الذكورية.. هي الصوائف التي تشكل
منطق الترويض الفكري والاجتماعي، وهكذا
وحد المسرح العربي نفسه مشطراً للحظاظ على
الأنماط والتعاليب الشائبة التي أرساها الرواد
يوماً ثم عزل الجسد عن حيز الخلق الإبداعي،
ودفعه إلى تلك الجاهلية المباشرة التي تدفع
الممثل إلى إتيان أفعال عابثة لتقليد الأحداث
في شيء» (٧).

ولاشك أن مفهوم «الجسد» في المسرح
العربي يمثل إشكالية معقدة.. (حيث مفهوم
الجسد العوري في التراث العربي الإسلامي،
والتي تشمل جسد المرأة بكامله، بل وموتها
أيضاً، يقتضى ثلثي جسم الرجل، والمعرف أن
صورة الجسد العارض تلخص عراً في الجسد
الرائع الموصوم بالجنس المصاغر، أو في
الجسد المهرج الملوغ بالهلو الفارغ - حيث
يظهر رجل الدين، والشخص المتدين ممّا إلى
الجسد، في حالته العادية كبريل سادي يظهر
إلى الشبهات والرهبات المسية الشيطانية،
التي تشكل عتبة الشغل إلى هجوم الخطيئة،
وهو أمر متوارى في المسيحية أيضاً، إلا أنه
وأخذ بعداً خاصاً في المجتمعات الإسلامية،
الذي لا يملك الدين بالنسبة له مجرد لاهوت
متعلق عن الحياة اليومية، محدّد بحدود دار
العباد، وإنما هو نظام للسلوك والحياء، أو
نسق وجود اجتماعي متماثل، يخلق منظومة
أخلاقية - ويصبح الفرج عليها جسدياً - هو
شدة والحراف ينفخه تستحق للتعبير) (٨)

وهذا - وكما يؤكد (براند) فإن المسرح
الذي ظهر في لعالم العربي.. كئيبة جديدة
للجسد، قد حمل معه إلى هذه الأرض الجديدة
تصورات مستحدثة للجسد في حالة العرض،
وجدت، للأسف - مرجعيات الوحيدة فيما قد
ترسخ منذ أجيال حول مفهوم الجسد من خلال
المتعارف بعد النسبة لتقول المسرح من خلال
سيادة توين من أوان العرض هما الشرقي،
والعصر التهرجيبية المرتجلة، في الوقت الذي
كان عليه أن يراجه اختلاف التكتيكات الجمسية

الإشارات والتنبيهات

• رؤية نقدية..

والنصوص تصل في ثنائيات لغات متعددة، وخطابات تحول إلى نصوص تاريخية وعقائدية وفلسفية وأدبية واجتماعية. هذه اللغات تعرض الكيان السياسي والاجتماعي باعتباره حواريًا يشير إلى أطر مرجعية دالة. إذا كانت القراءة التكوينية للنصوص تتم من خلال دلالة معينة لها - بالنسبة - دوافعها الأيديولوجية، فإن النتيجة الحتمية تتجه بذلك نحو تكريس السائد وتأكيد الصورة الواقعية للمنظومة الزمنية للوجود الإنساني. أما القراءة من المنظور الرهبان اللاهوتي فهي تحول إلى هدم الدلالات الثابتة بشكل يوضح أن لاهوت النص وعلاقاته المركبة لا تصحح بالجزء بعض ما، ولكنها تسمح بتعدد إمكانات المعاني وتوسيعها ليصبح النص في النهاية ساحة لتجريب المعاني، وهكذا يصبح من الصعاب أن تكلف عن زيف المنطق الذي يوظف النظريات الفكرية والأدبية السياسية والمهنية والاجتماعية وصولاً إلى كشف الدور المضلل الذي يلعبه الأثر الأيديولوجي في تكريس معانٍ ناعمة مأخوذة الحقائق، ولبنى عليها أطرنا المرجعية. ■

وفاء كمالو

المراجع والهوامش

- 1 - هزيل العظيمة. سياسة الهروب من الواقع (لندن: دار الساقي، 1994)
- 2 - جريدة الحياة، (30 أغسطس)، 1996.
- 3 - د/ صالح سعد. مجلة عالم الفكر (التون: 1996)
- 4 - ب. والي قاموس المسرح، مومكو، دار النظم، 1991.
- 5 - المرجع السابق.
- 6 - د/ فواز الساجر، سكتاسلافسكي والمسرح العربي، ترجمة. فؤاد مري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994.
- 7 - د/ صالح سعد مرجع سابق.
- 8 - المرجع السابق.
- 9 - المرجع السابق.

إذا كانت الممارسات النقدية في مصر والعالم العربي - قد اتجهت نحو الإخفاء اللاوعي الأيديولوجي المتضمنة في الإبداع الفني، ليصبح النقد مجرد رجع ألساناء التحويلات الدائرة على المستوى الاجتماعي والسياسي، لذلك فقد تهرء النقد من فعالية التساؤل والتجاوز والتفكير، وتحتل في آليات استاتيكية ثابتة. ولأنه أن هناك ارتباطاً وثيقاً بفرضيات النموذج الليبرالي الإثنائي الذي يدور في إطار التماسك الأخلاقي، ويتباعد بالفكر إلى منظور محايد، حيث تهرء الرؤى في علاقاتها المركبة بالتاريخ والتمسك والمعدولة لذلك جعل النقد عن صياغة إشاعة المصريح ضمن منظور يتيح أن يضع موضوع التساؤل. كل المفاهيم المغلوطة التي تحول تحقيق تجاويل حقيقي لمأزق المسرح.

ولعل محاولات هدم فرضيات النموذج النقدي الليبرالي الأخلاقي، وقلقة أسسه الثابتة تكونتوا لكشف عن المبررات الفكرية النابضة التي قد يطغى عليها النص، وكذلك فإن محاولات تقويض تلك السلطة التي تستمدّها النصوص من شاسكها الخارجي، ومن استدعائها لأشكال الماضي وقلوبه، استناداً إلى جذورها وتأسيسها والتي تفرزها الأيديولوجيا السائدة المسيطرة. هذه المحاولات - قد تمكن من الوصول لمستوى تصوير الأيديولوجيا ضد نفسها، ويصبح من الممكن أن تزداد حدة الوعي، ووصولاً إلى الزاوية المبررة التي يتم فيها التمرد على الواقع القائم وتجاوزة.

فإذا كان الإبداع هو نشاط مناهض للزعم الأيديولوجي - فإن الرؤى النقدية الرجعية، تستطيع أن تقاوم الترويض الثقافي والنهجي، وتدور إلى وهي يالغ في شره حدود المنهج وله فعالية استكشاف أبعاد النصوص توافدها المستمر لتكشف عن علاقاتها المتباينة وتحريها من أس الدلالة الواحدة.

وهذا الاتجاه لا يدور إلى منهجية جديدة، ولا يسعى إلى تسجيم ثراء النص بإخضاعه لفكره مميّة، ومحاولة هدم هيئته، وتكويش منطق السطوري، فموضع النص مجالاً لإبداعاً متوتراً ومتناقضاً.

التي تختلف بالضرورة من سلاله إلى سلاله ومن بلد إلى آخر، والتي تتكيف وفقاً للظلال التي تلين، والأرض التي يمشي عليها، وطريقة الجلوس، والالتقاء، والعبادة، والعناصر الجوهرية للسكان.

• فقد فلسفة الفكر العربي، وتتقاطع مع الآليات الاجتماعية والسياسية لتشكّل تلك الرؤى الجامدة التي تدور في ألق الثابت والسطحي، والتي تكشف بوضوح عن عجز الإبداع العربي عن الإطلاق بعيداً عن ذوى البهيمية الثنائية... فمن المصروف أن نرائنا الفكرى يرفض نهائياً مفهوم - الصراع - (فالفكر العربي ومن ثم حرية الاختيار والمبادرة، والمسؤولية الفردية، تضمناً كلياً أمام مأزق أيدولوجي، في ظل علاقة بالكون يكون فيها الإنسان عبداً لمشيئة كدورية. والعبد - بأى صورة - لا يمكنه أن يكون دماغياً، إلا في حالة شره النهائي، وفي حالة يتمرر عرضها على جمهور ينظر إلى هذا التسليم كمنهجية غير مطروحة للتجديد. ففي ظل مفاهيم التسليم والسلام والمعية والواحدة التي يرسفها الفكر الديني، ولا يلبث فيها نقاشاً، وكذلك مبدأ الثواب والعقاب، وقائمة التصريعات التي تفرزها التعاليم الدينية انطلاقاً من وضعية يكون فيها الدين ليس هو مجرد العلاقة الشخصية بين الإنسان والله، ويكون المصدمسرها، حيث يصبح طبيعياً أن ما في الداخل هو للدين والله، وما في الخارج هو للدين والإنسان، تكن الأمر هنا مختلف. فاندخل والخارج لله والدين هو نظام الحياة بكل ما شئت به من تفاصيل وسلوكيات يومية(1)

وهكذا يتوارى الإبداع هادئاً ساكناً ومكبساً للثقافتين في حدود القوالب المنطقية، والضمايين الأكنة التي تصور عقاب الفرج من إشارات حيث السقوط المحض. وكما يرى صالح سعد فإنه من الصعب القبول بفكرة إعادة إنتاج معادير الطبيعة والمجتمع حيث الفحول في دائرة (البند) وليس (الإبداع) فالمعاسكة تصبح (غيبية)، والتجسيد يصبح (تعبير لغقي لله) وتكثيف بالفرجة) والتساؤل الوجودي (تدوين) إلى آخر هذه التضمينات التي لاتزال نصيحة بالمسرح والدراما حتى الآن.

الإشارات والتبهمات

يتسميز النقاء الضميري الأوربالي الذي صاغه حصن الجهرى بتأكيد قيم وجدانيات أن الأوربا، تلك الجماليات التي تجمع بين بساطة الحدث الدراسي، عمق الفكر الإنساني، جذوبته وجلاله، فسادته الرومانسية، ثم أخيراً توجته الفرجة، تلك التي تلتقي وتلتزم عددا الأضداد.

هذا النص الشعرى بعد تمهيد من روح الدراما، اللحظة التي تشق فيها الروح وتنتشر العلم الإنساني، لحظة المواجهة مع الحقيقة والقيس عليها، الانتشاف والتأنيق، التلمس والنقاء والارتقاء، ولأن هذا النص يستلزم في اللحظة الخاصة بين الحقيقة والجمال، الحقيقة وظلالها والخيال وإضافاته الباهرة، لذا يصبح من الواجب التعبير عن هذه المساحات بما يحلق مرجحاً عضوياً بين العلم والحقيقة، أى محاولة خلق جو من الأضداد، تفسر عن الواقع لتكبر وتنطق وتزهر، تأكيداً لقيمة الحب الإنساني الفالدة على مدار التاريخ.

إن الإضاءة، الحركة المسرحية، حركة الرافقين والراقصات، حركة الديكور داخل الفضاء المسرحى، كل هذا يجب صياغته صياغة عضوية ضمن نسج العمل الدراسي على خشبة المسرح، أى يجب أن يخلق هذه العناصر مجتمعة أو بالتتابع بهدف خلق عالم من العلم الشفاف الجميل.

هذا، يجب الاهتمام بالمعاصرة الدينامية للإضاءة، بحيث تكون أقرب إلى ملامسة القوس، بل وملامسة الفراغ على استمارة إضاءة أقرب إلى السجور أو القوس، بين الصرعة والانفعالية تتناوب قدراتها التعبيرية مع الحركة المسرحية للراقصين، تتقدم هذه العناصر الموسيقية، تمهد لها بخلق الجو الدراسي، وتتشارك في بناء الضمير الفكرى والدراسى المتحدين.

تلك هي بعض الوثائق: الجمالية التشكيلية الحيوية التي يجب أن تكون عليها عناصر العرض المسرحى المشاركة في صياغة وبناء أوربا حصن البصرى. ■

مجدى فرج

الأحلام والقدرة على تصديقها، بين القوى الفاعلة من أجل تحقيق الخير والقوى المضادة الضعيفة المسبوبة على عوائل الون وما فوق الواقع، بين الشوق لتحقيق المستحيل ولحقات الانتصار والالتصاف، أما رابع هذه الخصائص فيتركز في معنى رحلة حصن البصرى ومضمونها الفكرى، رحلة استعادة روحه الباهرة الجمال وأطفاله الأبرياء، رحلته نحو استلاكه الحقيقة عميقاً وتأكيدها نطق الخلق والخير والجمال.

٢ -

ما الذى خلقه الشاعر حصن الجهرى في صياغته الشعرية المهدمة لهذه المدونة؟

تلك هو السؤال الذى يجب أن تقتصر على إجابته وسط هذا الضخم الهائل من التفاصيل الهائلة الباهرة التي صاغها بمهارة نادرة المؤلف الأصيل ألف نيلة ونيلة.

في هذا الإنجاز الشعرى يخضع حصن الجهرى على اللحظة الشعرية الرومانسية في هدوءه حسن البصرى، لحظة النقاء الأول بينه وبين حبيبته بدر الهدوى، لحظة يتراقص فيها القلب، تتمايل فيها المشاعر والأحاسيس بهمان بدر الهدوى هنا يجب أن تتحرك كل عناصر التكوين المسرحى تمهيداً عن هذه اللحظة وكشفاً لها، الإضاءة والحركة بهجاب الموسيقى، تصويراً ملتصداً - دون إسراف أو ثرائر تشكيفية - ذا تتابع باهر مضطرب، هذه لحظة الوجد والشغافية، فالشاعر هنا يحفل لنا بمبرراته الشعرية - فضلاً عن النهم الدراسي ذاته - عن هذه اللحظة الثرائية المثقلة، والتي يمكن أن يتراقص فيها الجهرى والسمة، وتتمايل الجبال فرحاً، فضلاً عن رقص الطيور والأشجار تأكيداً لمعنى المسادة والفرح في لقاء حصن البصرى وبدر الهدوى، وهو ما يطلع بالنهاية الضميرى الدراسي إلى مزيد من الكشف والتبريز تأكيداً لحرص المؤلف على صياغة وبناء الجو التناهي الأهر لحدوثه حسن البصرى، حيث عالم الون والتسرنا والتدشقات في اللون والنطق والصياغة والكثافة والفراغ.

أوبرا ..

حسن البصرى

رؤية جمالية وإبداعية

١ -

فأهم ما يتبادر إلى الذهن عند رصدنا للفرق الجمالية لخصن البصرى بين النص الأصيل في (ألف نيلة ونيلة) والنص الشعرى الذى صاغه بالقداد الشاعر حصن الجهرى، أن النص الأصيل يرى حكاية حصن الصانع البصرى، ملذ طفولته حتى زواجه، ثم ضياع زوجته وأولاده، أو اختطافهم من قبل قبيلة الأم، حتى عراكه الأموال والون وغرائب الطبيعة حتى استعاد زوجته وأولاده من جديد.

يتميز هذا النص الروائى بنقص الخصائص الفنية التي تتسميز بها (ألف نيلة ونيلة) لنفسه، أول هذه الخصائص أن المساحة الإبداعية للخيال بلا حدود، فحسن البصرى يخوض الأهوال ويمارح الون، ينزل إلى بلاد اللعج فيبذل النار، حتى يصل إلى إنكسار واسترداد زوجته، هذه الرحلة قد تكون تسمية لرحلة الإنسان نفسه عبر صباه من أول الوصول إلى هدف إنساني شامل، ثانياً هذه الخصائص أن هذه المساحة الإبداعية مملوءة بكل عناصر الصراع العضلى والعقلى، فتارة يصارع حسن البصرى خصمه بقاءه الضعيلة، وتارة أخرى يصارعهم بكانه ويصبرته مما ينتج عن ذلك ويترب عليه صياغة وبناء التضاد والتناقض بين عناصر الواقع وما فوق الواقع، الحقيقة والخيال، المعقول وما فوق المعقول، الزمن والزمن المضاد، العدل والعدل المضاد، الأخلاق والأخلاق المضادة، وبالإجمال إبراز التناقضات التي تكشف جماليات بناء القيم الأساسية في الحياة والإبداع معاً. أما ثالث هذه الخصائص فيتمثل في التسوية الروائى والإبداعى نفسه من خلال ذلك المزج الباهر بين عناصر الإندس والون،

مخطوطة شعرية لمحمد فريد أبو حديد

قا

يكثر اسم محمد فريد أبو حديد، في تاريخنا الأدبي، بمؤلفاته في القصة التاريخية والفصحى التي أثرت المكتبة العربية بمجموعة من الأعمال التي تليق بالفكر القومي، كما يكثر اسمه بتجربته الرائدة في الشعر المرسل الذي ترجم به عددًا من المسرحيات الشعرية، في مقدمتها ثلاثه «مناكب» للشعبي (١٩٥٧)، أغلقت الإبداع العربي بما قدمته من تجربة جديدة في النظم، يعترف بأصلا للثقافة والشعر..

لهذا نذكر محمد فريد أبو حديد كأحد الأبطال الروحيين الذين مهدوا لحركة الشعر الجديد، التي تصدرت من القرن المصري والقافية.

والى جانب الرياسة التاريخية والشعرية والترجمة، كتب محمد فريد أبو حديد أدب الأطفال والشمال والأبحاث الأدبية، وكتب أيضًا، بالشعر المرسل، بعض المسرحيات القافية مثل «ميسون الجورية» (١٩٢٨)، «عيد الشيطان» (١٩٣٣)، «عسرى وشورى» (١٩٣٤) .. (انظر مجلة «القاهرة» المدة ١٦٨ يوليو ١٩٩٧ محمد فريد أبو حديد مائة عام على مولده).

أما بالنسبة للمصانف القافية فكان محمد فريد أبو حديد يلتزم فيها بالشعر التقليدي، لاقتناعه بأن هذا الشكل لا يحول دون التعبير الفني الذي يبدو فيه متأثرًا بالأساليب الغربية. وأول ما يلفت النظر في هذا الإنتاج المتكثف، الذي بدأ سنة ١٩١٤ في «السكون» والسياسة الأسبوعية، واليهال، وإبله الصوي بالأمة العربية، وبغزة لفتها على توجد المشاعر والأفكار، وإمكاناتها التامة - في إطار حركة التاريخ - على صنع حضارة عصرية وليعة، تتجاوز ما أنجزته في ماضينا، تتخطى فيها بالناصر الجهورية لشخصيتها، وفي الوقت نفسه تفيد من

باسم القبا بقلعة نجد
كيف غاديت أهل دري نجد
كيف ولدت الرباعه ولدت بجري
في شايه بيته نخل وورد
حتى ليلى حديد فضلي
كل عجمه صنه كمولد وورد
درقه اذا غطرت بولد
ورسج لاجل اجداد وحري
لنفسه نفسى سط الحارم وأعبا
في سهره ندرشى الريح فينا
كم تبينت بلا عيونه على الافوه
فاذا جهش لم أجعلها سوى آكد
فاحمل يا صبا الرباعه ارجبا
حمل ليلى اذا بلغت ابط
واستعادت ذكرى وفاء ودم
فاذا نمت عنك الرسول (كاتب)

محمد فريد أبو حديد

١٩٠/١٠

والقصيدة التالية مخطوطة بقلم محمد فريد أبو حديد، تصمد تاريخ ١٠ فبراير ١٩٤٣، لويس لها عنوان عشرت عليها منذ سنوات مطوية داخل كتاب قديم من كتب محمد فريد أبو حديد، مبروش لتلويح على سر الأليكة، فاشترهته بمرور قذبة، ووجدت على سطحه الأولى إهداء المؤلف.

ويج أن الكتاب نُقِص من مكتباتي بالاستقامة، فقد بقيت القصيدة بين أوزالي كأنها نُكُت على الصفر لا على الورق، لئلا يلمها الكراء في الذكرى المشوية لميلاد محمد فريد أبو حديد. ■

نبيل فرج

اتصالها باللون والشعوب والحضارات الأخرى، التي تشكل في مجسومها تراث الحضارة البشرية.

ومحمد فريد أبو حديد ولد في القاهرة في أول يوليو ١٨٩٣، وحصل على البكالوريا في الإسكندرية سنة ١٩١٠، وتخرج في مدرسة المعلمين العليا في العاصمة، وفي القسم الأدبي ١٩١٤ .. وبعد عشر سنين، في ١٩٢٤، حصل على التماس من مدرسة الحقوق الخديوية، وعمل بالتدريس في وزارة المعارف، ثم في إدارة التعليم بوزارة الأوقاف، وفي جامعة الإسكندرية عند إنشائها، ودار الكتب .. وابتداء من الثلاثينيات، شارك في إنشاء مجلة «الرمالة»، وبلغت التأليف والترجمة والنشر، وأثناء النقص، ورأس تحرير مجلة «الثقافة».

وتوفي في ١٨ مايو ١٩٩٧.

بين الجنون والبله

قُم على هذه الإطلالة اللسدية، بمطالعة ديوانين صدرتا حديثاً لشاعرين غير متجاوبين، وإن كانا يشتركان معاً في معاينة اللحظة الشعرية الراهنة.

وقد نصبت هذه الإطلالة على قصيدة واحدة عدد كل منهما. حيث إنهما - للقصيدتين - تكادان تكونان هما المدخل الحقيقي لقراءة عالم كل ديوان على حدة.

الشاعر الأول هو: بدر توفيق صاحب ديوان «الجنون الجليل» الصادر مؤخراً عن المجلس الأعلى للثقافة.

أما الشاعر الثاني فهو: مشهور فواز صاحب ديوان «هجمة من الفرام في البلاد» الصادر حديثاً على نفقة المؤلف.

١ - فُتِلَ الحياة لدى الوحيد المسن:

تأتي قصيدة «الوحيد المسن» للشاعر بدر توفيق، ضمن مجموعته الشعرية الجديدة «الجنون الجليل»، والتي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة مؤخراً لتثير حالة إنسانية ووجودية مدمرة، تتشكل في محاولة اقتراض إجابة عن سؤال كبير من أسئلة هذا الوجود، يتعلق بجذوى الحياة، وضربتها، ويزداد مثل هذا السؤال توجهاً وضراوة، حينما يأتي من هذا الوحيد المسن الذي يلف - تقريباً - على حافة إدراك حقيقة الكبرى!!

وعنوان القصيدة - بداية - يثير دهشة من الاستعاضاء وإسلاف، ظاهراً مجموعة الهموم والأزمات التي أثقلت كاهل الإنسان المعاصر، وفجرت بتابعي أهازيج التي يؤذن هدير سطحيها بأصابع مبهدة، تلمح في ترق لغمسة التمذبة إلى التوازن والنظيفة والتحرر من كل ما يحول دون أن يلهم في حقيقيتها، وتزداد الحاجة

إلى طرح مثل هذه الأسئلة كلما أحكم الرجاج، وعمومت رغبات الإنسان في التحرر، وكلما جثم على قلبه ما في لثمة من ذيف وغرور ونحاسة.

والوحيد المسن، هذا الخنوا/ السؤال، يثير - فيما يلي - حالة من القلق الميتافيزيقي حول القافية والمضمير، وحول البحث عن إجابات كثيرة، لأسئلة أكثر يكتوى الإنسان للعناصر بسواها في أحايينه المعشوية الموكلة لها. وسلوة - هذا - لمن سؤال الوحيد المسن أي القصيدة كاملة، يقول بدر توفيق:

حين يسرى في الليل قلب الوحيد المسن،
والمسرى في الظلام على حافة الشرفة المقلدة،
تردده لا كانت لا يلقاها إلا صد البر لول اللارا
للوحيد المسن لآدم لم يد رالم في التبر ولا في الحياة،
يتمشى في الليل عبر الشوارع،
يشال بين الدقائق في الليل يبحث عن برتقال المسر،
ويحاضر أن يتشرب في حجر لا يراه
ويحاضر أن يلقاه لمن أو لحيان طاشا؛
ويجس قلب الوحيد المسن فورة لبيت، للفرقة الآمنة،
يتأمل في الليل:
لوى في فواري الليل البهز لحيات عكس في دقائق،
ويروى أصمض الزرع في شرفة الجار،
كرويس ميتة وكلف الشر فيها،
يروي في السحاب كويلاً يذلل فيها للقر يخرج؛
الوحيد المسن على من الليل يركب ظلاً يبال ويكر؛
البحر يصور بساطاً من الأعشاب الجافة،
الجهال تظاهر موافقها،
الأرض تله موافقها، وتكف عن الدوران؟

كل شيء هنا يوحى بالهجرة، ويدعو إلى الفرار، ويأذن بالتلاشي والوحيد المسن على أثر هذا، لم يعد راغباً في التزم ولا في الحياة، لسبب بسيط جداً، وهو أنه أصبح ملتصقاً بهزبات النجوم/ الطمأنينة، وبهزبات الحياة/ الرغبة في الحياة، فالهجرة، وتقدم السن مبرران قويان لشعور الإنسان بأنه مثبوز وفشلة، يابى الخلاص منها، وهو شعور إنساني مدمر، يحول ما تبقى من هاشم الحياة إلى صور قائمة بشعة وملغزة، والشاهد الشعري - في الوحيد المسن - يستحوذ على الصغرى والبناي وتبني مؤلفاً دلالات، تتكشف فيه مفردات التلاشي والامحاء، تستطيع أن

تتمسك هذا من خلال تأمل مفردات: «الليل، والوحدة، والظلام، والتمسك، والتجسس»، ومن خلال ما يترتب على الأبعاد الدلالية لهذه المفردات من أفعال، كالأفعال: «يحاضر، يتشرب، يبحث، ومن خلال ما يترتب على هذه الأفعال من نهايات تلحق إليها، كقافية أصمض الزرع في شرفة الجار، رموساً ميتة وكلف الشر فيها، وكقافية البحر بساطاً من الأعشاب الجافة، وكقافية الجبال وهي تقادر موافقها، والأرض وهي تلك موافقها، وتكف عن الدوران. إنها رؤية تشبه رؤية يوم الزلزلة، غير أن الزلزلة التي أصابت الوجود هنا، لم تأت نتيجة أحداث فدرية لا شأن للإنسان بها، وإنما هي زلزلة داخل النفس الإنسانية المتمسكة، التي تشعر بالوحدة والاغتراب، بعد أن سابرها شعور بالظن من الآخر، وإحساس مهيكل بالتناهي الدور، لذلك الإحساس دفقها إلى حالة من الاستلاب، والإحساس بحراب العالم، الذي كانت تتكئ على فيه - قبل ذلك - فوه من ألوان الجدوى ومن أسرار المعنى.

ولكن ما جدوى الحياة إذن بالهجرة لهذا الوحيد المسن في مثل هذا الصل؟

أعتقد أن المؤلف الشعرى رغم قناسته وسوداويته، إلا أن تعلقاً ما يوحى بالحياة تراه يصفر - في جمل - من وجهه بين الحين والحين، هذا الشيء الذي بالحياة، لا يمكن بطبيعة الحال - أن يكون الحياة ذاتها، وإنما هو شيء ربما نستطيع أن نطلق عليه محاولة إنتاج حسية، وسط طقس يتذكر كله بعدم جدواها، فيها هو ذا الوحيد المسن عندما يركب للبيت «للشرفة الآمنة»، وتأمل في الليل، في إشارة إلى محاولة الفهم ولو عن طريق التمثل الذي يسهله قطعاً على فتح كرة للتذكر، تصلة هي الأخرى - ولو في الحلم - على الفهم، فتشده «يتسلل بين الدقائق في الليل يبحث عن برتقال المسر، ولنا أن تشال هذا المسر البرتقالي، الذي لم نشهد له أثر في أرض واقع حرب، كواقف على هذا الوحيد المسن، غير أننا نستطيع أن نكتفي بوجوده - مؤلفاً - على أرض هذا الحلم المكتسب؟

ولكن ما هذا الحلم الذي يتسلل إليه «الوحيد المسن»، فيحاضر أن يتشرب في حجر لا يراه، أو أن يلقاه لمن أو لحيان

الإشارات والتبهيّات

لكله - قولى - مقال فى الودع
ومدهش
بيس يحاصره
فلنبتصره صحنه بشراوة الذكورى
ويستصسى على الأيام

والوقوف هنا ويخرج نواتج مما بعد
الاعتراف بالهزيمة، ويصلح - فيما يشبه البوح
عن مقدار الفجوة، من خلال مواجهة صادقة
مع النفس «لا تفشنى، قولى...» لينذر
الظن كله بحالة من السرات، تأذن باتتمان
الوحشة، وسيطرة الغياب، الذى أصاب حياة
الطفل بالمثل للثام «إفذا هناك نخلة فى الله
قامنة، ولايتبقى لطفل هذه المسأة سوى أن
يحصن نفسه بطراوة الذكرى، مستغفرا فى
دمومة صحنه، لا يلى بغرافشه، يتسلى
بالقاء المجارة فى الطريق، فى معاملة أخيرة
لتجاوز الفرج بأل المكاسب، وفى معاملة
أخيرة منه لتطمين الذات المتجرية، يبدو
كأنه يهون من شأن الفساة: «قولى فى
أمرأة جلت، غير أن المولف لا يتقبل خدمتنا
بهذه السهولة، لنكتشف أنها - فقط - مبالاة
فى الودع، ومحاولة مشروعة فى مداراة
العطب. لهذا فإن المولف - بعامة - لا يفرح
تلك الصعوبة الصاغية التى سنفاجأ بها بعد
قليل، «والتى تبدو غريبة على جسد التجربة
وناعة تلك الصورة التى تتمثل فى قوله:

لضفت لهايات القصيدة رجلة
وتعمست للصور
سمى الزهر باسم واضح كالأزهر
لاقبنى على درج المصابيح
اسطفى من طقس أوردتى
لقد جلت ملاحج جلد.
للخطر أن يخذو دما
للعصايلر التى حثت على شباكنا أن
تسفر غشاها
سمى النهار - كما ألفت - هوى
وعوى
إن «دحان» التى ألفتها ظامنة
وقوى:
ما حلونا لو نسمى ظمنا فجرا
وتبكرى الشواء.

غير أننا نستطيع أن نتلمس هذا الدخول
التالى على جسد التجربة، إذا أدركنا حالة

والشقة فى القباب هى الأخرى، ليسر عن
طرح سائب، واقتراض مژول للمسائكة أو
حتى للدراسة، لتكتشر فجوة الفقد، فثقتل
الكان، واتسب فى الزمان، والأفان:

أرجعه،

أرى،

توجس،

جاءت ينطق الحديث عن الذائب - كما
كثرت منذ قليل - فى محاولة من الطفل
للتصل أو للتصالح على نواتج هذه الأفان،
رغبة منه فى الفرار من جراء الوقوع فى
شرك حتمية المواجهة، تشادا لمعارضة إنتاج
حتمية أخرى مغارة ولى على سبل القراضها،
غير أن الأفان التى كان ينبغي أن تجرأ فى
صالح القراض حتمية الفرار، وخلق المغارة،
ومحاولة استحضار الغائب لمساكلته أو
الاحتماء به كجرأ على نثائه هو:

فاحسنى،

وأعطنى،

قولى،

دون أن يسفر الموقف بلهجة الأسرة عن
أى من الاستجابات، لأى من هذه الأوامر،
التي لم تأت - فسيما يبدو - إلا لتكشف عن
الندى الصدم الذى اتسمت دواسته فى نفس
ولقب الطفل، فإذا يوم نفسه يتلقى إستجابات
من الطرف المزعوب فى مساكلته، والاحتماء
به، وإذا فإننا حينما نتابعه حينما يشعل تيلة
فى اللول، وتباع راحتيه وحيدتين، يكون
بمقدورنا أن نرى عمو أساسا هذا العضور
الهنس، الذى يواجه وحده كل هذا الغياب
المسيطر، ليعبر فيما يشبه الاعتراف المرير
بالهزيمة:

قولى: لقد أعزت به الأيام مود بها
فأرتك أن مصب دماء كرفانا
لجرح مرطخ فى الصق
ملك على كذبله
لا تفشنى
قولى فى امرأة جلت
إفذا هناك نخلة فى لكه ظامنة
وباب البيت مرتج
وخر فى سته يلى المجارة فى الطريق
ولا يلى بغرافشه

خاض ١٢. إنه العلم بالقرية فيما يشبه الحياة،
بعد أن انقذ «الوحيد الصن» مبررات الحياة،
وبعد أن أصبح غير راغب فى التزم يلهم، ولا
فى الحياة ليعاود فيما يشبه الحياة ١١

١ - القباب المسيطر فى مواجهة الحضور المتكسر:

يمكن للمتأمل تلبس التشكيكية والمعنوية،
فى قصيدة «القصيدة كتبت غيبتها، للشاعر
مشهور فواز - ضمن ديوانه «هجرة من الفرام
فى السلاء» - أن يقف على طقسين دالين
مستواين ومختلفين فى ذات الوقت، هذان
الطقس، يمثلان حالتى الغياب والحضور فى
القصيدة، ويهيئان تلبية للفرسية الدلالية
فيهما، بما تحمله هذه الفرسية من انكسارات
للداخل على الخارج، أو للغياب المسيطر، على
الحضور الهوى المتكسر، فالقصيدة تعالج حالة
من حالات الانكسار فى حياة الإنسان، ربما
تتمثل هنا - وكما هو حاشى بالمثل - فى
تجربة حب فاشلة، أحدثت - بمفاجأتها - خلا
مدمر فى نفس الطفل هذه التجربة، الذى
أحدث هو الآخر حالة سوازية من حالات
المقاربة، وضبط الولى التلمسية والمصيبة -
لديه - بحسبة الانهيار الشام، الذى حاول
الشاعر أن يتفقه هنا بالشر، فالقصيدة التى
كتبت غيبتها، هى ذات القصيدة التى وجلت
بدايتها، وأرتمت كمضمار الجسم، فى إشارة
إلى موازة حالة الانكسار التى أصابت الطفل،
بصالات الانكسار الكبرى فى حياة الأمم
والشعوب، يقول الشاعر:

وجلت بدايات القصيدة
فاحلنى للهام
وأعلى أن أرتك الباب يترك رجلة فى القلب
قولى: كان مضطرا
وأرجعه إنكاد الباب
ضلت القصيدة
فأرتى كمضمار الجوز
هل كانت ملاحه تدل على اغتراب
هل توجس غيلة من راحتي وحيدتين
أم أنه فى اللول أشعل تيلة
وتعدرت - رشا - مواجهه على قديمين ؟
إن حديث الطفل عن نفسه يتصور للغائب
هنا، وتوجهه الخطاب إلى الذات المضاطبة

الإشارات والتبهمات

ولذا فإما كان/ حلوان، ما زال ظامئاً،
والزمان لا يزال القترشاً: «ما حلوا لو لسمى
طلعتنا فجرًا، فاستوقف إذن على ما به من
صحو غير مبرر على مستوى الحدث إلا أن هذا
الصحو المستقرض من جانب الشاعر، ما زال
يكرس من سطوة هذا اللباب، ويعمق من حدة
هذا الانكسار. ■

عبد الحكم العلامى

فلا يُسفر عن أى تحرره من انطراف المخاطب
فى النص تجاه الطرف المخاطب، والأفعال
كالمصادة تهيم كلها من جانبها هو أى
المخاطب:

سمى،

لا لى،

اسمى،

الشاعر الملحة - منذ البداية - للتجاوز،
ومحاولة خلق واقع، لا يسمح بسيادة وتكون
واقع الهزيمة من نفسه ولقبه، هكذا كمادة
قادة الحروب الظلام الذين يخوضون المعارك
الكبيرة، فلا يتجاوزون إلا من خلال مغربات
الزهد، ولا يتكلمون إلا بلغة المتكسّر، ولا
يعترفون بالهزيمة. والمستوقف الشعرى يتجه بنا
- على الفور - إلى ما ذهبنا إليه من معنى،



الإشارات والتنبيهات

(لغز كاسبيرهاوزر.. ١٩٧٥ أو: كل واحد لنفسه..)

وهذا الفيلم مبنى على حالة حقيقية أثارت جدلاً واسعاً في نورمبرج..

وكاسبيرهاوزر هو الحالة الوحيدة المعروفة في تاريخ البشرية التي فيها (بولد) إنسان وهو بالغ.. إنه شخص غير محدد الملامح.. أبكم وغير متمدين لم يهذب... إنه مثل عذبة صماء سقطت من كوكب آخر...

وتتشأ قصة إهماس.. وموت بطيء لكل في إنسانى حوله وبطريقة تلقائية.. حين يندب فجأة من الجميع.. ويواجه بجمع الطبقة المتوسطة المتحدنة.. وحين قُتل في النهاية.. يبعث كل فرد كالصعير حوله عن علامات التشوه فيه متجاهلين كلية أن التشوه الطبقي في مجتمعهم وعلى محاولته تفكيك كل شيء طبقاً لمكاييسه..

.. لا يمكن لسيان الجمل القصيرة التي تلحق بها كاسبر مبرج عن وضع حياته.. (أو) نعم.. أثنى أشعر بأن ظهوره في هذا العالم ما هو إلا سلطة عذبة.. إن نظريته المسئلة.. مثل نظرياته عن حياة التلاح..

(تلقاة صغيرة ماهرة..)

إن روى إحماسه الرزية والموسيقى والمناظر الطبيعية الخلابية في مقابل من كاسبير.. عتجز معاً.. فتروى قصة معاناته بصيرة تشبه الشجون.. أنه يود أن يفهم هذا العالم حوله ولكنه يضل.. شأنه في ذلك شأن أبطال أفلام هيرتسوج كما أن تفسيره للعالم لم ينته به إلى نتيجة ترفعه فوق الشخصيات المستتر بأنا عتج هذا العالم... والوصول إلى أقصى درجة من التماثل والصدق والشفاية في الأداء كان اختيار الممثل الذي يقدم هذه الشخصية المركبة شديدة الخصوصية.. وهنا كان اختيار هيرتسوج المميز لتمثيل الدور الرئيسي (كاسبيرهاوزر).. إلى هنا في متجر مغلف ورائق للقصص الشخصية يذو (بريتو. س)، هو في الصليبية صورة حديثة كاسبيرهاوزر.. إذ كان قد أمضى معظم حياته (من الثالثة حتى السادسة والعشرين..) في دور رعاية الطفولة.. وفي مؤسسات عديدة

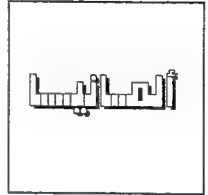
التاريخ والآداب والمسرح.. كان ذا طابع برية غير قابلة للترويض في تحصيله العلمي وفي بياته الفكرى.. سافر كثيراً منذ الستينيات مرتجلاً إلى مناطق عديدة وثانية في العالم... جاب صحارى أفريقيا وأدغالها وأمريكا اللاتينية وجنرل أكتافيا.. باحثاً عن حله الخاص.. محاولاً اكتشاف الآخر في الإنسان وفي الطبيعة.. والتعرف على أجناس بشرية لا تزال تعيش أنماطاً من الحياة البدائية.. وكان يرصد بكاسبراته التي يجمعها دائماً معه كل شيء.. كان جئاً اهتمامه بأوضاع تلك الأجناس البدائية من البشر وعلاقتها الجدلية بالمدنية في عالمنا المعاصر.. وكان ذلك إلهاماً ثرياً وخصباً لإبداعه السينمائى.. وهو بلا شك وريث شرعى لتراث الثقافة الألمانية الراسخة علماً وفلسفة وفنوناً وأدباً... وإبداعاته السينمائية تتميز بأنها ذات طابع فلسفى تأملى متفرد فيه رؤيته الخاصة عن بعض قضايا الحضارة والمدنية والإنسانية.. ويحلى هذا العالم الغاص بهيرتسوج حين قدم فيلمه الرابع (أجويرا - غضب الرب ..) عام ١٩٧٢ (Aguirre The Wrath of God)

ولفلم (كل رجل لنفسه..) Every man for himself.. في عام ١٩٧٥ من خلال دراما قوية وعذبة... وقدم عالمه الوحشى المتشرد في محزوفته السينمائية الفريدة والرائعة (فيتز جاردو..) ١٩٨١.. من خلال تقديم أوروبا خيالية صاخبة لحلل موسيقى شرانبي لتجوع في الغابات البرية..

إن أهم ما يميز عالم هيرتسوج الإبداعي ويمنحه تلك الخصوصية المتفردة.. أن له رؤية قاسية وحادة محمطة لكل ثوابت الرأى الذاتية التي تطرح من خلال الأفلام تقي تيكى عبر الأجيال...

إن تعظيم كل الثوابت المتعارف عليها في كل ثقافة من أفلامه هو غايته في سبيل بناء رؤيته الخاصة للعالم حوله... وهذا ما أكسب هيرتسوج القدرة على تطوير رؤيته للعالم.. إنه يستمد شخص أفلامه من مواقف وأحداث مزجلة في الوجودية..

وهذا ما تتلمسه في واحد من أهم أفلامه..



هيرنر هيرتسوج

ولد هيرنر هيرتسوج Werner Hertzog في ٥ سبتمبر ١٩٢٢ في ميونيخ بألمانيا.. ويشتد من أهم وأبرز الشخصيات في السينما العالمية المعاصرة ومن أكثرهم حداثة وفكرية... وفى مجال السينما.. وقبل خسارة ألمانيا لرهانها في صناعة السينما.. كانت البداية.. وكان الظهور المتوهم لاستعراض أفلام هيرتسوج وتقديمها إلى العالم... وبالنسبة من مصادفة في هذا العالم الساحر.. فإن كل ما صور وكل ما أنتج استمد شهرته من عالم هيرتسوج.. الذى كان له غاية محددة من إبداعاته السينمائية قال عنها... (إننى أبحث وأتق عن خطه عمل.. وعن سينما خاصة تعيش تيكى.. إن مقارر الطبيعة المتوحشة غير القابلة للترويض.. هي التي أحم بها...)

.. استعزلت السينما بعاملها السحرى على هيرتسوج منذ من مبكرة... حين صنع أول أفلامه وهو ما زال تلميذاً... ومن الغريب أنه لم يلق تعظيماً نظامياً في السينما.. فقد دأب منذ البداية على تعليم نفسه بنفسه... درس

الإشارات والتنبيهات

- «حتى الأكرام بدوا صغاراً» ١٩٦٩ (صُور في المكسيك وجنوب المكسيك).
- «أرض الصمت والظلام» ١٩٧١ .
- «أجويرار» غضب الرب، ١٩٧٢ .
- «لفز كاسبرغاوز» ١٩٧٤ .
- «قلب من زجاج» ١٩٧٦ .
- «نوسفراي» ١٩٧٨ .
- «فوتيسيك» - عن مسرحية جورج بونستر ١٩٨٧ .
- «فيتو كارالدو» ١٩٨١ .
- «حوت يحلم للنحل الأخضر» ١٩٨٣ .
- «أصداء إمبراطورية» ١٩٩٠ .
- «صرخة الحشر» ١٩٩١ (مهرجان فينيسيا)...

محمد فايد

مراجع:

- ١ - الفيلم الألماني الحديث... روبرت فيش.
- ٢ - دراسة للسينما الألمانية.
- ٣ - نشرات ودوريات حول مهرجان برلين السينمائي.
- ٤ - نشرات ودوريات أسبوع السينما الألمانية بالإسكندرية.

فرسان.. وغريب ونقرة إلى وجهه تؤكد كل ذلك فهو يعبر عن الناس - عن معاناة الوجود والحياة المهددة والميل إلى الجنون ومع هذا فهو أيضاً وجه جميل.. يستطيع أن يتحول من القسوة إلى الرقة.. من الغاوى إلى الخيالي.. ولهذا كان من أعظم وجوه السينما الحديثة..

إن ما قدمه هيرتسوج للسينما الألمانية بوجه خاص وللسينما العالمية بوجه عام من إبداعات ترميزاً لرؤيته الخاصة المتفردة لماهية السينما.. وتحولها لسينما خاصة به.. غير قابلة للتقليد أو المحاكاة، قد حجز له مكانة متميزة بين أهم صناع السينما في ألمانيا :-

قدم هيرتسوج من الأفلام القصيرة والمتوسطة:

«هراي» ١٩٦٢ - «لعة في الزمان» ١٩٦٤ .
«الأطباء الطائرون في شرق أوروبا ومستقبل معرق» ١٩٧٠ ..

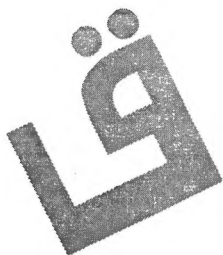
أفلامه الروائية :

● «علامات الحياة» ١٩٦٧ (جائزة مهرجان برلين الدولي ١٩٦٨ .

● «فان سورجان» - ١٩٦٨ - صُور في أفريقيا.

للتأهيل - الأمر الذي دعا بعض النقاد إلى اتهام هيرتسوج بتعريض «بروني» لسفيرة العامة.. وإن كانت الشخصيات التي تستحق السفيرة هي الشخصيات الممثلة لتجتمع.. أما «بروني» فيصور ألامه وكرامته على المستوى الشخصي تصويراً صادقاً وعقرياً.. لقد أدى دور رجل يترق إلى تركيز الانتباه على اللغة المتعددة للخلق حالة من التواصل والفهم أكثر منها لشخصية تحتاج إلى مثل.. وكانت النتيجة مبهره.. فمفارج الألفاظ قد تكون مختلفة.. إلا أنها في الوقت نفسه تعبر عن طاقة وإصرار كاشفة عن لمحات على درجة كبيرة من المكانة والسلطة والكرامة..

إن كاسبرغاوز واحد من أهم أعمال هيرتسوج وأكثرها تعقيداً لرؤيته.. واهتمام هيرتسوج برسم شخصياته وتحليل أبعادها النفسية والحياتية المركبة.. ودقته في خلق حالة من التوحد والتماثل بين شخصيات أفلامه على الورق.. وفي صورتها السينمائية على الشاشة.. من أهم سماته.. وهنا نجد ارتباطه الكبير مع الممثل الميموري الراحل (كلاب كينسكي) الذي اشتهر بوجهه القاسي والمزعز من خلال أفلام هيرتسوج.. لقد كان كينسكي يبدو كإنسان وحيد.. متشرد..



الغلاف الخلفي :
الزعيم سعد زغلول
بريشة الفنان : جودة خليفة

